تَذكرةُ الخوَاصّ

المعروف

بـ « تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة »



تأليف

سبط ابن الجوزي

يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله

المتوفى سنة ٦٥٤هـ

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت لبنان

یہ کتاب

اپنے بچوں کے لیے scan کی بیرونِ ملک مقیم ھیں

مو منین بھی اس سے استفادہ حاصل کرسکتے ھیں.

منجانب.



سبیلِ سکینہ

یونٹ نمبر ۸ لطیف آباد حیدر آباد پاکستان





۷۸۶

۱۱۰-۹۲

یا صاحب الزماں ادرکنیؑ

DvD Version

لبیک یا حسینؑ

خصوصی تعاون: نذر عباس
رضوان رضوی

اسلامی کُتب (اردو) DVD

ڈیجیٹل اسلامی لائبریری ۔

SABIL-E-SAKINA
Unit#8,
Latifabad Hyderabad
Sindh, Pakistan.
www.sabeelesakina.page.tl
sabeelesakina@gmail.com

تذكرة الخواص

المعروف

بـ « تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة »

تأليف

سبط ابن الجوزي

يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله

المتوفى سنة ٦٥٤ هـ

علق عليه ووضع حواشيه

خالد عبد الغني محفوظ

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٩٦١ ٥+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban



ISBN 2-7451-4673-4
90000
9 782745 146731
http://www.al-ilmiyah.com/
email: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ترجمة المصنّف[1]

سِبط ابن الجَوزي

(٥٨١ ـ ٦٥٤ هـ = ١١٨٥ ـ ١٢٥٦ م)

هو يوسف بن قزأوغلي[2] ـ أو قِزُغلي ـ ابن عبد الله، أبو المظفر، شمس الدين، سبط أبي الفرج ابن الجوزي.

مؤرخ. من الكتاب الوعّاظ.

ولد ونشأ ببغداد، ورباه جده. وانتقل إلى دمشق، فاستوطنها وتوفي فيها.

من كتبه: «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» المجلد الثامن منه، وهو آخره. و«تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة» في ذكر الأئمة الاثني عشر، وهو الكتاب الذي بين أيدينا. و«الجليس الصالح» في أخبار موسى بن أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق، و«كنز الملوك في كيفية السلوك» حكايات ومواعظ، و«مقتضى السياسة في شرح نكت الحماسة» و«منتهى السول في سيرة الرسول» و«الانتصار والترجيح» و«اللوامع» في الحديث، وكتاب في «تفسير القرآن» قال اليافعي: تسعة وعشرون مجلداً، و«مناقب أبي حنيفة» و«شرح الجامع الكبير» في الحديث و«إيثار الإنصاف في آثار الخلاف» في الفقه على المذاهب الأربعة.

(١) انظر الأعلام للزركلي (٨/ ٢٤٦).

(٢) قزأوغلي؛ بكسر القاف وسكون الزاي، ثم همزة مضمومة وغين ساكنة ولام مكسورة وياء: لفظ تركي، ترجمته الحرفية «ابن البنت» أي «السبط» وفي الكتّاب من يحذف الألف والواو، تخفيفاً، فيكتبها «قزغلي» بالقاف المكسورة وضم الزاي، والنص على هذا في تاريخ علماء بغداد «منتخب المختار» الصفحة ٢٣٦ قال: «والصواب ضم الزاي وسكون الغين المعجمة».

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ على سيدنا محمد وسلم؛ قال الشيخ الإمام العالم العلاّمة الفاضل الفهامة وحيد عصره وفريد دهره، جمال الدنيا والدين بقية العلماء العاملين بركة الملوك والسلاطين يوسف سبط الشيخ الإمام العالم الزاهد الكامل لسان العرب وترجمان أهل الأدب سيد المتكلمين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي قدس الله روحه ونور ضريحه: الحمد لله الواهب من النعم كل كثير وجزيل، الدافع من النقم كل حقير وجليل، الذي خلق الإنسان وعدله، فأحسن منه التعديل. وفضّله على سائر الحيوان بالتكريم والتفضيل، ومنحه بفصاحة اللسان وحسن التنزيل وخصه بعرفان ظواهر الكلم وخفيات مشكلات الحكم، ولطائف التأويل وصلى الله على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد الهادي إلى أعدل طريق والداعي إلى خير فريق وأوضح سبيل المرشد إلى كلمة الحق الناصح لكافة الخلق بأعظم برهان وأنور دليل المنعوت قديماً في التوراة، الموصوف في الإنجيل المرسل كريماً إلى كافة الناس بالتوقير والتعظيم والتبجيل، وعلى آله وأصحابه وعترته والمصطفين من أهل ملته المخصوصين بالغرة والتحجيل القائمين بنصرة دينه في كل زمن وعصر وحين ما أقبلت غداة وأصيل.

وبعد: فهذا كتاب في فضل الإمام العليم والحبر الحليم والسيد الكريم أخي الرسول، وبعل البتول، وسيف الله المسلول سيد الحنفاء، ورابع الخلفاء وابن عم المصطفى، وإمام الدين وعالمه وقاضي الشرع وحاكمه؛ ومنصف كل مظلوم من ظالمه، والمتصدق في الصلاة بخاتمه مُفرق الكتائب، ومظهر العجائب ليث بني غالب أبي الحسنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعن زوجته، وصلى على أبيه وحشرنا في زمرته، ورضي الله عن بقية الصحابة وأهل البيت رضي الله عنهم أجمعين.

الباب الأول

ذكر نسب علي بن أبي طالب عليه السلام

فهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعمود النسب إلى عدنان مُتفق على صحته، وما بعده إلى آدم عليه السلام مختلف فيه، فلهذا اقتصرنا عليه واسم أبي طالب عبد مناف، وهو أخو عبد اللّه والد رسول الله صلى الله عليه وآله لأبيه وأمه واسمها فاطمة بنت عمرو بن عايذ، وعبد المطلب لقبه شيبة الحمد لشيبة كانت في رأسه، وكنيته أبو البطحاء لأنهم استسقوا به سقياً، فكنوه بذلك وإنما سُمي عبد المطلب لأن عمه المطلب كان بمكة إليه السقاية والرفادة[١]، وكان المطلب أخا هاشم وكان هاشم قد تزوج بالمدينة إلى بيت النجار امرأة فيقال لها: سلمى بنت عَمْرو، فولدت شيبة بالمدينة وتوفي هاشم بمكة، ونشأ شيبة بالمدينة فمر به رجل من أهل مكة، وهو يناضل الصبيان ويقول: أنا ابن سيد قريش أنا ابن أبي البطحاء فسئل عنه؟ فقيل: هذا ابن هاشم، فلما قدم مكة أخبر المطلب، فركب من وقته إلى المدينة فوجده يلعب مع الصبيان فأردفهُ على راحلته، وقدم به مكة فقال الناس: هذا عبد المطلب، فقال المطلب: ويحكم إنما هو ابن أخي هاشم، فغلب عليه هذا الاسم ولما مات المطلب قام مكانه عبد مناف.

وأما هاشم فاسمه عمرو، وهاشم لقبه لأن مكة أجدبت وأصاب أهلها ضر عظيم، وكان يهشم الثريد[٢] ويُطعمهم إياه وفيه يقول:

عَمْرو العُلى هشمَ الثريد لقومهِ ورجالُ مكة مسنتون عجاف

وعبد مناف اسمه المُغيرة؛ وقُصي اسمه زَيْد، وإنما سمي قصياً لتقصي أمه به إلى الشام، ويسمى مجمعاً، وله أسامي كثيرة وفيه يقول الشاعر:

هُمام له اسماءُ صدقٍ ثلاثة قُصي وزَيْد والنَّدى ومجمعُ

(١) السِّقايةُ: حِرفة السَّقَّاء. وسقاية الحاجّ: سقيُهم الشراب، وكانت من مآثر قريش. الرِّفادةُ: ما كانت تُخرجه قريش من أموالها في الجاهلية لإطعام الحُجّاج في موسم الحجّ.

(٢) الثَّريدةُ والثَّرُودةُ: الخبز يُفتُّ ويُبلُّ بالمرق.

وأم قصي فاطمة بنت سعد تزوجها كلاب بن مرة ثم مات، وقصي صغير فتزوجها ربيعة بن حزام بن ضبة، وسار بها إلى الشام وقصي بها فلما كبر قصي عاد إلى مكة واستولى عليها وجمع قبائل قريش إليها، وأما كَلاب فأمه هند بنت سويد بن ثعلبة، وأما مرة فأمه مخشية بنت شَيْبان، وأما كعب فأمهُ ماوية بنت كعب وأما لؤي فاسم أمه عاتكة بنت خالد بن النَّضر بن كِنَانة، وأما غالب فأمهُ ليلى بنت الحارث، وأما فهر فأمه جندلة بنت عامر الجرهمية، وفهر هو جماع قريش بعد قصي، وقيل: النَّضر بن كنانة هو قريش فمن لم يكن من ولد النضر لم يكن قرشياً وعلى القول الأول من لم يكن من ولد قصي لم يكن قرشياً والقرش أصله الجمع والاكتساب، وكانت هذه وتجمع فسميت به وقيل: إن قريش دابة تسكن البحر تأكل دواب البحر، فسميت قرش بها وفيه أقوال أخر.

وأما مالك فأمه عرابة بنت سعد بن قيس غيلان، وأما خزيمة فأمه سلمى بنت أسلم قضاعية وأما مدركة فاسمه عمرو وإنما سمي مدركة لأن لأبيه إبلاً شردت فأدركها فردها وأمه خندف وقيل: ليلى بنت حلوان قضاعية، وأما الياس فأمهُ الرباب بنت جيدة بن معد وأما مضر فاسم أمه سودة بنت عسك، وأما نزار فأمهُ معانتة بنت حوشم، وأما معد فأمه هوزة سلمية.

فصل

واختلف العلماء في تسميته بعلي عليه السلام فقال مجاهد: هو اسم سمتهُ به أمه عند ولادته، وقال عطاء: إنما سمتهُ أمه حَيْدرة بدليل قوله يوم خيبر: (أنا الذي سمتني أمي حيدرة) فلما علا على كتفي الرسول صلى الله عليه وآله وكسر الأصنام سُمي علياً من العلو والرفعة والشرف، وقال ابن عباس: كانت أمه إذا دخلت على هبل لتسجد له وهي حامل به علا بطنها، فيتقوس فيمنعها من السجود، فسمي علياً لهذا، وقول مجاهد أظهر لأنه ثبت المستفيض به ولا يمنعها من تسميتها علياً أن تسميه حيدرة لأن حيدرة اسم من أسامي الأسد لغلظ عنقه وذراعيه، وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام فيكون على اسمه الأصلي، وحيدرة وصفاً له وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وآله «ذا القرنين».

أخبرنا عبد اللّه بن أبي المجد الحربي قراءة عليه ونحن نسمع ببغداد سنة ست وتسعين وخمسمائة قال: ابنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، وكنيته أبو القاسم ويُعرْف بابن الحُصين، قال أبو علي الحسن بن علي بن المذهب التميمي، قال ابنا أبي بكر بن أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي حدثنا عبد اللّه ابن الإمام أبي عبد اللّه أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني قال: حدثني أبي، حدثنا ابن

نمير، حدثنا عبد الملك الكندي، حدثنا أبو حازم المدني، وقال أحمد بن حنبل بن مسلم: حدثنا عثمان، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن إبراهيم التميمي عن سلمة بن الطفيل عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ لك في الجنة قصراً. وإنك ذو قرنيها» وهذا الحديث أخرجهُ أحمد بن حنبل في المسند وأخرجه أحمد أيضاً في كتاب جمع فيه فضائل أمير المؤمنين رواه النسائي مسنداً ويُسمى البطين لأنه كان بطيناً من العلم، وكان يقول: لو ثُنيت لي الوسادة لذكرت في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم حمل بعير، ويسمى الأنزع لأنه كان أنزع من الشرك، وقيل: لأنه كان أجلح، ويسمى أسد الله، وأسد رسوله، ويسمى يعسوب المؤمنين لأن اليعسوب أمير النحل، وهو أحزمهم يقف على باب الكوارة كلما مرت به نحلة شم فاها فإنْ وجد منها رائحة منكرة علم أنها رعت حشيشة خبيثة فيقطعها نصفين، ويلقيها على باب الكوارة ليتأدب بها غيرها، وكذا علي عليه السلام يقف على باب الجنة فيشم أفواه الناس فمن وجد منه رائحة بغضه ألقاه في النار.

قال في الصحاح: اليعسوب ملك النحل، ومنه قيل للسيد يعسوب والمؤمنون يتشبهون بالنحل لأن النحل تأكل طيباً وتضع طيباً، وعلي عليه السلام أمير المؤمنين ويسمى الولي، والوصي، والتقي، وقاتل الناكثين والقاسطين، وشبيه هارون، وصاحب اللّوى، وخاصف النعل وكاشف الكرب وأبو الريحانتين وبيضة البلد في ألقاب كثيرة.

فصل

فأما كنيتهُ فأبو الحسن والحسين، وأبو القاسم، وأبو تراب، وأبو محمد والنبي صلى الله عليه وآله كناه «أبا تراب» والحديث في المسند والصحيحين قال أحمد: وقد تقدم إسناد المسند، حدثنا «ابن نمير» عن عبد الملك الكندي عن أبي حازم قال: جاء رجلاً إلى سهل بن سعد فقال: هذا فلان يذكر علياً بن أبي طالب عند المنبر فقال: ما يقول؟ قال: يقول أبو تراب، ويلعن أبا تراب فغضب سهل، وقال: والله ما كناه به إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وما كان اسم أحبَ إليه منه.

دخل علي عليه السلام على فاطمة رضي الله عنها فأغضبتهُ في شيء فخرج إلى المسجد، فاضطجع على التراب وفي لفظ فسقط ردائه على التراب وخلص التراب على ظهره فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فمسح التراب عن ظهره، وقال: «اجلس أبا تراب»[1] متفق عليه.

(1) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ٦/ ٢٠٦)، والبخاري في (الأدب المفرد ٤٥٢).

وقال الزهري: والذي سبَّ علياً في تلك الحالة مروان بن الحكم لأنه كان أميراً في المدينة من قبل معاوية.

وقال الحاكم أبو عبد اللّه النّيسابوري: كان بنو أمية تنقص علياً عليه السلام بهذا الاسم الذي سماه به رسول الله صلى الله عليه وآله ويلعنوه على المنبر بعد الخطبة مدة ولا يهتم وكانوا يستهزؤون به، وإنما استهزؤوا بالذي سماه به، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦] الآيتان والذي ذكره الحاكم صحيح فإنهم ما كانوا يتحاشون من ذلك بدليل ما روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص أنه دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال له: ما منعك أن تسب أبا تراب الحديث وسنذكره فيما بعد إنشاء الله تعالى.

واستمر الحال إلى زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فجعل مكان ذلك السب أنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان، فلما ولي بعده يزيد بن عبد الملك لم يتعرض لسبه، فقيل له في ذلك فقال: ما لنا ولهذا، واستمر الحال وقيل: إن الوليد بن يزيد أعاد السّب وقيل: إنَّ بعض بني أمية كان يقول: اللهم صلِّ على معاوية وحده لقد لقينا من عليّ جهده.

ورويّ عنه عليه السلام أنهُ كان يقول: أنا أبو الحسن القرم، والقرم السَّيد المُكرم، وأصله البعير الذي لا يحمل عليه ولا يذلل.

فصل في صفته عليه السلام

ذكر الحافظ من مسنده أنه كان أدم شديد الأدمة عظيم العينين، غليظ الساعدين أقرب إلى القصر من الطول، عريض اللحية لم يصفه أحد بالخضاب سوى سواد بن حنظلة، والصحيح أنه لم يخضب، وروي أنه كان يُصفر لحيته بالحناء ثم ترك.

فصل في ذكر والده عليه السلام

قد ذكرنا نسبه وأنه ابن عبد المُطلب، ولما احتضر عبد المطلب أوصى إلى أبي طالب، وعهد إليه في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أشار محمد بن سعد في كتاب الطبقات[1] عن جماعة من العلماء منهم ابن عباس ومجاهد وعطاء والزهري وغيرهم فذكر طرفاً من ذلك، فقالوا: توفي عبد المطلب في السنة الثانية ولرسول الله

---

(١) طبقات الصحابة والتابعين: لأبي عبد اللّه محمد بن سعد الزهري البصري كاتب الواقدي المتوفى سنة ٢٣٠، كتب أولاً إلى زمانه خمسة عشر مجلداً ثم انتخبه أصغر من ذلك، (كشف الظنون ٢/١١٠٣).

صلى الله عليه وآله ثمان سنين وكانت قد أتت على عبد المطلب مائة وعشرون سنة ودفن بالحجون[١].

قالت أم أيمن: أنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي تحت سريره، وهو يبكي وقيل: كان لعبد المطلب يوم مات ثمانون سنة والأول أظهر.

وروى مجاهد عن ابن عباس قال قوم من القافة من بني مذحج لعبد المطلب لما شاهدوا قدمي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا البطحاء احتفظ بهذا، فإنا لم نرقد ما أشبه بالقدم الذي في المقام من قدميه، فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء فإن لابني هذا ملكاً، ثم إنَّ أبا طالب قام بنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وكفالته أحسن القيام فكان معه لا يفارقه، وكان يحبه حباً شديداً ويقدمه على أولاده ولا ينام إلا وهو إلى جانبه، وكان يقول له إنك لمبارك النقيبة ميمون الطلعة».

وذكر ابن سعد في الطبقات قال: خرج أبو طالب إلى ذي المجاز ومعه رسول الله صلى الله عليه وآله، فعطش فقال: يا بن أخي عطشت ولا ماء، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله فضرب بعقبه الأرض، فنبع الماء فشرب، وذكر أهل السير أنَّ أبا طالب لما قام بنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وذب عنه أحسن الذب اجتمعت إليه قريش، وقالوا: إن ابن أخيك قد سب إلهنا وسفّه أحلامنا، وضلل آباءنا فإما أنْ تسلمه إلينا أو يقع الحرب بيننا فقال بفيكم الحجر والله لا أسلمه إليكم أبداً، فقالوا: هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة أجمل فتى في قريش وأحسنه، فخذه واتخذه ولداً عوضه، وسلمه إلينا نقتله ورجل برجل، فقال أبو طالب قبَّحَ اللَّهُ هذه الوجوه ويحكم والله بئس ما قلتم تعطوني ابنكم اغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه بئس والله الرجل أنا ثم قال: افرقوا بين النوق وفصلانها[٢] فإن حنت ناقة، إلى غير فصيلها دفعته إليكم ثم قال:

والله لَنْ يصلوا إليكَ بجمعهم، حتى أوسدَ في الترابِ رهينا
فاصدعْ بأمركَ ما عليك غضاضة وابشرْ وقرْ بذاكَ عيونا
وعرضت ديناً لا محالة أنه من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحاً بذاك ضنينا

ثم قام أبو طالب يذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله من سنة ثمان من مولده إلى السنة العاشرة من النبوة وذلك اثنان وأربعون سنة.

وقال الواقدي: أصاب أبا طالب سهم عام الفجار[٣] فكان يتوجع منه.

---

(١) الحَجونُ: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها (معجم البلدان ٢/ ٢٢٥).

(٢) الفصيلُ: ولد الناقة إذا فُصل عن أمه (ج) فُصلانٌ وفِصالٌ، وهي فصيلة.

(٣) الفِجارُ: حرب الفِجار: الحرب التي وقعت بين قريش وحلفائها، وبين قيس عيلان، وحضرها النبي ﷺ وعمره زُهاء عشرين سنة. وسُميت بالفجار لأن القتال حدث في الأشهر الحرم.

وأخبرنا جدي أبو الفرج رحمه الله قال: أنبأنا محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري قال: أنبأنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، أنبأنا أبو عمرو محمد بن العباس بن حياته، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن معروف، أنبأنا الحسن بن الفهم، أنبأنا محمد بن سعد، أنبأنا محمد بن عمرو بن واقد الواقدي، قال: حدثني معمر بن راشد عن محمد بن شهاب الزهري، عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما مرض أبو طالب مرض الموت، دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: «يا عم قل كلمة أشهد لك بها غداً عند الله»[١] فقال له: يا بن أخي لولا رهبة أن تقول قريش دهورني الجزع فتكون سبة عليك وعلى بني أبيك لأقررت بها عينك، لما رأى من نصحك لي وبه قال ابن سعد: حدثنا الواقدي فقال: دعا أبو طالب قريشاً عند موته فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتهم من محمد ابن أخي وما اتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه، فأرشدكم فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أتأمرهم بها وتدعها بنفسك يا عم»[٢] فقال: يا ابنَ أخي أما أنك لو سألتني الكلمة وأنا صحيح لتابعتك على ما تقول ولكني أكره أن يُقال جزعَ عند الموت ثم مات.

وقال ابن سعد بالإسناد المتقدم: حدثني الواقدي قال: قال علي عليه السلام: لما توفي أبو طالب أخبرتُ رسول الله صلى الله عليه وآله فبكا بكاءً شديداً ثم قال: «اذهب فغسله وكفنه، وواره غفر الله له ورحمه»[٣] فقال له العباس: يا رسول الله إنك لترجو له. فقال: أي والله إني لأرجو له» وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أياماً لا يخرج من بيته وقال الواقدي: قال ابن عباس: عارض رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة أبي طالب وقال: «وصلتك رحم وجزاك الله يا عم خيراً»[٤]. وذكر ابن سعد أيضاً عن هشام بن عروة قال: ما زالوا كافين عن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى مات أبو طالب يعني قريشاً. وقال السدي: مات أبو طالب وهو ابن بضع وثمانين سنة، ودفن بالحجون عند عبد المطلب وقال علي عليه السلام يرثيه:

أبا طالب عصمة المستجير وغيث المحول ونورَ الظلمِ

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٢/ ١١٩)، ومسلم بن الحجاج في (صحيح مسلم ٣٩)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ١/ ١/ ٧٧)، والألباني في (السلسلة الصحيحة ٢/ ٣٢٧)، والطبري في (التفسير ١١/ ٣٠)، وابن كثير في (التفسير ٦/ ٢٥٦)، والسيوطي في (الدر المنثور ٥/ ١٣٤)، والقرطبي في (التفسير ٨/ ٢٧٢)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٢/ ٣٤٣)، وأبو عوانة في (المسند ١/ ١٥).

(٢) أخرجه ابن سعد في (الطبقات الكبرى ١/ ١/ ٧٨).

(٣) أخرجه السيوطي في (الدر المنثور ٣/ ٢٨٣).

(٤) أخرجه ابن كثير في (البداية والنهاية ٣/ ١٢٥)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٤٤٣)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١٣/ ١٩٦)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ١/ ٢٥٩)، وابن الجوزي في (العلل المتناهية ٢/ ٤٢٢).

لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ فصلى عليك ولي النعمِ
ولقاك ربك رضوانه فقد كنت للطهر من خير عمِ

وقال أيضاً:

أرقت لطير آخر الليل غردا يذكرني شجواً عظيماً مجددا
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى جواداً إذا ما أصدرَ الأمرَ أوردا
فأمست قريش يفرحون، بموته ولست أرى حياً يكون مخلدا
أرادوا أموراً زينتها حلومهم سنوردهم يوماً من الغي موردا
يرجون تكذيب بالنبي وقتله أن يفتري قدماً عليه ويجحدا
كذبتم وبيت الله حتى نذيقكم صدور العوالي والحُسام المهندا
فإما تبيدونا وإما نبيدكم وإما تروا سلم العشيرة أرشدا
وإلا فإن الحي دون محمد بني هاشم خير البرية محمدا

فصل في ذكر والدته

وهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أسلمت وهاجرت إلى المدينة وتوفيت بها، سنة أربع من الهجرة وشهد رسول الله ﷺ جنازتها وصلى عليها ودعى لها، ودفع لها قميصه فألبسها إياها عند تكفينها.

قال الزهري: وكان رسول الله ﷺ يزورها، ويقيل عندها في بيتها وكانت صالحة.

قال ابن عباس: وفيها نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة: ١٢] الآية قال: وهي أول امرأة هاجرت من مكة إلى المدينة ماشية حافية وهي أول امرأة بايعت محمد رسول الله ﷺ بمكة بعد خديجة؛ قال الزهري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة عراة»(١) فقالت: واسوءتاه فقال لها رسول الله ﷺ: «فإني أسأل الله أن يبعثك كاسية» قال: وسمعته يقول: أو يذكر عذاب القبر فقالت: واضعفاه فقال: «إني أسأل الله أن يكفيك ذلك».

وذكر أحمد بن الحسين البيهقي بإسناده إلى أنس أن رسول الله ﷺ نزل في حفرتها:

(١) أخرجه النسائي في (السنن ٤/ ١١٤)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٣/ ٤٩٥)، وابن حجر في (فتح الباري ١/ ١٧٤)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٤٥٦)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٤/ ٣٨٥).

وقال أهل السير: هي أول هاشمية ولدت خليفةً هاشمياً ولا يعرف خليفة أبواها هاشميان سوى أمير المؤمنين علي عليه السلام ومحمد بنِ زبيدة ولد هارون الرشيد الملقب بالأمين. وكذا لم يل الخلافة من اسمه علي سوى أمير المؤمنين وعلي بن المعتضد ويلقب بالمكتفي.

وروي أن فاطمة بنت أسد كانت تطوف بالبيت وهي حامل بعلي عليه السلام فضربها الطلق، ففتح لها باب الكعبة فدخلت فوضعته فيها وكذا حكيم بن حزام ولدته أمه في الكعبة.

قلت: وقد أخرج لنا أبو نعيم الحافظ حديثاً طويلاً في فضلها إلا أنهم قالوا في إسناده روح بن صلاح ضعفه ابن علي فلذلك لم نذكره.

فصل في ذكر أولادها

وجميعهم من أبي طالب وهم ستة: أربع ذكور وبنتان فالذكور طالب وعقيل وجعفر وعلي، وبين كل واحد وبين الآخر عشر سنين، فطالب أكبر ولد أبي طالب وبه كان يكنى، وبين طالب وعقيل عشر سنين، وبين عقيل وجعفر عشر سنين وبين جعفر وعلي عشر سنين، فعلي عليه السلام أصغر ولده وطالب أكبرهم وكنيته أبو يزيد وكان عالماً بأنساب قريش أخرجه المشركون يوم بدر لقتال رسول الله ﷺ كرهاً فقال:

اللهم أما يغزون طالب ... في مقنب من هذه المقانب[1]

وليكن المغلوب غير غالب ... وليكن المسلوب غير السالب

فلما انهزم المشركون يوم بدر، لم يوجد لا في القتلى ولا في الأسرى، ولا رجع إلى مكة ولا يدري ما حاله وليس له عقب.

وأما عقيل فقال ابن سعد: إنه أخرج يوم بدر مع من أُخرج مكرهاً وأُسر يومئذٍ ولم يكنْ له مال ففداه عمه العباس.

وقال ابن سعد: أنبأنا علي بنِ عيسى النوفلي، أنبأنا أبان بن عثمان عن معاوية ابن عمار، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد يقول: قال رسول الله ﷺ يوم بدر، «انظروا من ها هنا من أهل بيتي من بني هاشم»[2] فجاء علي عليه السلام فنظر إلى العباس ونوفل وعقيل، ثم رجع فناداه عقيل: يا ابن أم والله لقد رأيتنا فجاء علي إلى الرسول ﷺ فأخبره فجاء رسول الله ﷺ فوقف على رأس عقيل فقال أبا زيد: قتل أبو جهل فقال: إذاً لا تنازعوا في تهامة فإن كنت أثخنت القوم وإلا فاركب أكتافهم

(١) المِقْنَبُ: جماعةٌ من الفرسان والخيل دون المائة تجتمع للغارة (ج) مقانب.

(٢) أخرجه ابن سعد في (الطبقات الكبرى ٤/ ١/ ٢٩).

وفي رواية الآن صفا لك الوادي ثم رجع عقيل إلى مكة فأقام بها إلى سنة ثمانٍ من الهجرة ثم خرج مهاجراً إلى المدينة فشهد غزاة موته وأطعمه رسول الله ﷺ من خيبر مائة وأربعين، وسقا كل سنة.

قال الواقدي: أصاب عقيل يوم موته خاتماً عليه تماثيلْ فنفله إياه رسول الله (ص) فكان في يده.

قال الواقدي: وعاش إلى سنة خمسين من الهجرة، وتوفي فيها بعدما ذهب بصره وأخبرنا جدي أبو الفرج محمد بن علي الجوزي، وشيخنا العلامة زيد بن الحسن بن زيد الكندي قال جدي: أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري سماعاً وقال زيد بن الحسن الكندي أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري أجازه، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمرو محمد بن العباس بن حيويه، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن معروف، أخبرنا الحسن بن فهم، حدثنا محمد بن سعد كاتب الواقدي، أنبأنا الفضل بن دكين، أنبأنا عيسى بن عبد الرحمن السلمي عن أبي إسحاق، إن رسول الله ﷺ قال لعقيل: «يا أبا يزيد إني أحبك حبين حباً لقرابتك وحباً لما كنت أعلم من حب عمي إياك»[1]. وكان له عقب بالمدينة وله بها دار.

ومن أولاده يزيد وبه كان يكنى وسعيد وأمهما أم سعيد بنت عمرو من بني صعصعة وجعفر الأكبر وأبو سعيد وهو اسمه، وكان أحول وأمهما أم البنين كلابية ومسلم وهو الذي بعثه الحسين عليه السلام إلى الكوفة فقتله ابن زياد وعبد اللّه، وعبد الرحمن، وعلي، وجعفر، وحمزة، ومحمد ورملة، وأم هاني؛ وفاطمة، وأم القاسم، وزينب، وأم النعمان، وجعفر الأصغر.

لأمهات أولاد شتى وكان عقيل قد باع رباع بني هاشم بمكة وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «وهل ترك لنا عقيل من منزل»[2]. وكان طالب وعقيل قد ورثا أبا طالب ولم يرثه جعفر وعلي لأنهما كانا مسلمين، وأما البنتان فأم هاني قال ابن سعد: اسمها جعدة. وقيل فاختة وقيل: هند وهي التي صلى رسول الله ﷺ صلاة الضحى في بيتها يوم الفتح ثمان ركعات وقد أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين عنها قالت: ذهبت إلى النبي ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة تستره بثوب فسلمت عليه فقال: من هذه؟ قلت أنا: أم هاني بنت أبي طالب فقال: مرحباً فلما فرغ من غسله، قام فصلى ثمان ركعات ملتحفاً في ثوب واحد فلما انصرف، قلت: يا رسول

---

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ١٧/ ١٩١).

(٢) أخرجه البيهقي في (السنن الكبرى ٦/ ٣٤)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٠٤٢٩، ٣٠٦٨٤، ٣٠٦٨٥).

الله زعم ابن أمي علي أنه قاتلٌ رجلاً قد أجرته فلان أي هبيرة زوجها فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرت»[١]. قالت: وذلك منحي وفي بعض الروايات الصحيحة أن ذلك كان في بيتها قال الزهري: أجرته الذي زوجها أبو وهب هبيرة بن عمرو بن عايد المخزومي وتوفي بنجران[٢] مشركاً وقيل غيره، وأما أم هاني فهاجرت إلى المدينة ولما أفضت الخلافة إلى علي عليه السلام استعمل فيها جعدة بن هبيرة والابنة الأخرى اسمها جمانة تزوجها أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهاجرت إلى المدينة، وتوفيت في حياة رسول الله ﷺ.

وأما سيرة جعفر بن أبي طالب فسنذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى؛ وذكر ابن سعد لأبي طالب ابنة أخرى، وقال: اسمها ريطة وقيل: أسماء وأم الجميع فاطمة بنت أسد وذكر أيضاً لأبي طالب ابناً آخر وقال: اسمه طليق واسم أمه وعلة والله أعلم بالصواب.

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ١/ ١٠٠، ٤/ ١٢٢، ٨/ ٤٦)، ومسلم بن الحجاج (صلاة المسافرين ٨٢)، وأبو داود في (السنن ٢٧٦٣)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٦/ ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٩/ ٩٥)، والحاكم في (المستدرك ٤/ ٤٥، ٥٣)، وسعيد بن منصور في (السنن ٢٦١٢)، ومالك في (الموطأ ١٥٢)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٥/ ٨١)، والدولابي في (الكنى والأسماء ٢/ ٨٢)، والطبراني في (المعجم الكبير ٢/ ٦٧)، وابن عبد البر في (تجريد التمهيد ١٤٧)، وابن حجر في (فتح الباري ١/ ٤٦٩)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٠٩٥٠)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ١٠)، وصاحب (شرح معاني الآثار ٣/ ٢٢٣، ٣٢٣)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٢/ ٦٣، ١٠٤)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٤/ ٢٨١، ٣٠٠)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٥١٨)، وابن الجارود في (المنتقى ١٠٥٥).

(٢) نجران: في مخاليف اليمن من ناحية مكة، (معجم البلدان ٥/ ٢٦٦).

الباب الثاني

في ذكر فضائله عليه السلام

وهي أشهر من الشمس والقمر، وأكثر من الحصى والمدر، وقد اخترت منها ما ثبت واشتهر وهي قسمان: قسم مستنبط من الكتاب؛ والثاني: من السنة الظاهرة التي لا شك فيها ولا ارتياب. وقد روى مجاهد قال: سأل رجل عن ابن عباس فقال: ما أكثر فضايل علي بن أبي طالب وأني لأظنها ثلاثة آلاف فقال له ابن عباس: هي إلى الثلاثين ألفاً أقرب من ثلاثة آلاف ثم قال ابن عباس: لو أن الشجر أقلام، والبحور مداد والإنس والجن كتاب، وحساب ما أحصوا فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام، وروى عكرمة عن ابن عباس قال: ما أنزل الله في القرآن آية إلا وعلي رأسها وأميرها فإما نصوص الكتاب فآيات منها قوله تعالى في البقرة: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] روى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: أول من ركع مع النبي ﷺ، علي بن أبي طالب عليه السلام، فنزلت فيه هذه الآية، ومنها قوله تعالى في البقرة أيضاً قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤] روى عكرمة عن ابن عباس قال: كان مع علي عليه السلام أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية، فنزلت فيه هذه الآية ومنها قوله تعالى في آل عمران ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] الآية. قال جابر بن عبد اللّه فيما رواه عنه أهل السير قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وآله وفيهم السيد والعاقب وجماعة من الأساقفة، فقالوا: من أبو موسى؟ فقال: عمران قالوا: فأنت، قال: أبي عبد اللّه بن عبد المطلب، قالوا: فعيسى من أبوه؟ فسكت ينتظر الوحي فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] قالوا: لا نجدها فيما أوحى إلى أنبيائنا فقال: كذبتم فنزل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] قالوا: أنصفت فمتى نباهلك قال: غداً إنشاء الله فانصرفوا وقال بعضهم لبعض، إن خرج في عدة من أصحابه فباهلوه لأنه غير نبي، وإن خرج في أهل بيته فلا تباهلوه فإنه نبي صادق ولئن باهلتموه لتهلكن.

ثم بعث رسول الله ﷺ إلى أهل المدينة ومن حولها فلم يبق بكر ولا عانس إلا وخرجت؛ وخرج رسول رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن شماله، وفاطمة عليها السلام خلفه، ثم قال: هلموا فهؤلاء أبنائنا، وأشار إلى الحسن والحسين وهذه نسائنا يعني فاطمة، وهذه أنفسنا يعني نفسي وأشار إلى عليّ عليه السلام». فلما رأى القوم ذلك خافوا وجاؤوا إلى بين يديه فقالوا: أقلنا أقالك الله فقال النبي صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده خرجوا لامتلأ الوادي عليهم ناراً».

وروي عن جعفر الصادق[1] عليه السلام أنه قال: في تفسير هذه الآية ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] أن معناه أن مثل عيسى عند الله في الخلق كمثل آدم خلقه من تراب من غير أب فالهاء الأولى وهي قوله: خلقه عائدة إلى آدم والهاء الثانية في قوله ثم قال له كن عائدة إلى عيسى عليه السلام:

وذكر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره أن رسول الله ﷺ غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي عليه السلام خلفهم وقال رسول الله ﷺ: «إذا دعوت فأمنوا». فقال أسقف نجران: يا معاشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض إلا مسلم فرجعوا إلى بلادهم وصالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله على ألفي حلة.

ومنها في المائدة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٥٥] إلى قوله ﴿... وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ ذكر الثعلبي في تفسيره عن السدي وعتبة بن أبي الحكيم وغالب بن عبد اللّه قالوا: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام مر به سائل وهو في المسجد راكع فأعطاه خاتمه.

وذكر الثعلبي القصة مسندة إلى أبي ذر الغفاري فقال: صليت يوماً صلاة الظهر في المسجد ورسول الله صلى الله عليه وآله حاضر فقام سائل فسأل فلم يعطه أحد شيئاً قال: وكان علي عليه السلام قد ركع فأومى إلى السائل بخنصره فأخذ الخاتم من خنصره والنبي صلى الله عليه وآله يعاين ذلك فرفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهم إن أخي موسى سألك فقال: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٥] الآية إلى قوله: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٣٢] فأنزل عليه قرآناً ناطقاً ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ [القصص: ٣٥] اللهم وإنا محمد صفيك ونبيك

(١) جعفر الصادق (٨٠ ـ ١٤٨هـ/ ٦٩٩ ـ ٧٦٥م) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد اللّه، الملقب بالصادق. سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية كان من أجلاء التابعين. وله منزلة رفيعة في العلم. له «رسائل». مولده ووفاته بالمدينة، (الأعلام ٢/ ١٢٦، ووفيات الأعيان ١/ ١٠٥، وصفة الصفوة ٢/ ٩٤، وحلية الأولياء ٣/ ١٩٢).

فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به أزري أو قال: ظهري...». قال أبو ذر: فوالله ما استتم رسول الله صلى الله عليه وآله الكلمة حتى نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى فقال: يا محمد اقرأ إنما وليكم الله ورسوله، والذين آمنوا إلى قوله: «وهم راكعون»، وفي رواية أخرى خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى قائم يصلي وفي المسجد سائل معه خاتم فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «هل أعطاك أحد شيئاً[1]، فقال: نعم ذلك المصلي هذا الخاتم وهو راكع» فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله ونزل جبرئيل عليه السلام يتلو هذه الآية فقال حسان بن ثابت:

أبا حسن تفديك روحي ومهجتي ... وكل بطيء في الهدى ومسارع
فأنت الذي أعطيت إذ كنتَ راكعاً ... فدتك نفوس الخلق يا خير راكعِ
بخاتمك الميمونِ يا خيرَ سيدٍ ... ويا خير شارٍ ثم يا خير بايعِ
فأنزلَ فيكَ اللَّهُ خيرَ ولاية ... وبينها في محكمات الشرايعِ

وقال أيضاً:

من ذا بخاتمه تصدق راكعاً ... وأسرها في نفسه أسرارا
من كان بات على فراشِ محمدٍ ... ومحمدٍ أسرى يوم الغارا
من كان في القرآنِ سمّي مؤمناً ... في تسع آياتٍ تلين غزارا

أشار إلى قول ابن عباس: ما أنزل الله آية في القرآن إلا علي عليه السلام أميرها ورأسها.

فإن قيل: فألقاه الخاتم عبث في الصلاة ولا يليق ذلك بعلي عليه السلام فالجواب من وجهين أحدهما ما ذكرناه أنه أشار إلى السائل فأخذه من خنصره والثاني أن الكلام والأفعال كان مباحاً عندهم حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فانتهوا عنه.

ومنها في براءة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] قال علماء السير معناه كونوا مع علي عليه السلام وأهل بيته؛ قال ابن عباس علي عليه السلام سيد الصادقين ومنها في هود قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]، ذكر الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس أنه علي عليه السلام ومعنى ويتلوه شاهد منه أنه أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في (زاد المسير ٢/ ٣٨٣)، والواحدي في (أسباب النزول ١٣٣).

وذكر الثعلبي أيضاً بإسناده إلى علي عليه السلام من رواية زاذان قال: سمعته عليه السلام يقول: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو ثنيت لي وسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، والذي نفسي بيده، ما من رجل من قريش جرت عليه المواسي إلا وأنا أعرف له آية تسوقه إلى الجنة، أو تقوده إلى النار»(١) فقال له رجل: يا أمير المؤمنين فما آيتك التي أنزلت فيك فقال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧] فرسول الله على بينة وأنا شاهد منه ومنها في آخر مريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] قال ابن عباس هذا الود جعله الله لعلي في قلوب المؤمنين.

وقد روى أبو إسحاق الثعلبي هذا المعنى مسنداً في تفسيره إلى البراء بن عازب(٢) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة»(٣). فأنزل الله هذه الآية ومنها في الأحزاب قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣] قال عكرمة الذي ينتظر أمير المؤمنين فأما قوله تعالى في هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فسنذكره فيما بعد إنشاء الله تعالى؛ ومنا في الصافات قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] قال مجاهد عن حب علي عليه السلام ومنها في الجاثية قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً﴾ [الجاثية: ٢١] عن ابن عباس نزلت في علي عليه السلام يوم بدر، فالذين اجترحوا السيئات عتبة وشيبة، والوليد بن المغيرة والذين آمنوا وعملوا الصالحات علي عليه السلام ومنها في الواقعة قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠] روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله علي عليه السلام وفيه نزلت هذه الآية ومنها في المجادلة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢] قال علماء التأويل نزلت في علي عليه السلام تصدق بدينار ثم ناجى الرسول صلى الله عليه وآله فاقتدى به المسلمون ثم نزلت الرخصة وقد أشار إلى القصة أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره.

---

(١) أخرجه ابن حجر في (فتح الباري ٧/ ٧٢، ١٢/ ٢٦٠، ٢٤٦).

(٢) البَراء بن عازب بن الحارث الخزرجي (. . . ـ ٧١هـ/ . . . ـ ٦٩٠م) أبو عمارة، قائد صحابي من أصحاب الفتوح. أسلم صغيراً وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، ولاه عثمان الري، وقام بفتوحات عديدة. توفي في زمن مصعب بن الزبير (الأعلام ٢/ ٤٦، طبقات ابن سعد ٤/ ٨٠، ومعجم البلدان مادة زنجان).

(٣) أخرجه السيوطي في (الدر المنثور ٤/ ٢٨٧).

فقال: عن ابن عباس سأل الناس رسول الله وأحفوه في المسألة فأدبهم الله بهذه الآية. حكى الثعلبي عن مجاهد قال: نهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وآله حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب عليه السلام قدم ديناراً فتصدق به.

قال: وقال علي عليه السلام إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وتلا هذه الآية وفي رواية عنه لما نزلت هذه الآية دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «ما ترى؟ ترى ديناراً قلت: لا يطيقونه قال: كم قلت حبة أو شعيرة قال إنك لزهيد»[(١)] أي قليل المال قال فنزلت: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١٣] الآية.

قال علي عليه السلام: فبي خفف الله عن هذه الأمة.

وكان ابن عمر يقول كانت لعلي عليه السلام ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إليّ من حمر النعم[(٢)] تزويجه فاطمة وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى، والزهيد قليل المال.

ومنها في سورة لم يكن قوله تعالى: ﴿أولئك هم خير البرية﴾ قال مجاهد: هم علي عليه السلام وأهل بيته ومحبوهم، وفي القرآن آيات كثيرة اختصرنا على هذه الجملة لأنها عزيزة وسنذكر بعضها في غضون الأبواب مما لا يخرج عن مقصود الكتاب كقوله تعالى في السجدة ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [السجدة: ١٨] نزلا بما كانوا يعملون وأما السنة فبأخبار نبدأ منها بما ثبت في الصحيح والمشاهير من الآثار.

حديث في أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام

قال أحمد في المسند: وقد تقدم إسناده، حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم، عن مصعب بن سعد، عن أبيه سعد بن وقاص، قال: خلف رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام في غزاة تبوك[(٣)] في أهله فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه

(١) أخرجه الترمذي في (السنن ٣٣٠٠)، والطبراني في (المعجم الكبير ١/ ١٠٩)، والهيثمي في (موارد الظمآن ١٧٦٤، ١٧٦٥، ٢٢٠٨)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/ ١٢٢)، وابن كثير في (التفسير ٨/ ٧٦)، والطبري في (التفسير ٢٨/ ١١)، وابن حجر في (فتح الباري ١١/ ٨١)، والنسائي في (تهذيب خصائص علي ٧١)، والسيوطي في (الدر المنثور ٢/ ٣١٥، ٦/ ١٨٥)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٤٦٥٢).

(٢) النَّعَمُ: الإبل، أو الإبل والبقر والغنم إذا أُريد جماعة الأصناف الثلاثة (ج) أنعام.

(٣) تبوك: موضع بين وادي القُرى والشام، (معجم البلدان ٢/ ١٤).

لا نبي بعدي»[١] أخرجاه في الصحيحين واتفقا عليه، وقد أخرج مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً وقال له: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال سعد: أما ما ذكرت ثلاث سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قالهن له فلن أسبه أبداً لأن يكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم وذكر منها حديث الراية وسنذكره فيما بعد إنشاء الله تعالى.

والثانية لما نزل قوله تعالى: ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقال: «اللهم هؤلاء أهلي»[٢] والثالثة سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد خلفه في بعض مغازيه فقال: يا رسول الله تركتني مع النساء والصبيان فقال: «ألا ترضى» وذكر الحديث.

وقد ذكر المسعودي في كتاب «مروج الذهب» ومعادن الجواهر[٣] أن سعداً لما قال لمعاوية هذه المقالة قال له معاوية: ما كنت عندي ألام منك الآن فألا نصرته، ولم قعدت عن بيعته وكان سعد قد تخلف عن بيعته عليه السلام، ثم قال معاوية أما إني لو سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله، ما سمعت في علي بن أبي طالب لكنت له خادماً ما عشت.

وقد أخرج أحمد بن حنبل هذا الحديث في كتاب الفضائل الذي صنفه لأمير المؤمنين عليه السلام أخبرنا به أبو محمد عبد العزيز بن محمود البزاز قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن ناصر السلمي، أخبرنا أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف، أخبرنا أبو بكر أحمد بن

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٦/ ٣)، وابن ماجه في (السنن ١١٥)، والحاكم في (المستدرك ٣/ ١٠٨)، والسيوطي في (الدر المنثور ٣/ ٢٦٦)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٩/ ١١٠، ١٢٠)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٦٤٨٨، ٣٦٤٨٩، ٣٦٤٩٦)، والطبراني في (المعجم الكبير ٥/ ٢٣١)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٧/ ١٩٤، ١٩٥)، وابن حجر في (فتح الباري ٨/ ١١٢)، والنسائي في (تهذيب خصائص عليّ ٢٨)، وابن أبي عاصم في (السنة ٢/ ٦٠٢)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٧/ ٢٢٥، ٣٤١).

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (فضائل الصحابة ٣٢)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ١٨٥)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٧/ ٦٣)، وابن الجوزي في (زاد المسير ١/ ٣٩٩)، والسيوطي في (الدر المنثور ٢/ ٣٩)، والقاضي عياض في (الشفا ٢/ ١٠٧)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٦٤٩٦).

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر: كتاب في التاريخ لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ ذكر فيه أنه صنف أولاً كتاباً كبيراً سماه أخبار الزمان، ثم اختصره وسماه الأوسط ثم أراد إجمال ما بسطه واختصار ما وسطه في هذا الكتاب وقال: نودعه له ما في ذينك الكتابين مما ضمناهما وغير ذلك من أنواع العلوم وأخبار الأمم، (كشف الظنون ٢/ ١٦٥٨).

جعفر بن حمداني القطيني، حدثنا عبد اللّه بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا وكيع، عن الأعمش عن سعد بن عبيدة، عن أبي بردة قال: خرج علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله إلى ثنية الوداع[١] وهو يبكي ويقول: خلفتني مع الخوالف[٢] ما أحب أن تخرج في وجه إلا وأنا معك فقال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة وأنت خليفتي» وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما توجه إلى تبوك خلف علياً عليه السلام في أهله وأزواجه لأن المدينة خلت من الرجال فخاف عليها وتحدث المنافقون وقالوا كره مسيره معه فبلغ ذلك علياً عليه السلام فلحق رسول الله صلى الله عليه وآله بالثنية وهو يبكي وذكره.

الكلام على الحديث

قال محمد بن شهاب الزهري: إنما خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله في أهله كما فعل موسى بأخيه هارون عليهما السلام لما ذهب موسى إلى الميقات[٣] وإنما قال لا نبي بعدي لأنه نسخ بشرعه جميع الشرائع واتفق علماء السير أن علياً عليه السلام لم يفته مع رسول الله صلى الله عليه وآله مشهد سوى تبوك واتفقوا على أنه لم يجر فيها قتال، وسئل عدي عن هذا فقال: فقدت الحرب الشجاع من يقاتل، وأما قول معاوية لسعد: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فإن معاوية لما سب علياً عليه السلام وأمر الناس بذلك تورع سعد عن مسبته ولم يأخذه في الله لومة لائم. قال علماء السير: ولما استشهد علي عليه السلام واستقر الأمر لمعاوية دخل عليه سعد فقال: السلام عليك أيها الملك فضحك معاوية وقال: يا أبا إسحاق ما يضرك لو قلت يا أمير المؤمنين قال: والله لا أقولها أبداً أتقولها يا معاوية جذلان ضاحكاً والله ما أحب أني وليتها بما وليتها به، والجذلان الفرح.

وقال الشعبي: كان سعد قد اعتزل الناس أيام فتنة عثمان رضي الله عنه ولم يخض فيما خاض فيه غيره وكان صاحب كرامات ودعوة مستجابة، ومن كراماته ما ذكره مسلم في صحيحه أنه كان بالبادية في إبله فجاء إليه ابنه عمرو بن سعد فلما رآه من بعيد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل فسلم عليه وقال: يا أبتِ تركت الناس يتنازعون الملك ونزلت في إبلك وغنمك وباديتك فضرب سعد في صدره وقال

(١) ثنيةُ الوداع: ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة، واختلف في تسميتها بذلك، فقيل: لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة، (معجم البلدان ٢/ ٨٦).

(٢) الخوالف: مفردها الخالفة: المرأةُ تقعد في بيتها.

(٣) الميقات: الموضع الذي جُعل للشيء يؤدى فيه، (ج) مواقيت. ومواقيت الحج: الأماكن التي تبدأ فيها مناسكه ومواضع إحرام الحاج.

له: مه[١] ـ أو اسكت ـ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إن الله يحب العبد الغني التقي الخفي»[٢] وهذا عمرو بن سعد هو الذي قتل الحسين عليه السلام وفعل به وبأهله ما فعل فانظر إلى فراسة[٣] سعد فيه حيث قال: «أعوذ بالله من شر هذا الراكب».

قلت: وقد روى أحمد بن حنبل في الفضائل حديثاً في المؤاخاة فقال: حدثنا الحسن بن علي البصري، أنبأنا أبو عبد اللّه الحسين بن راشد الطفاوي، أنبأنا الصباح بن عبد اللّه أبو بشر، أنبأنا قيس بن الربيع، أنبأنا سعد الحفاف، عن عطية عن مجدوح بن زيد الباهلي قال: آخا رسول الله بين المهاجرين والأنصار فبكى علي فقال رسول الله: «ما يبكيك؟» فقال لم تؤاخ بيني وبين أحد فقال: إنما ادخرتك لنفسي ثم قال لعلي: «أنت بمنزلة هارون من موسى» الحديث ثم قال: «يا علي أما علمت أنه أول من يدعى به يوم القيامة أنا، فأقوم عن يمين العرش في ظله فأكسى حلةً خضراء من حلل الجنة، ثم يدعى بالنبيين بعضهم على أثر بعض فيقومون سماطين[٤] على يمين العرشِ ويسارهِ ويلبسونَ حللاً خضراءَ مِن الجنةِ وأنَّ أمتي أول مَن تدعى يومَ القيامةِ للحساب ثم أنت أولَ مَن يدعَى بكَ لقرابتك مني ومنزلتكَ عندي ويدفع إليك لوائي وهو لواء الحمد فتسير به بين السماطين آدم ومن دونه وجميع خلق الله يستظلون بظل لوائي يوم القيامة وطوله مسيرة ألف سنة وسنانه ياقوتة حمراء وقصبته درة خضراء وله ثلاث ذوايب من نور ذوابة في المشرق، وذوابة في المغرب وذوابة وسط الدنيا مكتوب على كل ذوابة سطر فعلي إحدى الذوايب (بسم الله الرحمن الرحيم)، وعلى الثانية (الحمد لله رب العالمين)، وعلى الثالثة (لا إله إلا الله محمد رسول الله فتسير باللواء والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك حتى تقف بيني وبين إبراهيم عليه السلام في ظل العرش وتكسى حلةً خضراءَ من حللِ الجنةِ وينادىَ منادٍ مِنْ تحتِ

---

(١) مَهْ: اسم فعل أمر مبني على السكون بمعنى انكَفِفْ. فإن كرّرتها ووصلتَ نوَّنتَ وقلت: مَهٍ مَهٍ وتكون للاستفهام، وأصلها عند ذلك (ما) الاستفهامية، كقولنا: (إنْ لم أُساعِدْ بلادي فَمَهْ؟)؛ أي فماذا أفعل؟ أو فما أفعل؟

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (الزهد ١١)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ١٦٨)، والسيوطي في (جمع الجوامع ٥٢٠٤)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٥٢٨٤)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٥٦٣٠، ٥٦٥٦) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٨/ ٣١، ٣٠٨)، والبغوي في (شرح السنة ١٥/ ٢٢)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٧/ ٢٨٣)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٣/ ٤٣٩)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٢٢٥، ٣/ ١٧٤)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ١/ ٢٥، ٩٤، ٣٦٨)، وأبو خطاب البستي في (العزلة ١٢)، والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٢٨٧).

(٣) الفِراسَةُ: المهارة في تعرّف بواطن الأمور من ظواهرها.

(٤) السِّماط: الشيء المصطفّ. وسماطا الطريق: جانباه (ج) سُمُط، وأسمطة.

العرشِ نعم الأب أبوك إبراهيم ونعم الأخ أخوك علي أبشر يا علي فإنك ستكسى إذا كسيت وتدعى إذا دعيت وتحيي إذا حييت وتقف على عقر حوضي تسقي من عرفت».

فكان علي عليه السلام يقول: «والذي نفسي بيده لأذودن عن حوض رسول الله صلى الله عليه وآله» أقواماً من المنافقين كما نذاد غريبة الإبل عن الحوض ترده»[1] فإن قيل قد أخرج طرف من هذا الحديث في الموضوعات قلنا الذي أخرج في الموضوعات من طريق الدارقطني عن ميسرة بن حبيب الهندي والحكم بن ظهير ولفظه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أول خلق الله يوم القيامة يكسى إبراهيم عليه السلام يكسى ثوبين أبيضن ثم يقام عن يمين العرش ثم يدعى بي فأكسى ثوبين أخضرين، ثم أقام عن يمين العرش ثم تدعى أنت فتكسى ثوبين أخضرين ثم تقام عن يميني فما ترضى يا علي أنك تدعى إذا دعيت وتكسى إذا كسيت وتشفع إذا شفعت» ثم ضعف الدارقطني ميسرة بن حبيب والحكم.

ونحن نقول: الحديث الذي رواه أحمد في الفضائل، ليس فيه ميسرة ولا الحكم وأحمد مقلد في الباب متى روى حديثاً، وجب المصير إلى روايته لأنه إمام زمانه وعالم أوانه والمبرز في علم النقل على أقرانه، والفارس الذي لا يجاري في ميدانه وهذا هو الجواب عن جميع ما يرد في الباب وفي أحاديث الكتاب.

وقد أخرج أحمد في الفضائل عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي والذي نفسي بيده إن على باب الجنة مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله علي بن أبي طالب أخو رسول الله ﷺ قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بألفي سنة».

فإن قيل: هذا الحديث مخرج في الموضوعات قلنا: جملة ما ذكر في الموضوعات وقال المتهم به زكريا بن يحيى ضعفه ابن معين وغيره، وأحمد رواه من غير طريق زكريا، ولو كان حديثاً مطعوناً فيه لبينه.

وقال أحمد في الفضائل: أنبأنا غنام وفي رواية كتب إلينا يذكر أن عبادة بن يعقوب حدثهم عن علي بن عابس عن الحارث بن حصين عن القاسم، قال: سمعت رجلاً من خثعم يقول: سمعت أسماء بنت عميس تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أقول كما قال أخي موسى: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٤]» الآيات.

وقال أحمد: أنبأنا زيد بن الحباب، حدثني الحسين بن واقد، حدثني مظفر

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٣/ ١٤٧)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٤٦٧)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٩١٣٩)، وابن حجر في (فتح الباري ٥/ ٤٣).

الوراق عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال وقد آخا بين أصحابه «أين علي بن أبي طالب؟ فجاء فقال: يا علي أنت أخي وأنا أخوك فإن ناكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يدعيها بعدك إلا كذاب»(١).

وهذا الحديث: قد أخرجه جدي في كتاب الأحاديث الواهية.

وحكي عن ابن معين أنه قال: في إسناده عمرو بن عبد الله ليس بشيء والجواب ما تقدم، وعمرو بن عبد الله بن يعلى بن مرة من أولاد التابعين؛ وكان يعلى بن مرة من الصحابة وأحمد أرسله عن ابن المسيب وذكر أحمد في الفضائل فقال: حدثنا أحمد بن جعفر، أنبأنا محمد بن الحسن، أنبأنا أبو الحسين بن محمد السعدي، أنبأنا عبد المؤمن بن عباد العبدي، أنبأنا يزيد بن معن عن عبد الله بن أبي أوفى قال: دخلت على رسول الله ﷺ في مسجده فقال لي: أين فلان وأين فلان فجعل ينظر في وجوه أصحابه ويتفقدهم ويبعث إليهم حتى توافوا عنده، فحمد الله وأثنى عليه وآخا بينهم فقال له علي بن أبي طالب: لقد ذهبت روحي يا رسول الله حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري فإن كان هذا من الله فلك العتبى والكرامة فقال رسول الله ﷺ: «والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى وأنت أخي ووارثي فقال: يا رسول الله وما أرث منك؟ قال: ما ورث الأنبياء قبلي قال: وما ورثوا؟ قال: كتاب الله وسنن أنبيائه وأنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة ابنتي والحسن والحسين ابني وأنت رفيقي»(٢). ثم تلى رسول الله ﷺ ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

فإن قيل: ففي إسناده عبد المؤمن بن عباد وكان ضعيفاً والجواب الحديث الذي يرويه عبد المؤمن حديث طويل أخرجه أبو محمد بن عدي الحافظ من حديث زيد بن أبي أوفى وقد خرجه جدي أبو الفرج في الأحاديث الواهية أما هذا الحديث فخرجه أحمد في الفضائل من غير رواية عبد المؤمن ورجاله ثقاة وهو من حديث عبد الله بن أبي أوفى فهذا حديث وذاك آخر والدليل على صحته أنه أخرج الترمذي بمعناه في جامعه.

أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن محمود البزاز قال: أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكرخي، أخبرنا القاضي أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي وأبو بكر أحمد بن عبد الصمد الغورجي قالا: أخبرنا محمد بن عبد الجبار بن محمد

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك ٣/ ١٤)، والشجري في (الأمالي ١/ ١٤١).

(٢) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ٥/ ٢٥٣)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٥٥٥٣، ٣٦٣٤٥)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٢٠٣)، والسيوطي في (الدر المنثور ٤/ ٣٧١)، وابن الجوزي في (العلل المتناهية ١/ ٢١٥).

الجراحي، أنبأنا أبو العباس محمد بن أحمد المخبوني، أنبأنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، أنبأنا سفيان بن وكيع، أنبأنا عبيد اللّه بن موسى عن عيسى بن عمر عن السدي عن عبد اللّه بن عمر قال: آخا النبي ﷺ بين أصحابه فجاء علي بن أبي طالب تدمع عيناه فقال: يا رسول الله صلى الله عليك آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال له رسول الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة».

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقيل: إن أحمد أخرج الحديث الماضي في الفضائل عن زيد بن أبي أوفي.

حديث الراية

قال أحمد في المسند: أنبأنا محمد بن جعفر، أنبأنا شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد، وأخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين، واتفقا عليه من حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الراية أو هذه الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه»[(١)] فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ يرجو كل أن يعطاها فقال: «أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: يا رسول الله هو أرمد أو يشتكي عينيه قال: «فأرسلوا إليه» فجاء فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: يا رسول الله على ما أقاتلهم، فقال: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالذي نفسي بيده لأن يهتدي بهداك أو لأن يهدي الله بهداك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم»[(٢)].

وفي رواية يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «انزل

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٩٩)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٦/ ٣٦٢)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٦/ ١٥٠، ٩/ ١٢٤)، والطبراني في (المعجم الكبير ١٨/ ٢٣٧، ٢٣٨)، وسعيد بن منصور في (السنن ٢٤٧٤) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١/ ١٠٦، ٧/ ١٨٨)، (والبغوي في شرح السنة ٦/ ١٩٩)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٤/ ٢٠٩، ٢١١)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٧/ ٢٢٥، ٣٣٨، ٣٤١)، والنسائي في (تهذيب خصائص عليّ ٩/ ١٥)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٤/ ٣٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في (الصحيح ٤/ ٧٣، ٥/ ٢٣، ١٧١)، ومسلم في الصحيح (فضائل الصحابة ٣٤)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٥/ ٣٣٣)، والبغوي في (شرح السنة ١٤/ ١١٢)، وابن حجر في (فتح الباري ٧/ ٧٠، ٤٧٦)، والسيوطي في (جمع الجوامع ٤٥٨٣)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٥٦٧٠)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٤/ ٢٠٥)، والنسائي في (تهذيب خصائص عليّ ١٣)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٤/ ١٨٥).

بساحتهم» وذكره، وللعلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في ذلك اليوم: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ فساورت لها رجاء أن ادع لها فدعا رسول الله ﷺ علياً فدفعها وقال له: «امش حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت فسار قليلاً ثم وقف ولم يلتفت وصرخ يا رسول الله على ماذا أقاتلهم؟ فقال: حتى يشهدوا أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقها وحسابهم على الله».

تفسير غريب، معنى يدوكون أي مختلطون والدوك الاختلاط وإنما مثل بحمر النعم لأنها من أعز أموال العرب، وقول: تساورت أي تطلعت وإنما لم يلتفت علي عليه السلام امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ واستعمالاً للأدب ولئلا يرجع في حاجة بعثه فيها رسول الله ﷺ ولم يقضها، وقد أخرج أحمد بن حنبل هذا الحديث في الفضائل، وزاد فيه فأخذ رسول الله ﷺ الراية فهزها ثم قال: «من يأخذها بحقها فقال فلان: أنا فقال: «امطِ» ثم جاء آخر فقال؛ أنا فقال: «امطِ» فعل ذلك مراراً بجماعة ثم قال ﷺ: والذي كرم وجه محمد لأعطينها رجلاً لا يفر؛ هاك يا علي فانطلق بها». وفتح الله خيبر على يديه، وقوله: امط معناه اذهب وأماطه دفعه وزجره وقيل: أعطاه وفي رواية فجاء علي عليه السلام وهو أرمد لا يبصر موضع قدميه قال علي عليه السلام: فما رمدت عيني بعد ذلك اليوم وما وجدت ألم البرد ولا شدة الحر منذ دعا لي رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف.

وقال أحمد في الفضائل: حدثنا الحسن بن علي البصري، حدثنا الحسين بن راشد الطفاوي، حدثنا الصباح بن عبد اللّه، حدثنا قيس بن الربيع عن سعد الخصاف عن عطية عن ابن بريدة، قال: حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر رضي الله عنه فلم يفتح له ثم أخذه عمر رضي الله عنه من الغد، فرجع ولم يفتح له، وأصاب الناس شدة وجهد فقال رسول صلى الله عليه وآله: «إني دافع اللواء غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح أو يفتح الله على يديه». قال فبتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غداً فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله الفجر قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم ثم دعا علياً عليه السلام وذكر بمعنى ما تقدم قال: فبرز إليه من خيبر مرحب وهو - يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الليوث أقبلت تلهب ... أطعن أحياناً وحيناً أضرب

فأجابه علي عليه السلام وقال:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة ... كليثِ غاباتٍ كريه المنظرة
عبل الذراعين شديد القصورة ... أضربُ بالسيفِ وجوه الكفرة

ضرب غلام ماجد حزورة أكيلكم بالسيفِ كيلَ السَّندرة

ثم ضرب رأس مُرْحب بالسيف ففلقهُ.

قال علي عليه السلام: وجئت برأس مرحب إلى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فسر بذلك. ودعا لي كذا وقعت هذه الرواية شديد القصورة بالصاد والصحيح عبل الذراعين شديد قسورة بالسين، وهي من أسماء الأسد والسندرة مكيال ضخم.

وذكر أحمد في الفضائل أيضاً أنهم سمعوا تكبيراً من السماء في ذلك اليوم وقائلاً يقول:

«لا سيفَ إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي»[1]

فاستأذنَ حسان بن ثابت رسول الله صلى الله عليه وآله أَنْ ينشد شعراً فأذن له فقال:

جبريلُ نادى مُعلناً والنقع ليسَ بمنجلي

والمسلمونَ قد أحدقوا حولَ النَّبي المرسلِ

لا سيفَ إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلا علي

فإن قيل: قد ضعفوا لفظة لا سيف إلا ذو الفقار قلنا الذي ذكروه أن الواقعة كانت في يوم أحد ونحن نقول: إنها كانت في يوم خيبر.

وكذا ذكر أحمد بن حنبل في الفضائل ولا كلام في يوم أحد فإن ابن عباس قال لما قتل علي عليه السلام طلحة بن أبي طلحة حامل لواء المشركين صاح صائح من السماء: (لا سيف إلا ذو الفقار) قالوا في إسناد هذه الرواية عيسى بن مهران تكلم فيه وقالوا: كان شيعياً.

أما يوم خيبر فلم يطعن فيه أحد من العلماء وقيل: إن ذلك كان يوم بدر والأول أصح.

وقال جابر بن عبد الله حمل علي عليه السلام باب خيبر وحده فدحاه ناحية ثم جاء بعده أناس يحملونه فلم يحمله إلا أربعون رجلاً.

وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التأريخ[2] فيه عن أبي رافع

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ١٤٢٤٢)، وابن حجر في (فتح الباري ١٠/١٩٦)، والسيوطي في (اللآلئ المصنوعة ١/١٨٩)، وابن الجوزي في (الموضوعات ١/٣٨٢)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/٥٠٦).

(٢) تاريخ الطبري: كتاب للإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة عشر وثلاثمائة، وهو من التواريخ المشهورة الجامعة لأخبار العالم ابتدأ من أول الخليقة، وانتهى إلى سنة تسع وثلاثمائة وسماه تاريخ الأمم والملوك، (كشف الظنون ١/٢٩٧).

مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: لما نزلنا بحصن خيبر وكانت حصون، فتقدم علي عليه السلام فقاتل فخرج إليه رجل فضربه فطرح ترسه من يده فتناول علي عليه السلام باباً عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزلْ في يده وهو يقاتل حتى فتح الله على يديه ثم ألقاه، قال أبو رافع: فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجتهد على أن نقلب الباب فلم نقدر عليه.

وقيل: هذا الحصن اسمه قموص وهو الذي أخذ علي عليه السلام منه صفية وجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

حديث في ارتقائه عليه السلام على كتفي رسول الله صلى الله عليه وآله

قال أحمد في إسناده: حدثنا أسباط، حدثنا نعيم بن حكيم، عن أبي مريم عن علي عليه السلام قال؛ انطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «اجلس» فجلست فصعد على كتفي فذهبت لأنهض به، فلم أطلق ورأى مني ضعفاً فنزل وجلس لي رسول الله ﷺ ثم قال: «اصعد على منكبي» فصعدت على منكبيه، فنهض بي وأنه ليخيل لي أني لو شئت أن أنال أفق السماء لنلته حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفراً ونحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وشماله وبين يديه ومن خلفه حتى إذا استمكنت عنه قال لي رسول الله ﷺ: «اقذف به»[1] فقذفته فتكسر كما تكسر القوارير ثم نزلت فانطلقنا نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس.

قال سعيد بن المسيب فلهذا كان علي عليه السلام يقول: سلوني عن طرق السماوات فإني أعرف بها من طرق الأرضين، ولو كشف الغطاء ما أوددت يقيناً.

قال ابن المسيب: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يقولها إلا علي بن أبي طالب عليه السلام.

حديث في محبته

قال أحمد في المسند: حدثنا ابن نمير الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش عن علي عليه السلام أنه قال: والله عهد إلى رسول الله ﷺ أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق انفرد بإخراجه مسلم.

وأخرج الترمذي عن أم سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحب علياً إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق»[2]. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ١٧/ ٢٩٢)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٨٤)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٦٥١٦)، والنسائي في (تهذيب خصائص علي ٥٨).

(٢) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ٣٢٠٢٩).

وقال الترمذي أيضاً: كان أبو الدرداء يقول: ما كنا نعرف المنافقين معشر الأنصار إلا ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام.

وروى أحمد في الفضائل: عن المطلب بن عبد اللّه بن حنطبة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ في خطبته: «أوصيكم بحب ذي قرنيها أخي وابن عمي علي بن أبي طالب فإنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق». وفي رواية: «فمن أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أحبني أدخله الله الجنة ومن أبغضني أدخله الله النار».

حديث في قوله عليه السلام: من كنت مولاه فعلي مولاه

قال أحمد بن حنبل في المسند: حدثنا ابن نمير، حدثنا عبد الملك بن أبي عبد الرحيم الكندي عن زاذان قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول في الرحبة. وهو ينشد الناس يقول: أنشد الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول في يوم غدير[١] حم: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[٢] فقام ثلاثة عشر رجلاً من الصحابة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول ذلك، وأخرجه الترمذي أيضاً في كتاب السنن وقال: حديث حسن وزاد فيه: «اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه وأدر الحق معه كيفما دار، وحيث دار»[٣] وأخرجه أحمد أيضاً في الفضائل فقال: حدثنا وكيع عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة عن ابن بريدة عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه أو وليه فعلي وليه».

وفي رواية لما أنشد علي عليه السلام الناس في الرحبة قام خلق كثير فشهدوا له بذلك، وفي لفظ فقام ثلاثون رجلاً فشهدوا وقال أحمد في الفضائل: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا حبيش بن الحارث بن لقيط النخعي، عن رياح بن الحارث قال: جاء

---

(١) غدير خُمّ: بين مكة والمدينة، بينه وبين الجحفة ميلان، (معجم البلدان ٤/ ١٨٨).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٥/ ٣٧٠)، والحاكم في (المستدرك ٣/ ١١٦)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٢٩٤٦، ٣٦٤٣٠، ٣٦٥١١)، والطبراني في (المعجم الكبير ٤/ ٢٠)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٩/ ١٠٦، ١٠٧)، والطحاوي في (مشكل الآثار ٢/ ٣٠٨)، والطبراني في (المعجم الصغير ١/ ٦٤)، وابن حجر في (المطالب العالية ٣٩٧٣)، والسيوطي في (الحاوي للفتاوي ١/ ١٢٢)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١٢/ ٧٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه في (السنن ١١٦)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٢١٩، ٤/ ٢٨١، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٣، ٥/ ٣٧٠)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٩/ ١٠٧)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٧/ ٨٧)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٦٣٤٢، ٣٦٤٣٧، ٣٦٤٨٥، ٣٦٤٨٦، ٣٦٤٨٧، ٣٦٥١٥)، والطبراني في (المعجم الكبير ٥/ ٢٤١، ١٢/ ١٢٢)، والنسائي في (تهذيب خصائص علي ٤١، ٤٤، ٤٩، ٧٤)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٥/ ٢١١، ٢١٢، ٧/ ٣٣٥)، والعقيلي في (الضعفاء ١/ ٢٤٩)، وأبو العرب في (طبقات علماء إفريقية)، وأبو نعيم في (تاريخ أصبهان)، والذهبي في (ميزان الاعتدال ٧٦٧١).

رهط[1] إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: السلام عليك يا مولانا، وكان بالرحبة فقال كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب. قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول، يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، قال رباح فقلت: من هؤلاء فقيل نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ.

وقال أحمد في الفضائل: حدثنا ابن نمير بن عبد الملك بن عطية العوفي قال: أتيت زيد بن أرقم فقلت له: إن ختناً[2] لي حدثني عنك بحديث في شأن علي عليه السلام يوم الغدير، وأنا أحب أن أسمعه منك فقال: إنكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم فقلت: ليس عليك مني بأس فقال: نعم كنا بالجحفة[3]، فخرج رسول الله ﷺ علينا ظهراً وهو آخذ بعضد علي بن أبي طالب فقال: «أيها الناس ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم فقالوا: بلى فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه». قالها أربع مرات.

وقال أحمد في الفضائل: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب، قال: كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ بين شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام وقال: «اللهم من كنت مولاه فهذا مولاه». قال فلقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وفي رواية «اللهم فانصر من نصره واخذل من خذله، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه» وكل هذه الروايات خرجها أحمد بن حنبل في الفضائل بزيادات فإن قيل: فهذه الرواية التي فيها قول عمر رضي الله عنه أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ضعيفة فالجواب إن هذه الرواية صحيحة، وإنما الضعيف حديث رواه أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب عن عبد اللّه بن علي بن محمد بن بشر، عن علي بن عمر والدارقطني عن أبي نضر خيشون بن موسى بن أيوب الخلال، رفعه إلى أبي هريرة وقال في آخره لما قال النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه». نزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] الآية قالوا: وقد انفرد بهذا الحديث خيشون ونحن نقول: نحن ما استدللنا بحديث خيشون بل بالحديث الذي رواه أحمد في الفضائل عن البراء بن عازب، وإسناده صحيح، ورواية حديث خيشون مضطربة، لأنه قد ثبت في الصحيحين أن قوله تعالى:

(١) الرَّهطُ: ما دون العشرة من الرجال، ورهط الرجل: عشيرته وقبيلته والأقربون (ج) أرهط وأرهاط.
(٢) الخَتَنُ: زوج البنت أو الأخت. و ـ: كلّ مَنْ كان من قِبَل المرأة كالأب والأخ (ج) أختان.
(٣) الجُحْفَةُ: كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، (معجم البلدان ٢/ ١١١).

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] الآية نزلت عشية عرفة في حجة الوداع، على أن الأزهري قد روى عن خيشون، ولم يضعفه فإن سلمت رواية خيشون احتمل أن الآية نزلت مرتين مرة بعرفة ومرة يوم الغدير كما نزلت ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة والله الموفق للصواب.

الكلام على الحديث

اتفق علماء السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجة جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين ألفاً وقال: «مَنْ كنتُ مولاه فعلي مولاه». الحديث، نص صلى الله عليه وآله على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والإشارة.

وذكر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده أن النبي ﷺ لما قال ذلك طار في الأقطار وشاع في البلاد والأمصار فبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري فأتاه على ناقة له فأناخها على باب المسجد ثم عقلها، وجاء فدخل في المسجد فجثا بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ذلك؛ وأنك أمرتنا أن نصلي خمس صلوات في اليوم والليلة ونصوم رمضان ونحج البيت ونزكي أموالنا فقبلنا منك ذلك ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي(١) ابن عمك وفضلته على الناس وقلت: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فهذا شيء منك أو من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد احمرت عيناه: «والله الذي لا إله إلا هو أنه من الله وليس مني» قالها ثلاثاً. فقام الحارث وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأرسل من السماء علينا حجارة أو أتنا بعذاب أليم قال: فوالله ما بلغ ناقته حتى رماه الله من السماء بحجر فوقع على هامته فخرج من دبره ومات وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾ [المعارج: ١].

فأما قوله: من كنت مولاه فقال علماء العربية: لفظة المولى ترد على وجوه أحدها بمعنى المالك ومنه قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ [النحل: ٧٥] وهو كل على مولاه أي علي مالك رقه والثاني بمعنى المولى المعتق بكسر التاء والثالث بمعنى المعتق بفتح التاء والرابع: بمعنى الناصر ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١١] أي لا ناصر لهم والخامس بمعنى ابن العم قال الشاعر:

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا ... لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

(١) الضَّبْعُ: ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاها، وهما ضبعان. يقال: أخذ بضبعيه؛ أي: أمسك بعضديه (ج) أضباع.

وقال آخر:

هم الموالي حتفوا علينا وإنا من لقائهم لزور

وحكى صاحب الصحاح، عن أبي عبيدة، أن قائل هذا البيت عني بالموالي بني العم قال وهو كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧] والسادس الحليف قال الشاعر:

موالي حلف لا موالي قرابة ولكن قطينا يسألون الأتاويا

يقول هم حلفاء لا أبناء عم قال في الصحاح وأما قول الفرزدق:

ولو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى المواليا

فلان عبد الله بن أبي إسحاق، مولى الحضرميين، وهم حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف، والحليف عند العرب مولى، وإنما نصب المواليا لأنه رده إلى أصله للضرورة، وإنما لم ينون مولى لأنه جعله بمنزلة غير المعتل، الذي لا ينصرف والسابع المتولي لضمان الجريرة[1] وحيازة الميراث، وكان ذلك في الجاهلية، ثم نسخ بآية المواريث والثامن الجار وإنما سمي به لما له من الحقوق بالمجاورة، والتاسع السيد المطاع، وهو المولى المطلق قال في الصحاح: كل من ولي أمر أحد فهو وليه، والعاشر بمعنى الأولى قال الله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ١٥] أي أولى بكم.

وإذا ثبت هذا لم يجز حمل لفظه المولى في هذا الحديث على مالك الرق لأن النبي ﷺ لم يكن مالكاً لرق علي عليه السلام حقيقة ولا على المولى المعتق لأنه لم يكن معتقاً لعلي ولا علي المعتق لأن علياً عليه السلام كان حراً ولا على الناصر، لأنه عليه السلام كان ينصر من ينصر رسول الله صلى الله عليه وآله ويخذل من يخذله ولا علي ابن العم، لأنه كان ابن عمه، ولا علي الحليف لأن الحلف يكون بين الغرماء للتعاضد والتناصر، وهذا المعنى موجود فيه، ولا علي المتولى لضمان الجريرة لما قلنا: إنه انتسخ ذلك ولا علي الجار لأنه يكون لغواً من الكلام وحوشي منصبه الكريم من ذلك ولا علي السيد المطاع، لأنه كان مطيعاً له يقيه بنفسه ويجاهد بين يديه والمراد من الحديث الطاعة المحضة المخصوصة فتعين الوجه العاشر، وهو الأولى ومعناه من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به.

وقد صرح بهذا المعنى الحافظ أبو الفرج يحيى بن السعيد الثقفي الأصبهاني في كتابه المسمى بمرج البحرين، فإنه روى هذا الحديث بإسناده إلى مشايخه، وقال فيه، فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي عليه السلام فقال: «من كنت وليه وأولى به من نفسه

---

(١) الجريرة: الجناية والذنب (ج) جرائر.

فعلي وليه». فعلم أن جميع المعاني راجعة إلى الوجه العاشر ودل عليه أيضاً قوله عليه السلام ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

وهذا نص صريح في إثبات إمامته وقبول طاعته وكذا قوله ﷺ: «وأدر الحق معه حيث ما دار وكيف ما دار» فيه دليل على أنه ما جرى خلاف بين علي عليه السلام وبين أحد من الصحابة إلا والحق مع علي عليه السلام وهذا بإجماع الأمة ألا ترى أن العلماء إنما استنبطوا أحكام البغاة من وقعة الجمل وصفين وقد أكثرت الشعراء في يوم غدير خم فقال حسان بن ثابت:

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم فاسمع بالرسول مناديا
وقال: فمن مولاكم ووليكم ... فقالوا: ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا ... وما لك منا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا علي فإنني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه ... فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه ... وكن للذي عادا علياً معاديا

ويروى أن النبي صلى الله عليه وآله لما سمعه ينشد هذه الأبيات قال له: «يا حسان لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا أو نافخت عنا بلسانك».

وقال قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري[1] وأنشدها بين يدي علي عليه السلام بصفين:

قلت: لما بغى الغدو علينا ... حسبنا ربنا ونعم الوكيل
وعلي إمامنا وإمام ... لسوانا به أتى التنزيل
يوم قال النبي: من كنت مولاه ... فهذا مولاه خطب جليل
وإن ما قاله النبي على الأمة ... حتم ما فيه قال وقيل

وقال الكميت:

نفي عن عينك الأرق الهجوعا ... وهما تمتري عنه الدموعا
لدى الرحمن يشفع بالمثاني ... فكان له أبو حسن شفيعا
ويوم الدوح دوح غدير خم ... أبان له الولاية لو أطيعا

---

(١) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي المدني (توفي ٦٠ هـ/ ٦٨٠م) وال، صحابي. من دولة دهاة العرب، ذوي الرأي والمكيدة في الحرب والنجدة، وأحد الأجواد المشهورين. كان يحمل راية الأنصار مع النبي ﷺ ويلي أموره، استعمله عليّ على مصر، توفي في المدينة. (الأعلام ٥/ ٢٠٦، وتهذيب التهذيب ٨/ ٣٩٥، وصفة الصفوة ١/ ٣٠٠).

ولكن الرجال تبايعوها ... فلم أر مثلها خطراً منيعا

ولهذه الأبيات قصة عجيبة! حدثنا بها شيخنا عمرو بن صافي الموصلي رحمه الله تعالى قال: أنشد بعضهم هذه الأبيات وبات مفكراً فرأى علياً عليه السلام في المنام فقال له: أعد عليَّ أبيات الكميت فأنشده إياها حتى بلغ إلى قوله: (خطراً منيعاً) فأنشده علي عليه السلام بيتاً آخر من قوله زيادة فيها:

فلم أر مثل ذاك اليوم يوماً ... ولم أر مثله حقاً أضيعا

فانتبه الرجل مذعوراً. وقال السيد الحميري:

يا بايع الدين بدنياه ... ليس بهذا أمر اللهُ

من أين أبغضت علي الرضا ... وأحمد قد كان يرضاهُ

من الذي أحمد من بينهم ... يوم غدير الخم ناداهُ

أقامه من بين أصحابه ... وهم حواليه فسماهُ

هذا علي بن أبي طالب ... مولى لمن قد كنت مولاهُ

فوال من والاه يا ذا العلا ... وعاد من قد كان عاداهُ

وقال بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمداني:

يا دار منتجج الرسالة ... وبيت مختلف الملائك

يا ابن الفواظم والعواتك ... والترايك والأرايك

أنا حايك إن لم أكن ... مولا ولائك وابن حايك

حديث ليلة الهجرة

قال أحمد بن حنبل في الفضائل: حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، حدثنا أبو بكر بن محمد عن عمرو بن ميمون قال: إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه رهط يقعون في علي بن أبي طالب عليه السلام، فرد عليهم ابن عباس قال: لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله لبس علي عليه السلام ثوبه ونام على فراشه، وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله، فجاء أبو بكر رضي الله عنه وهو نائم، فحس به رسول الله صلى الله عليه وآله فصاح: يا نبي الله فقال له علي عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه فانطلق أبو بكر رضي الله عنه، حتى لحق رسول الله ﷺ وبات الكفار يرمون علياً عليه السلام بالحجارة وهو يتضور قد لف رأسه في الثوب إلى الصباح.

وذكر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس قال: لما أراد رسول الله ﷺ

أن يهاجر إلى المدينة، خلف علي بن أبي طالب بمكة، لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده، وأمره تلك الليلة أن ينام على فراشه، وقال له: أتشح ببرد الحضرمي الأخضر، فإنه لا يخلص إليك منهم أحد ولا يصيبونك بمكروه والقوم قد أحاطوا بالدار، قال: فأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل أني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة، فأوحى الله إليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فنزلا! جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه والملائكة تنادي بخ بخ من مثلك يا بن أبي طالب والله يباهي بك ملائكته؛ ثم توجه رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأنزل الله تعالى عليه في شأن علي عليه السلام ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

قال ابن عباس: أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله علي بن أبي طالب وقال ابن عباس: أنشدني أمير المؤمنين شعراً قاله في تلك الليلة:

وقيت بنفسي خير من وطيء الحصا ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول الإله خاف أن يمكروا به ... فنجاه ذو الطول العلي من المكرِ
وبات رسول الله في الغار آمناً ... موقاً وفي حفظ الإله وفي سترِ
وبت أراعيهم وما يثبتونني ... وقد وطنت نفسي على القتل والأسرِ

حديث في التضحية

قال أحمد في المسند: وقد تقدم إسناده: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا شريك، أنبأنا أبو الحسن عن الحكم عن جيش عن علي عليه السلام؛ وقال أحمد أيضاً في الفضائل بهذا الإسناد عن علي عليه السلام قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أضحي عنه أبداً فكان يضحي عنه إلى أن استشهد بكبشين أملحين، قال محمد بن شهاب الزهري: إنما خص علياً عليه السلام بذلك دون أقاربه وأهله لقربه منه فكأنه ﷺ فعل ذلك بنفسه والله الموفق للصواب.

حديث في دعاء النبي صلى الله عليه وآله له بالسلامة وأنه مغفور له

قال الترمذي: بالإسناد المتقدم، حدثنا محمد بن بشار ويعقوب بن إبراهيم قالا: حدثنا أبو عاصم عن أبي الجراح، قال: حدثني جابر بن صبيح قال حدثتني أم شراحيل عن أم عطية، قالت بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جيشاً فيهم علي عليه السلام قالت فسمعته وهو رافع يديه يقول: «اللهم لا تمتني حتى ترني علياً عليه

السلام»[١] وقد أخرج أحمد في الفضائل بمعناه من رواية ابن زيد بن أرقم.

وقال أحمد في الفضائل: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا شريك عن عبد اللّٰه بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد اللّٰه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد فقال: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنة»[٢]، أو قال «يدخل» فدخل علي عليه السلام قال جابر فهنيناه بعد ذلك.

حديث في قراءته البراءة على الناس وقوله عليه السلام علي مني

قال الترمذي: بالإسناد المتقدم، حدثنا قتيبة، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي عن يزيد الرشك عن مطرف بن عبد اللّٰه عن عمران بن الحصين قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب عليه السلام فمضى في السرية فأصاب جارية من السبي فتعاقد أربعة منهم إذا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله أخروه فلما قدموا عليه قام الأول، فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى علي بن أبي طالب فعل كذا وكذا فاعرض عنه ثم قام الثاني فقال كذلك فأعرض عنه وقام الثالث والرابع فقالا كذلك فأعرض عنهما ثم أقبل عليهم صلى الله عليه وآله والغضب يعرف في وجهه وقال: «ما تريدون من علي؟» قالها ثلاثاً: «علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا علي عليه السلام»[٣].

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وقد أخرج أحمد في الفضائل بمعناه وفيه ولا يقضي ديني إلا علي عليه السلام.

تفسير معنى قوله: ولا يؤدي عني إلا علي

ذكر أهل السير: أن النبي صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر رضي الله عنه، يحج

---

(١) أخرجه الترمذي في (السنن ٣٧٣٧)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٦٠٩٠)، والبخاري في (التاريخ الكبير ٩/ ٢٠)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٧/ ٣٥٧).

(٢) أخرجه الترمذي في (السنن ٣٦٩٤)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٣/ ١٦٦، ٣٨٠)، والحاكم في (المستدرك ٣/ ٧٣)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٦/ ١٠١)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٦٠٥٨)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٦١١)، وابن أبي حاتم الرازي في (علل الحديث ٢٦١١)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٤/ ١٥١٤)، والطبراني في (المعجم الكبير ١٠/ ٢٠٦)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ١٠/ ٣٩٣)، والذهبي في (ميزان الاعتدال ١٨٦٤)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٨/ ٧٤)، وابن حجر في (لسان الميزان ٢/ ٩٤٤).

(٣) أخرجه الترمذي في (السنن ٣٧١٢)، والحاكم في (المستدرك ٣/ ١٠٠ و١١١)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٢٨٨٣، ٣٦٤٤٤)، والنسائي في (تهذيب خصائص عليّ ٤٥)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٢/ ٥٦٩)، والهيثمي في (موارد الظمآن ٢٢٠٣)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١٢/ ٧٩)، والشجري في (الأمالي ١/ ١٣٤).

بالناس سنة تسع من الهجرة وقال له: إن المشركين يحضرون الموسم ويطوفون بالبيت عراة ولا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك وأعطاه أربعين آية، من صدر سورة براءة، ليقرأها على أهل الموسم فلما سار دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً فقال له: «اخرج بهذه الآيات من صدر براءة فإذا اجتمع الناس إلى الموسم فأذن بها»(١) ودفع إليه ناقته العضباء فأدرك أبا بكر بذي الحليفة فأخذ منه الآيات فرجع أبا بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: بأبي أنت وأمي هل نزل فيّ أو في شأني شيء؟ فقال: «لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني».

وذكر أحمد في الفضائل: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: «إن جبرئيل جاءني فقال: ابعث علياً». فلما كان يوم النحر قام علي عليه السلام في الناس فأذن بصدر براءة كما أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وذكر أحمد في الفضائل: بإسناده إلى أبي سعيد الخدري: أن علياً عليه السلام لماذ قرأ صدر براءة الآيات التي أخذها من أبي بكر في الطريق نادى ألا لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ولا يقرب المسجد بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله مدته؛ فقال بعض الكفار: نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك.

فقال علي عليه السلام: لولا أن رسول الله ﷺ أمرني أن لا أحدث شيئاً حتى آتيه لقتلتك.

وقال الزهري: إنما أمر النبي ﷺ علياً عليه السلام أن يقرأ براءة دون غيره لأن عادة العرب أن لا يتولى العهود إلا سيد القبيلة وزعيمها أو رجل من أهل بيته يقوم مقامه كأخ أو عم أو ابن عم فأجراهم على عادتهم، وقد ذكر أحمد في الفضائل بمعناه.

وقال ابن عباس: هذا العهد المذكور في القصة هو الذي ذكره الله في أول سورة التوبة ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢] أي مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين ولم يعاهد رسول الله ﷺ بعد هذه الآية أحداً من الناس.

وقيل: إنما قال رسول الله ﷺ: «علي مني وأنا منه في يوم أحد» فذكر أحمد في الفضائل قال لما قصد صاحب لواء المشركين يوم أحد رسول الله ﷺ فداه علي عليه السلام بنفسه وحمل على صاحب اللواء فقتله فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن هذه لهي المواساة فقال رسول الله ﷺ: «علي مني وأنا منه» فقال جبرئيل عليه السلام وأنا منكما.

---

(١) أخرجه ابن كثير في (التفسير ٤٩١٤).

وذكره محمد بن إسحاق في المغازي أيضاً، قال الزهري؛ إنما قال جبرئيل: إن هذه لهي المواساة لأن الناس فروا عن رسول الله ﷺ يوم أحد حتى عثمان بن عفان رضي الله عنه فإنه أول من فر ودخل المدينة وفيه نزل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران: ١٥٥] الآية وروي أن النبي ﷺ قال ذلك في حجة الوداع.

فقال أحمد في الفضائل: أخبرنا يحيى بن أبي بكر وابن آدم قالا: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حبشي بن جنادة عن السلوى وكان قد شهد حجة الوداع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في ذلك اليوم: «علي مني وأنا منه ولا يقضي ديني سواه». وقيل قاله يوم نزل عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

حديث الطائر

وقد أخرجه أحمد في الفضائل؛ والترمذي في السنن؛ فأما أحمد فأسنده إلى سفيان مولى رسول الله ﷺ واسمه مهران قال: أهدت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ طيراً بين رغيفين فقدمته إلى رسول الله ﷺ وفي رواية طيرين بين رغيفين، فقال رسول الله: «اللهم أتيني بأحب خلقك إليك»[١] فإذا الباب يفتح فدخل علي عليه السلام فأكل معه.

وأما الترمذي فقال: حدثنا سفيان عن وكيع عن عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عمر عن السدي، عن أنس بن مالك قال: كان عند النبي ﷺ طير فقال: «اللهم أتيني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطائر» فجاء علي عليه السلام فأكل معه.

قال الترمذي: السدي اسمه إسماعيل عبد الرحمن سمع من أنس بن مالك، وروى الحسن بن علي ووثقه سفيان الثوري وشعبة ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم.

قلت: إنما ذكر الترمذي هذا في تعديل السدي لأن جماعة تعصبوا عليه ليبطلوا هذا الحديث فعدله الترمذي.

---

(١) أخرجه الترمذي في (السنن ٣٧٢١)، والطبراني في (المعجم الكبير ١/ ٢٢٦، ٧/ ٩٦، ١٠/ ٣٤٣)، والذهبي في (ميزان الاعتدال ٢٢٨٠، ٢٦٣٣، ٧٦٧١، ٨٥٠٦)، وابن حجر في (لسان الميزان ١/ ٧١، ٨٥)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ٩٥)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٦٠٨٥)، والحاكم في (المستدرك ٣/ ١٣٠) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٩٦٤، ٣٦٥٠٥)، والبخاري في (التاريخ الكبير ١/ ٣٥٨، ٢/ ٣)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٢٦٩)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٩/ ١٢٦)، والسهمي في (تاريخ جرجان ١٧٦)، وابن الجوزي في (العلل المتناهية ١/ ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٧/ ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٤)، والعقيلي في (الضعفاء ١/ ٤٦، ٤/ ٨٣، ١٨٩)، وأبو نعيم في (تاريخ أصبهان ١/ ٢٠٥، ٢٣٢).

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: حديث الطائر صحيح يلزمه البخاري ومسلم أخرجاه في صحيحهما لأن رجاله ثقاة وهو من شرطهما.

فإن قيل: فلم لم يخرجه الحاكم في المستدرك عن الصحيحين فالجواب إنما لم يخرجه لأن محمد بن طاهر المقدسي، والدارقطني تعصبا عليه، وأخرجا الحديث للطائر طرفاً ضعيفة فإنه لما صنف المستدرك بلغ الدارقطني فقال: لعله يستدرك عليهما حديث الطائر، فتركه ثم رموا الحاكم بالتشيع لأجل هذا وكيف يسمع قول محمد بن طاهر، مع العلم بحاله وقول الدارقطني في عصبيته على الحاكم والترمذي وأحمد بن حنبل خصوصاً مع شهادة من سلف بعدالة السدي فلا يلتفت إلى جرح غيرهم فإن قيل فقد تكلم البخاري وابن معين في السدي قلنا: إنما تكلموا فيه لأنه كان يكثر الرواية كما فعلت الصحابة في أبي هريرة لا لشيء آخر.

حديث في خصف النعل

أخرجه في الفضائل؛ والترمذي في السنن، فأما أحمد فقال: أنبأنا يحيى بن آدم، حدثنا يونس، عن أبي إسحاق عن زيد بن تبيع، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لينتهين بنو وليعة، أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي يمضي فيهم أمري ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية»[1].

قال أبو ذر: فما راعني إلا برد كف عمر رضي الله عنه من خلفي فقال: من تراه يعني؟ قال: فقلت: ما يعينك وإنما يعني خاصف النعل علي بن أبي طالب.

وبنو وليعة: قوم من العرب، وفي رواية فقال عمر رضي الله عنه: والله ما اشتهيت الإمارة إلا يومئذ جعلت أنصب له صدري رجاء أن يقول هذا فالتفت إلى علي فأخذ بيده وقال: هذا هو هذا هو مرتين وفي رواية فانتشل بيد علي عليه السلام أي نفضها.

وأما الترمذي فقال: حدثنا سفيان بن وكيع عن أبي شريك عن منصور عن ربعي بن حراش قال: حدثنا علي بن أبي طالب بالرحبة، فقال: لما كان يوم الحديبية خرج إلينا سهيل بن عمر وفي جماعة من رؤساء الكفار فقال: يا محمد خرج إليك ناس من أبنائنا وأخواننا وأرقائنا، وليس لهم فقه في الدين وإنما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فأزودهم علينا أو إلينا، فقال رسول الله ﷺ: «سنفقههم في الدين إن لم يكن لهم فقه» ثم قال: «يا معاشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين فقالوا ومن ذلك؟ فقال من امتحن الله قلبه للإيمان وهو خاصف النعل»[2].

---

(١) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/ ١١٠).

(٢) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ٣٦٤٠٢)، والنسائي في (تهذيب خصائص عليّ ٢٠).

قال علي: وكنت جالساً أخصف نعل رسول الله ـ وخصف النعل: خرزها ـ.

قلت: ووقفت على جزء بخط جدي أبو الفرج رحمه الله فيه أبيات من نظمه في كان، وكان منها:

قالوا: علي قلت: حبي ربي على شاهدي ما قول قط تصنع وباطني قد بان
هو خاصف النعل نعلي علي قفا من يبغضه هذا سهيم البغض ودع يكون من كان
الشط ينقصه أحبه يزيد ما أقدر أبصره لمى يزيد ومات الحسين وهو عطشان

حديث في سد الأبواب

أخرجه أحمد في الفضائل والترمذي في السنن فأما أحمد فقال: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن ميمون أبي عبد اللّه عن زيد بن أرقم، قال: كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة في المسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سدوا هذه الأبواب إلا باب علي بن أبي طالب»[1] فتكلم الناس في ذلك فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ما سددت شيئاً ولا فتحتهُ ولكني أُمرت بشيء فاتبعتهُ».

قال ابن عباس معناه: «إنّ الله أمرني بشيء فاتبعت أمره».

وأما الترمذي فقال: حدثنا محمد بن حميد الرازي قال: حدثنا إبراهيم بن المختار، حدثنا شعبة عن أبي ثلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ بسدِّ الأبوابِ إلا باب علي عليه السلام.

قال الترمذي: يعني الأبواب الشارعة في المسجد اعترضوا على هذه الجملة وذلك من وجوه أحدها أنهم قالوا في إسناد الحديث الأول ميمون مولى عبد الرحمن بن سمرة ضعفه يحيى بن سعيد، وأما الحديث الثاني ففيه أبو ثلج واسمه يحيى بن سليم ضعفه أحمد وابن حبان والثاني أنه قد رواه جماعة من الصحابة سعد بن وقاص وابن عمر وجابر وطرقهم ضعيفة، والثالث أن في الصحيحين أن النبي ﷺ أمر بسد الأبواب إلا باب أبي بكر (رض)، والجواب أما أبو ثلج فقد روى

---

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك ٣/ ١٢٥)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٤/ ٣٦٩)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٢/ ٤٤٣)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٩/ ١١٤)، وابن كثير في (التفسير ٣٣٠٠٥)، وابن حجر في (فتح الباري ٧/ ١٤)، والسيوطي في (الحاوي للفتاوي ٢/ ٥٧)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٢/ ٢/ ٢٦)، والبخاري في (التاريخ الكبير ١/ ٤٠٨، ٢/ ٦٨)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٧/ ١٤٠)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٧/ ٣٤٣)، والعقيلي في (الضعفاء ٤/ ١٨٥)، وابن حجر في (القول المسدد ١٦)، وابن الجوزي في (الموضوعات ١/ ٣٦٥).

عنه أحمد ووثقه فكيف يسمعُ قولَ القائل أنه ضعفه وكذا ميمون، فإن أحمد أخرج عنه في الفضائل، وأما روايات الصحابة فنحن ما استدللنا بشيء منها بل اعتمدنا على رواية أحمد والترمذي، وأما قولهم: إن النبي ﷺ أمر بسد أبواب المسجد إلا باب أبي بكر رضي الله عنه، فنقول: قد أخرج أحمد والترمذي أن الواقعة كانت لعلي عليه السلام وروى أبو سعيد أن الواقعة كانت لأبي بكر (رض) وليس إحدى الروايتين بأولى من الأخرى فتوقف الأمر على التاريخ. غاية ما في الباب أن يقالَ حديث أبي سعد في الصحيحين.

فنقول: أحمد والترمذي مقلدان في الباب أيضاً، وقد روى الترمذي عن علي بن منذر عن فضيل بن سالم بن أبي حفصة عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك»[(١)].

قال الترمذي: ومعناه لا يحل لأحد أن يستطرق هذا المسجد جنباً إلا أنا وأنت، فإن قيل: فعطية ضعيف قالوا: والدليل على ضعف الحديث أن الترمذي قال: حدثتُ بهذا الحديث أو سمعَ مني هذا الحديث محمد بن إسماعيل يعني البخاري فاستظرفه والجواب أن عطية العوفي قد روى عن العباس والصحابة، وكان ثقةً، وأما قول الترمذي عن البخاري فإنما استطرفه لقوله عليه السلام: لا أحله إلا لطاهر لا لحائض ولا جنب وعند الشافعي يباح للجنب العبور في المسجد؛ وعند أبي حنيفة لا يباح حتى يغتسل للنص ويحمل حديث علي عليه السلام على أنه كان مخصوصاً بذلك كما كان رسول الله ﷺ مخصوصاً بأشياء.

حديث في النجوى والوصية

قال الترمذي: حدثنا علي بن المنذر الكوفي، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا أبو الزبير، عن جابر بن عبد اللّه قال: دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب يوم الطائف فانتجاه طويلاً فقالَ الناسُ: لقد طالت نجواه مع ابن عمه فبلغَ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «ما انتجيته ولكن الله انتجاه»[(٢)].

قال الترمذي: ومعناه أن الله أمرني أن أُناجيه أو أُنتجى معه.

وقال أهل اللغة: التناجي السر يكون بين اثنين يقال نجوته نجوى أي ساررته وكذا ناجيته وانتجى القومُ وتناجوا إذا تساروا، والاسم النجوى.

---

(١) أخرجه ابن كثير في (البداية والنهاية ٧/ ٣٤٣).

(٢) أخرجه الترمذي في (السنن ٣٧٢٦)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٦٠٨٨)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٣٠٤٩)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٧/ ٣٥٧)، وابن أبي عاصم في (السنة ٢/ ٥٩٨).

وقال أحمد في الفضائل: حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، حدثنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة عن أم موسى عن أم سلمة (رض) قالت: والذي نحلف به إن كان علي بن أبي طالب لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ مرض رسول الله ﷺ مرض موته، فلما كان اليوم الذي قبض فيه دعا علياً عليه السلام فناجاه طويلاً وساره كثيراً ثم قبض في يومه ذلك فكان أقربُ الناسِ عهداً برسولِ الله ﷺ فإن قيلَ قد روى عن عائشة (رض) عنها قالت: يزعمون أن رسول الله ﷺ أوصى إلى علي بن أبي طالب متى كان ذلك ما قبض إلا بين سحري ونحري[١]، والجواب أن هذا الحديث رواه أحمد بن حنبل في الفضائل ولم يطعن فيه أحد وهو حديثٌ صحيح، ولو كانَ معلولاً لتكلموا فيه، ومعنى قول عائشة يزعمون يشير إلى أم سلمة وأم سلمة مثل عائشة؛ ثم قول أم سلمة مثبت وقول عائشة نافي ومتى اجتمع المثبت والنافي قدم المثبت بإجماع الأمة، على أن قول عائشة ما قبض إلا بين سحري ونحري لا ينافي الوصية لأن في تلك الحالة لا يقدر الإنسان على الكلام وإنما يكون قبيل ذلك فيحمل على أنه أوصى إليه في ذلك الوقت فلما ثقل قبض بين سحرها ونحرها توفيقاً بين الأقوال.

وقال أحمد في الفضائل: حدثنا الهيثم بن خلف، حدثنا محمد بن أبي عمر الدوري، حدثنا شاذان، حدثنا جعفر بن زياد عن مطر عن أنس قال: قلنا لسلمان الفارسي[٢] سل رسول الله صلى الله عليه وآله من وصيه؟ فسأل سلمان رسول الله ﷺ فقال: «من كان وصي موسى بن عمران؟ فقال يوشع بن نون قال: «إن وصيي ووارثي ومنجز وعدي علي بن أبي طالب عليه السلام»[٣] فإن قيل: فقد ضعفوا حديث الوصية فالجواب إن الحديث الذي ضعفوه في إسناده إسماعيل بن زيادة تكلم فيه الدارقطني

---

(١) السَّحْرُ والسُّحْرُ: الرِّئة (ج) سحورٌ، وأسحارٌ. يقال: انتفخ سحره؛ أي: جَبُن وخاف، وانقطع منه سحري؛ أي: يئستُ منه.
النَّحْرُ: أعلى الصدر، وموضع القلادة منه (ج) نُحورٌ.

(٢) سلمان الفارسي (توفي ٣٦هـ/٦٥٦م) صحابي. أصله من مجوس أصبهان، عاش عمراً طويلاً. نشأ في قرية جيان، ورحل إلى الشام، فالموصل، فنصيبين، فعمورية، وقرأ كتب الفرس والروم واليهود، وقصد بلاد العرب، فلقيه ركب من بني كلب فاستخدموه، ثم استعبدوه وباعوه، فاشتراه رجل من قريظة فجاء به إلى المدينة، وعلم سلمان بخبر الإسلام فقصد النبي ﷺ، وقد أعانه المسلمون على شراء نفسه من صاحبه فأظهر إسلامه. وكان بحراً لا ينزف، وجعل أميراً على المدائن، فأقام فيها إلى أن توفي.
(الأعلام ٣/ ١١٢، وطبقات ابن سعد ٤/ ٥٣ ـ ٦٧، وحلية الأولياء ١/ ١٨٥، وصفة الصفوة ١/ ٢١٠).

(٣) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ٣٢٩٥٢)، والطبراني في (المعجم الكبير ٦/ ٢٧١).

وإنما تكلم فيه لأنه روى في الحديث زيادة بعد قوله منجز وعدي وهو خير من أتركُ بعدي والحديث الذي ذكرناه رواه أحمد في الفضايل وليس في إسناده ابن زياد ولا هذه الزيادة فذاك حديث وهذا آخر.

حديث في قوله عليه السلام من آذى علياً فقد آذاني

قال أحمد في الفضايل: حدثنا يعقوب عن أبيه عن محمد بن إسحاق عن الفضل بن معقل بن سنان عن عبيد الله بن دينار الأسلمي، عن عمرو بن شاس قال: خرجتُ مع علي عليه السلام إلى النمير فجفاني جفوة فلما قدمت المدينة أظهرت شكايته في المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فدخلت يوماً إلى المسجد وهو جالس في جماعة من أصحابه فجعل يحد بي النظر ثم قال: «أما والله لقد آذيتني». فقلت: أعوذ بالله أن أوذيك يا رسول الله فقال: «أما علمت أن مَنْ آذى علياً فقد آذاني». وهذا حديث سالم من الطعن وقد روى سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه أنه سمعَ رجلاً يذكرُ علياً عليه السلام بشرٍ فقالَ ويلك تعرف من في هذا القبر وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ فسكت الرجل فقال عمر فيه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إذا آذيت علياً فقد آذيته.

حديث في قضائه عليه السلام

قال أحمد في الفضائل: حدثنا نمير، حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة، حدثنا أبو البحتري عن علي عليه السلام قال بعثني رسول الله ﷺ إلى النمير وأنا شابٌ فقلتُ: يا رسولَ الله تبعثني إلى قومٍ لأقضي بينهم وأنا شابٌ لا علم لي بالقضاء فقال: ادنُ مني» فدنوتُ منه فضربَ في صَدري وقال: «اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه»[1]، قال فما شككتُ بعدها في قضاءٍ بين اثنينِ، وأخرجه في المسند أيضاً، وذكره ابن إسحاق وغيره في المغازي وفيه إذا جلس بين يديك خصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر مثل ما سمعتَ منه فإنكَ إذا فعلتَ ذلك تبين لكَ القضاءَ.

وقال أحمد في المسند: حدثنا أبو سعيد، عن إسرائيل، عن سماك بن حنش عن علي بن أبي طالب عليه السلام قالَ: بعثني رسول الله ﷺ إلى النمير فانتهينا إلى قومٍ حفروا زبية[2] للأسد فبينا هم يتدافعون إذ سقطَ رجلٌ منهم في الزبية فتعلق بآخر

(١) أخرجه ابن ماجة في (السنن ٢٣١٠)، والزيلعي في (نصب الراية ٤/ ٦١)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٦٣٨٦، ٣٦٤٦٧)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٢/ ٢/ ١٠٠)، والنسائي في (تهذيب خصائص عليّ ٢٢)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٥/ ٣٩٧)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١٠/ ١٧٦، ١٢/ ٥٨)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١٢/ ٤٤٤).

(٢) الزُّبْيَةُ: حفرة في موضع عالٍ يُغطّى رأسها، فإذا وطئها الأسد وقع فيها (ج) زُبىً.

ثم تعلقَ آخر بآخر حتى صاروا فيه أربعة وكانَ فيها أسدٌ فجرحَ الكل فابتدرَ إليه رجلٌ بحربةٍ فقتله وماتَ الأربعة مِنْ جراحتهم، فقام أولياء الأول إلى أولياء الثاني بالسلاح ليقتلوا مع أولياء الثاني فقال علي عليه السلام عليٌّ بأولياءِ الأول فجاؤوا فقالَ: أتريدون أنْ تقتلوا رسول الله ﷺ بين أظهركم إني أقضي بينكم بقضاءٍ فإنْ رضيتموهُ وإلا فتحاجزوا حتى تذهبوا إلى رسول الله ﷺ، فيقضي بينكم فقالوا: نعم فقال: اجمعوا من قبايل حافر البئر ربعَ الديةِ وثلثَ الديةِ ونصف الديةِ والدية كاملة فللأولياء الأول الربع لأنه أهلك من فوقه ولأولياءِ الثاني الثلثَ ولأولياءِ الثالثِ النصفَ ولأولياءِ الرابع الديةَ الكاملةَ فلم يرضوا بذلك وأتوا رسول الله ﷺ وأخبروه بالقصة، فاجتثى وقال: «سأقضي بينكم»[1]. فقال رجل منهم: يا رسول الله إن علي بن أبي طالب قضى بكذا وكذا فأجاز قضاء علي عليه السلام.

قلتُ: وهذا المذكور مذهب علي عليه السلام وللفقهاءِ فيه كلامٌ معروف.

حديث الناقة

قال أحمد في الفضائل: حدثنا علي بن الحسين الفامي أو القمي، حدثنا محمد بن عبد اللّه بن عقيل، حدثنا عبد العزيز بن الخطاب، حدثنا عيسى عن داود بن أبي هند عن أبي جعفر عن رجلٍ، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «تؤتى يوم القيامةِ بناقةٍ من نوقِ الجنةِ فتركبها وركبتك مع ركبتي حتى ندخل الجنة جميعاً»[2]. فإنْ قيل جهالة الراوي عن أنس توجب ضعفاً في الحديثِ قلنا: الحديث مشهور ولم يطعن فيه أحد وهذه عادةُ الرواة يروون عن رجلٍ ولم يسموه، قود فعلَ ذلك جماعةٌ من المحدثينَ منهم الحميدي فإنه ذكرَ في آخرِ الجرح من الصحيحين مثل هذا فقالَ عن رجلٍ.

حديث في الحدائق

قال أحمد في الفضائل: حدثنا علي بن المنذر عن حربي بن عمارة عن أبي عثمان النهدي عن علي عليه السلام قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض طرق المدينةِ فمررنا على حديقةٍ فقلتُ: يا رسول الله ما أحسنَ هذا؟ فقالَ: «لك مثلها في الجنةِ» حتى أتينا على سبع حدائق فإنْ قيلَ قد تكلموا بهذا الحديث فالجواب أن الحديثَ الذي تكلموا فيه زيادَة وله طريقان أما الزيادة قال: فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: ما يبكيك قال: «ضغاين في صدورِ رجالٍ عليكَ لم

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ١/١٢٨)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٤٠٣٠).

(٢) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ٣٦٤١٦).

يبدوها لكَ وسوفَ يبدوها مِنْ بعدي»[1] وأما الطريقان ففي أحدهما الفيض بن وثيق وفي الثاني يوسف بن حباب وهما متر وكان قال، يحيى بن معين: الفيض كذاب خبيث وقال الدارقطني يونس: كان يسب عثمانَ وأحمد بن حنبل ما روى الحديث من طريقهما بل عن الثقات ولم يذكر الزيادة أيضاً وقد قالَ ابن عدي: إنما دخل الخلل في هذا الحديث من الزيادة.

حديث في تسليم الملائكة عليه

قال أحمد في الفضائل: حدثنا عبد اللّٰه بن سليمان بن الأشعث، حدثنا إسحاق ابن إبراهيم النشهلي، حدثنا سعيد بن الصلت، حدثنا أبو جارود الرحبي عن أبي إسحاق الهمذاني عن الحارث عن علي عليه السلام قال: لما كانت ليلة بدر قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من يستقي لنا من الماء؟» فأحجم الناس قال: فقمت فاحتضنت قربة ثم أتيت قليباً[2] بعيد القعر مظلماً فانحدرتُ فيه فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل تأهبوا لنصرة محمد صلى الله عليه وآله وحربهِ فهبطوا من السماءِ لهم دوي يذهل من يسمعه، فلما حادوا القليب وقفوا وسلموا عليّ من عند آخرهم إكراماً وتبجيلاً وتعظيماً؛ وذكره أرباب المغازي.

حديث فيما خلق منه علي عليه السلام

قال أحمد في الفضائل: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن خالد بن معدان عن زادان عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كنت أنا وعلي بن أبي طالب نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام فلما خلقَ آدم قسَم ذلك النورِ جزءين فجزء أنا وجزء علي» وفي رواية: «خلقت أنا وعلي من نورٍ واحدٍ»[3] فإن قيل فقد ضعفوا هذا الحديث فالجواب إن الحديث الذي ضعفوه غير هذه لا لفاظ وغير الإسناد أما اللفظ خلقتُ أنا وهارون بن عمران ويحيى بن زكريا وعلي بن أبي طالب من طينةٍ واحدةٍ؛ وفي رواية: «خلقتُ أنا وعلي من نورٍ وكنا عن يمينِ العرشِ قبل أنْ يخلقَ اللّٰهُ آدمَ بألفي عام فجعلنا نتقلب في أصلاب الرجالِ إلى عبد المطلب، وأما الإسناد فقالوا في إسناده: محمد بن خلف المروزي وكان مغفلاً وفيه أيضاً جعفر بن أحمد بن بيان وكان شيعياً والحديث الذي رويناه يخالف هذا اللفظ والإسناد رجاله ثقاة فإن قيل: فعبد الرزاق كان يتشيع قلنا: هو أكبر شيوخ

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١٢/ ٣٩٨)، وابن الجوزي في (العلل المتناهية ١/ ٢٤١).

(٢) القَليبُ: البئر قبل أن تُبنى بالحجارة ونحوها (يذكر ويؤنث)، (ج) قُلُبٌ.

(٣) أخرجه الشوكاني في (الفوائد المجموعة ٣٤٢)، والسيوطي في (اللآلئ المصنوعة ١/ ١٦٦)، وابن عراق في (تنزيه الشريعة ١/ ٣٥١).

أحمد بن حنبل ومشى إلى صنعاء من بغداد حتى سمع منه وقال: ما رأيت مثل عبد الرزاق، ولو كان فيه بدعة لما روى عنه وما زال إلى أن مات يروي عنه ومعظم الأحاديث التي في المسند رواها من طريقه وقد أخرج عنه أيضاً في الصحيح.

حديث في القضيب الأحمر

قال أحمد في الفضائل: حدثنا أحمد بن جعفر، حدثنا ابن راشد عن شريك عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقولُ: «مَنْ أحبَّ أن يتمسك بالقضيب الأحمر الذي غرسه الله بيمينه في جنة عدن فليتمسك بحب علي بن أبي طالب وآله» فإن قيل: فقد ضعفوا هذا الحديث لأن الدَّارقطني رواه عن الحسين بن علي وهو ابن راشد الذي رويتموه عنه والجواب، أنَّ هذا الحديث رواه البَرَاء بن عازب وزيد بن أرقم فطريق البراء فيها إسحاق بن إبراهيم النحوي ضعفه الأزدي وأما طريق زيد فقد ذكر جدي أبو الفرج في الموضوعات عن الدارقطني، أنه قال: ما كتبت هذا الحديث إلا عن ابن راشد ولم يضعفه، ثم قال جدي عقيب هذا وابن راشد هو العدوي، كان يضع الحديث وقال جدي: ولعله سرقه من النحوي قلتُ: وبلعل لا تبطل فضائل أمير المؤمنين وتسقط أخبار الرسول صلى الله عليه وآله.

حديث مدينة العلم

قال أحمد في الفضائل: حدثنا إبراهيم بن عبد اللّه، حدثنا محمد بن عبد اللّه الرومي، حدثنا شريك عن سلمة بن كهيل عن الصنايجي عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينةُ العلمِ وعلي بابها»[1] وفي رواية: «أنا

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك ٣/ ١٢٦)، والسيوطي في (الحاوي للفتاوي ٢/ ١١٧)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٤٤)، (أحاديث القصاص ١٥)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ١١٨)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ٩٥)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٣٨)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ١٨٨) والهيثمي في (مجمع الزوائد ٩/ ١١٤)، والقرطبي في (التفسير ٩/ ٣٣٦)، والسهمي في (تاريخ جرجان ٦٥)، والسيوطي في (اللآلئ المصنوعة ١/ ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤)، والذهبي في (ميزان الاعتدال ٤٢٩، ١٥٢٥، ٣٢٤٣، ٣٦٢١، ٥٥٢٣، ٦٠٥٥)، وابن حجر في (لسان الميزان ١/ ٥١٣، ٥٧٤، ٦٢٠، ١٣١٦، ١٣٤٢، ٣/ ١٤٥)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٢٩٧٨، ٣٢٩٧٩، ٣٢٩٨٠، ٣٦٤٦٣)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ١/ ١٩٣، ١٩٥، ٣/ ١٢٤٧) والعقيلي في (الضعفاء ٣/ ١٥٠)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ٢٣)، وابن القيسراني ٣١٠)، والطبراني في (المعجم الكبير ١١/ ٦٦)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٧/ ٣٥٩)، وابن الجوزي في (الموضوعات ١/ ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣).

دارُ الحكمةِ وعلي بابها»(١) وفي رواية: «أنا مدينة الفقهِ وعلي بابها فمن أرادَ العلمَ فليأتِ البابَ» ورواه عبد الرزاق فقال: فمن أراد الحكم فليأتِ البابَ فإن قيلَ فقد ضعفوه فالجواب أن الدارقطني قال: قد رواه سويد بن غفلة عن الصنايحي ولم يذكرْ سويدُ بن غفلة وقول الدارقطني إن ثبتَ فهو صفة الإرسالِ والمرسلِ حجةً في بابِ الأحكامِ فكيف ببابِ الفضائلِ فإنْ قيلَ في هذه الرواياتِ مقالَ قلنا نحنُ لم نتعرضْ لها بل نحتَج بما خرجه أحمد، وهو الرواية الأولى عن علي عليه السلام، وإذا ثبتتْ الروايات كلها لأن رواية الحديث بالمعنى جايزة في إحكام الشريعة فها هنا أولى، فإن قيل: محمد بن علي الرومي شيخ شيخ أحمد بن حنبل ضعفه ابن حبان فقال: يأتي على الثقاة بما ليس من أحاديث الإثباتِ قلنا: قد روى عنه إبراهيم بن محمد شيخ أحمد ولو كان ضعيفاً لبين ذلك، وكذا أحمد فإنه أسند إليه، ولم يضعفه ومن عادته الجرح والتعديل فلما أسند عنه علم أنه عدل في روايته.

حديث في قوله صلى الله عليه وآله أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة

قال أحمد في الفضائل: حدثنا أحمد بن عبد الجبار الصوفي، حدثنا أحمد بن الأزهر عن محمد بن إبراهيم، عن عطية العوفي، عن ابن عباس قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال قل له: «أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة مَنْ أحبكَ فقد أحبني ومَنْ أبغضكَ فقد أبغضني»(٢)؛ وقال أحمد أيضاً: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر عن الزهري عن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عباس رفعه، فإن قيل فهذا الحديث ضعيف ويعرف بحديث أبي الأزهر وأبو الأزهر كذبه ابن معين والجواب قد أخرجه أحمد في الفضائل وأبو الأزهر اسمه أحمد بن عدي ولو صح ما قالوا فمعناه صحيح وقد ثبت أن رسول الله ﷺ شهد له بالجنةِ فأي فائدة في وضع حديث ثبت في الصحيح معناه ولا خلاف إنه سيد في الدنيا وكذا في الآخرة وأن من أحبه أحب رسول الله ﷺ، ومن أبغضه أبغضَ رسول الله ﷺ فلم يكنْ

---

(١) أخرجه الترمذي في (السنن ٣٧٢٧)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٦٠٨٧)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٤٤)، وابن المبارك في (الزهد ٣١٤)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٢٨٨٩، ٣٦٤٦٢) والسيوطي في (الحاوي للفتاوي ٢/ ٢٠٩)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ١/ ٦٤)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ١٨٨)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٧/ ٣٥٩)، والسيوطي في (اللآلئ المصنوعة ١/ ١٧٠)، والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٣٤٨)، وابن عراق في (تنزيه الشريعة ١/ ٣٧٧)، وابن الجوزي في (الموضوعات ١/ ٣٤٩، ٣٥٠).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٤/ ٤٨)، والذهبي في (ميزان الاعتدال ٥٠٤٤)، وابن عراق في (تنزيه الشريعة ١/ ٣٩٨)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ١/ ١٩٥، ١٩٦)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٧/ ٣٥٦)، وابن الجوزي في (العلل المتناهية ٢/ ٢١٨).

ثابتاً لما رووه، لأنه لا يخلو عن الفائدة وفي سياقه وعدوك عدوي وعدوي عدو الله والويل لمن أبغضكَ بعدي.

حديث في شهادة النبي ﷺ له أنه من أهل الجنة

أخبرنا جدي أبو الفرج رحمه الله أنه قال: أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن محمد القاضي الأنصاري وأبو القاسم هبة اللّه بن الحصين قالا: أنبأنا القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد اللّه الطبري، حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد بن الغطريف الجرجاني سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة، حدثنا أبو عبد اللّه محمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، حدثنا عيسى بن مسلم الأحمر، حدثنا محمد بن معاوية عن يحيى بن سابق عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي أنت في الجنة»[1] قالها ثلاثاً. وهذا الحديث من جزء ابن الغطريف الذي انفرد جدي أبو الفرج رحمه الله بروايته وسمعناه عليه ببغداد سنة ست وتسعين وخمسمائة، وهو جزء مشهور بين المحدثين.

حديث قتل العمالقة

قال ابن الغطريف: فهذا الإسناد حدثنا أبو عمير، حدثنا المفضل بن محمد بمكة، حدثنا عبد الرحمن ابن أخت عبد الرزاق عن عمر بن محمد الصاعدي عن إبراهيم بن إسماعيل الكهيلي، حدثنا أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ في خطبة خطبها في حجة الوداع: «لأقتلن العمالقة في كتيبة» فقال له جبرئيل عليه السلام: أو علي بن أبي طالب فقال: «أو علي بن أبي طالب»[2].

حديث في رد الشمس له

أخبرنا أبو القاسم عبد المحسن بن عبد اللّه بن أحمد الطوسي، حدثنا أبي عبد اللّه عن أبيه أبي نصر أحمد الطوسي، حدثنا أبو الحسين بن النفور، أنبأنا أبو جبانة، حدثنا البغوي، حدثنا طالوت بن عباد عن إبراهيم بن الحسن بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين عليه السلام عن أسماء بنت عميس قالت: كان رأس رسول الله ﷺ في حجر علي عليه السلام وهو يوحي إليه فلم يصل العصر حتى غربت

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ٣٦٣٦٠).

(٢) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ٦/ ٢٣٢)، والحاكم في (المستدرك ٣/ ١٢٦، ٦٢٦)، والطبراني في (المعجم الكبير ١١/ ٧٤).

الشمس فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة نبيك فاردد عليه الشمس»[١] قالت: فردها الله له فإن قيل فقد قال جدك في الموضوعات هذا حديث موضوع بلا شك وروايته مضطربة فإنَّ في إسناده أحمد بن داود وليس بشيء وكذا فيه فضل بن مرزوق ضعيف وجماعة منهم عبد الرحمن بن شريك ضعفه أبو حاتم وقال جدك: أنا لا أتهم به إلا ابن عقدة فإنه كانَ رافضياً فلو سلم فصلاة العصرِ صارتْ قضاءً بغيبوبة الشمسِ فرجوعُ الشمسِ لا يفيدُ لأنها لا تصير أداءً قالوا: وفي الصحيح أنَّ الشمسَ لم تُحبسْ على أحدٍ إلا يوشع بن نون والجواب أن قول جدي رحمه الله هذا حديث موضوع بلا شك دعوى بلا دليل لأن قدحه في رواته الجواب عنه ظاهر، لأنا ما رويناه إلا عن العدول الثقاة الذين لا مغمز فيهم، وليس في إسناده أحد ممن ضعفه، وقد رواه أبو هريرة أيضاً أخرجه عنه ابن مردويه فيحتمل أنَّ الذين أشار إليهم في طريق أبي هريرة؛ وكذا قول جدي: أنا لا أتهم به إلا ابن عقدة من باب الظن والشك لا من بابِ القطعِ واليقينِ وابن عقدة مشهور بالعدالةِ كان يروي فضائلَ أهلِ البيتِ ويقتصرُ عليها ولا يتعرض للصحابة (رض) بمدحٍ ولا بذمٍّ فنسبوه إلى الرفض.

وقوله: صارت صلاة العصر قضاءً؛ قلنا: أرباب العقول السليمة والفطر الصحيحة لا يعتقدون أنها غابت ثم عادت وإنما وقفت عن السير المعتاد فكان يخيل للناظر أنها غابت وإنما هي سايرة قليلاً قليلاً. والدليل عليه أنها لو غابت ثم عادت لاختلت الأفلاك وانسد نظام العالم وقال الله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] وإنما نقولُ: إنها وقفتْ على سيرها المعتاد ولو ردت على الحقيقة لم يكن عجباً لأنَّ ذلك يكون معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وكرامةً لعلي عليه السلام وقد حبست ليوشع بالإجماع ولا يخلو إما أن يكونَ ذلك معجزة لموسى أو كرامةً ليوشع فإن كان لموسى فنبينا أفضل منه وإن كان ليوشع فعلي عليه السلام أفضل من يوشع. قال صلى الله عليه وآله: «علماءُ أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[٢] وهذا في حق الآحاد فما ظنك بعلي عليه السلام والدليل عليه أيضاً ما ذكر أحمد في الفضائل فقال: حدثنا محمد بن يونس عن الحسن بن عبد الرحمن الأنصاري، عن عمر بن جميع عن ابن أبي ليلى عن أخيه

(١) أخرجه الطحاوي في (مشكل الآثار ٢/ ٩/ ٤/ ٣٨٨)، والقرطبي في (التفسير ١٥/ ٩٧)، والسيوطي في (اللآلئ المصنوعة ١/ ١٧٤)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٦/ ٩٠، ٩٢، ٣١٩)، والألباني في (السلسلة الضعيفة ٩٧١)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ٩٦).

(٢) أخرجه الألباني في (السلسلة الضعيفة ٦٦٦)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ٢٠)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٤٧)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ٨٣)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١١٣)، والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٧٨٦).

عيسى عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الصديقون ثلاثة حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار وهو مؤمن آل ياسين وعلي بن أبي طالب»[1] وهو أفضلهم وحزقيل كان نبياً من أنبياء بني إسرائيل مثل يوشع فدل على فضل علي عليه السلام على أنبياء بني إسرائيل وفي وقوف الشمس يقول الصاحب كافي الكفاة:

مَنْ كمولاي علي ... والوغي يحمي لظاها
مَنْ يصيدُ الصيدَ فيها ... بالظبي حين انتضاها
من له في كلِّ يومٍ ... وقعات لا تضاهى
كم وكم حرب ضروس ... سدّ بالمرهفِ فاها
اذكروا أفعال بدر ... لست أبغي ما سواها
اذكروا غزوة أحد ... إنه شمسُ ضحاها
اذكروا حربَ حنين ... إنه بدرُ دجاها
اذكروا الأحزابَ قدماً ... إنه ليثُ شراها
اذكروا مهجة عمرو ... كيف أفناها شجاها
اذكروا أمر براءة ... وأصدقوني من تلاها
اذكروا مَنْ زوجه الز ... هراء قد طابتْ ثراها
حاله حالة هارون ... لموسى فافهماها
أعلى حب علي لا ... مني القوم سفاها
أولُ الناسِ صلاةً ... جعلَ التقوى حلاها
ردتْ الشمسُ عليه ... بعد ما غابَ سناها

وفي الباب حكاية عجيبة: حدثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق قالوا: شاهدنا أبا منصور المظفر بن أردشير العبادي الواعظ، وقد جلس بالتاجية مدرسة بباب أبرز محلة ببغداد، وكانَ بعدَ العصرِ وذكرَ حديثَ ردِّ الشمسِ لعلي عليه السلام وطرزه بعبارته ونمقه بألفاظه ثم ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام فنشأت سحابة غطت الشمس حتى ظنَّ الناسُ أنها قد غابتْ فقام أبو منصور على المنبر قائماً وأومى إلى الشمس وأنشد!

---

(١) أخرجه السيوطي في (الدر المنثور ٣/ ٢٦٢)، والشجري في (الأمالي ١/ ١٣٩)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٢٨٩٧ ـ ٣٢٨٩٨)، والقرطبي في (التفسير ١٥/ ٣٠٩)، والألباني في (السلسلة الضعيفة ٣٥٥).

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي مدحي لآل المصطفى ولنجلهِ
واثني عنانك إن أردت ثناءهم أنسيت إن كانَ الوقوفُ لأجلهِ
إنْ كانَ للمولى وقوفك فليكنْ هذا الوقوفُ لخيله ولرجلهِ

قالوا: فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت.

حديث في شيعته عليه السلام

قال ابن الغطريف: بالإسناد المتقدم، أنبأنا عمرو الكاغدي، أنبأنا أحمد بن يحيى الصوفي، أنبأنا يحيى بن الحسن بن الفرات، أنبأنا عبد اللّه عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب فقال: «هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة» اقتصرنا على هذه الأخبار لئلا يخرج كتابنا عما شرطنا وهو الاختصار ولو رمت إسهاباً أتى الفيض بالمد.

الباب الثالث

في ذكر أولاده عليهم السلام

اتفق علماء السير: على أنه كان له عليه السلام من الولد ثلاثة وثلاثون منهم أربعة عشر ذكراً وتسع عشرة أنثى الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى أمهم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى هذا عامة المتأخرين؛ وذكر الزبير بن بكار ولداً آخر مِن فاطمة بنتُ رسول الله صلى الله عليه وآله اسمه محسن ماتَ طفلاً وفاطمة عليها السلام أول زوجاته لم يتزوج عليها حتى توفيت ومحمد الأكبر وهو ابن الحنفية وأمه خولة بنتُ جعفر مِنْ سبي بني حنيفة وقيلَ كانتْ أم ولد وسنذكره في باب مفرد وكذا الحسن والحسين عليهما السلام وعبيد اللّه قتله المختار بن أبي عبيد وأمه ليلى بنت مسعود من بني تميم وأبو بكر قتلَ مع الحسين عليه السلام أمه أيضاً ليلى بنت مسعود والعباس الأكبر وعثمان وجعفر وعبد اللّه قتلوا مع الحسين وأمهم أم البنين بنتُ حزام (وقيل: بنت خلة) كلابية تزوجها بعد فاطمة عليها السلام ومحمد الأصغر قتل مع الحسين عليه السلام أيضاً أمه أم ولد ويحيى وعون أمهما أسماء بنت عميس وكان جعفر بن أبي طالب قد تزوج أسماء ثم قتل عنها فتزوجها أبو بكر الصديق (رض) فمات عنها فتزوجها علي عليه السلام بعد أم البنين فأولدها وعمر الأكبر ورقية أمهما الصهباء صبية تزوجها بعد أسماء بنت عميس والصهباء يقالُ لها: أمُ حبيب بنت ربيعة من بني وائل أصابها خالد بن وليد لما أغار على بني تغلب بناحية عين التمر وهذا عمر الأكبر تذكر سيرته فيما بعد وقد روى عمر الحديث، وكان فاضلاً وتزوج أسماء بنت عقيل بن أبي طالب وعاش خمساً وثمانين سنة حتى حاز نصف ميراث أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ومحمد الأوسط وأمه أمامة بنتُ العاص بن ربيع وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تزوجها بعد الصهباء وأم الحسن والحسين ورملة الكبرى وأمهن أم سعيد بنت عروة تزوجها أخيراً وأم هاني وميمونة وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامة، وخديجة وأم الكرام، وأم جعفر، وجمانة ونفيسة، وهن لأمهات أولاد شتى قالوا: وابنة أخرى صغيرة توفيت ولم يضبط اسمها والنسل منهم خمسة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعمر والعباس عليهم السلام وقيل: ولمحمد الأصغر أيضاً وسنذكرهم فيما بعد إنشاء الله تعالى.

وذكر ابن جرير الطبري: إنَّ بنات علي عليه السلام سبعَ عشرةَ والصحيح ما ذكرناه.

قال الزبير بن بكار: من أولاد العباس بن علي عليه السلام عبيد اللّه بن علي بن إبراهيم بن الحسن بن عبيد اللّه بن العباس بن علي عليه السلام قال علماء السير: قدم بغداد وحدثَ بها ونزلَ مصرَ وكانَ عالماً جواداً وعنده كتب تسمى الجعفرية فيها فقه أهل البيت عليهم السلام وتوفي بمصر سنة اثني عشرة وثلاثمائة.

وذكر أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد وقالَ: من أولاد العباس بن علي عليه السلام العباس بن الحسن بن عبيد اللّه بن العباس بن علي، قدم بغداد في أيام هارون الرشيد وصحبه ثم صحب المأمون بعده وكان عالماً شاعراً فصيحاً وتزعم العلوية أنه أشعر ولد أبي طالب دخل يوماً على المأمون، فتكلم فأحسن فقال له المأمون: والله إنك لتقول فتحسن وتشهد فتزين وتغيب فتؤمن. وجاءَ يوماً إلى بابِ المأمونِ فنظر إليه الحاجب ثم أطرق فقالَ له العباس: لو أذن لنا لدخلنا ولو اعتذر إلينا لقبلنا ولو صرفنا لانصرفنا فأما القزة بعد النظر الشزر فلا أعرفها وأنشد:

وما عن رضًى كانَ الحمارُ مطيتي ... ولكن مَنْ يمشي سيرضَى بما ركبَ

وقال يذكر أخاه أبي طالب لعبد اللّه والد النبي صلى الله عليه وآله:

إنا وإن رسول الله يجمعنا ... أبٌ وأمٌ وجدٌ غيرَ موصومِ
جاءتْ بنا وبه من بين أسرتهِ ... غراءُ مِنْ نسلِ عمرانِ بن مخزومِ
فزنا بها دون مَنْ يسعى ليدركها ... قرابةٌ من حواها غير مشهومِ
رزقاً مِنْ الله أعطانا فضيلتهُ ... والناسُ ما بينَ مرزوقٍ ومحرومِ

وقوله غراء: من نسل عمران يريد فاطمة بنت عمرو والدة عبد اللّه وأبي طالب والمشهور المذعور، وكان للعباس هذا أخوة علماء فضلاء محمد وعبيد اللّه والفضل وحمزة، وكلهم بنو الحسن بن عبيد اللّه بن العباس وسنذكر سيرة الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية في الأبواب التي رسمناها لذلك.

الباب الرابع

في ذكر خلافته عليه السلام

قال علماء السير كالطبري والواقدي وهشام بن محمد وغيرهم بويع علي عليه السلام بالخلافة يوم قتل عثمان (رض) وذلك يوم السبت لثمان عشرة خلت من ذي الحجة وقيل: لثلاث عشرة وقيل: يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة وذلك سنة خمس وثلاثين واتفق على بيعته المهاجرون والأنصار.

وحكى عبد اللّه بن أحمد بن حنبل، عن أبيهِ أنه كانَ يقولُ: والله ما زانت الخلافة علياً ولكن هو زانها فأول من بايعه طلحة، وكان أشل وقى النبي صلى الله عليه وآله يوم أحد[1] فشل فلما نظر إليه علي عليه السلام تطير منه وقال: يد شلاء أمر لا يتم ما أخلفه أن ينكث بيعته. ثم بايعه الزبير والصحابة.

وذكر محمد بن سعد في الطبقات قال: بويعَ علي عليه السلام بالخلافةِ بالمدينةِ في الغدِ مِنْ يومِ قتلِ عثمانَ (رض) فبايعه طلحة والزبير وسعيد بن زيد مِنَ العشرةِ المبشرين وعمارَ بنَ ياسر[2] وأسامة بن زيد وسهل بن حنيف وأبو أيوب الأنصاري ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت وخزيمة بن ثابت وجميع مَنْ كان بالمدينة من الصحابة وفي بيعة سعد بن أبي وقاص خلاف، قال ابن سعد: ولم أر في كتابي ذكر سعد، قال: وقد رأيت في كتاب سمع معناه ذكر سعد.

وذكر ابن جرير الطبري في تاريخه، وقال: سأل أصحاب رسول الله صلى الله

---

(١) أُحُدٌ: جبل بظاهر المدينة المنورة، على سفوحه حدثت غزوة أحد سنة ثلاث للهجرة، حاول المشركون غزو المدينة ثأراً لقتلاهم في غزوة بدر، فتصدّى لهم النبي ﷺ في جبل أُحد وردهم عن المدينة بعد معركة استشهد فيها حمزة عمُّ النبيّ ﷺ، (معجم البلدان ١/ ١٠٩).

(٢) عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني (٥٧ق. هـ - ٣٧هـ/ ٥٦٧ - ٦٥٧م) أبو اليقظان صحابي، من الولاة الشجعان ذوي الرأي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به، هاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان. وكان النبي ﷺ يلقبه «الطيب المطيَّب»، وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام، وولاه عمر الكوفة. وشهد الجمل وصفين مع عليّ وقُتل في الثانية.
(الأعلام ٥/ ٣٦، والإصابة ٥٧٠٦، والطبري ٦/ ٢١، وحلية الأولياء ١/ ١٣٩، وصفة الصفوة ١/ ١٧٥).

عليه وآله علي بن أبي طالب أن يتقلد لهم وللمسلمين أمرهم فأبى عليهم.

قال ابن جرير بلغني عن محمد ابن الحنفية أنه قال: كنت مع أبي حين قتل عثمان (رض) فدخل منزله فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام يقومُ بأمرهم ولا نجد اليومَ أحداً أحقّ بهذا الأمرِ منكَ أقدم سابقة وأقرب إلى رسول الله ﷺ فقال: لا تفعلوا الآن أكونُ وزيراً خيراً مِنْ أنْ أكونَ أميراً قالوا: لا والله ما نحن بفاعلينَ حتى نبايُعكَ فقال: إنْ كانَ ولا بد ففي المسجد لأنَّ بيعتي لا تكون إلا عن رضى المسلمين فدخل المسجد فبايعه المهاجرون والأنصار ثم بايعه الناس.

وروى ابن جرير أيضاً: عن أبي بشير العابدي أنَّ علياً عليه السلام قال لهم: لا حاجة لي فيكم أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به فاختاروه؛ وقالوا ما نختار سواكَ فدخل حائط بني عمرو بن مبذول وأغلق الباب، فجاؤوا وفيهم طلحة والزبير فتسوروا عليه الحائط وقالوا: ابسط يدك فبايعه طلحة أولاً والزبيرُ بعده فنظرَ حبيب بن ذويب إلى يدِ طلحة فقالَ: لا يتم هذا الأمر ثم خرج إلى المسجد فبايعه الناس.

وقال ابن جرير جاؤوا بسعدِ بن أبي وقاص فقالوا له: بايع فقالَ حتى يبايع الناسَ فقال الأشتر النخعي[1]: دعني أضرب عنقه فقال علي عليه السلام: دعوه أبو جميلة إنك ما علمت سيئ الخلق صغيراً وكبيراً.

وقد روى ابن جرير قال: لما بايع الناس علياً تلكأ عليه طلحة والزبير فسلو الأشتر سيفه وقال: لتبايعان أو لأضربن عنقكما فقال طلحة: وأين المذهب عنه فبايعا وقالا له: أمرنا على البصرة والكوفة فقال لهما: تكونان عندي أتجمل بكما.

قال الزهري: وقد بلغنا أنَّ علياً عليه السلام قال لهما: إن أحببتما أن تبايعاني، وإن أحببتما بايعتكما فقالا: لا بل نحنُ نبايعكَ ثم قالا بعد ذلك: إنما بايعناه خشية على أنفسنا وقد عرفنا أنه لم يكن ليبايعنا.

وقال ابن جرير: وممن امتنع من بيعته حسان بن ثابت وأبو سعيد الخدري والنعمان بن بشير ورافع بن خديج في آخرين وفي زيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة خلاف.

وقال غير ابن جرير لم يبايعه قدامة بن مظعون وعبد الله بن سلام والمغيرة بن

(١) الأشتر النَّخعي (توفي ٣٧هـ/ ٦٥٧م) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي، المعروف بالأشتر أمير، من كبار الشجعان. كان رئيس قومه، أدرك الإسلام، شهد اليرموك وذهبت عينه فيها، وكان ممن ألّب على «عثمان» وحضر حصره في المدينة. وشهد يوم الجمل، وأيام صفين مع عليّ وولاه عليّ «مصر» فقصدها فمات في الطريق.
(الأعلام ٥/ ٢٥٩، والإصابة ت٨٣٤٣، وتهذيب ١٠/ ١١).

شعبة وعبد اللّه بن عمر، وسعد، وصهيب، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد وكعبُ بن مالك، وهربَ قومٌ إلى الشام وهؤلاء يسمون العثمانية.

قال الزهري: والعجب أن عبد اللّه بن عمر وسعد بن أبي وقاص لم يبايعا علياً عليه السلام وبايعا يزيد بن معاوية، وذكر سيف بن عمر في الفتوح عن جماعة من الصحابة قالوا: بقيت المدينة شاغرة خمسة أيام وأميرها الغافقي يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه فأتى الناسُ علياً عليه السلام فاختفى منهم وخرج إلى حيطان المدينة وتبرأ من المصريين وباعدهم وطلب الكوفيون للزبير فتباعد منهم وطلب البصريون طلحةَ، فتباعدَ منهم، وتبرأ منهم وأرسلوا إلى سعد بن أبي وقاص فتبرأ منهم وقال: قد أدخلتُ فيها ثم أخرجتُ منها لا حاجة لي فيها ثم تمثل:

لا تخلطن الخبيثات بطيبة ... اخلع ثيابك وانج عريانا

فلقوا عبد اللّه بن عمر فسألوه فقال: إن لهذا الأمر انتقاضاً فاسألوا غيري أو التمسوا غيري فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون فنادوا يا أهل المدينة قد أجلناكم يومكم هذا فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير وأناسي كثيراً فغشي الناس علياً عليه السلام وقالوا: ترى ما نزل بالإسلام والمسلمين فهلم نبايعك فامتنع فقالوا: إنك مقتول فبايعوه.

وذكر غير سيف وابن جرير أن الناس اختلفوا إلى علي عليه السلام بعدما قتل عثمان (رض) أربعين ليلة في المهاجرين والأنصار يسألونه البيعة وهو يقول: لا حاجة لي فيها انظروا لهذا الأمر غيري ومن تختارونه أكن معكم وهم يقولون ليس له سواك فقالَ: أصلي بكم ويكونُ مفتاحُ بيت المال بيدي وليس لي أمر دونكم فرضوا وقال: لا أعطي أحداً دون أحد درهماً قالوا: نعم فبايعوه فنزل من المنبرِ وأعطى كل ذي حق حقه وسكن الناس فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى دخل عليه طلحة والزبير فقالا يا أمير المؤمنين إن عيالنا كثير وأرضنا شديدة، فقال: ألم أشرط أنني لا أعطي أحداً دون أحد فقالوا: قد لزمتنا نفقات فقال: ائتوني بأصحابكم فإن رضوا أن أعطيكما دونهم فعلت وإن أبيتما فأنا أعطيكما من عطائي فأبيا عليه وقالا: ائذن لنا في العمرة فقال: والله ما تريدان العمرة وإنما تريدان الغدرة والفتنة فقالا: كلا والله فقالَ: قد أذنت لكما فافعلا ما شئتما وذلك بعد أربعة أشهر مِنْ خلافتِهِ.

وذكر سيف بن عمر قال: كانوا إذا لقوا طلحة عرضوها عليه فيأبى ويتمثل:

ومن عجب الأيام والدهر إنني ... بقيتُ وحيداً لا أمرٌ ولا أحلى

فيقولون له: إنك لتوعدنا وإذا لقوا الزبير أرادوه فيأبى وينشد:

متى أنتَ عَنْ دارِ بفيحانِ راحلٍ ... وباعثها تحفو عليها الكتائب

فيقولون: إنك لتوعدنا ثم يلقون علياً عليه السلام فيسألونه فيأبى ثم ينشد:

لـو أن قـومـي طـاوعـتـنـي سـراتـهـم أمـرتـهـم أمـراً يـدعُ الأعـاديـا

فيقولون: إنك لتوعدنا والله لئن لم تفعلْ لنقتلنكَ، قال الشعبي: أول من خرج الأشتر النخعي لما امتنع وهربَ الوليد بن عقبة، وسعد بن وقاص ومروانُ بن الحكم إلى مكة وبها عائشة وأم سلمة وخرج طلحة والزبير أيضاً إلى مكة فدخلا على أم سلمة وشكوا إليها وقالا: أكرهنا وسألاها الخروج فنهتهما وقالتْ: إنما تريدانِ الفتنةَ فخرجا من عندها فدخلا على عائشة وذكرا لها مثل ذلك وقالا لها تخرجين معنا فنقاتل هذا الرجل فأجابتهما.

وفي الباب حكايةُ ذكرها صاحب بيت مالِ العلوم وذكرها أيضاً صاحبُ عقلاء المجانين، عن أبي الهذيل العلاف؛ قال: سافرت مع المأمون إلى الرقة فبينا أنا أسير في الفرات إذ مررنا بدير فوصف لي فيه مجنون يتكلم بالحكمة فدخلت الدير وإذا برجلٍ وسيمٍ نظيف فصيح وهو مقيد فسلمت عليه فردَّ السلام ثم قالَ: قلبي يحدثني أنك لست مَن أهلِ هذهِ المدينةِ القليلِ عقول أهلها يعني الرقة قلتُ: نعم أنا مِنْ أهل العراقِ فقال: إني أسألك فافهم ما أقولُ فقلت: سَلْ فقالَ: أخبرني عن النبي صلى الله عليه وآله هل أوصى؟ قلت لا قال فكيف ولي أبو بكر (رض) مجلسه من غير وصية فقلت اختاره المهاجرون والأنصار ورضي به الناس فقال كيف أجازه المهاجرون وقد قال الزبير بن العوام لا أبايع إلا علي بن أبي طالب وكذا العباس وكيف اختاره الأنصار وقد قالت: منا أمير ومنكم أمير وولوا سعد بن عبادة يومَ السقيفةِ[1] وقال عمر (رض): اقتلوا سعداً قتله الله وكيف تقول رضي به الناس وقد قال سلمانُ الفارسي: كردي نكردي أي فعلتموها فوجئت عنقه وقال أبو سفيان بن حرب لعلي عليه السلام مد يدك لأبايعك وإن شئت ملأتها خيلاً ورجلاً ثم قعد بنو هاشم عن بيعة أبي بكر ستة أشهر فأين الإجماع ثم لما ولي أبو بكر الخلافة وحمد الله ثم قال: وليتكم ولستُ بخيركم وكيف يتقدم المفضول على الفاضل.

ولما ولي عمر (رض) قال: وددتُ أني كنت شعرة في صدر أبي بكر ثم قال بعد ذلك: كانت بيعة أبي بكر فلتة، وقى الله الأمة شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ثم إن عمر رد السبي الذي سباه خالد بن الوليد في أيام أبي بكر فإن خالداً تزوج امرأة مالك بن نويرة، فردها عُمر بعدما ولدتْ منه ثم ولي عمر صهيباً على أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عبداً لنمر بن قاسط وكل هذا تناقض.

وأخبرني: عن عبد الرحمن بن عوف حين ولي عثمان (رض) الخلافة واختاره هل ولاه إلا وهو يعرفه قلت: لا، قال: فقد قالَ عبدُ الرحمنِ بن عوفٍ بعد ذلك: ما

(١) السّقيفةُ: المقصود بها سقيفة بني ساعدة: ظُلَّةٌ بايع تحتها المسلمون أبا بكرٍ الصدّيق (ر) بالخلافة.

كنتُ أحبُ أنْ أعيشَ حتى يقولَ لي عثمانُ يا منافق فمعرفة عثمان عبد الرحمن حين نسبه إلى النفاق كمعرفة عثمان إياه إذ ولاه الخلافة.

وأخبرني عن عائشة لما كانت تحرض الناس على عثمان يوم الدار وتقول: اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر، فلما ولي علي عليه السلام الخلافةَ قالتْ: وددتُ أن هذه سقطتْ على هذه تعني السماءَ على الأرضِ، ثم خرجت مِنْ بيتها تقاتل علياً عليه السلام، مع طلحة والزبير وتسفك الدم الحرامَ والله تعالى يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣] وهذه مخالفة لله تعالى، ولما قتل عثمان جاء المسلمونَ والصحابةَ إرسالاً إلى علي عليه السلام ليبايعوه فلم يفعل، حتى قالوا له والله لئن لم تفعل لنلحقنك بعثمان فأخبرني أيما آكد من ضرب سعداً ووجأ عنق سلمان كمن جاءَ الناسُ يكرهونه على البيعةِ قالَ: فلم أحر جواباً وسقط في يدي في كم يجب القطع في السرقة قلتُ في ربعِ دينارٍ فقالَ: كم أعطاكَ هذا الذي جئت معه إلى ها هنا فقلت خمسمائةِ دينارٍ فقالَ: يَجبُ أنْ يقطعَ أعضاءك بحساب ما أخذتَ قلتُ: ولِمَ قالَ: لأنك سرقتَ مالَ المسلمينَ فقلتُ: الخليفةَ أعطاني من مالهِ فقالَ: ومِنْ أينَ مالهُ المالُ لله تعالى، ولعامةِ المسلمينَ والله إنكَ لاحقُ بهذا السعوطِ[1] الذي اسعطُ به كلَّ يومٍ والقيدُ مني، قال: فخرجتُ مِنْ عندهِ وأنا خجلٌ فحدثتُ المأمونَ حديثه فاستطرفه وبقي زماناً يستعيده مني.

وذكر أبو حامد الغزالي في كتاب (سر العالمين) وكشف ما في الدارين ألفاظاً تشبه هذا فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال عمر بن الخطاب: بخٍ بخٍ يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، قال: وهذا تسليم ورضاءٌ وتحكيم، ثم بعد هذا غلب الهوى حباً للرياسة وعقد البنود وخفقان الرايات وازدحام الخيول في فتح الأمصار وأمر الخلافة ونهيها، فحملهم على الخلاف فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون، قالَ ولما مات رسول الله صلى الله عليه وآله قال قبل وفاته بيسير: «ائتوني بداوة وبياض لأكتب لكم كتاباً لا تختلفوا فيه بعدي»[2] فقال عمر دعوا الرجل فإنهُ ليهجر.

وقال: إن العباس وعلياً وولده وبني هاشم لم يحضروا البيعة، ثم خالفهم الأنصار يوم السقيفةَ ودخل محمد بن أبي بكر[3] على أبيه في مرض موته فقال: ائت

---

(١) السَّعُوط: الدواءُ يُصبُّ في الأنف. و ـ: دقيق التبغ يستنشقه بعضهم فيهيج العطاس، وهو النَّشُوقُ.

(٢) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ١١/ ٣٦)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٥/ ١٨١)، وأحمد بن حنبل ١/ ٢٩٣)، والبخاري في (الصحيح ٤/ ١٢١)، وابن حجر في (فتح الباري ٦/ ٢٧٠).

(٣) انظر ترجمته في (الأعلام ٦/ ٢٢٠، والطبري ٦/ ٥٣، وابن الأثير ٣/ ١٤٠).

بعمك عمر لأوصي له بالخلافة فقال: يا أبي أنت كنت على حق أم على باطل؟ قال على حق، قال: إنْ كان حقاً فارضَ لولدك ما رضيت لنفسك، ثم قال أبو بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله: أقيلوني فلستُ بخيركم، فقال ذلك هزلاً أو جداً أو امتحاناً فإنْ كان هزلاً، فالخلفاء منزهون عن الهزل، وإنْ كان جداً فهذا نقض للخلافة، وإنْ كان امتحاناً، فالصحابة لا يليق بهم الامتحان لقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣، الحجر: ٤٧].

قلت: ثم العجب من منازعة معاوية لعلي عليه السلام الخلافة، وقد قطع الرسول صلى الله عليه وآله طمع من طمع فيها بقوله: «إذا ولي خليفتان فاقتلوا الأخير منهما»، والعجب من حق واحد كيف ينقسم بين اثنين والخلافة ليست بجسم ولا عرض فيتجزى قال: وقال أبو حازم: أول حكومة تجري بين العباد في المعاد بين علي عليه السلام ومعاوية فيحكم الله تعالى لعلي على معاوية والباقون تحت المشية.

وقال صلى الله عليه وآله لعمار: «تقتلك الفئة الباغية ولا ينبغي للإمام أَنْ يكون باغياً ولأن الإمامة تضيق عن شخصين كما أنَّ الربوبية لا تليق بإلهين اثنين»[١].

وقال الغزالي أيضاً: وقد زعمت طائفة أَنْ يزيد بن معاوية لم يرض بقتل الحسين عليه السلام، وادَّعوا أَنَّ قتلهُ وقع غلطاً قال: وكيف يكون هذا وحال الحسين لا يحتمل الغلط لما جرى من قتاله ومكاتبة يزيد إلى ابن زياد بسببه وحثه على قتله ومنعه من الماء وقتله عطشاناً، وحمل رأسه وأهله سبايا عرايا على أقتاب[٢] الجمال إليه، وقرع ثناياه بالقضيب ولما دخل علي بن الحسين زين[٣] العابدين عليه السلام على يزيد

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (الفتن ٧٠، ٧٢)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ١٦١، ٥/ ٣٠٦، ٣٠٧، ٦/ ٣٠٠، ٣١١)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٨/ ١٨٩)، والطبراني في (المعجم الكبير ١/ ٣٠٠، ٥/ ٣٠٨)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٧/ ٢١٤)، وابن حجر في (المطالب العالية ٤٤٧٩، ٤٤٨٥)، والساعاتي في (منحة المعبود ٢٥٧٠، ٢٦٦٨)، (حل ٤/ ١٧٢، ٣٦١، ٧/ ١٩٧، ١٩٨)، والمنقي الهندي في (كنز العمال ٢٣٧٣٦، ٣٣٥٤٩، ٣٣٥٥١، ٣٧٣٩٢، ٣٧٣٩٤، ٣٧٣٩٩، ٣٧٤٠٠، ٣٧٤٠٢، ٣٧٤٠٦)، والبغوي في (شرح السنة ١٤/ ١٥٤)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ١٥٣)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/ ٢٤٢، ٩/ ٢٩٦ و٢٩٧)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ٢١٠، ٢٢٥)، والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٤٠٠).

(٢) أقتاب: مفردها قتب: رَحْلٌ صغير على قدْر سنام البعير.

(٣) زين العابدين (٣٨ - ٩٤هـ/ ٦٥٨ - ٧١٢م) عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي أبو الحسن. رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، حليم، ورع. يقال له: «عليّ الأصغر». مولده ووفاته بالمدينة، وليس للحسين «السبط» عقب إلا منه.
الأعلام ٤/ ٢٧٧، وفيات الأعيان ١/ ٣٢٠، وابن سعد ٥/ ١٥٦، وصفة الصفوة ٢/ ٥٢، وحلية الأولياء ٣/ ١٣٣).

قال: أنت ابن الذي قتلهُ الله فقال: أنا علي ابن من قتلتهُ أنتَ ثم قرأ ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣] الآية ثم استفاض لعن علي عليه السلام على المنابر ألف شهر وكان ذلك بأمر معاوية أتراهم أمرهم بذلك كتاب أو سنة أو إجماع هذا صورة كلام الغزالي.

حديث مسير علي عليه السلام إلى البصرة

قال علماء السِّير: كان علي عليه السلام قد تجهز إلى الشام لقتال معاوية ولم يبقَ إلا المسير، فبينا هو كذلك إذ أتاه كتاب أمير مكة يُخبرهُ أنَّ طلحة والزُّبير جاءا فأخرجا عائشة ما ندري أين ذهبا بها؟ وفي رواية وأنهم قصدوا البصرة فصعد المنبر فخطب وقال: (أيها الناس إنَّ طلحة والزبير وعائشة سخطوا إمارتي وقد قصدوا البصرة فتهيئوا للخروج إليهم).

وذكر سيف بن عمر قال: لما قتل عثمان (رض) كان على مكة عبد اللّه بن عامر الحضرمي وكانت عائشة مقيمة بمكة تريد العمرة في المحرم، وهرب بنو أمية إلى مكة فأخبروها بقتل عثمان ولم يخبروها بتأمير علي عليه السلام فلما قضت عمرتها خرجت إلى المدينة فلما انتهت إلى سرف[1] لقيها رجل من أخوالها من بني ليث يقالُ له: عبيد اللّه بن أبي سلمة، فقالت: مهيم فهمهم ودمدم، فقالت له: ويحكَ علينا أو لنا فقال: قتل عثمان وبقوا خمسة أيام بغير إمام قالت: ثم ماذا قال: اجتمع أهل المدينة والقوم الغالبون عليها على علي بن أبي طالب فاسترجعت وعادت إلى مكة فبلغ الناس رجوعها فانجفلوا إليها ودخلت المسجد وجاءت إلى الحجر فتسترت فيه واجتمع إليها الناسُ فخطبت وقالت: أيها الناس إن الغوغاء اجتمعتْ على هذا الرجل المقتول بالأمس ظلماً فبادروه بالعدوان فسفكوا الدم الحرامَ واستحلوا البلدَ الحرامَ في الشهر الحرام؛ فاجتماعكم عليهم ينكلُ بهم غيرهم ويشرد بهم من خلفهم فقال عبد اللّه بن عامر: أنا أولُ طالبٍ بدمهِ.

وذكر ابن جرير عن الميداني قال: خرجت عائشة وعثمان محصور إلى مكة فقدم عليها رجلٌ يقالُ له: أخضر فقالت: ما صنع الناس؟ فقالَ: اجتمع المصريون على عثمان فقتلوه، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون قوم جاؤوا يطلبون الحقَّ وينكرون الظلم يقتلون، والله لا رضى بهذا ثم قدم آخر فقالت: ما صنع الناس؟ فقالَ: قتل المصريون عثمان فقالت: قتل عثمان مظلوماً والله لأطلبن بدمه فقوموا معي فقال عبيد ابن أم كلاب: لم تقولين هذا فوالله لقد كنت تحرضين عليه وتقولين اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر، فقالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه فقال: عبيد ابن أم كلاب:

(١) سَرِفٌ: موضع على ستة أميال من مكة، (معجم البلدان ٣/ ٢١٢).

ومنكَ البكاء ومنكَ العويل ومنك الرياح ومنك المطر
وأنتَ أمرت بقتلِ الإمامِ وقلتِ لنا: إنه قَدْ كفر
فهبنا أطعناكِ في قتله وقاتله عندنا من أمرِ
ولم يسقطْ السقفُ مِنْ فوقنا ولم تنكسفْ شمسنا والقمر
وقد بايع الناسُ ذا تدرء يزيل الشبا ويقيم الصعرِ
ويلبسُ للحربِ أوزارها وما مِنْ وفَى مثلَ مَنْ قد عثر

ثم اجتمعت بنو أمية إلى عائشة وتشاوروا، وقالوا: كلنا نطلب بدم عثمان ورأسهم عبد اللّه بن عامر الحضرمي، ومروان بن الحكم والمشار إليهما طلحة والزبير، فاتفقوا على البصرة لأن ابن عامر قالَ: قد كفاكم الشام معاوية ولي بالبصرة صنايع، لأنه كان واليها وجهزهم ابن عامر بالمال والجمال، ولما عزمت عائشة على المسير نهتها أم سلمة وقالت لها: يا هذه إن حجاب الله لَنْ يرفعَ وما أنت يا هذه وهذا الأمر وقد تنازعته الأيدي وتهافت فيه الرجالُ وتسكينه أصلح للمسلمين فاتقي على رسول الله صلى الله عليه وآله من الافتضاح في زوجته، واتقي دماً لم يبحه الله لكِ فلما رأتها لا تصغي إلى قولها قالت:

نصحتُ ولكنْ ليسَ للنصحِ قابل ولو قبلتْ ما عنفتها العواذل
كأني بها قد ردتْ الحربَ رحلِها وليسَ لها إلا الترجلُ راحل

وقيل: إن أم سلمة كانتْ بالمدينةِ وإنما كتبتْ إلى عائشة تنهاها لأنه لما عزم علي عليه السلام على المسير قالت له أم سلمة: يا أمير المؤمنين لولا أني أخاف أن أعصي الله لخرجتُ معك. ولكن هذا ابني عمر أعز علي من نفسي فخذه معك فخرجَ معه ولم يزلْ ملازمه؛ واستعمله على البحرين.

وذكر الميداني: أن يعلى بن أمية كان والياً على اليمن، فقدم على عائشة وهي تجهز إلى البصرة فأعانها بأربعمائة ألف درهم من مال اليمن وحملها على الجمل الذي كانت عليه يوم القتالِ واسم الجمل عسكر اشتراه من اليمن بثمانين ديناراً وقيلِ كان الجمل لعبد اللّه بن عامر حملها عليه واشتراه بمائتي دينار، ودفع لها عبد اللّه بن عامر ألف ألف درهم من بيت مال البصرة.

وذكر سيف: أنَّ الجملَ كان ليعلى بن أمية اشتراه بمائتي دينار ثم خرجوا من مكة في تسعمائة ثم لحقهم الناس حتى صاروا ثلاثة آلاف ولما بلغ علياً عليه السلام خروجهم خطب بالمدينة وقال: أيها الناس إن طلحة والزبير وعائشة كرهوا إمارتي وقد قصدوا البصرة لشقِّ عصى المسلمين وطلباً للفتنة وتفريقاً للكلمة فتجهزوا للمسير إليهم ثم صار في تسعمائة وروي لما بلغه عليه السلام مسيرها سار من المدينة في وجوه

المهاجرين والأنصار وأمر على المدينة قثم بن العباس وتوجه في تسعمائة من الصحابة.

وذكر ابن جرير في تاريخه: أنَّ عائشة اشترتْ الجملَ مِنْ رجلٍ من عرينة بستمائة درهم، وناقة قال ابن جرير: فمرت على ماء يقالُ له: الحوأب فنبحتها كلابه فقالت: ما هذا المكان؟ فقال لها سائق الجمل: العرني هذا الحوأب، فاسترجعت وصرخت بأعلى صوتها ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوأب ردوني إلى حرم الله ورسوله قالتها ثلاثاً.

قال ابن سعيد: فيما حكاه عن هشام بن محمد الكلبي استرجعت وذكرت قول رسول الله كيف بكِ إذا نبحتك كلاب الحوأب فقال لها طلحة والزبير: ما هذا الحوأب وقد غلط العرني ثم أحضروا خمسين رجلاً، فشهدوا معهما على ذلك وحلفوا.

قال الشعبي: فهي أول شهادة زور أقيمت في الإسلام.

وقال ابن جرير في تاريخه: لما سمعت عائشة كلاب الحوأب قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون إني لهيه، قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لنسائه: أيتكن تنبحها كلاب الحوأب»[1] وأرادت الرجوع فمنعها ابن الزبير.

وقال سيف بن عمر: لما خرجت عائشة (رض) من مكة نحو البصرة تبعتها أمهات المؤمنين إلى ذات عراق فلم ير باكياً على الإسلام أكثر من ذلك اليوم فكان يسمى يوم النحيب، ولما وصلت إلى البصرة نزلت بالمربد[2] وكان بالبصرة عثمان بن حنيف أميراً من قبل علي عليه السلام فجرى بينه وبين القوم قتالٌ فناداها حارثة بن قدامة السعدي: يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون، إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك فإن من يرى قتالك يرى قتلك فإن كنت أتيتينا طايعة فارجعي إلى منزلك وإن كنت مكرهة فاستغيثي بالناس.

وحكى ابن جرير عن سيف بن عمر قال: خرج شاب من بني سعد فقال: يا طلحة يا زبير أرى معكما أمكما فهل جئتما بنسائكما؟ قالا: لا فأنشد:

صنتم حلائلكم وقدتم أمكم هذا لعمري قلة الأنصافِ

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٦/ ٩٧)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٦/ ٢٤٠)، والألباني في (السلسلة الصحيحة ٤٧٤)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٦/ ٤١٠).

(٢) مربد البصرة: من أشهر محالّها وكان يكون سوق الإبل فيه قديماً ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء، وهو الآن بائن عن البصرة بينهما نحو ثلاثة أميال، وكان ما بين ذلك كله عامراً وهو الآن خراب، فصار المربد كالبلدة المفردة في وسط البرية، (معجم البلدان ٥/ ٩٨).

أمـرت بـجـر ذيـولـهـا فـي بـيـتـهـا فـهـوت لـحـمـلِ الـنـبـلِ والأسـيـافِ

ثم اعتزل القوم.

وأخرج البخاري طرفاً من هذا الحديث وهذا المعنى عن أبي بكرة قال: لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله أيام الجمل بعدما كدت أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم، قال: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى، قال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»[1].

قلتُ: هذه بنت كسرى اسمها بوران، فإن أمور الناس اختلت لما وليتهم فكذا كل امرأة تولت أمراً يحتاج فيه إلى الاستفسار والرأي ولهذا لا تلي المرأة الإمارة ولا القضاء ولا الإمامة ولا نحو ذلك.

ثم إنَّ طلحة والزبير: اغتالا عثمان بن حنيف في ليلة مظلمة وكان بالمسجد في جماعة، فأوطؤوه الأرجلَ ونتفوا شعر وجهه فما أبقوا فيه شعرة وأرسلوا إلى عائشة ليستشيروها فيه، فقالت: اقتلوه فقالت لها امرأة: ناشدتك الله في عثمان فإنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: احبسوه واضربوه أربعين سوطاً وانتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه ففعلوا، ونهبوا بيت مال البصرة وقتلوا سبعين رجلاً من المسلمين بغير جرم، فهم أول من قتل في الإسلام ظلماً.

وحكى ابن سعد: عن هشام بن محمد قال: ما منعهم من قتل عثمان بن حنيف إلا غضب الأنصار ولحق عثمان بعلي عليه السلام فوافاه بذي قار وليس في وجهه ورأسه شعرة فلما رآه أمير المؤمنين شق ذلك عليه واسترجع. وقال سيف بن عمر لما خرج علي عليه السلام من المدينة وذلك في آخر شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين، كتب إلى أهل الكوفة يستنفرهم وكان أبو موسى الأشعري والياً عليها فجاء الناس إليه يستشيرونه في الخروج فقال أبو موسى: إن أردتم الدنيا فاخرجوا وإن أردتم الآخرة فأقيموا. وبلغ علياً عليه السلام قوله فكتب إليه اعتزل عن عملنا مذموماً مدحوراً يا ابن الحايك فهذا أول يومنا منك.

وذكر المسعودي في (مروج الذهب): أنَّ علياً عليه السلام كتب إلى أبي موسى انعزل عن هذا الأمر مذموماً مدحوراً، فإن لم تفعل فقد أمرت من يقطعك إرباً إرباً يا ابن الحايك ما هذا أول هناتك وإن لك لهنات وهنات.

ثم بعث علي عليه السلام: الحسن وعماراً إلى الكوفة فالتقاهما أبو موسى فقال له الحسن عليه السلام: لم ثبطت القوم عنا فوالله ما أردنا إلا الإصلاح؟ فقال: صدقت

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٥/ ٣٧، ٣٨، ٤٧)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٤٧١٦، ١٤٩٢٣)، والألباني في (إرواء الغليل ٨/ ١٠٩)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ٢١٥).

ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ستكون فتنة يكون القاعد فيها خيراً من القائم والماشي خيراً من الراكب»(١) فغضب عمار وسبه وتكلم عمار فقال: أيها الناس هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله يستنفركم إلى عائشة وإني أعلم أنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة؛ وتكلم الحسن بمثل هذا وقال: أعينونا على ما ابتلينا به، فخرج معه تسعة آلاف في البر والماء؛ وقد أخرج البخاري معنى هذا عن أبي وائل شقيق ابن سلمة.

قال: لما بعث علي عليه السلام عماراً والحسن ابنه إلى الكوفة ليستنفرهم خطب عمار فقال: إني لأعلم أنها زوجة نبيكم صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم لينظر إياه تتبعون أو إياها؛ وفي رواية فصعد الحسن المنبر فقعد في أعلاه وجلس عمار أسفل منه وقال: وذكره في البخاري أيضاً عن أبي وائل.

قال: لما قدم عمار الكوفة ليستنفر الناس دخل عليه أبو مسعود الأنصاري وأبو موسى الأشعري فقال: ما رأينا أمراً منذ أسلمت أكره عندنا من إسراعك إلى هذا الأمر فقال لهما: ما رأيتُ منكما أمراً منذ أسلمتما أكره عندي من إبطائكما عن هذا الأمر. قال الزهري: وإنما أشار إلى ترك الفتنة لأن عماراً كان على باطل.

ثم إن علياً عليه السلام: لما قارب البصرة كتب إلى طلحة والزبير وعائشة ومن معهم كتاباً لتركيب الحجة عليهم (بسم الله الرحمن الرحيم من عبد اللّه علي أمير المؤمنين إلى طلحة والزبير وعائشة سلام عليكم أما بعد: يا طلحة والزبير قد علمتما أني لم أرد البيعة حتى أكرهتُ عليها وأنتم ممن رضي ببيعتي فإن كنتما بايعتما طائعين فتوبا إلى الله تعالى وارجعا عما أنتما عليه، وإن كنتما بايعتما مكرهين فقد جعلتما لي السبيل عليكما بإظهاركما الطاعة وكتمانكما المعصية؛ وأنتَ يا طلحة شيخ المهاجرين؛ وأنت يا زبير فارسَ قريشٍ ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه فكان أوسع لكما من خروجكما منه قبل إقراركما، وأنت يا عائشة فإنك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين المسلمين فخبريني ما للنساء وقود الجيوش والبروز للرجال والوقوع بين أهل القبلة وسفكِ الدماءِ المحرمةِ، ثم إنكِ طلبتِ على زعمك بدمِ عثمان وما أنتِ وذاك عثمان رجل من بني أمية وأنت من تيم. ثم بالأمس تقولين فيَ ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر ثم تطلبين اليومَ بدمهِ، فاتقي الله وارجعي إلى بيتك واسبلي عليك سترِكِ والسلام؛ فما أجابوه بشيء ثم التقوا منتصف

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ١/ ١٦٩، ٢/ ٢٨٢)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٠٨٢٩)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٧/ ٢٨٨)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٧/ ٢٨٣)، والدولابي في (الكنى والأسماء ١/ ١٨٢).

جمادى الأولى من هذه السنة قلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاحه وخرج طلحة فخرج إليهما علي عليه السلام ودنا منهما وعليه قبا طاق حتى اختلفت أعنةُ خيلهم فقال علي عليه السلام: لعمري لقد أعددتما خيلاً وسلاحاً فهل أعددتما عند الله عذراً؟ فاتقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ألم أكن أخاً كما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دمكما. فقال طلحة: ألَّبت الناس على عثمان فقال: لعن الله من ألَّبَ الناس على عثمان ومن أين أنت يا طلحة ودم عثمان؟ ويا زبير أتذكر يومَ مررت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بني غنم فنظر إليَّ فضحك وضحكتُ إليه فقلت: لا يدع ابن طالب زهوه فقال لك رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنه ليس بمزهو ولتقاتلنه وأنت ظالم له». وفي رواية أتذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله في بني بياضة وهو راكب على حمار وذكره فقال الزبير: اللهم نعم ولو ذكرت هذا ما خرجت من المدينة ووالله لا أقاتلك أبداً وفي رواية فقال الزبير: فما الذي أصنع ولقد التقتا حلقتا البطان[1] ورجوعي عار عليَّ فقال علي عليه السلام: ارجع بالعارِ ولا تجمع بين العار والنارِ فرجع الزبير وهو يقول:

اختـرت عـاراً عـلـى نـار مـؤججـة ... إنـي يـقـوم لـهـا خـلـق مـن الـطـيـنِ
نـادى عـلـيٌّ بـأمـرٍ لـسـتُ أجـهـلُـه ... عـارٌ لـعـمـرك فـي الـدنـيـا وفـي الـديـنِ
فـقـلـت: حـسـبـك مـن لـوم أبـا حـسـن ... فـبـعـض هـذا الـذي قـد قـلـت يـكـفـيـنـي

وهذه من جملة أبيات للزبير قالها لما خرج من العسكر أولها:

تـركَ الأمـور الـتـي يـخـشـى عـواقـبـهـا ... لله أجـمـل فـي الـدنـيـا وفـي الـديـنِ
أخـال طـلـحـة وسـط الـقـوم مـنـجـدلاً ... ركـن الـضـعـيـف ومـأوى كـل مـسـكـيـنِ
قـد كـنـت أنـصـره حـيـنـاً ويـنـصـرنـي ... فـي الـنـائـبـات ويـرمـي مـن يـرامـيـنـي
حـتـى ابـتـلـيـت بـأمـرٍ ضـاقَ مـصـدره ... فـأصـبـح الـيـوم مـا يـعـنـيـه يـعـنـيـنـي

ثم انصرف طلحة والزبير فقال علي عليه السلام لأصحابه: أما الزبير فقد أعطى الله عهداً أن لا يقاتلكم ثم عاد الزبير إلى عائشة وقال لها: ما كنت في موطن منذ عقلت عقلي إلا وأنا أعرف أمري إلا هذا؛ قالت له: فما تريد أن تصنع؟ قال: اذهب وادعهم؛ فقال له عبد اللّه ولده: جمعت هذين الفريقين حتى إذا جد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب أحسست برايات ابن أبي طالب فرأيت الموت الأحمر منها أو من تحتها تحملها فتية أنجاد سيوفهم حداد، فغضب، الزبير وقال: ويحك قد حلفت

(١) البطانُ: حزامٌ يُشدُّ على البطن. ويقال: (التقت حَلْقَتا البطان) كناية عن اشتداد الأمر، (ج) أبطنة وبُطُنٌ.

أن لا أقاتله فقال: كفر عن يمينك فدعا غلاماً له يقال له: مكحول فأعتقه، فقال عبد الرحمن بن سلمان التميمي:

لم أر كاليوم أخا أخوان أعجب من مكفر الأيمان
بالعتق في معصية الرحمان

وقال آخر:

يعتق مكحولاً لصون دينه كفارة لله عن يمينه
والنكث قد لاح على جبينه

وفي رواية: أن الزبير لما قال له ابنه ذلك غضب فقال له ابنه: والله لقد فضحتنا فضيحة لا تغسل منها رؤوسنا أبداً، فحمل الزبير حملة منكرة فقال علي عليه السلام: أفرجوا له فإنه محرج فخرق الصفوف ثم عاد ولم يطعن برمح ولا ضرب بسيف ثم رجع إلى ابنه وقال: ويحك أهذه حملة جبان؟ ثم خرج عن العسكر، وفي رواية أن علياً لما التقى بالزبير قال له: قد كنا نعدك من خيار بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك السوء ففرق بيننا وبينك أليس رسول الله صلى الله عليه وآله قال لك: كيت وكيت[1] وذكر الحديث، وفي رواية ثم قال علي عليه السلام لطلحة: ما أنصفت رسول الله صلى الله عليه وآله جئت بعرسه تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت، ثم قال علي عليه السلام أيكم يعرض عليهم المصحف قبل قتالهم؟ فقال: فتى من القوم أنا فحمل المصحف وبرز بين الصفين وقال: الله الله بيننا وبينكم كتاب الله، فقطعوا يده فأخذه بيده الأخرى فقطعت فأخذه بأسنانه فقتلوه فنادى علي عليه السلام: الآن طاب لكم قتالهم فحملوا.

وحكى ابن سعد عن هشام بن محمد كان اسم الذي حمل المصحف مسلماً فقالت أمه:

يا رب إن مسلماً أتاهم يتلو كتاب لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحاهم وأمه قائمة تراهم

ثم برز عمار ونادى: يا قوم والله ما أنصفتم نبيكم صلى الله عليه وآله حين كتمتم عقايلكم في الخدور وأبرزتم عقيلته للسيوف؛ وفي رواية: يا زبير ما أنصفت رسول الله صلى الله عليه وآله صان زوجتك من الحتوف، وأبرزت زوجته للسيوف وكان لقد لقي رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً أسماء في بعض أزقة المدينة ومعه جماعة من أصحابه فأعرض عنها وأعرضوا أيضاً، حتى ذهبت، وقيل مد عليها

---

(١) كَيْتَ وكَيْتَ: يكنى بهما عن الحديث والخبر. يقال: تكلّم فلان كيتَ وكيتَ؛ أي: كذا وكذا. ولا تستعملان إلا مكررتين بالعطف أو بدونه.

سجافاً[1] خوفاً من غيرة الزبير فنادى عمار يا ابن العوام مد رسول الله ﷺ على زوجتك السجوف وذكره ثم دنا عمار من الهودج[2] وكان عليه جلود البقر والمسوح وفوقها الدروع فقال: ما تطلبين؟ فقالت: دم عثمان فقال: خذل الله اليوم الباغي الطالب لغير الحق وأنشد:

فمنك البكـاء ومنك العويـل

وقد ذكرنا الأبيات فرشقوه بالنبل فعاد وصاح علي عليه السلام: أيها الناس كفوا حتى يبتدؤوا بالقتال ولا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تستحلوا سلباً ولا متاعاً وكان هذا من رأي الفريقين.

وفي رواية أن علياً عليه السلام قال لطلحة: نشدتك الله ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول: «من كنتُ مولاه فعلي مولاه» فقال: بلى والله ثم انصرف عنه.

فصل في عقر الجمل

قال سيف بن عمر: لما انهزم الناس أطافت بالجمل مضر وكان زمامه بيد كعب بن سور قاضي البصرة، وكان قد اعتزل الناس لما وصلت عائشة إلى البصرة وجلس في بيت وطين عليه بابه، فقيل لعائشة: إنه لا يستقيم لكم الأمر إلا بكعب ابن سور، فجاءت بنفسها إليه وأخرجته فلما كان اليوم الثالث قالت له: يا كعب خل عن زمام الجمل وتقدم إليه بكتاب الله فادعهم إليه وناولته مصحفاً فتقدم به فقتلته السبأية مخافة أن يقع الصلح بين الفريقين فيهلكوا ولما قتلوا كعباً عقروا الجمل ورموا عائشة من الهودج، فجعلت تنادي: يا بني البقية البقية اذكروا الله وهم لا يلتفتون إليها.

وكان القتال يوم الخميس في جمادى الأولى من سحر إلى الظهر وما شوهدت واقعة مثلها لا قبلها ولا بعدها فني فيها الكماة من فرسان مضر وكان لا يأخذ زمام الجمل إلا المعروف بالشجاعة فحمل الأشتر النخعي في جماعة من الفرسان وزمام الجمل بيد زفر بن الحارث فجرحوه وعقر الجمل عقره رجل يقال له: دلجه وقتل عليه سبعون رجلاً من بني ضبة وقيل: إن عبد الله بن الزبير آخر من أخذ بخطامه فصاحت عائشة: وا ثكل أسماء فجرح فألقي نفسه بين الجرحى ولما وقع الجمل جاء محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر فاحتملا الهودج، فأدخل محمد بن أبي بكر يده فيه فقالت عائشة من هذا؟ فقال: محمد أخوك البار فقالت: مذمم العاق وجاء علي عليه السلام

(١) السّجاف: السِّتر (ج) سُجُفٌ.

(٢) الهودج: مقصورة من الخشب ذات قُبّة توضع على ظهر الجمل تكون مركباً للنساء (ج) هوادج.

وضرب عليها فسطاطاً[١] وقال: استفززت الناس وألبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً فقالت له: ملكت فاسجح[٢] وفي رواية أنه وقف عليها وقال: يغفر الله لكِ فقالت ولكَ؛ وفي رواية أنه ضرب هودجها بالقضيب وقال: يا حميراء أرسول الله أمرك بهذا إنما أمرك الله بالقرار في بيتك والله ما أنصفك من أخرجك وصان حلائله فلم تتكلم كلمة.

وقال سيف: اجتمعت بنو ضبة حول الجمل فقطعت على زمامه ألف يد وهم يقولون:

نحن بنو ضبة أصحاب الجملِ ننعي ابن عفان بأطرافِ الأسلْ[٣]
الموت أحلى عندنا من العسلِ ردوا علينا شيخنا أو نقتتل

وقيل: إن زمام الجمل كان بيد عمرو بن يثربي قتل يومئذ قتله عمار بن ياسر وعمر عمار يومئذ سبعون سنة، وقيل: جاؤوا بعمر بن يثربي أسيراً بين يدي علي عليه السلام فقال له: استبقني فقال: قتلت زيد بن صوحان وجماعة من الصحابة قتله وجرح عبد اللّه بن الزبير أربعون جراحة، والتقى عبد اللّه بن الزبير ذلك اليوم بالأشتر النخعي فاجتلدا وتعانقا وسقطا إلى الأرض فصاح عبد اللّه بن الزبير:

اقتلوني ومالكاً واقتلا مالكاً معي

فصارت مثلاً، وقيل: إن هذا القائل لهذا القول عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد كان إمام عسكر طلحة والزبير يصلي بهم فلم يفهم الناس قوله ولو عرفوا أنه الأشتر لقتلوه، ثم جاء قوم ففرقوا بينهما، وفي رواية لما سقط الهودج قال علي عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: انظر هل وصل إلى أختك شيء، فأدخل رأسه إليها فقالت: من أنت؟ فقال: أبغض أهلك إليك؛ فقالت: ابن الخثعمية؟ قال: نعم. قالت: بأبي أنت وأمي الحمد لله الذي عافاك.

وذكر ابن جرير في تاريخه: عن عباس بن محمد عن أبي رجاء قال: بينا أنا أمشي يوم الجمل إذا أنا برجل يفحص برجليه ويقول:

لقد أوردتنا حومة الموتِ أمنا فلم تنصرف إلا ونحن رواء
أطعنا قريشاً ضلة من حلومنا ونصرتنا أهل الحجاز عناء

وفي رواية:

وما تيم إلا أعبد وإماء

---

(١) الفُسْطاط: بيت يُتخذ من الشَّعر.
(٢) أسجح الحاكم: أحسن العفو. يقال: (ملكت فأسجح)؛ أي: ظفرتَ فأحسِن.
(٣) الأَسَلُ: الرّماح.

وفي رواية: فقلت له: من أين أنت؟ فقال: من جيش المرأة أو قيل: المرأة التي أرادت أن تكون أمير المؤمنين. وقال أيضاً، قالت امرأة يوم الجمل:

شهدت الحروب فشيبتني فلم أر يوماً كيوم الجمل
أضر على مؤمن فتنة وأقتله لشجاع بطل
فليت الظعينة في بيتها وليت عسكراً لم ترتحل

ثم إنَّ علياً عليه السلام: أمر بإنزال عائشة داراً بالبصرة فنزلت دار عبد اللّه بن الخلف الخزاعي.

فصل في ذكر مقتل طلحة بن عبيد اللّه

ذكر علماء السير وقالوا: بينما هو واقف في المعركةِ جاءه سهمٌ فخيط فخذ ركبته بصفحة الفرس فقال لغلامه: امسكني، فردفه، فدخلَ البصرة وهو يتمثل بمثله ومثل الزبير:

فإنْ تكن الحوادث أقصدتني وأخطأهن سهمي حين أرمي
فقد ضيعت حين تبعت سهماً سفاهة ما سفهت وضاع حلمي
ندمت ندامة الكسعي لما شربت رضا بني سهم برغمي[1]
أطعتهم بفرقة آل لاي فألقوا للسباع دمي ولحمي

وفي رواية: أن مروان بن الحكم هو الذي قتل طلحة لأنه رآه قائماً وقد أمكنت الفرصة منه فقال: لا أطلب بثأري بعد اليوم وا ثارات عثمان، ثم رماه بسهم فأصاب ركبته، فحمل إلى البصرة، فدخل عليه بعض أصحاب علي عليه السلام وهو يجود بنفسه، فقال له: أشهد على أني قد بايعت أمير المؤمنين عليه السلام ثم مات فأخبر ذلك الرجل علياً عليه السلام فقال: رحمه الله وتأسف عليه؛ قال: الحمد لله الذي لم يخرج من الدنيا إلا وبيعتي في عنقه.

وقيل: إن مروان لما رماه بالسهم قال: (وكان أمر الله قدراً مقدوراً).

وذكر سيف بن عمر أنَّ طلحةَ يومَ الجملِ قال: اللهم اعطِ عثمانَ مني حتى يرضى.

(١) «أندم من الكُسَعيّ» مثل عربي. الكسعي: رجل من بني كسع يُضرب به المثل في الندامة. كان رمى حماراً وحشياً في الظلام، فظن أنه أخطأه فكسر قوسه، وحين أصبح وجد الحمار مقتولاً بسهمه فندم. قال الشاعر:

ندمتُ ندامة الكسعي لما رأت عيناه ما صنعت يداه

(مجمع الأمثال ٢/٣٤٨).

وذكر ابن سعد في (الطبقات)، عن الواقدي أنه قال: قال طلحة يوم الجمل لقد داهنا في أمر عثمان، فلا نجد اليوم أمثل من أن نبذل دمائنا فيه.

فصل في مقتل الزبير

قال ابن سعد: مر الزبير على الأحنف بن قيس وهو معتزل الناس فقال الأحنف: هذا الذي يفسد بين الناس واتبعه رجلين فحمل عليه أحدهما فطعنه وضربه الآخر فقتله، ثم جاء برأسه إلى باب علي عليه السلام فقال: ائذنوا لقاتل الزبير فسمعه علي عليه السلام فقال بشر: قاتل ابن صفية بالنار، وبكى علي عليه السلام وترحم عليه وفي رواية أن الذي قتله عمرو بن جرموز، وكان قد سار يريد الرجوع إلى المدينة فنزل بوادي السباع[١] على عمرو بن جرموز المجاشعي فقام إليه وقال: كيف خلفت الناس؟ فقال: عازمين على القتال فأحضر له طعاماً فأكل ثم قام فصلى ثم نام فقام ابن جرموز فقتله، وأتى برأسه وسيفه وخاتمه إلى علي عليه السلام فأخذ السيف وقال عليه السلام: سيف لطالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم بكى وقيل لم يأتوا برأسه ودفن بوادي السباع، والأصح أنَّ الأحنف بن قيس بعثَ وراءه من قتله.

فصل في ذكر من قتل من الفريقين وأسر من الأعيان

أما من أصحاب علي عليه السلام: فجماعة منهم زيد بن صوحان وكان فارساً شجاعاً وعلياً بن الهيثم وهند بن عمرو، ومن أصحاب عائشة (رض) كعب بن سور القاضي وهو أول قتيل وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، ومحمد بن طلحة بن عبيد اللّه وكان ناسكاً[٢] غير أن أباه أخرجه كرهاً ونهى علي عليه السلام عن قتله، وقال: إياكم وصاحب البرنس[٣]، فإنه خرج مكرهاً واشترك في قتله جماعة فقال قاتله:

وأشعث قوام بآيات ربه ... قليل الأذى فيما ترى العين مسلمِ
هتكت له بالرمح جيب قميصه ... فخر صريعاً لليدين وللفمِ

---

(١) وادي السباع: بين البصرة ومكة، بينه وبين البصرة خمسة أميال. قتل فيه الزبير بن العوام، (معجم البلدان ٥/ ٣٤٣).

(٢) الناسك: المتعبِّد المتزهِّد (ج) نُسّاك.

(٣) البُرْنُس: قلنسوةٌ طويلة كان الناس أو النساك يلبسونها في صدر الإسلام (ج) برانس.

يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلي حاميم قبل التقدمِ
على غير شيء غير أن ليس بايعاً علياً ومن لا يتبع الحق يندمِ

ويقال: الذي قتله عبد اللّه بن مكعبه، حليف بني أسد وأخذ مروان بن الحكم فتشفع فيه الحسن والحسين عليهما السلام فأطلقه علي عليه السلام فقالا له: ألا يبايعك؟ فقال: أوليسَ قد بايعني يوم قتل عثمان لا حاجة لي في بيعته إنها كف يهودية، أما والله إن له أمارة كلعقة الكلب أنفه وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمراً.

واختلفوا في الذين قتلوا في ذلك اليوم، فقال قوم: قتل من عسكر عائشة (رض) ثمانية عشر ألفاً وقيل: اثني عشر ألفاً، ومن أصحاب علي عليه السلام خمسة آلاف وقيل: ألف.

وذكر الميداني أن علياً عليه السلام لما وقف على القتلى قال:

أشكو إليك عجزي وهجري ومعشراً أعشوا عليَّ بصري
إني قتلت مضري بمضري شفيت نفسي وقتلت معشري

وفي هذا اليوم: ذهبت عين عدي بن حاتم الطائي، وقيل: قتل من الفريقين عشرة آلاف.

وحكى سيف: أن علياً عليه السلام مر بكعب بن سور فوقف عليه وقال: والله ما علمتك إلا قاضياً بالحق وجعل يترحم عليه.

فصل في الخطبة التي خطبها علي عليه السلام

ذكر علماء السير: أنَّ علياً عليه السلام لما فرغ من الجمل صعد منبر البصرة فخطب الناس وقال: إن النساء نواقص الإيمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول أما نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام شطر أعمارهن؛ وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الأنصاف من مواريث الرجال، وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين منهن كشهادة رجل واحد، فاتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر. ولا تطيعوهن في معروف حتى لا يطمعن في منكر، ثم قال: يا أهل البصرة يا جند المرأة ويا أتباعَ كل ناعق ماؤكم زعاق[1] ودينكم نفاق دعاكم الشيطان فأجبتم وعقر فعقرتم كأني أنظر إلى مسجدكم قد بعث الله عليه العذاب من فوقه ومن تحته فهو كجؤجؤ[2] سفينة، أو

(١) نعق في الفتنة: رفع فيها صوته. فهو ناعق، وهي ناعقة (ج) نواعق.
الزُعاق من الماء: المرّ لا يُطاق شربُهُ.
(٢) الجُؤجُؤُ من الطائر والسفينة: صدرُهما (ج) جآجئ.

كنعام جاثمة، أو كجؤجؤ طائر في لجة بحر أرضكم بعيدة من السماء قريبة من الماء، خفت عقولكم وسفهت أحلامكم، فأنتم غرض لنا بل وأكلة لآكل وفريسة لصايل.

قال سيف: وعلم أهل المدينة بيوم الجملِ يوم الخميسِ وذلك من نسر طار من حول المدينة معه شيء معلق فتأمله الناس فإذا كف فيها خاتم فوقع فإذا نقشه عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد.

فصل في رجوع عائشة إلى المدينة

قال علماء السير: ثم بعث علي عليه السلام عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالمسير إلى المدينة، فدخل عليها ابن عباس بغير إذنٍ، فقالت له: أخطأتَ السنة دخلت علينا بغير إذن، فقال لها: لو كنت في البيت الذي خلفك فيه رسول الله ﷺ ما دخلنا عليك بغير إذنك، ثم قال: إن أمير المؤمنين يأمرك بالمسير إلى البيت الذي أمرك الله بالقرار فيه فأبت عليه فشدد عليها، وقال: هو أمير المؤمنين وقد عرفتيه.

قال هشام بن محمد: فجهزها علي عليه السلام أحسن الجهاز ودفع لها مالاً كثيراً وبعث معها أخاها عبد الرحمن في ثلاثين رجلاً وعشرين امرأة من أشراف البصرة وذوات الدين من همدان وعبد القيس وألبسهن العمائم وقلدهن السيوف بزي الرجال وقال لهن؛ لا تعلمنها. إنكن نسوة وتلثمن وكن حولها ولا يقربنها رجل وسرن معها على هذا الوصف، فلما وصلت إلى المدينة قيل لها: كيف كان مسيرك؟ فقالت: بخير والله لقد أعطى فأكثر ولكنه بعث رجال معي أنكرتهم فبلغ ذلك النسوة فجئن إليها وعرفنها أنهن نسوة فسجدت وقالت: والله يا ابن أبي طالب ما ازددت إلا كرماً وددت أني لم أخرجْ هذا المخرج وإني أصابني كيت وكيت. قال ابن الكلبي: وكانت عائشة إذا ذكرت يوم الجمل بكت حتى ابتل خمارها وتأخذ بحلقها كأنها تخنق نفسها، وكانت إذا ذكرت أم سلمة تذكر نهيها لها وتبكي.

وقال هشام بن محمد: إنما رد علي عليه السلام عائشة إلى المدينة امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أشار هشام إلى ما روى أحمد بن حنبل قال: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا فضل بن سليمان، حدثنا محمد بن يحيى عن أبي أسماء مولى ابن جعفر عن أبي رافع، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي بن أبي طالب: «سيكون بينك وبين عائشة أمرٌ قال: فأذن أنا أشقاهم، قال: لا، ولكن إذا جرى ذلك فارددها إلى منامها»[1].

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٦/ ٣٩٣)، والطبراني في (المعجم الكبير ١/ ٣١٤)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/ ٢٣٤)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣١٢٠٥، ٣١٢١٣).

قال هشام: فكانت عائشة تبكي بعد يوم الجمل وتقول: يا ليتني كنت نسياً منسياً أي الحيضة الملقاة، انتهت قصة الجمل على وجه الاختصار.

حديث صفين

قال علماء السير: ولما فرغ علي عليه السلام من الجمل سار من البصرة إلى الكوفة فدخلها لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب من هذه السنة وهي سنة ست وثلاثين فراسل معاوية على يد جرير بن عبد اللّٰه البجلي، يطلب منه البيعة، فلم يجب وأقام بالكوفة بعض هذه السنة وتوجه إلى صفين في هذه السنة، وهي سنة ست وثلاثين والتقى بمعاوية هناك وجرت بينهما حروب وخطوب وكان علي عليه السلام قد سار إلى صفين في تسعين ألفاً ومعاوية في مائة وعشرين ألفاً فقتل من أهل العراق خمسة وعشرين ألفاً منهم عمار بن ياسر وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص وخزيمة بن ثابت، وقتل أويس القرني[١] في آخرين، وقتل من أهل بدر خمسة وعشرين.

وذكر الزبير بن بكار قال: شهد صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام من أهل بدر سبعة وثمانون رجلاً منهم سبعة عشر رجلاً من المهاجرين، وسبعون من الأنصار، وأما من باقي الصحابة فكان معه ألف وثمانمائة، منهم تسعون رجلاً بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الشجرة بيعة الرضوان، وقتل من أهل الشام سبعون ألفاً وكان بينهم سبعون وقعة في مائة وعشرين يوماً فنختار من ذلك ما يليق بكتابنا.

فنقول: لما رجع علي عليه السلام من البصرة بعث جرير بن عبد اللّٰه إلى معاوية يدعوه إلى طاعته فقال له الأشتر النخعي: لا تبعثه فإني والله أظن أن هواه معه وكان كما قال الأشتر لأن جريراً كان ممن يضمر الغش لعلي وسببه أنه لما قتل عثمان (رض) كان جرير والياً على همدان فعزله علي عليه السلام عنها فأثر في قلبه ولما بعثه علي عليه السلام في هذه السنة إلى معاوية باستدعاء من جرير، فإنه التمس منه أن يبعثه إلى معاوية وكتبَ معه كتاباً، يخبره باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وما كان من أمرهما ويدعوه إلى البيعة تركيباً للحجة عليه.

وكان في الكتاب أما بعد: فإنه لزمتك بيعتي بالمدينة وأنت بالشام لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل فسموه إماماً، كان ذلك رضى لله تعالى، فإن خرج عن أمرهم خارج ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولاه وأصلاه جهنم وساءت مصيراً، ثم إن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي فجاهدتهما على ذلك

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٢/٣٢، وابن سعد ٦/١١١، وحلية الأولياء ٢/٧٩.

بعدما أعذرت فيهما، حتى جاء الحق وزهق الباطل وظهر أمر الله، وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فإن أحب الأمور (فيك) إلى العافية وأنْ لا تتعرض للبلاء، فإنْ تعرضتَ له قاتلتُك واستعنتُ بالله عليك وقد بلغني إكثارك في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكمهم إلى أحملكم على كتاب الله وإنما تلك (تعللك) التي تريدونها خدعة الصبي على اللبن ولعمري لئن نظرت بعين عقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من قتل عثمان ودمه، وقد علمتُ أنك من الطلقاء[1] الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يجوز لهم الشورى وقد بعثتُ إليك جَرير بن عبد اللّه وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايع ولا قوة إلا بالله والسّلام.

فلما قدم عليه جرير ماطله، واستشار عمرو بن العاص فيما كتب إليه فأشار عليه عمرو أن يلزمه دم عثمان ويقاتله بوجوه أهل الشام وكان قد علق قميص عثمان على المنبر بجامع دمشق ومعه أصابع نايلة ابنة الفرافصة زوجة عثمان فآلى أهل الشام أن لا يناموا على الفرش ولا يأتوا النساء حتى يقتلوا قتلة عثمان.

فكتب معاوية إلى علي عليه السلام مع جرير أما بعد: فإنه لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان ولكنك أغريت المهاجرين والأنصار بعثمان وخذلتهم عنه حتى أطاعك الجاهل وتقوى بك الضعيف وقد عزم أهل الشام على قتالك اللهم إلا أن تدفع إليهم قتلة عثمان، فيكفوا عنك ويجعل الأمر شورى بين المسلمين وتكون الشورى لأهل الشام لا لأهل الحجاز؛ فأما فضلك وسابقتك في قريش وموضعك من رسول الله صلى الله عليه وآله فلا أدفعه.

وكتب في أسفلِ الكتاب:

أرى الشام تكره أهل العراق ... وأهل العراق لهم كارهونا
وكلٌ لصاحبهِ مبغضٌ ... يرى كل ما كان من ذاك دينا
إذا ما رمونا رميناهم ... ودناهم مثل ما يقرضونا
وقالوا: عليٌّ إمامٌ لنا ... فقلنا: رضينا ابن هند رضينا
وقالوا: نرى أن تدينوا له ... فقلنا لهم: لا نرى أن ندينا
وكل يسر بما عنده ... يرى غث ما في يديه سمينا

فقدم جرير: على علي عليه السلام فأخبره خبر معاوية واجتماع أهل الشام معه على قتاله وأنهم يبكون على عثمان ويقولون: إن علياً قتله وآوى قتلته وإنهم لا ينتهون حتى يقتلهم أو يقتلوه.

(١) الطُلَقاء: من قريش: الذين أسلموا بعد الفتح لأن النبي ﷺ قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

وكان الأشتر حاضراً فقال لعلي عليه السلام: قد كنتُ نهيتك أنْ تبعثَ هذا على عداوته وغشيته ولو كنتَ بعثتني كان خيراً من هذا الذي أقام عنده حتى لم يدغ باباً نرجو فتحه إلا أغلقه ولا باباً نخافُ فتحه إلا فتحه.

فقال له جرير: لو كنتُ هناك لقتلوكَ لقد ذكروا أنكَ من قتلة عثمان فقال له الأشتر: لو طاوعني أمير المؤمنين فيكَ وفي أمثالك لحبسكَ في مكانٍ لا تخرج منه حتى يستقيمَ هذا الأمر، فخرجَ جرير إلى قرقيسيا[١] فأقام بها وكتبَ إلى معاوية يخبره بما جرى فكتب إليه بالقدوم عليه.

وكتب علي عليه السلام إلى معاوية، أما بعد فقد: أتاني كتاب امرء ليس له بصر يهديه ولا فايدة ترشده دعاه الهوى فأجابه وقاده فاتبعه زعمتُ أني خذلتُ عن عثمانَ ولعمري ما كنتُ إلا كواحدٍ من المهاجرين والأنصار وردت كما أوردوا وصدرت كما صدروا ولم أكنْ مع القوم؛ وأما قولكَ إنَّ أهلَ الشام يحكمونَ في الشورى فمن في الشام من يصلح للخلافة فإن سميت واحداً كذبك المهاجرون والأنصار، وأما اعترافكَ بسوابقي فلو قدرتَ على دفعها لدفعتها، ولكنك عاجزٌ عن ذلك، وكتبَ في أسفلِ الكتابِ:

معاوي دَعْ عنك ما لا يكونا ... وقتلة عثمان إذ تدعونا
أتاكم علي بأهلِ العراقِ ... وأهلِ الحجازِ فما تصنعونا
على كل جرداء خيفانة ... وأجرد صلب يقرُّ العيونا[٢]
عليها فوارس من شيعةٍ ... كأسدِ العرينِ تحامي العرينا
يرونَ الطعانَ خلال العجاج ... وضرب الفوارس في النَّقع دينا[٣]
هم هزموا الجمع يومَ الزبيرِ ... وطلحِ وغيرهم الناكثينا
فإنْ تكرهوا الملك ملك العراق ... فقد كرهَ القومُ ما تكرهونا
فقلْ للمضللِ من وايلٍ ... ومن جعلَ الغثَّ يوماً سمينا
جعلتَ ابن هند وأشياعه ... نظير على أما تستحونا
على ولي الحميد المجيد ... وصي النَّبي من العالمينا

ثم دفعَ الكتابَ إلى الأصبغِ بن نباتة التَّميمي؛ وخرج علي عليه السلام فعسكر

(١) قَرْقيسياءُ: بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ وعندها مصبّ الخابور في الفرات فهي في مثلث بين الخابور والفرات، (معجم البلدان ٤/ ٢٣٨).
(٢) الخَيْفَانةُ: الجرادةُ. ومنه: (فرس خيفانة)؛ أي: خفيفة ضامرة شُبّهت بالجرادة لخفّتها وضمورها.
(٣) النَّقع: الغبار المرتفع والمنتشر يثور في الجو (ج) نقاع.

بالنَّخيلة[١] وسار الأصبغ إلى الشام قال: فقدمت على معاوية فدخلت عليه وعمرو بن العاص عن يمينه وذو الكلاع وحوشب عن يساره، وإلى جانبه أخوه عُتبة وابن عامر والوليد بن عقبة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وشُرَحبيل بن السّمط وأبو هريرة بين يديه، وأبو الدرداء والنعمان بن بشير، وأبو أُمامة الباهلي فدفعت إليه الكتاب. فلما قرأه قال: إنّ علياً لا يدفع إلينا قتلة عثمان، قال الأصبغ: فقلت له: يا معاوية لا تعتل بقتلة عثمان فإنك لا تطلب إلا الملك والسلطان ولو أردت نصرته حياً لفعلت ولكنك تربصت به وتقاعدت عنه لتجعل ذلك سبباً إلى الدنيا، فغضب فأردت أَنْ أزيدهُ فقلت: يا أبا هريرة أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله أُقسم عليك بالله الذي لا إله إلا هو، وبحق رسوله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم في حق أمير المؤمنين: «من كنت مولاه فعلي مولاه»؟ فقال: أي والله لقد سمعتهُ يقول ذلك قال: فقلت: فإذن أنت يا أبا هُريرة واليت عدوه، وعاديت وليه، فتنفس أبو هريرة وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ فتغير وجه معاوية، وقال: ما هذا؟ كف عن كلامك، فلا تستطيع أن تخدع أهل الشام عن الطلب بدم عثمان فإنه قتل مظلوماً في شهر حرام في حرم رسول الله صلى الله عليه وآله عند صاحبك، وهو الذي أغراهم به حتى قتلوه وهم اليوم عنده أعوانه وأنصاره ويده ورجله وما مثل عثمان من يهدر دمه، فقال ذو الكلاع وحوشب ومعاوية بن خديج: لننصرنك يا معاوية حتى يحصل مرادك، أو نقتل عن آخرنا فقامَ الأصبغ وهو يقول:

معاوي لله من خلقه عباد قلوبهم قاسية
وقلبك من شر تلك القلوب وليس المطيعة كالعاصية
دعْ ابن خديج ودعْ حوشبا وذا كلاع وأقبلْ العافية

فصاح معاوية أجئت رسولاً أم منفراً؟ ثم سار الأصبغ نحو العراق وفي هذه السنة وهي سنة ست وثلاثين اتفق معاوية وعمرو بن العاص على قتال علي عليه السلام واصطلحا على ذلك قبل نزول علي عليه السلام على النخيلة في أيام وقعة الجمل بعد أن كان معاوية قد يئس من عمرو وعزم عمرو على المسير إلى البصرة إلى نصرة علي عليه السلام فأعطاه معاوية مصر طمعه فمال إليه.

وقال أهل السير: لما حضر عثمان خرج عمرو بن العاص إلى الشام فنزل فلسطين وكان يؤلب على عثمان لانحرافه عنه، فإنه لما ولي الخلافة لم يلتفت إلى عمرو ولا ولاه وعزله عن مصر فأقام بفلسطين حتى قتل عثمان.

---

(١) النُّخيلة: موضع قرب الكوفة على سَمْت الشام وهو الموضع الذي خرج إليه عليّ (ر)، لما بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله عليها وخطب خطبة مشهورة ذم فيها أهل الكوفة، (معجم البلدان ٥/ ٢٧٨).

فقيل لمعاوية: إنه لا يتم لك الأمر إلا بعمرو بن العاص فإنه دويهة العرب فكتب إليه يستدعيه إليه ويستعطفه ويعده المواعيد إن هو وافقه على قتال أمير المؤمنين ويذكر ما جرى على عثمان فكتب إليه عمرو، أما بعد فإني قرأت كتابك وفهمته فأما ما دعوتني إليه من خلع ربقةِ(١) الإسلام من عنقي والتهون معك في الضلالة وإعانتي إياك على الباطل واختراط السيف في وجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووليه ووصيه ووارثه وقاضي دينه ومنجز وعده وصهره على ابنته سيدة نساء العالمين وأبي السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وأما قولك: إنك خليفة عثمان فقد عزلت بموته وزالت خلافتك؛ وأما قولك إنَّ أميرُ المؤمنين أشلى الصحابة على قتل عثمان فهو كذب وزور وغواية، ويحك يا معاوية أما علمت أن أبا الحسن بذل نفسه لله تعالى وبات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وقال فيه: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فكتابك لا يخدع ذا عقل وذا دين والسلام.

فلما قرأ كتابه؛ قال له عتبة بن أبي سفيان لا تيأس منه فكتب إليه وأرغبه في الولاية وشركه معه في سلطانه وكان في أسفل كتابه!

جهلتُ وما تعلم محلكَ عندنا ... فأرسلتُ شيئاً من عتاب وما تدري
فثق بالذي عندي لك اليوم آنفاً ... من العز والإكرام والجاه والقدرِ
وأكتب عهداً ترتضيه مؤكداً ... وأشفعه بالبذل مني وبالبرِّ

فكتب إليه عمرو يقول:

أبى القلب مني أن يخادع بالمكر ... بقتل ابن عفان أجر إلى الكفرِ
وإني لعمري ذو دهاء وفطنة ... ولست أبيع الدين بالرشح والوفرِ
أليس صغيراً ملك مصر ببيعة ... هي العار في الدنيا على الآل من عمرو

وذكر سيف عن هشام بن محمد أنه كتب عمرو إلى معاوية:

معاوية لا أعطيك ديني ولم أنلْ ... به منك ديناً فانظرن كيف تصنع
فإن تعطني مصراً فاربح بصفقةٍ ... أخذتُ بها شيخاً يضر وينفع

فكتب إليه معاوية: قد أقطعتك مصراً طعمة وأشهد عليه شهوداً وبات عمر وطول ليلته متفكراً فدعا غلاماً له يقال له: وردان وهو الذي ينسب إليه مكان بمصر يقال له: سوق وردان فقال له: ما ترى يا وردان؟ فقال: إن مع علي آخرة ولا دنيا، وإنَّ مع معاوية دنيا ولا آخرة فالتي مع علي تبقى والتي مع معاوية تفنى فلما أصبح

---

(١) الرّبقة: العروة ذاتها. يقال: حلَّ ربقته أي: فرّج كربته (ج) رباقٌ وربَقٌ.

ركب فرسه ومعه عبد اللّه بن عمرو وهو يقول له: لا تذهب إلى معاوية لا تبع آخرتك بدنيا فانية وهو متحير فلم يزل حتى وصل إلى طريقين أحديهما تأخذ إلى المدينة والأخرى إلى دمشق فوقف عندهما ثم ضرب رأس فرسه نحو دمشق وقال معاوية: أرفق بنا من علي وأتى معاوية.

قال علماء السير: وسار علي عليه السلام في هذه السنة من النخيلة إلى الشام لخمس خلون من شوال واستخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاري فنزل على المدائن وولى على المدائن لما سار عنها سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد. ثم سار إلى الرقة فقال لأهلها: أجسروا لي جسراً حتى أعبر من هذا المكان إلى الشام فأبوا عليه وجمعوا السفن غربي الفرات فناداهم الأشتر: يا أهل الرقة أقسم بالله لئن لم تمدوا إلينا الجسر لأضعن فيكم السيفَ ولأقتلن رجالكم فخافوا فنصبوا الجسر وعبر الناس.

وفي رواية أن علياً عليه السلام لما وصل إلى الرقة ولم يجد عندها سفينة قال: يا أهل هذين الحصنين أين سفنكم؟ قالوا: راحتْ ترعى فسبهم ثم سارتْ المقدمة عليها الأشتر النخعي فلقيهم أبو أعور السلمي، واسمه عمرو بن سفيان في خيل أهل الشام فحملوا عليه فانهزم منهم وجاء معاوية فنزل مكاناً بصفين[1] وجاء علي عليه السلام فنزل مقابله، ولم يكن لأصحاب علي عليه السلام مشرعة ونزل معاوية وأصحابه على المشارع ومنعهم الماء فأرسل الأشتر إلى معاوية مع صعصعة بن صوحان وقال: خلوا بيننا وبين الماء فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ فقال الوليد بن عقبة: امنعوهم إياه كما منعوا عثمان أربعين صباحاً، فقال عبد اللّه بن سعد: امنعوهم إياه حتى يرجعوا عنا فيكون ذلك وهناً لهم منعهم الله إياه يوم القيامة فقال صعصعة بن صوحان: إنما يمنع الله يوم القيامة الفجرة الفسقة شراب الخمور مثلك ومثل هذا الفاسق، يعني الوليد بن عقبة فسبوه، فقال: لعنكم الله جميعاً ثم خرج من عندهم.

فقال له عمرو بن العاص: يا معاوية خل لهم الماء أفترى ابن أبي طالب يموت عطشاً ومعه أطراف الأسنة وأفاعي العراق وشيوخ المهاجرين والأنصار والله ليطيرن قحاف الرؤوس عن جماجمها قبل ذلك فارض بالموادعة أيها الرجل إلى انسلاخ المحرم ولا تعجل إلى الشر فإن مرتعه وخيم[2]، فأبى معاوية وقال: والله هذا أول الظفر لأسقى الله أبا سفيان بن حرب قطرة من حوض رسول الله صلى الله عليه وآله إن شربوا قطرة منه، فقال له فياض بن الحارث الأزدي: يا معاوية والله ما أنصفت القومَ

(١) صِفّينُ: موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، وكانت وقعة صفين بين عليّ (ر) ومعاوية في سنة ٣٧هـ، (معجم البلدان ٣/ ٤١٤).

(٢) المرتع: الموضع ترتع فيه الماشية. الوخيم: طعام وخيم: غير موافق لآكله.

لو كانوا من الروم لما جاز منعهم، فكيف وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله البدريون والمهاجرون والأنصار وفيهم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأخوه وصاحب سره وحبيبه وختنه، أفلا تتق الله يا معاوية إن هذا والله البغي والله لو سبقونا إلى الماء لما منعونا إياه، وكان هذا الرجل صديق عمرو بن العاص فقال معاوية: أكفني صديقك يا عمرو فقام فياض وهو يقول:

أتحمون الفرات على أناسٍ وفي أيديهم الأسل الظماء
وفي الأعناق أسيافُ حداد كأن القومَ عندكم نساءُ
ألا لله درك يا ابن هندٍ لقد ذهبَ الحياءُ فلا حياءُ
وقد ذهبَ العتابُ فلا عتاب وقد ذهبَ الولاء فلا ولاء
ولستُ بتابع دين ابن هند طوال الدهر ما أوفى حراء
وقولي في حوادث كل أمر على عمرو وصاحبه العفاء

ثم عطف دابته إلى عسكر علي عليه السلام. ولما منع معاوية وأصحابه علياً عليه السلام وأصحابه الماء، قال الأشتر: يا أمير المؤمنين أنموتُ عطشاً وسيوفنا على عواتقنا ورماحنا في أيدينا؟ وكان على المشارع أبو الأعور السلمي في عسكر أهل الشام فندب إليه علي عليه السلام الأشتر النخعي والأشعث بن قيس في اثني عشر ألفاً قصدوا أبا الأعور وحملوا عليه وضرب الأشتر على رأسه بالسيف فجرحه فانهزم هو وأصحابه وملك الأشتر الشرايع وهذا أول قتال وقع أيام صفين وذلك أول يوم من ذي الحجة، وبينه وبين وقعة الجمل سبعة أشهر وأيام وكان يسمى يوم الحمية لأن النساء قاتلن على الماء وفي يوم السادس من ذي الحجة برزَ عبيد اللّه بن عمر بن الخطاب إلى الأشتر فقال له: يا مسكين ما ألجأك إلى هذا هلا اعتزلت كما اعتزل أخوك؟ وسعد بن مالك قال: خفت القصاص يوم الهرمزان فقال: كنتُ أقمتُ بمكة فقال له: خل الخطاب والعتاب فحمل عليه الأشتر النخعي فهزم.

قال هشام بن محمد: ولما كان اليوم الثامن عشر من أيام صفين جمع معاوية أصحابه وقال: ما فينا إلا من قتل ابن أبي طالب أباه أو أخاه أو ولده، يا وليد قتلَ يومَ بدر أباكَ ويا أبا الأعور قتلَ عمكَ يوم أحد، ويا طلحة الطلحات قتل أخاك يوم الجمل، وقتل أخي يوم بدر فاجتمعوا عليه لندرك ثأرنا فضحك الوليد بن عقبة وقال:

فقلت له: أتلعب يا ابن هند كأنك بيننا رجل غريبُ
أتأمرنا بحية بطن واد إذا نهشت فليس لها طبيبُ
فسل عمرواً وسل عن خصيتيه نجا ولقلبه منها وجيبُ

كـأنَّ الـقـومَ لـمـا عـايـنـوه خـلال الـنـقـع لـيـس لـهـم قـلـوبُ
وقـد نـادى مـعـاويـة بـن حـرب فـأسـمـعـه ولـكـن مـا يـجـيـبُ

ثم التفتَ الوليد إلى عمرو بن العاص وقال: إن لم تصدقوني وإلا فسلوا وأراد تبكيت عمرو.

وقال هشام بن محمد: ومعنى هذا الكلام أن علياً عليه السلام خرج يوماً من أيام صفين فرأى عمرو بن العاص في جانب العسكر ولم يعرفه فطعنه فوقع فبدت عورته فاستقبل علياً عليه السلام فأعرض عنه ثم عرفه فقال: يا بن النابغة أنت طليق دبرك أيام عمرك وكان قد تكرر منه هذا الفعل.

وروى السدي عن أشياخه: أنَّ علياً عليه السلام قالَ في هذا اليوم لكميل بن زياد: أبرزْ إلى معاوية وقلْ له: دعوناك إلى الطاعة ولزوم الجماعة فأبيت وقد كثر القتل في هذه الأمة فابرز إلي حتى يتخلص الناس مما هم فيه.

فقال معاوية لأصحابه: ماذا ترون؟ فقالوا: لا تفعل إلا عمرو، فإنه قالَ له: أبرز له فقد أنصفك وإنما هو بشر مثلك، فقال له معاوية: ما هذه العداوة أتظنُّ أنني لو قتلتُ أكنتَ تنالُ الخلافةَ فقال له: دعاكَ رجل عظيم القدر كثيرُ الشرفِ فكنت في مبارزته في إحدى الحسنيين إن قتلته قتلتَ سيداً وإن قُتِلتَ جزيتَ خيراً فقال معاوية له: إن هذه لشديدة علي فقال عمرو: فإن كنت في شك من جهاده فتب وراجع، ثم قصد علي عليه السلام التل الذي عليه معاوية فخاف معاوية وقال لبسر بن أرطأة: أقسمتُ عليكَ إلا شغلته عني فبرز إليه فطعنه علي عليه السلام فوقع إلى الأرض فاستقبله بعورته فأعرضَ عنه أمير المؤمنين فقال الأشتر النخعي:

فـي كـلِّ يـومٍ رجـل شـيـخ شـاغـرة وعـورة تـحـت الـعـجـاج ظـاهـرة
أبـرزهـا طـعـنـة كـف واتـرة عـمـرو وبـسـر رمـيـا بـالـفـاقـرة[١]

ثم نادى علي عليه السلام: يا أهلَ الشامِ والله ما سمعنا بأمةٍ آمنتْ بنبي ثم قاتلت أهلَ بيته غيركم.

قال هشام بن محمد: وقد ذكره صاحب بيت مال العلوم، ولما عاد معاوية في آخرِ النهار، وجلسَ حوله أصحابه فنظر إلى عمرو فضحك فقال له عمرو: ما أضحككَ؟ فقالَ: ما قالَ الوليدُ عنكَ والعجبُ منكَ، كيف حضرَ ذهنك في ذاك الوقت فاستقبلت أبا تراب بعورتكَ فقال له عمرو: إن كان أضحكك شأني فمن شأنك فاضحك فوالله لو بدا له من صفحتك ما بدا من صفحتي لأوجعَ قذالك وأيتم عيالكَ وأبكأ أطفالك، ولكنك احترزت بهذه الرجال في أيهديها السمر العوالي ولقد أشرتُ

(١) الفاقرة: الداهية.

عليكَ اليومَ بمبارزته فاحولت عيناك، وأربد[١] شدقاكَ وبدا منكَ ما أكره أنا وغيري، فلو سترتَ نفسكَ لكانَ أصلحُ لكَ.

قال الواقدي: فاقتتلوا ذا الحجة كله ودخلت سنة سبع وثلاثين فجرت موادعة بين علي عليه السلام وبين معاوية على ترك الحرب طمعاً في الصلحِ وأقاموا شهر المحرم تردد الرسل بينهما فلم يجب معاوية، وعادتْ الحربُ واقتتلوا أوّل يومِ من صفر؛ فخطب علي عليه السلام الناس فقال: أيها الناس لا تبدؤوا القوم بقتالٍ حتى يبدؤكم به ولا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تهتكوا عورة ولا تمثلوا ولا تدخلوا رحالَ القومِ ولا تهيجوا امرأة ولا تسبوا أحداً.

ولما كانَ اليومُ الثالثُ من صفرٍ؛ خرجَ عمرو بن العاص في كتائب أهل الشام تحتَ راية له كانَ يقاتلُ تحتها في الجاهلية، فخرج إليه عمار وقال: يا أيها الناس أتريدون أَنْ تنظروا إلى عدو الله ورسوله ومن بغى على المسلمين وظاهر أعداء الدين فلما رأى الله تعالى قد أظهر دينه، وأعز رسوله دخلَ في الإسلامِ رهبةً غير رغبة ولما قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله ما زال معروفاً بعداوة المسلمين فقاتلوه فإنه ممن يجتهد في إطفاء نور الله ومظاهرة أعدائه، فهو هذا يشير إلى عمرو قاتلوه قتله الله ثم صاح به، ويحك يا عمرو هذه راية طالما قاتلت بها رسول الله صلى الله عليه وآله بعتَ آخرتكَ بمصر تباً لك فولى عمرو راجعاً، ولما كان في اليومِ الرابع خرجَ محمد ابن الحنفية في جيش وخرج إليه عبيد اللّه بن عمر بن الخطاب فتبَارزا.

قال هشام بن محمد: فلما رأى علي عليه السلام ذلك برز يطلبُ عبيد اللّه وصاح بمحمد: قفْ وقال لعبيد اللّه: يا فاسق أنا لك فولى هارباً وفي اليوم التاسع من صفر وهو يوم الخميس قُتِلَ عمارُ بن ياسر وكانَ يوماً مشهوراً وكانَ عمارُ على القراء.

ذكر مقتله

أخبرنا عبد الوهاب المقري قال: أنبأنا محمد بن عبد الباقي، أنبأنا أحمد بن أحمد الحداد، أنبأنا أبو نعيم الأصفهاني قال: أنبأنا سليمان بن أحمد، حدثنا الحسن ابن علي العمري، حدثنا محمد بن سليمان بن أبي رجاء، حدثنا أبو معشر، حدثنا أبو عمرو الصيمري عن أبي سنان الدؤلي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله قال: رأيتُ عماراً دعي بشراب فأتى بقدح من لبن فشربه ثم قال: الله أكبر صدق الله ورسوله قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن آخر رزقكَ أو زادكَ في الدنيا ضيحة لبن»؛ وقيلَ إنَّ الذي جاءه باللبن امرأة من نساء بني شيبان.

وقال ابن سعد في (الطبقات): كان عمارُ يحملُ ويقولُ والله لو ضربونا حتى

(١) اربَدَّ وجهه: تغيّر لونه من الغضب.

يبلغونا سعفات[١] هجر لعلمنا إننا على حق وهم على باطل ثم قال:

اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه

ثم حمل على عمرو بن العاص وقال: ويحك يا عمرو بعت دينك بمصر تباً لك طالما بغيت في الإسلام عوجاً، والله ما قصدك وقصد عدو الله ابن عدو الله بالتعلل بدم عثمان إلا الدنيا.

وقال ابن سعد: نظرَ عمارُ إلى عمرو بن العاص وبيده راية فناداه ويحكَ يا بن العاص هذه راية قد قاتلتَ بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات وهذه الرابعة وفي رواية فحملَ عمارُ وهو شيخ ويده ترتعش على الحربةِ من الكبر وهو يقولُ:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويلهِ
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهلُ الخليلُ عن خليلهِ
أو يرجعُ الحقُّ إلى سبيله يا رب إني مؤمن بقيلهِ

وحكى ابن سعد في (الطبقات): عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص أنه قال لأبيه: قتلتم عماراً وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له: «تقتلك الفئةُ الباغيةُ» فسمعَهُ معاوية فقالَ له: إنكَ شيخٌ أخرق[٢]، ما تزالُ تأتينا بهنة تدحضُ بها في بولك أنحن قتلناه إنما قتله الذي أخرجه.

وفي رواية: فبلغَ ذلك علياً عليه السلام فقال: ونحن قتلنا حمزة لأنا أخرجناه إلى أحد.

وذكر ابن سعد أيضاً: أنَّ ذا الكلاع لما بلغه هذا قال لعمرو: ونحنُ الفئةُ الباغيةُ وهمَّ بالرجوعِ إلى عسكر علي عليه السلام وكانَ تحتَ يده ستون ألفاً قتلَ ذو الكلاعِ فقال معاوية: لو بقي ذو الكلاع لأفسدَ علينا جندنا بميله إلى ابن أبي طالب.

قلتُ: وقد أخرج مسلم هذا الحديث عن أبي قتادة وأم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله فأما لفظ أبي قتادة فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمار حين جعل يحفر الخندق: «فطفقَ يمسح رأسه ويقولُ: بئس ابن سمية تقتلكَ فئة باغية»؛ والبؤس الفقر.

قال الزهري: وهذا على عادة العرب كقولهم: ثكلتكَ أُمكَ ولهذا وقعَ في بعض الروايات بؤساً لعمار.

وأما حديث أم سلمة: فبمعنى حديث أبي قتادة وقد وقع في بعض نسخ البخاري

---

(١) السّعفةُ: ورقة النّخل. هجر: مدينة وهي قاعدة البحرين، (معجم البلدان ٥/ ٣٩٣).
(٢) خَرِقَ خَرَقاً: حَمُقَ. فهو أخرق وهي خرقاء (ج) خُرْقٌ.

عن أبي سعيد الخدري قال: كنا نحمل في بناء مسجدِ رسول الله صلى الله عليه وآله لبنة لبنة وعمارُ يحملُ لبنتين لبنتين فرآه النبي صلى الله عليه وآله فجعلَ ينفضُ الترابَ عنه ويقولُ: «ويحَ عمار يدعوهم إلى النجاة ويدعونه إلى النار»[1] وعمارُ يقول: أعوذ بالله من الفتن.

قال أبو عبد اللّه الحميدي؛ لم يخرجْ البخاري لفظة تقتلكَ الفئة الباغية وإنما أخرجها مسلم واختلفوا في قاتله على أقوال أشهرها أبو غادية المزني، وقيل: أبو العادية العاملي ذكره الواقدي فيما حكاه عنه ابن سعد، وقتل في ذلك اليوم أيضاً هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فبكى علي عليهما وصلى عليهما وجعل عماراً مما يليه وهاشم بن عتبة مما يلي القبلة ولم يغسلهما.

وقال الواقدي: لما طعنَ أبو العادية عماراً بالرمحِ وسقطَ أكبَّ عليه آخر فاحتز رأسه ثم أقبلا إلى معاوية يختصمان فيه كل واحد منهما يقول: أنا قتلته، فقال لهما عمرو بن العاص: والله إن يختصمان إلا في النار، فقال معاوية: ما صنعت قوم بذلوا نفوسهم دوننا تقول لهم هذا، فقال عمرو: وهو والله كذلك وأنت تعلمه وإني والله وددتُ أني مت قبلَ هذا اليومِ بعشرين سنة.

وقال ابن سعد: قُتِلَ عمارُ وهو ابنُ سبع وسبعين سنة.

وقال ابن سعد: لما قُتِلَ عمارُ عَطِشَ قاتله فاستسقى ماء فأتي بقدحٍ من زجاج فامتنع من الشرب فيه وغير ابن سعد يقول: أتي بقدح من فضة فقالَ بعضُ أصحابه: انظروا إلى هذا الأحمق يمتنع مِنَ الشربِ في هذا الإناءِ وينسى أنه قتل عماراً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تقتلكَ الفئةُ الباغيةُ».

قال هشام بن محمد: ولما قُتِلَ عمار وهاشم قال علي عليه السلام لربيعة وهمدان: أنتم درعي ورمحي فانتدب له اثنا عشر ألفاً وحملَ القومُ فانتقضت صفوف معاوية وكان علي عليه السلام وقد أخرج في ذلك اليومِ لواءَ رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يخرجه قبل ذلك، فدفعه إلى قيس بن سعد بن عبادة فلما رآه المسلمونَ صرخوا وبكوا واجتمع تحته أهل بدر والأنصار والمهاجرون وقيسُ بن سعد يقول:

هذا اللواء الذي كنا نحف به ... دون النبي وجبريل لنا مدد
ما ضر من كانت الأنصار عيبته ... أن لا يكون له من غيرهم عضد

ثم اتصل القتال إلى الليل، وكانت ليلة الجمعة فاقتتلوا طول الليل وهي ليلة الهرير مثل ليلة القادسية[2]، وهي الثامنة والعشرون من صفر تطاعنوا بالرماح حتى

(١) أخرجه ابن حجر في (فتح الباري ٧/ ٩٢).
(٢) القادسية: بلدة في العراق بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وبينها وبين العُذيب أربعة أميال =

تقصفتْ وكلتْ السيوفُ ونفذَ النبلُ وخفيت الأصواتُ وغابتْ الأخبارُ عن علي ومعاوية والأمراء ولم يسمعْ إلا الهرير يهر بعضهم على بعضٍ وأصبحَ الناسُ والقتالُ بحاله وابن عباس في الميمنة والأشترُ في الميسرةَ وعلي عليه السلام في القلبِ فبعث إلى الأشتر تقدم وأمده بالرجالِ، فحمل حملة انتقضت صفوف معاوية وأيقن بالتلف والتفتَ إلى عمرو وقال: هل مِنْ حيلةٍ فهذا وقت نحبائك وهناتك؟ فقال: ارفع المصاحف على الرماحِ ونادِ بيننا وبينكم كتاب الله فما يزيدهم ذلك إلا فرقة ولا يزيدنا إلا اجتماعاً فرفعوها على الرماح وصاحوا بيننا وبينكم كتابُ الله ندعوكم إليه ليحكم بيننا فلما رأى أهل العراق ذلك قالوا: نجيب إلى كتاب الله وكانَ أشدُّ الناسِ على علي عليه السلام الأشعث بن قيس فصاحَ علي عليه السلام: أيها الناس امضوا على حالكم خدعكم والله ابن النابغة الداهية فناداه مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصن الطائي وجماعة من الذين خرجوا عليه وقاتلوه بالنهر كيف تقاتلهم وقد طلبوا الحكومة إلى كتاب الله، وإن أبيتَ دفعناك إليهم أو نفعل بك كما فعلنا بعثمان فابعث إلى الأشتر فليأتكَ فغضبَ علي عليه السلام وقال: يا عجباً أيطاعُ معاوية وأعصى أنا لله در ابن عباس إنه لينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق؟

وكان ابن عباس قد قاله في أول الأمر: ابعثني إلى معاوية والله لأفتلن له حبلاً لا ينقطع وسطه ولا ينتقض طرفاه فقال له علي عليه السلام والله لأعطين معاوية السيف حتى يغلبُ الحقّ على الباطلِ قال ابن عباس أو غير هذا؟ فقال كيف؟ فقال: إن معاوية يطاع ولا يعصى وعن قليل تعصى فلا تطاع فلما اختلفوا عليه قال: لله در ابن عباس.

قلتُ: والذي يدل على صحة ما ذكر ابن عباس من طاعة أهل الشام معاوية ما حكاه المسعودي في (مروج الذهب) قال: لقد بلغ من أهل الشام لمعاوية أنه صلى بهم عند مسيره إلى صفين الجمعة يوم الأربعاء وفي رواية: أنه صلى بهم الجمعة يوم السبت وقال كان لنا عذر.

ثم قالوا: أرسلْ إلى الأشتر فرده فأرسلَ إليه فقال: ليس هذا وقته قد تعجل الفتح فعاد فأرسل إليه يزيد بن هاني وقال: قلْ له إنَّ الفتنة قد تعجلت أو وقعت فقالَ: أرفعت المصاحف على الرماح قال: نعم. قال: لعنَ الله ابن النابغة العاهر إنها والله لمشورته ليوقعَ الخلاف بين الأمةِ فقال له: أدركْ أمير المؤمنين فإنه بين أعدائه لئلا يسلمونه أو يفعلون به كما فعلوا بعثمان فقد تهددوه بذلك فأقبلَ الأشتر إليهم وقال: يا أهلَ العراق يا أهلَ النفاق والشقاق اغتررتم بعد الفتح برفع المصاحف والله لقد رفعوها وتركوا ما فيها من أوامر من أنزلها ومن أنزلت عليه أمهلوني فواقاً أو حضر فرس، فقد

= دارت بقربها معركة فاصلة عام ١٦هـ انتصر فيها العرب بقيادة سعد بن أبي وقاص على الفُرس بقيادة رستم في أيام عمر بن الخطاب (ر)، (معجم البلدان ٤/ ٢٩١).

أنزلَ اللّهُ الفتح فقالوا: لا نمهلك نخاف أن ندخلَ معك في الإثم، فقال: يا أصحابَ الجباهِ السودِ كنا نظنكم فعلكم لوجه الله وزهداً في الدنيا لعنكم الله، وغضبَ عليكم والله ما فعلتموها إلا فراراً من الموت.

قضية التحكيم

ولما فعلَ معاوية ما فعلَ، فقال: نبعث نحنُ حكماً نرتضي به وابعثوا أنتم حكماً ترتضون به فاختار أهل الشام عمرو بن العاص، واختار أهل العراق أبا موسى الأشعري؛ فقال علي عليه السلام: لا أرضى به وهو عندي غير مأمون وقد هرب مني وخذل الناس عني ولكن هذا ابن عباس فقال الأشعث بن قيس ورؤساء الخوارج: ابن عباس منك وأنت منه وأبو موسى لم يزلْ معتزلاً لما نحن فيه وقد كان يحذرنا الفتنة، قال علي عليه السلام: فالأشتر فقال الأشعث بن قيس: وهل نحن إلا في حكم الأشتر وما حكمه؟ قال: أنْ يضربَ بعضنا بعضاً بالسيوفِ حتى يكونَ ما يريد فقال علي عليه السلام: فافعلوا ما تريدون فبعثوا إلى أبي موسى وكان معتزلاً للقتال بعرض فأخبروه فاسترجع ثم جاء فدخل العسكر فلما علم به الأحنف بن قيس جاء إلى علي عليه السلام فقال له: إنكَ قد رميت بحجر الأرض من حارب الله ورسوله عمرو بن العاص وهذا عبد اللّه بن قيس رجل كليل الحد لا آمن عليه مكر ابن العاص، ولو اخترتني لرأيت مني عجباً فقال: كيف كنتَ تصنع بابن النابغة؟ قال: كنت أدنو منه حتى أكاد أن أصير في يده ثم أبعد عنه فأصير كالنجم ولا يعقد عقدة إلا حللتها ولا يحل عقدة إلا أبرمتها، فقال: إنهم قد اختاروا أبا موسى من غير رضى مني، فقال الأحنف: فادقوا ظهر أبي موسى بالرجال.

قال هشام بن محمد: ثم اجتمعوا عند علي عليه السلام وكتبوا الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه أمير المؤمنين علي عليه السلام) فقال عمرو بن العاص اكتبوا اسمه واسم أبيه هو أميركم أما أميرنا نحن فلا فقال الأحنف: لا تمحوا اسم أمير المؤمنين فإني أتخوف إن محي لا يرجع إليه أبداً فقال الأشعث: أمحو هذا الاسم محاه الله فمحى فقال علي عليه السلام: الله أكبر إني لكاتب لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبية[1] حين قالوا: لست برسول الله فاكتب اسمك واسم أبيك فكتبه فقال عمر وسبحان الله ومثل هذا تشبهنا بالكفار؛ فقال له علي عليه السلام: يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين ولياً وللمسلمين عدواً هل تشبه إلا أمك التي دفعت بك فقام عمرو وقال: لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم. فقال علي عليه السلام:

(١) الحُديبية: قرية متوسطة، سميت ببئر قرب مكة عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، (معجم البلدان ٢/ ٢٢٩).

إن الله قد طهر مجلسي منك ومن أشباهك.

قال هشام: وكان نسخة الكتاب هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى علي على أهل الكوفة ومن معه من المسلمين والمؤمنين من شيعته وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه إنا ننزل على حكم الله وكتابه فلا يجمع بيننا غيره من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيا الله ونميت ما أمات الله فما وجد الحكمان في كتاب الله عملاً به وما لم يجدا فيه ولا في السنة العادلة لم يعملا به وعلى الحكمين أن يجتمعان في مكان عدل بين الشام والكوفة ولا يحضرهما إلا من أرادا وأخذا على علي ومعاوية المواثيق على ذلك وشهد جماعة من الأعيان فمن أصحاب علي عليه السلام الأشعث بن قيس الكندي، وعبد اللّه بن عباس وحجر بن عدي الكندي في آخرين وشهد من أصحاب معاوية أبو الأعور السلمي وحبيب بن مسلمة الفهري وعبد اللّه بن خالد بن الوليد في آخرين، وقالوا للأشتر: اكتب شهادتك فقال: لا تصحبني يميني ولا تنفعني بعدها شمالي أنْ خُطَّ لي في هذه الصحيفة اسم على صلح ولا موادعة أو لستُ على بينة من ربي على ضلال عدوي واتفقا على اللقاء بدومة الجندل[1] في شهر رمضان.

وقال هشام: ولما امتنع الأشتر أنْ يكتبَ في الصحيفة أخبر علي عليه السلام بذلك فقال: والله وأنا ما رضيت ولقد نهيتكم فعصيتموني فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

وهل أنا إلا من غزية إن غوتْ غويتُ وإن ترشد غزيةٌ أرشدِ

وقال الواقدي: وكانَ الكتابُ في آخر صفر والأجل إلى رمضان ثمانية أشهر إلى أن يلتقي الحكمان، ثم دَفنَ الناسُ قتلاهم ورحلَ الفريقانِ، فانصرف أمير المؤمنين إلى الكوفةِ وعادَ معاوية إلى الشام.

قال ابن عباس: انصرف معاوية إلى الشام بالألفةِ من أهل الشام وعاد علي عليه السلام بالاختلاف والفتن.

حديث الخوارج

قال هشام بن محمد: ولما دخلَ علي عليه السلام الكوفةَ انعزلتْ عنه الخوارج وكانوا اثني عشر ألفاً، وأتوا حروراء فنزلوا بها ـ وهي قرية بالعراق بأرضِ النهروان تمد وتقصر ـ نسبَ إليها الحرورية ونادى مناديهم: إنَّ أميرَ القتالِ شبث بن ربعي التميمي وأمير الصلاة عبد اللّه بن الكواء اليشكري، ونادوا لا حكم إلا لله فقال علي عليه السلام: كلمةُ حقٍّ أريدُ بها باطل فقال لعلي عبد اللّه بن عباس: لا تعجل إلى قتالهم

(١) دُومة الجندل: حصن وقرىً بين الشام والمدينة قرب جبلي طيّئ، (معجم البلدان ٢/ ٤٨٧).

حتى أخرج إليهم وأعودُ.

فمضى إليهم فقالوا: ما الذي جاء بك يا بن عباس؟ قال: جئتكم من عند المهاجرين والأنصار وابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وصهره والقرآن عليهم نزل وهم أعلم منكم بتأويله فما الذي نقمتم علينا؟ قالوا: ثلاث خصال أحدها أنكم حكمتم الرجال في دين الله، وقد قال الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧] والثانية أنه قاتلَ ولم يسبِ ولم يغنمْ فما الذي أباح دمائهم وحرم أموالهم، والثالثة أنه محي اسمه من إمرة المؤمنين وإذا لَمْ يكنْ أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

فقال ابن عباس: أنا أنقض قولكم من القرآن أما قولكم: إنه حكم في دين الله ألستم تعلمون أن الله حكم الرجال في قيمة أرنب ثمنه ربع درهم؟ فقال: يحكم به ذوي عدل منكم، وقال في المرأة وزوجها: ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥] فأي ما أفضل تحكيم الرجال في إصلاح ذات البين[1] وحقنِ دماءِ الأمة أو تحكيم الرجالِ في أرنب قيمته ربع درهم وبضع امرأة؟ قالوا: لا بل هذا؛ وأما قولكم: لم يسبْ ولم يغنمْ فإنْ قلتم إنَّ عائشةَ ليستْ بأمكم خرجتم من الإسلام وإن قلتم: هي أمنا فكيف تسبون أمكم وكذا الجواب في أهل صفين فإنما قوتلوا ليرجعوا إلى الحق لا لتحل أموالهم قالوا: صدقتَ، وأما قولكم: محي نفسه من إمرة المسلمين فقد فعلَ هذا رسول الله صلى الله عليه وآله في غزاة الحديبية فهل خرجَ بذلك من النبوة، قالوا: صدقتَ، فرجع منهم ألفان وخرج الباقون فقتلوا بالنهر ولما خرج علي عليه السلام لقتالهم وقف بإزائهم وقال: مَنْ زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء فقال علي فما الذي أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتكم يومَ صفين، فقالَ لهم: ناشدتكم بالله أما قلتُ لكم يوم رفعوا المصاحفَ: لا تخالفوني فيهم قلتم: نجيبهم إلى كتاب الله فقلتُ: إنما رفعوها مكيدة وخديعة، فقلتم: إنْ لم تجبْ إلى كتابِ الله قتلناكَ أو سلمناك إليهم، فلما أبيتم إلا الكتاب اشترطتُ على الحكمين أن يحكما بكتاب الله فإن حكماً بغير حكم الله والقرآن فنحن براء منهم، فقالوا: فكيف حكمت الرجال؟ فقال: والله ما حكمتُ مخلوقاً وإنما حكمتُ القرآن لأن القرآنَ إنما هو خط بين الدفتين لا ينطق وإنما ينطق به الرجال، فقالوا: صدقتَ وكفرنا لما فعلنا ذلك وقد تبنا منه إلى الله فتبْ كما تبنا نبايعك وإلا قاتلناكَ.

وقال السدي: لما وقف علي عليه السلام عليهم قال لهم: أيتها العصابة التي أخرجها المراء واللجاج عن الحقّ وطمحَ بها الهوى إلى الباطلِ، إني نذيرٌ لكم أنْ تصبحوا تلعنكم الأمة وأنتم صرعى بإفناء هذا النهرِ بغير بينة من ربكم، ولا برهان ألم

(١) ذاتُ البين: ما بين القوم من العداوة والبغضاء أو القرابة والصلة والمودة. يقال: (سعى فلان في إصلاح ذاتِ البين بين عشيرته)؛ أي: إصلاح ما بينهم من الفساد.

أنهكم عن الحكومةِ وأخبرتُكم أنها مكيدةٌ من قوم لا دينَ لهم ومتى فارقتموني سعيتم الحزم والآن فارجعوا فإن حَكَمَ الحكمانِ بكتابِ الله وإلا فنحنُ على الرأي الأول فقالوا: تب من الكفرِ كما تبنا فقال: ويحكم أبعدَ إيماني برسول الله وجهادي معه في سبيل الله وهجرتي أشهد على نفسي بالكفر لقد ضللتُ إذن وما أنا من المهتدين.

وقال هشام بن محمد: لما أراد علي عليه السلام أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه مِنَ الخوارج زرعة بن برح الطائي وحرقوص بن زهير السعدي فقالا: لا حَكَمَ إلا لله فقال علي عليه السلام لا حكم إلا لله فقال حرقوص تب من خطيئتك وارجع عن حكومتكَ وقمْ بنا إلى القومِ نقاتلهم، حتى نلقى ربنا، فقال علي عليه السلام: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني وقد كتبنا بيننا وبين القوم شروطاً وأعطيناهم عهوداً، فقال حرقوص، ذلك ذنب وينبغي أن تتوب منه فقال: ما هو ذنب وإنما هو عجز من الرأي وأنتم سببة، فقال له زرعة بن برح: أما والله لئن لم تدع تحكيم الرجال لأُقاتلنكَ، اطلبْ بذلك وجه الله ورضوانه، فقال له علي عليه السلام: بؤساً لكَ ما أشقاكَ كأني بك قتيلاً تسفي عليك الرياح فكان كما قال.

حديث انفصال الحكمين عن دومة الجندل

قال علماء السير: لما انتهى الأجل اجتمع عمرو بن العاص وأبو موسى بدومة الجندل وبعث علي عليه السلام شريح بن هاني في أربعمائة ومعهم ابن عباس وكان مع عمرو أربع مائة من وجوه أهل الشام وذلك بدومةِ الجندلِ، وقيل بأذرح[١] وحضر ذلك الجمعُ سعد بن أبي وقاص وعبد اللّه بن عمرو بن العاص وعبد اللّه بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي والمغيرة بن شعبة، وقيل: إنَّ سعداً لم يشهدهم وفي عبد اللّه بن عمرو خلاف تذكره في موضعه فيما بعد قال الواقدي: فلما اجتمعوا قال عمرو لأبي موسى: ألستَ تعلم أن عثمان قتل مظلوماً؟ قال: بلى قال: ألستَ تعلمْ أنَّ معاوية ولي ثأره والله تعالى يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء: ٣٣] فما يمنعك من معاوية وبيته في قريش كما قد علمت وهو كاتب رسول الله صلى الله عليه وآله وأخو أم حبيبة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله فإن اخترته أكرمكَ إكراماً لم يكرمك من هو غيره، فقال له أبو موسى: اتق الله يا عمرو فإنَّ هذا الأمر إنما هو بالدين ولو كان بالشرف لكان علي عليه السلام أولى به وكيف أولي معاوية وأدع المهاجرين والأنصار، وأما تعريضك بإكرامه إياي فوالله لو خرج من سلطانه ودفعه إليَّ ما وليتهُ وما كنتُ لأرتشي في دين الله وحكمه ولكن إن

(١) أَذْرُحُ: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة، ثم من نواحي البلقاء. وعمّان مجاورة لأرض الحجاز، (معجم البلدان ١/ ١٢٩).

شئتَ أحيينا اسم عمر بن الخطاب وكان في عزم أبي موسى تولية عبد اللّه بن عمر فقالَ له عمرو: إنْ كنتَ تريدُ الفضلَ والصلاحَ فما يمنعكَ من ابني وقد عرفت صلاحه وفضله، فقالَ: ابنكَ رجل صدق ولكنكَ قد غمسته معك في هذه الفتنة فقال عمرو: قد أردتك على أن تبايع معاوية فأبيتَ فهلم بنا نخلع علياً ومعاوية ونجعلَ الأمر شورى يختارُ المسلمونَ من شاؤوا، وقيل: إنَّ الذي ابتدأ بذلك أبو موسى فقالَ عمرو: نعم ما رأيت فأخبر الناس إنا قد اتفقنا على أمر فيه صلاح هذه الأمة، فقال عمرو: صدقَ ثم قال: يا أبا موسى قمْ فتكلمْ، فقال أبو موسى: قمْ أنتَ فقالَ: أنتَ صاحبُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله ولا يسعني الكلام قبلك، فقال له ابن عباس: ويحكَ يا عبد اللّه بن قيس والله إني لأظن ابن النابغة قد خدعكَ، وكان أبو موسى رجلاً مغفلاً، فقال: إنا قد اتفقنا وتقدم فقالَ: أيها الناس إنا نظرنا في هذا الأمر فلم نر أصلح للأمةِ من خلع علي ومعاوية، ونستقبلُ الأمةَ بهذا الأمرِ، فيولوا عليهم من أحبوا وإني قد خلعتهما، ثم تنحى، وقام عَمْرو فقال: إنَّ هذا قد خلع صاحبه كما قد سمعتم وقد خلعتهُ أيضاً وأثبتُ صاحبي معاوية؛ فقال له أبو موسى: مالك لأوفقكَ الله أو لعنكَ الله، غدرتَ وفجرتَ إنما مثلكَ كمثلِ الكلبِ إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فقال عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً، وحمل شريح بن هاني على عَمْرو فقنعهُ بالسوط، وكان شريح يقول بعد ذلك: ما ندمتُ على شيء كندامتي على أني لم أضربْ عَمرواً بالسيفِ وتفرقَ الناسُ.

وركبَ أبو موسى راحلتهُ ومضى إلى مكة؛ فقال ابن عباس قبحكَ الله يا بن قَيْس لقد حذرتكَ غدرةَ الفاسقِ الخبيثِ فأبيتَ، فقال أبو موسى: ظننتُ أنه ينصح الأمةَ وما ظننتُ أنه يبيعُ الآخرةَ بالدنيا، ثم عاد عَمْرو إلى دِمَشْق وسَلَّم على معاوية بالخلافةِ وهو أول يوم سلم عليه فيه بها.

ورجعَ ابن عباس وشريح بن هاني إلى علي عليه السلام، فأخبراه بما جرى، فكان إذا صلى الغداة قنتَ ولعنَ معاوية وعمرواً وأبا الأعور السُّلمي وحبيباً وعَبْد الرحمن بن خالد، والضَّحاك بن قيس والوليد بن عُقبة، فبلغ ذلك معاوية فكان إذا قنتَ لعنَ علياً عليه السلام والأشتر وابن عباس وشريح بن هاني والحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية عليهم السلام.

وزعم الواقدي: أنَّ التحكيم كانَ في سنة ثمان وثلاثين مِنَ الهجرةِ والأشهر أنَّه كانَ في سنةِ سبعٍ وثلاثينَ.

وقد روى البخاري عن ابن عمر: ما يدل على أنَّهُ كانَ حاضراً، فقال البخاري: دخلتُ على حفصة ونوساتها تنظف فقلتُ: قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يجعلْ لي من الأمر شيء؛ فقالتْ: الحق بهم فإنهم ينتظرون وأخشى أنْ تكونَ في احتباسكَ

عنهم فرقة فلم تدعه حتى ذهبَ فلما تفرقَ الناسُ، خطب معاوية فقال: من كانَ يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطع لنا قربه فلنحن أحق بهذا الأمر منه ومن أبيه؛ فقال حبيب بن مسلمة: هلا أجبتهُ، فقال عبد اللّه: فحللت حبوتي وهممت أن أقول أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيتُ أنْ أقولَ كلمة تفرق بين الجمع وتسفكُ الدم ويحمل عني غير ذاك، فذكرتِ ما أعد الله في الجنان فقالَ له حبيب: حفظتَ وعصمتَ وهذا يدل على أنَّ معاوية كان حاضراً ويحتمل أن معاوية قال هذا في مجلس آخر.

والنوسات: الحلي، ومعنى تنطف؛ أي تقطر، وكانت قد اغتسلت.

تمام حديث الخوارج

قال الشّعبي: ولما فصل الحكمان عن دومة الجندل عزم عليّ عليه السلام على قتالهم فقام خطيباً وقال: أيها الناس قد كنتُ أمرتكم بأمرٍ في هذه الحكومة فخالفتموني وعصيتموني ولعمري إنَّ المعصية تورثُ الندم، فكنتُ أناَ وأنتم كما قال أخو هوازن:

أمـرتـكُـم أمـري بـمـنـعـرجِ الـلّـوى فـلـم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغدِ

ألا إن هذين الحكمين قد نبذا كتاب الله وراء ظهورهما، فأماتا ما أحيا القرآن وأحييا ما أمات، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله، فحكما بغير بينة ولا سنة ماضية، وكلاهما لم يرشدا فبرئا من الله ورسوله وصالح المؤمنين فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير، وأصبحوا في مواقفكم.

وكانت الخوارج بالنهروان(١) فقال له ابن عباس: قد تجدد أمر، فاكتب إليهم قبل لقائك إياهم، فكتب إليهم يخبرهم بخبر الحكمين، فأقبلوا إلينا لنجاهد القومَ فإنا على الأمر الأول، فكتبوا إليه إنك لم تغضب لله تعالى، وإنما غضبت لنفسكَ، فإن شهدتَ على نفسك بالكفرِ وتبتَ نظرنا فيما بيننا وبينكَ، وإلا نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين.

فلما قرأ كتابهم يئس منهم، ثم سار إليهم فالتقوا على النهروان فقتل من قاتله منهم واستأصلهم وطلب ذا الثدية فنظر إلى منكبيه فإذا اللحم مجتمع على كتفيه كثدي المرأة عليه شعرات سود فقال علي عليه السلام: الله أكبر والله ما كذبت ولا كذبت.

أخبرنا أبو محمد البزاز؛ حدثنا عبد الوهاب الحافظ، أنبأنا محمد بن المظفر، أنبأنا العقيقي، حدثنا يوسف بن أحمد، حدثنا أحمد بن داود، عن عمارة بن مطروح،

(١) نَهْرَوان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدّها الأعلى متصل ببغداد وفيها عدة بلاد متوسطة، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ر) مع الخوارج مشهورة، (معجم البلدان ٥/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥).

أنبأنا إبراهيم بن الحسن العوفي، أنبأنا إسحاق بن عبد اللّه التميمي، أنبأنا محمد بن شهاب، عن سالم بن عبد اللّه عن قتادة قال: كنا مع أمير المؤمنين في قتال أهل النهروان وكنا ستين أو سبعين من الأنصار وكنتُ على الرجالة فلما رجعنا إلى المدينة دخلنا على عائشة فسألتنا عن مقدمنا فأخبرناها بقتل الخوارج فقالتْ: ما كانوا يقولون، قلنا: يسبون أمير المؤمنين وعثمان بن عفان وأنتِ ويكفرونكم فلم نزل نقاتلهم وعلي عليه السلام بين أيدينا وتحته بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله إذ وقفت على بعض القتلى، فقال علي عليه السلام: اقلبوهم فقلبناهم فإذا رجل أسود على كتفيه مثل حلمة الثدي فقال علي عليه السلام: الله أكبر والله ما كذبتُ ولا كذبت كنتُ مع رسول الله وهو يقسم غنايم حنين فجاءَ هذا فقال: يا محمد اعدل فوالله ما عدلتَ منذ اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثكلتك أمك ومَنْ يعدل إذا لم أعدل» فقال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «دعه فإن له من يقتله سيخرج من ضئضئي هذا أقوام يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[1] فقالتْ عائشة لقتادة: أنتَ أريتَ هذا؟ قال: نعم قالت: ما يمنعني ما كان بيني وبين علي بن أبي طالب أن أقولَ الحقَّ صدقَ علي، أنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أمتي فرقتين يمرق بينهما فرقة محلقة رؤوسهم محفوفة شواربهم أزرهم إلى إنصاف سوقهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يقتلهم أحب الخلق إلى الله ورسوله». قال أبو قتادة: قلتُ فقد علمتِ هذا فلم كانَ منكِ إليه ما كانَ فقالتْ: وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وقد ذكره أبو الفرج الأصبهاني؛ في كتاب (مرج البحرين) وقال فيه بعد قولها وكان أمر الله قدراً مقدوراً، يا أبا قتادة وللقدرِ سبب وهو أنَّ الناسَ خاضوا في حديث الإفكِ وكان عامةُ المهاجرينَ يولونَ لرسول الله صلى الله عليه وآله: أمسكْ عليكَ زوجكَ حتى يأتي أمر ربك وكان علي يقول: النساء كثير وما ضيق الله عليك وفي نساء قريش من هي أجل نسباً منها ومن أبيها وما ألومه فإنه كان كلما رأى قلق رسول الله صلى الله عليه وآله وحزنه وما يحصل له من كلام المنافقين يقول له ذلك فوجدت عليه وكان لي من رسول الله صلى الله عليه وآله حظ فخفت عليه فكان مني ما كان وأنا الآن فأستغفر الله مما فعلته.

قال الواقدي: وهذا الذي على كتفه مثل حلمة الثدي ذو الخويصرة ويسمى المجدح وإليه ينسب الخوارج وقد ولد منهم جماعة.

وقال ابن عباس: لما خرجنا إلى قتال الخوارج سمع علي عليه السلام رجلاً منهم يتهجد بالقرآن فقال نوم على يقين خير من صلاة في شك.

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ٣١٦١٥).

وقال الشعبي: لما فرغ أمير المؤمنين من الخوارج مرّ بهم وهم صرعى على النهر فقال: بؤساً لكم لقد ضركم من غركم قالوا: ومن غرهم؟ قال: الشيطان، ونفس أمارة بالسوء.

قال الواقدي: ووجد منهم أربعمائة رجل بهم رمق فأمر عشائرهم فحملوهم إلى الكوفة وقسم ما قاتلوا به المسلمين من سلاح ثم رد العبيد والأماء والمتاع إلى أهلهم واستأذنه عدي بن حاتم في دفن ابنه طرفة وكان قد خرج معهم فأذن له ثم ارتحل إلى النخيلة، فنزل بها ولم يقتلْ من أصحابه سوى سبعة ثم قال للناس: استعدوا للمسير إلى الشام لقتال المحلين، فأقاموا أياماً بالنخيلة ثم تسللوا فدخلوا ولم يبقَ معه من وجوه الناسِ إلا القليل فلما رأى ذلك عليه السلام دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه في المسير إلى صفين، فخطبَ وقال: أيها الناس ما بالكم إذا أمرتكم أن تنفروا إلى قتالِ أهلِ الضلالةِ أثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وبالذلِّ والهوانِ من العز، وكلما ناديتكم إلى الجهاد دارتْ أعينكم كأنكم من الموت في سكرة وكأن قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون وكأن أبصاركم في كمه فأنتم لا تبصرون والله ما أنتم إلا أسود شرى[1] في الدعة وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي ما أنتم بركب يصال به ولا زوافر يعتاص إليها.

قوله عليه السلام: مالوسة أي ما ذاقت الحرب واللوس الذوق وسجيس الليالي معناه أبداً وكذا معنى قولهم: لا آتيك سجيس عجيس، والزوافر الأنصار والعشائر ويعتاص أي يرجع.

وذكر جرير: أن الواقعة كانت بين علي عليه السلام وبين الخوارج سنة ثمان وثلاثين والأصح أنها في هذه السنة، وهي سنة سبع وثلاثين وكذا التحكيم.

ودخلتْ سنة ثمان وثلاثين، وفيها قتل محمد بن أبي بكر الصديق (رض) بمصر وكان والياً عليها من قبل علي عليه السلام وكان قد ولي علي عليه السلام قبله الأشتر النخعي فخرج حتى وصل إلى القلزم[2] فبعث معاوية إلى صاحب القلزم بأن يغتال الأشتر فلما نزل به قدمَ إليه شربةً من عسلٍ فشربها فمات فبلغ معاوية فقال لأصحابه: إن لله جنوداً من عسلٍ، ثم ولى عليه السلام محمد بن أبي بكر مصر فصار إليها فجهز إليه معاوية عمرو بن العاص في جيش كثير ومعهم معاوية بن خديج.

وذكر الواقدي: أنَّ علياً عليه السلام إنما ولى الأشتر بعد قتل محمد ولما التقوا ترجل محمد وقاتل فتفرق عنه أصحابه فأوى إلى خربة فأخذ وجيء به إلى معاوية بن خديج وهو صائم عطشان فمنعه الماء فقال: يا بن اليهودية النساجة قبحكَ اللّهُ فقتله

(١) الشَّرى: موضع تُنسب إليه الأسود. ويقال: هم أُسْدُ الشَّرى؛ أي: أشداء شجعان.

(٢) القُلْزُمُ: بلدة على ساحل بحر اليمن قرب أيلة والطور ومدين.

وألقاه في جيفةِ حمارٍ، ثم حرقه بالنارِ، فلما بلغ ذلك عائشة بكت بكاءً شديداً وكانت تدعو في صلاتها على معاوية وعمرو ولما بلغ أم حبيبة أخت معاوية بن أبي سفيان قتل محمد وتحريقه شوت كبشاً وبعثت به إلىٰ عائشة تشفياً بقتل محمد بطلب دم عثمان فقالت عائشة: قاتل الله ابنة العاهرة والله لا أكلت شواء أبداً.

وبلغ علياً عليه السلام قتل محمد، فبكى وتأسف عليه ولعن قاتله.

ودخلت سنة تسع وثلاثين، وفيها فرق معاوية جيوشه نحو العراق وسار بنفسه حتى بلغ دجلة ثم رجع.

ودخلت سنة أربعين، وفيها خرج عبد اللّه بن عباس من البصرة بمال كثير إلى مكة وقيل إنّه ما زالَ مقيماً بالبصرة إلى أن قتل علي عليه السلام وبعد مقتله حتى صالح الحسن عليه السلام معاوية فحينئذ خرج إلى مكة والأول أشهر لما يذكر بعد هذا والذي حضر صلح الحسن ومعاوية إنما هو عبيد اللّه بن عباس وفيها جرت موادعة ومهادنة بين علي عليه السلام ومعاوية بعد مخاطبات ومكاتبات يطول شرحها على وضع الحرب بينهما ويكون لعلي عليه السلام العراق ولمعاوية الشام وكان في كتاب معاوية إلى علي عليه السلام أما إذا أبيتَ فلكَ العراق ولي الشام وتكف عن هذه الأمة السيف وتحقن دمائها فأجابه علي عليه السلام إلى ذلك نظراً للمسلمين وقيل: إنما أجابه علي عليه السلام إلى ذلك لما رأى تقاعد أهل العراق عن نصرته.

وذكر هشام بن محمد: أن مما كتب معاوية إلى علي عليه السلام أما بعد: فإن أبي كان سيداً في الجاهلية وأنا ملك في الإسلام وصهر رسول الله صلى الله عليه وآله وخال المؤمنين وكاتب الوحي؛ فلما قرأ أمير المؤمنين كتابه قال أعليٌّ يفخرُ ابن آكلة الأكبادِ ثم أمر عبيد اللّه بن أبي رافع أنْ يكتبَ جوابه من إملائه فكتَب إليه:

محمد النبي أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحي ... يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي ... مسوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها ... فمن منكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طراً ... صغيراً ما بلغت أوان حلمي
فأوصاني النبي لدى اختيار ... رضي منه لامته بحكمي
وأوجب في الولاء معاً عليكم ... خليلي يوم دوح (غدير خم)
فويل ثم ويل ثم ويل ... لمن يرد القيامة وهو خصمي

فلما وقف معاوية على الكتاب قال: أخفوه لئلا يسمع أهل الشام.

وتكلم العلماء في معنى قوله عليه السلام: سبقتكم إلى الإسلام طراً فقال قوم:

أسلم وهو ابن سبع سنين وقيل: ابن ثمان وقيل: ابن عشر وقيل: ابن خمس عشر وبهذا يحتج أبو حنيفة على الشافعي في صحة إسلام الصبي العاقل إذا لم يبلغ.

وقال آخرون: لم يزلْ مع رسول الله صلى الله عليه وآله من زمن الطفولية يدين بما دان به رسول الله صلى الله عليه وآله والدليل عليه ما روى الترمذي في جامعه بإسناده إلى أنس بن مالك قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وصلى علي عليه السلام يوم الثلاثاء.

وقال أحمد في المسند: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا يحيى بن سلمة عن أبيه عن حبة العرني عن علي عليه السلام قال: أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتري. ولقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الناس (ابن) سبع سنين وأنا أول من صلى معه.

فإن قيل: فقد روي عن الأشرم أنه قال: سألت أبا عبد اللّه أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال: ضعيف وقد قال جدك أبو الفرج في الموضوعات: حيه ما يساوي حبة والجواب أنَّ أحمد أخرجه في المسند كما ذكرنا وكذا في الفضائل وإنما قال أحمد ما قال إن صح عنه فلان في طريق الفضائل عباد بن عبد اللّه الأسدي تكلموا فيه أما طريق المسند فلا وقوله: حيه لا يساوي حبة فليس بهذا السجع البارد يبطل فضائل أمير المؤمنين قلت: ومع هذا فلا يختلفون أن أول من أسلم من الصبيان علي عليه السلام.

وقال الزهري: إنما أراد بقوله سبقتكم إلى الإسلام طراً بتكبيت معاوية لأنه إنما أسلم هو وأبوه أبو سفيان يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة ولهذا كان يسمى الطليق ابن الطليق وكل من أسلم في هذا اليوم ولم يهاجر يسمى بهذا الاسم فأراد أن يبين حاله لأهل الشام وأنه لم يزل مع النبي صلى الله عليه وآله من أول عمره إلى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد شهد المشاهد كلها ومعاوية وأبوه لم يشهدا مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد سُئل جدي أبو الفرج رحمه الله فقيلَ له: أَشَهِدَ معاوية بدراً؟ فقال: نعم؛ ولكن من ذاك الجانب ـ يعني من جانب الكفار ـ.

الباب الخامس

في ذكر ورعه وزهادته وخوفه وعبادته عليه السلام

أخبرنا غير واحد، عن أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي قال: أنبأنا أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، أنبأنا أبو طاهر اليوسفي، أنبأنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد اللّه بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبي، حدثنا وهب بن إسماعيل، حدثنا محمد بن قيس عن أبي شهاب، قال: كان عمر بن عبد العزيز (رض) يقول ما علمنا أنَّ أحداً من هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أزهد من علي بن أبي طالب عليه السلام ما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة.

وبه قال عبد اللّه بن أحمد، حدثنا أبي، حدثنا وهب بن إسماعيل عن محمد بن قيس عن علي بن ربيعة الوالبي قال: جاء ابن التياح إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين امتلأَ بيتُ المالِ من صفراء وبيضاء؛ فقال علي عليه السلام الله أكبر ثم قام متوكئاً على يد ابن التياح فدخل بيت المال وهو يقول:

هذا جناي وخياره فيه ... وكل جان يده إلى فيه

ثم قال علي بأشياع الكوفة: فنودي في الناس فأعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول يا بيضاء يا صفراء غري غيري حتى لم يبقَ فيه درهم ولا دينار ثم أمر بنضحه فصلى فيه ركعتين.

وقال مجمع التميمي: هكذا كان يصنع كلما امتلأَ بيتُ المالِ.

وقال الزهري: إنما صلى فيه ركعتين لنشهد له يوم القيامة أنه لم يحبس ما فيه عن المسلمين، قال وربما كانت الغنم تبعر في بيت المال فيقسمه.

وأخبرنا أبو طاهر الخزيمي، أنبأنا المبارك عن عبد الجبار الصيرفي قال: أنبأنا أبو إسحاق البرمكي، حدثنا أبو بكر بن نجيب، حدثنا أبو جعفر بن علي، حدثنا هناد عن وكيع عن الأحنف بن قيس، قال: دخلت على معاوية فقدم إليَّ من الحلو والحامض ما كثر تعجبي منه ثم قال: قدموا ذاك اللون فقدموا لوناً ما أدري ما هو فقلتُ: ما هذا؟ فقال: مصارين البط محشوة بالمخ ودهن الفستق قد ذر عليه السكر قال: فبكيتُ فقالَ: ما يبكيك؟ فقلتُ: لله در ابن أبي طالب لقد جاد من نفسه بما لم

تسمح به أنتَ ولا غيرك فقال: وكيف؟ قلتُ: دخلتُ عليه ليلةً عند إفطاره فقال لي: قمْ فتعشَ مع الحسنَ والحسين ثم قام إلى الصلاة فلما فرغ دعى بجراب مختوم بخاتمه فأخرج منه شعيراً مطحوناً ثم ختمه، فقلتُ: يا أمير المؤمنين لم أعهدك بخيلاً فكيفَ ختمت على هذا الشعير فقال: لم أختمه بخلاً ولكن خفت أن يبسه[١] الحسن والحسين بسمن أو أهالة[٢] فقلتُ: أحرامٌ هو؟ قال: لا، ولكن على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم حالاً في الأكل واللباس، ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه ليراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه ويراهم الغني فيزداد شكراً وتواضعاً.

وقالَ الأحنف بن قيس: جاءَ الربيعُ بن زياد الحارثي إلى علي عليه السلام فقال: يا أميرَ المؤمنين اعد لي على أخي عاصم بن زياد فقال: ما باله، فقال: لبسَ العباء وتنسكَ وهجر أهله، فقال: علي به فجاء وقد ائتزر بعباءة وارتدى بأخرى أشعث أغبر فقال له: ويحكَ يا عاصم أما استحييت مِنْ أهلكَ، أما رحمتَ ولدكَ ألم تسمعْ إلى قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] أترى الله أباحها لكَ ولأمثالكَ وهو يكره أنْ تنالَ منها، أما سمعتَ قولَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ لنفسكَ عليكَ حقاً»[٣] الحديث، فقالَ عاصمٌ: فما بالكَ يا أميرَ المؤمنين في خشونة ملبسكَ وجشونة مطعمكَ وإنما تزينت بزيك، فقال: ويحك إن الله فرض على أئمة الحق أنْ يتصفوا بأوصافِ رعيتهم أو بأفقرِ رعيتهم لئلا يزدري الفقير بفقره وليحمد الله الغني على غناه.

وأخبرنا غير واحد، عن محمد أبي القاسم قال: أنبأنا أحمد بن أحمد أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد اللّه الحافظ، أنبأنا الحسن بن علي الوراق، حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا عمرو بن تميم، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، قال: سمعت عبد الملك بن عمر يقول: حدثني رجل من ثقيف قال: استعملني علي عليه السلام على عكبرا وقال لي: إذا كانَ الظهرُ فأتني، قال: فأتيته فلم أجد أحداً يحجبني عنه، ووجدته جالساً وحده وبين يديه قدح من خشب وكوز من ماء فدعى بحرابِ مختوم، فقلت: لقد ائتمنني حيث يخرج إلى جوهراً ولا أعلم ما قيمته فكسر الخاتم، فإذا فيه سويق[٤] فأخرجَ منه وصبَّ في القدحِ ماءً وذرَّهُ

(١) بَسَّ بَسّاً: اتَّخذ البسيسة (البسيسة: الدقيق يُلتُّ بزيتٍ أو سمنٍ أو نحوهما. ثم يؤكل غير مطبوخ).
(٢) الإهالةُ: الشَّحم أو ذائبَةُ أو الزيت. وكُلّ ما يؤتدم به.
(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٦/ ٢٦٨)، والحاكم في (المستدرك ٤/ ٦٠)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٤/ ١٥٢).
(٤) السَّويقُ: طعام يُتخذ من دقيق الحنطة أو الشعير (ج) أسوقة.

عليه ثم شَربَ وسقاني، فلم أصبرْ وقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد وسع الله عليكَ والطعام بالعراقِ كثير، فقال: والله ما ختمت عليه بخلاً وإنما أبتاع قدر كفايتي وأخاف أن يفني فيوضع فيه من غيره وإنما أفعل هذا لئلا يدخل بطني غير طيب.

وقال أحمد في الفضائل: حدثنا حسن الأشيب، أنبأنا ابن شعبة، حدثنا عبد اللّه ابن هبيرة عن عبد اللّه بن رزين قال: دخلتُ على علي عليه السلام يومَ أضحى فقربَ إلى خزيرة فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين قد أكثر الله الخير، فقال: يا بن رزين سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يحل للخليفة من مالِ اللّهِ إلا قصعتان قصعة يأكلها هو وأهله وعياله وقصعة يضعها بين يدي الناس»[1] والخزيرة أنْ يصبَّ في القدرِ ماء كثير ويقطعُ اللحمَ صغاراً فإذا نضجَ ذر عليه شيء من دقيق وكذا الخزير.

وأخبرنا عبد الملك بن مظفر بن غالب الجزي، أخبرنا محمد بن ناصر، أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، وعبد القادر بن محمد قالا: أنبأنا أبو إسحاق البرمكي، أنبأنا أبو بكر بن نجيب، حدثنا أبو جعفر بن علي، حدثنا هناد عن وكيع عن ابن ثعلبة عن سويد بن غفلة قال: دخلتُ على علي عليه السلام في هذا القصر يعني قصر الإمارة بالكوفة وبين يديه رغيف من شعير وقدح من لبن والرغيف يابس تارة يكسره بيده وتارة بركبتيه فشق عليّ ذلكَ فقلتُ لجاريةٍ لهُ: يقال لها فضة ألا ترحمين هذا الشيخ وتنخلين له هذا الشعير، أما ترين نشارته على وجهه وما يعاني منه؟ فقالتِ: لأي شيء يوجر[2] هو وأنا ثم نحن إنه عهد إلينا، أن لا ننخل له طعاماً قط فالتفتَ إليَّ وقالَ: ما تقولُ لها يا بن غفلة؟ فأخبرته وقلتُ: يا أميرَ المؤمنين ارفقْ بنفسكَ فقالَ لي: ويحكَ يا سويد ما شبعَ رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله من خبز بر ثلاثاً حتى لقي الله ولا نخل له طعام قط ولقد جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً فخرجت أطلب العمل فإذا بامرأة قد جمعت مدراً[3] تريد أن تبله فقاطعتها على دلو بتمرة فمددت ستة عشر دلواً حتى مجلت[4] يداي، وفي رواية فتحت ثم أخذت التمر وأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته فأكل منه.

وقد أخرجه أحمد، أيضاً في الفضائل فقال: أنبأنا علي بن حكيم الأزدي، حدثنا شريك عن موسى الطحان عن مجاهد عن علي عليه السلام وذكره، وأخرجه أحمد

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٧٨)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٥/ ٢٣١)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٤٣٤٩)، والشجري في (الأمالي ٢/ ٧١).

(٢) أوجر العليل: صبَّ الوجور في حلقه (الوجور: الدواء يُصبّ في الحلق).

(٣) المَدَرُ: قطع الطين اليابس المتماسك.

(٤) مَجَلَتْ يدُه: تقرَّحت من العمل، وتكوَّن بين الجلد واللحم فيها ماءٌ بإصابة نار، أو مشقة، أو معالجة الشيء الخشن.

أيضاً في المسند عن مجاهد عن علي عليه السلام.

وقال أبو نعيم في كتاب (الحلية)[١] وقد تقدم إسنادنا إليه آنفاً.

حدثنا أحمد بن جعفر، حدثنا أحمد بن الحسن الصوفي، حدثنا يحيى بن يوسف الزمي، حدثنا عباد بن العوام، عن هارون ابن عنترة عن أبيه قال: دخلتُ على علي عليه السلام وهو بالخورنق وهو يرعدُ في يوم بارد وعليه شملة[٢] فقلتُ: يا أمير المؤمنين إنَّ اللّهَ قد جعلَ لكَ ولأهلكَ نصيباً في هذا المالِ وأنتَ تصنعُ بنفسك ما تصنع فقالَ: والله ما أرزأكم في أموالكم أو ما لكم شيئاً، والله إنها لقطيفتي[٣] التي خرجتُ بها من المدينة.

وقال أحمد في الفضائل: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا بختيار بن رافع عن أبي المطرف قال: رأيت علي بن أبي طالب عليه السلام مؤتزراً بإزار مرتدياً برداء ومعه درة[٤] كأنه أعرابي يدور الأسواق، حتى بلغ سوق الكرابيس فوقف على شيخ فقال: يا شيخ أحسن بيعتي في قميص بثلاثة دراهم فعرفه الشيخ فقال: نعم فعلم أنه قد عرفه فتركه ومضى ولم يشتر منه شيئاً فأتى غلاماً حدثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ثم جاء أبو الغلام فأخبره وقال: اشترى مني رجلٌ قميصاً بثلاثة دراهم من صفته كذا وكذا فعرفه فاختار درهماً وجاء إليه فقالَ: يا أمير المؤمنين هذا الدرهم فاضل عن ثمن القميص فخذه فإنَّ ابني غلط إنما ثمنه درهمان فقال: يا شيخ اذهبْ بدرهمك فإنه باعني على رضائي وأخذتُ على رضاه.

وروى سفيان الثوري عن عمرو بن قيس الملائي قال: رأى على علي عليه السلام إزاراً مرقوع فعوتب في ذلك فقال: يخشع له القلب ويقتدي به المؤمن، قال سفيان: وكان يقطعُ الثوبَ إلى أطراف أصابعه يعني الكم؛ وقد أخرجه أحمد في المسند بمعناه.

فقال: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا محارب بن نافع عن أبي مطر أنّه رأى على

---

(١) حلية الأولياء في الحديث: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد اللّه الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠. مجلد ضخم. وهو كتاب حسن معتبر يتضمن أسامي جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الأعلام المحققين والمتصوفة والنساك وبعض أحاديثهم وكلامهم وصدر ذكر الخلفاء إلى تمام العشرة في الترتيب، ثم جعل من سواهم إرسالاً لئلا يستفاد منه تقديم فرد على فرد لكنه أطال فيه بالأسانيد وتكرير كثير من الحكايات وأمور أخر منافية لموضوعه، (كشف الظنون ٢/ ٦٨٩).

(٢) الشَّمْلَةُ: ثوبٌ يُشتمل به (ج) شِمالٌ.

(٣) القطيفةُ: كساءٌ له خَمْل أو نسيج من الحرير أو القطن صفيق أوبر، تتخذ منه ثياب وفُرُش (ج) قُطُفٌ وقطائفُ.

(٤) الدِّرَّةُ: السَّوطُ يُضرب به (ج) دِررٌ.

علي عليه السلام قميصاً بثلاثة دراهم، وفي رواية أنه اشترى قميصاً لبسه ففضل عن الرسغين والكعبين فقطعه وقال: «الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به بين الناس وأواري به عورتي»[1]، فقيل له: أهذا شيء ترويه عن نفسك أو عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن عمر بن سالم، حدثنا موسى بن عيسى، حدثنا أحمد بن محمد العمي، حدثنا بشر بن إبراهيم، حدثنا مالك بن معول وشريك، عن علي بن الأقمر عن أبيه رأيت علياً عليه السلام وهو يَبيع سيفاً له في السوق ويقول: من يشتري مني هذا السيف، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ولو كان عندي ثمن إزار لما بعته؟ أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حامد وعبد العزيز بن محمود البغداديان قالا: أخبرنا عبد الوهاب الحافظ، أنبأنا عاصم بن الحسن، أنبأنا علي بن محمد بن بسر، حدثنا ابن صفوان، حدثنا عبد اللّه بن محمد القرشي، حدثني القاسم بن هاشم، حدثنا عبد العزيز بن الخطاب، حدثنا الحسن بن علي النمري، عن عمرو بن يحيى عن أبيه قال: أهدي لعلي عليه السلام زقاق من عسل وسمن فرآها قد نقصت فسأل عنها فقيل له: بعثت أم كلثوم فأخذت منه فبعثَ إليها بعد أنْ قَوَّم العسلَ بخمسةِ دراهم فأخذها منها وقال: هذا للمسلمين.

وقال القرشي بهذا الإسناد: حدثني القاسم عن ابن الخطاب عن الحسن عن عمرو بن يحيى عن قنبر قال: جاء إلى بيت المال زقاق[2] من عسل فقال لي الحسن ابن علي عليه السلام: يا قنبر اذهب وائتني من الزقاق بمقدار نصيبي من بيت المال، فقد نزل بي ضيف وما عندي ما أطعمه، وإذا قسم أمير المؤمنين العسلِ فخذ بمقدار نصيبي ورده في بيت المال، فجاء قنبر إلى زق منها فأخذ منه مقدار رطل ثم جاء علي عليه السلام إلى الزق فرآه قد نقص فقال: يا قنبر يا ويحك ما هذا؟ فأخذ يتعلل عليه فقال: والله لتصدقني الحديث فصدقه فغضبَ غضباً شديداً وقال عليٌّ بالحسنِ فجاءَ فوقعَ على قدميهِ وقال له: بحق عمي جعفر ـ وكان إذا سئل بحقّ جعفر سكن غضبه ـ فقال له: ما حملكَ على أن تأخذ من عسلِ المسلمينَ قبل القسمة؟ فقال: أما لي فيه حق فقال: فكيف تنتفع به قبل المسلمين؟ أما والله لولا أني رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل ثناياكَ لأوجعتكَ ضرباً، قمْ فاشترِ عوضه وصبه في الزق ففعل فقسمه

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ١/ ١٥٨)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٥/ ١١٩)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٤٣٧٣)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٤١١٢٩، ٤١٨٣٧)، وابن كثير في (التفسير ٣/ ٣٩٦)، وفي (البداية والنهاية ٨/ ٤).

(٢) الزقاق: مفردها الزِّقّ: وعاء من جلد يُتخذ للماء أو الشراب.

بين المسلمين وبكى بكاءً شديداً ثم قال: اللهم اغفر للحسنِ فإنه لم يعلمْ ولقد كنا مع رسول الله نقتل إخواننا وآباءنا وأعمامنا وأهلنا ما نريد بذلك إلا وجه الله ولقد كانَ رجلٌ منا يختار الله ورسوله على نفسه، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبتَ والذلَّ وأنزلَ علينا النصر، حتى استقر الإسلام ملقياً جرانه[١] مبوءاً أوطانه والله لو أتينا اليوم ما تأتونَ ما قام للدينِ عمود ولا اخضرَّ للإيمان عود وأيم الله لنحلبنها دماً ولنأخذنها دماً.

وقال القرشي: حدثنا محمد بن عمران، أنبأنا إبراهيم بن سعيد عن ابن الخطاب عن العمري عن سويد بن غفلة قال: دخلت على علي عليه السلام يوماً وليس في داره سوى حصير رث وهو جالس عليه، فقلت: يا أمير المؤمنين أنتَ ملك المسلمين والحاكم عليهم وعلى بيت المال وتأتيك الوفود وليس في بيتك سوى هذا الحصير شيء؛ وقال: يا سويد إن اللبيب لا يتأثث في دار النقلة وأمامنا دار المقامة قد نقلنا إليها متاعنا ونحن منقلبون إليها عن قريب، قال: فأبكاني والله كلامه.

وقال أحمد في (الفضائل): حدثنا وكيع عن مسعر عن أبي بحر عن شيخ لهم قال: رأيتُ علياً عليه السلام وعليه إزار غليظ فقلتُ: ما هذا؟ قال: اشتريته بخمسة دراهم فمن أربحني فيه درهماً بعته إياه. وقال: كأن يأتزر بعباءته ويشد وسطه بعقال ويهنأ بعيره وهو يومئذ خليفة.

وذكر أحمد أيضاً في (الفضائل) بإسناده إلى ابن عباس قال: دخلتُ عليه يوماً وهو يخصفُ نعله فقلت له: ما قيمة هذا النعل حتى تخصفها؟ فقال: هي والله أحبُّ إليَّ من دنياكم أو أمرتكم هذه إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً ثم قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخصفُ نعله ويرقعُ ثوبه ويركبُ الحمارَ ويردفُ خلفه»[٢].

قال ابن عباس: أقامَ أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة مدة خمس سنين لم يأكلْ من طعامهم وما كان يأكل إلا من شيء يأتيه من المدينة، قال: وقدم إليه فالوذة[٣] فلم يأكله فقلت: أحرام هو قال: لا ولكنني أكره أن أعود نفسي ما لم تعتد وما أكلَ منهُ رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أنشدَ:

---

(١) الجِرانُ: باطن العنق أو مُقدَّمه من البعير ونحوه (ج) أجرنة، وجُرُنٌ. ومنه (ألقى جرانه)؛ أي: استقرّ واستقام، كما يفعل البعير حتى يستريح.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٦/ ١٦٧)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٥٨٢٢)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ٩٨، ١٤٧، ٤٩٤)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٦/ ٥١)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٣٥٤)، والبيهقي في (دلائل النبوة ١/ ٣٢٨)، وعبد الرزاق في (المصنف ٢٠٤٩٢).

(٣) الفالوذة: حلواء تُعمل من الدقيق والماء والعسل، وتُصنع الآن من النشا والماء والسكر.

جسمك بالحميةِ أقنيتهُ من ضررِ الباردِ والحارِ

ويروى: (أنضيتهُ: مخافة البارد والحار).

قد كان أولى بك أنْ تحتمي من المعاصي حذر النَّارِ

قال أحمد في (الفضائل): حدثنا محمد بن يحيى الأزدي، حدثنا الوليد بن قاسم، حدثنا مطر بن ثعلبة التميمي، حدثنا أبو النوار بايع الكرابيس قال: اشترى علي عليه السلام تمراً بدرهم فحمله في ملحفته فقال له رجل: أنا عنك أحمله فقال: لا أبو العيالِ أحق أنْ يحملَ حاجته، قال وهو يومئذ خليفة وكانَ يلبسُ الكرابيس السنبلانية وهي ثياب غلاظ يساوي الثوب درهمين أو ثلاثة دراهم وهو يقول: الحمد لله الذي كساني ما أتوارى به وأتجمل به بين خلقه.

وقال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، حدثنا الحسن بن جرموز المُرَادي عن أبيه قال: رأيت علياً عليه السلام يخرج من هذا القصر يعني قصر الكوفة وعليه إزار إلى أنصاف ساقيه ورداؤه مشمر قريباً منه، ومعه الدرة يمشي بها في الأسواقِ ويقول: يا قوم اتقوا الله؛ وفي رواية: يأمرهم بحسن البيع ويقول: أوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناسَ أشيائهم ولا تنفخوا اللحمَ، وفي رواية ويرشد الضالة ويعينُ الحمالَ على الحمولةِ ويقرأ ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٨٣] الآية ويقول: هذه الآية نزلت في الولاة وذوي القدرة من الناس.

وأخبرنا عبد الوهاب بن علي الصوفي، أنبأنا أبو الفضل بن ناصر، أنبأنا المُبارك بن عبد الجبار الصَّيرفي، أنبأنا أبو إسحاق البَرْمَكي، أنبأنا أبو بكر بن نجيب، أنبأنا أبو جعفر بن ذريح، أنبأنا هناد عن وكيع عن مطر بن ثعلبة عن أبي النّوار قال: رأيتُ علياً عليه السلام وقفَ على خياط فقال له: يا خياط صلب الخيط ودقق الدرز وقارب الغرز فإنه سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يؤتى يوم القيامة بالخياطِ الخائن وعليه قميص ورداء مما خاطه وخان فيه فيفتضح على رؤوس الأشهاد» ثم قال: «يا خياط إياكَ والفضلات والسقطات فإنَّ صاحبَ الثوبِ أحقُّ بها ممن يتخذ عنده يداً يطلب بها المجازاة في الدنيا».

وذكره الزَّمخشري في (ربيع الأبرار)[1]، وبه قال أبو النّوار: أتى علي عليه

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: في المحاضرات لأبي القاسم محمود بن عمر جار الله العلامة الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨. قال فيه: هذا كتاب قصدت فيه إجمام خواطر الناظرين في الكشاف عن حقائق التنزيل وترويح قلوبهم المتعبة بإحالة الفكر في استخراج ودايع علمه وخباياه.. إلخ. ورتبه بعضهم إلى اثنين وتسعين باباً، (كشف الظنون ٢/ ٨٣٢ ـ ٨٣٣).

السلام بأترجة[١] فأخذها الحُسين عليه السلام فنزعها من يده، وقسمها في الناس، وبه عن أبي أعور قال: عوتب علي عليه السلام على تقللهِ في الدُنيا وشدة عيشه، فبكى وقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبيتُ الليالي طاوياً وما شبع من طعام أبداً»[٢] ولقد رأى يوماً ستراً موشى على باب فاطمة (رض) فرجع ولم يدخل وقال: ما لي ولهذا غيبوه عن عيني ما لي وللدنيا وكانّ يجوعُ، فيشد الحجر على بطنه وكنت أشدهُ معه، فهل أكرمهُ الله بذلك أم أهانه؟ فإن قال قائل: أهانه كذبَ ومرق، وإنْ قال: أكرمهُ فيعلم أنَّ الله قد أهان غيره حيث بسط له الدنيا وزواها عن أقرب الناس إليه، وأعزهُم عليه حيث خرج منها خميصاً وورد الآخرة سليماً، لم يرفعْ حجراً على حجر، ولا لبنة على لبنةٍ ولقد سلكنا سبيله بعده والله لقد رقعتُ مدرعتي[٣] هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قيل لي: ألا تستبدل بها غيرها فقلتُ للقائل: ويحك أعزب (فعندَ الصباح يحمدُ القوم السرى).

وبه عن أبي النعمان قال: دخل عليه الأشعث بن قَيْس فرآه يُصلي فقال: أدؤب بالليلِ ودؤب بالنهارِ؟ فلما سلم من صلاته قال:

اصبر على مضضِ الأدلاج في السَّحرِ ... وللرواحِ كذي الحاجات في البكرِ[٤]
لا تعجزنّ ولا يضجرك مطلبها ... فإنما الهلكُ بين العجزِ والضجرِ
إني رأيتُ وفي الأيام تجربة ... للصبرِ عاقةٌ محمودةُ الأثرِ
وقلَّ منْ جدَّ في شيء يؤملهُ ... فاستشعرِ الصبرَ ألا فازَ بالظفرِ

وأخبرنا عبد الرحمن بن أبي حامد الحربي، أنبأنا عبد الوهاب الحافظ، أنبأنا عاصم عن الحسن، أنبأنا علي بن محمد بن بشر، أنبأنا ابن صفوان، حدثنا أبو بكر عبد اللّه بن محمد القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، حدثنا القاسم بن هاشم عن عبد العزيز بن الخطاب عن الحسن بن علي النمري، حدثنا عمرو بن يحيى عن أبي

---

(١) الأُتْرَجةُ: شجرة من الحمضيات والفصيلة البرتقالية وثمارها كبيرة القدّ، مستطيلة الشكل، ذهبية اللون ذكية الرائحة، وعصيرها حامض (ج) أترج. ويُعرف الأترج بليمون القدس «سنسكريتي».

(٢) أخرجه الترمذي في (السنن ٢٣٦٠)، وابن ماجة في (السنن ٣٣٤٧)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٢٥٥، ٣٧٤)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ١/ ٢/ ١١٣)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٢١)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٨٤١٦)، والشجري في (الأمالي ٢/ ٢٠٧)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٣/ ٢١٦)، والبغوي في (شرح السنة ٦/ ١٦٢)، والترمذي في (الشمائل ٨٧)، وأحمد بن حنبل في (الزهد ٣٠)، وصاحب (مناهل الصفا ٢٥)، (هامش المواهب ٨٣)، وابن القيسراني في (تذكرة الموضوعات ٥٥٣).

(٣) المِدْرعةُ: ثوب من الصوف.

(٤) الدَّلَجُ: الليل أو بعضه.

أراكه قال: جاء سائل إلى علي عليه السلام، فقال لبعض ولده: اذهبْ إلى أمك وقل لها هات ذاك الدرهم الذي عندك فمضى، ثم عادَ وقالَ قد قالت: خبأناه للدقيقِ فقال: اذهبْ وائتني به فذهب وعاد وهو معه ودفعه إلى السائل وقال: لا يصدق إيمان عبد حتى يكونَ بما في يد الله أوثق منه بما في يديه فبينا هو يتحدث إذ مر به رجل يبيع جملاً فاشتراه منه بمائة درهم ثم باعه بمأتين فدفع المائة إلى ولده وقال: اذهب بها إلى أمك وقل لها: هذا ما وعدنا الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله إخباراً عن ربه سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها.

قال أبو أراكه: وكان علي عليه السلام يمشي يوم العيد إلى المصلى ولا يركب.

وقال القرشي: أنبأنا القاسم عن ابن الخطاب عن النمري عن عمرو بن يحيى عن صعصعة بن صوحان أنه مر على المغيرة بن شعبة فقال له: من أين أقبلتَ؟ فقال: من عند الولي التقى الجواد الحي الحليم الوفي الكريم الحفي المانع بسيفه الجواد بكفه الوري زنده الكثير رفده الذي هو من ضنضىء أشراف أمجاد ليوث أنجاد ليسَ بأقعادِ ولا أنكاد ليس في أمره ولا في قوله فند، ليس بالطايش النزق، ولا بالرايث المذق، كريم الأبناء، شريف الآباء، حسن البلاء، ثاقب السناء مجرب مشهور وشجاع مذكور زاهد في الدنيا راغب في الأخرى، فقال المغيرة بن شعبة: هذه صفات أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وأخبرنا جديَ أبو الفرج رحمه الله قال: أنبأنا أبو بكر بن حبيب الصوفي قال: أنبأنا أبو سعد بن أبي صادق، أنبأنا عبد اللّه بن بالويه الشيرازي، حدثنا عبد اللّه بن فهد، حدثنا فهد بن إبراهيم السباحي، حدثنا زكريا بن دينار عن العباس بن بكار عن عبد الواحد بن عمرو والأسدي عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح قال: دخل ضرار بن ضمرة على معاوية فقال له: يا ضرار صف لي علياً فقال أوتعفني قال: لا، أعفيك قالها مراراً فقال ضرار: أما إذ لا بد فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة كثير الفكرة يقلب كفه، ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب، كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع قربه منا ودنوه إلينا لا نكلمه هيبة له ولا نبتديه لعظمه فإن تبسم فعل مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين، ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ليلة وقد أرخى الليل سجوفه(١)، وغارت

(١) أسجف الليل: أظلم.

نجومه، وقد مثل قائماً في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين وكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا غري غيري أبي تعرضت أم إلي تشوقت هيهات[1] هيهات قد أبنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. قال: فذرفت دموع معاوية على لحيته فلم يملك ردهاً وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية: رحم الله أبا حسن فقد كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ فقال: حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها.

(١) هيهاتِ وهيهاتَ: اسم فعل بمعنى بَعُدَ. نحو: هيهاتَ ما تريدُ، أو هيهاتَ لما تريد.

الباب السادس

في المختار من كلامه

كان علي عليه السلام ينطق بكلام قد حف بالعصمة؛ ويتكلم بميزان الحكمة؛ كلام ألقى الله عليه المهابة؛ فكل من طرق سمعه راعه فهابه، وقد جمع الله له بين الحلاوة والملاحة والطلاوة والفصاحة، لم يسقط منه كلمة ولا بارت له حجة؛ أعجز الناطقين وحاز قصب السبق في السابقين ألفاظ يشرقُ عليها نور النبوة ويحيرُ الأفهام والألباب، وقد اخترت منه ما أودعته في هذا الكتاب من فنون العلم والآداب فنبدأ بالخطب.

وقد أخبرنا السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسيني بإسناده إلى الشريف المرتضى قال: وقع إلى من خطب أمير المؤمنين عليه السلام أربعمائة خطبة وكتابنا هذا يضيق عن حصرها فنشرفه بما اتصل إلينا إسناده من نظمها ونثرها:

خطبة تعرف بالمنبرية

قرأت على أبي حفص عمر بن معمر الدارقطني قال: أنبأنا أحمد بن محمد المذاري، أنبأنا الحسن بن أحمد البناء، أنبأنا علي بن محمد بن بشران، أنبأنا الحسين ابن صفوان، أنبأنا أبو بكر القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، حدثنا علي بن الحسين عبد الله، حدثنا عبد الله بن صالح العجلي، قال خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام يوماً على منبر الكوفة فقال: الحمد لله الذي أحمده وأؤمن به وأستعين به وأستهديه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

ثم قال: أيتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة الشاهدة أبدانهم الغائبة عقولهم، كم أدلكم على الحق وأنتم تنفرون نفور المعزى من وعوعة الأسدِ هيهات أن أطلع بكم سرار العدل أو أقيم اعوجاج الحق اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان مني منافسة في سلطان ولا التماس فضول الحطام ولكن لأرد المعالم من دينك، وأظهر الصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك، اللهم إنك تعلم أني أول من أناب وسمع فأجاب لم يسبقني إلا رسولك اللهم لا ينبغي أن يكون على الدماء والفروج والمغانم والأحكام ومعالم الحلال والحرام وإمامة

المسلمين وأمور المؤمنين البخيل لأن نهمته في جمع الأموال ولا الجاهل فيدلهم بجهله على الضلال ولا الجافي فينفرهم بجفائه، ولا الخايف فيتخذ قوماً دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ولا المعطل للسنن فيؤدي ذلك إلى الفجور، ولا الباغي فيدحض الحق ولا الفاسق فيشين الشرع.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما تقول في رجل ماتَ وتركَ امرأة وابنتين وأبوين؟ فقال: لكل واحد من الأبوين السدس وللابنتين الثلثان، قال: فالمرأة؟ قال: صار ثمنها تسعاً وهذا من أبلغ الأجوبة.

تفسير المسألة

اتفق كبار الصحابة على صحة العول؛ لم يخالف فيها إلا عبد اللّه بن عباس، والعول عبارة عن الرفع، قال في الصحاح العول الارتفاع، وقال أبو عبيدة هو مأخوذ من الميل لأن الفريضة متى عالت كان ميلاً في أهلها جميعاً فتنقصهم.

وقال ابن عباس بعدما توفي عمر بن الخطاب (رض) لا عول من شاء باهلته إنَّ الذي أحصى رمل عالج[1] عدداً كم يجعل في المال نصفاً نصفاً وثلثاً قيل له هلا قلت هذا في أيام عمر لأنه كان يقول بالعول في أيامه فقال: إن عمر كان رجلاً مهيباً فهبته، فعلى قول الفقهاء والصحابة والجمهور إذا ضاق المال عن سهام الورثة قسم على قدر سهامهم قياساً على الديون والوصايا إذا ضاقت التركة عن حملها وعلى قول ابن عباس يقدم جميع ذوي السهام على البنات والأخوات من الأب والأم ومن الأب ويجعل الفاضل عن سهامهم لهن، حتى لا يعول لأن الله لم يعبرْ بالنصف عن الثلث، ولا بالثلث عن الربع ولا بالسدس عن الثمن، ولا بالثلثين عن النصف لأن الله فرض ذلك، فنتبع ما فرضه وهي لغة العربِ أيضاً فأصل هذه المسألة على قول الجمهور من أربعة وعشرين للزوجة الثمن ثلاثة وللابنتين الثلثان ستة عشر وللأب السدس أربعة وللأم السدس أربعة، فيكون مجموع ذلك سبعة وعشرين، فيقسم التركة على سبعة وعشرين وإن كانَ أصلها من أربعة وعشرين إلا أنها زادت بثمنها وهو ثلاثة فدخل النقص على الكل على نسبة واحدة لما ضاق المال عن الوفاء بالمقدرات، فيكون للزوجة ثلاثة من سبعة وعشرين والثلاثة من سبعة وعشرين تسعها فهذا معنى قوله عليه السلام: صار ثمنها تسعاً لأن من كانَ يستحقُّ الثمنَ من أربعة وعشرين فهو يستحق القدر من سبعة وعشرين فيكون المجموع سبعة وعشرين.

وأما على قول ابن عباس فإنه يدخل النقص على الابنتين لا غير، فيكون للزوجة الثمن الكامل وهو ثلاثة من أربعة وعشرين وللأبوين لكل واحد منهما السدس كاملاً

(١) عالج: موضع في البادية فيه رمل.

فيبقى من الأربعة والعشرين ثلاثة عشر فيكون بين الابنتين.

وكان ابن عباس يقول: ليس على وجه الأرض أعلم بالفرائض من علي بن أبي طالب عليه السلام.

خطبة أخرى وتعرف بالبالغة وبه قال القرشي

حدثنا علي بن الحسين، حدثنا عبد اللّه بن صالح العجلي قال: أخبرني رجل من بني شيبان قال: شهدت علياً عليه السلام وقد خطب خطبة بليغة حمد الله فيها ثم صلى على رسوله محمد صلى الله عليه وآله ثم قال: أيها الناس إنَّ اللّهَ أرسلَ إليكم رسولاً ليزيح به علتكم ويوقظ به غفلتكم وإني أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيضلكم عن الحق، وأما طول الأمل فينسيكم الآخرة ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة وإن الآخرة قد أقبلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل واعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت، ومحاسبون على أعمالكم ومجزون بها، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فإنها دار بالبلاء محفوفة وبالعناء والغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال وهي بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها، ولا يسلم من شرها نزالها بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم في بلاء وغرور، العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم أهلها فيها أهداف أو أغراض مستهدفة وأسبابها مختلفة وكل فيها حتفه مقدور وحظه من نوايبها موفور، واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من زهرة الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد بطشاً وأعمر دياراً وأبعد آثاراً فأصبحتْ أجسادهم بالية، وديارهم خالية، وآثارهم عافية، فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق[١] الموسدة الصخور والأحجار في القبور التي خرب فناؤها وتهدم بناؤها فمحلها مقترب، وساكنها مغترب بين قوم مستوحشين متجاورين غير متزاورين لا يستأنسون بالعمران، ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنوا الدار وكيف يكون بينهم تواصل، وقد طحنتهم البلى وأظلتهم الجنادل والثرى فأصبحوا بعد الحياة أمواتاً، وبعد غضارة العيش[٢] رفاتاً قد فجع بهم الأحباب وأسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم أياب وتمنوا الرجوع فحيل بينهم وبين ما يشتهون.

كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ[٣] إلى يوم يبعثون وكأن قد صرتم إلى

(١) النّمارق: مفردها النُمرقُ: الوسادة الصغيرة. أو الوسادة الصغيرة يجعلها الراكب تحته على الرَّحْلُ.

(٢) الغَضَارةُ: غضارة العيش: السعةُ والنعمة والخِصب.

(٣) البَرْزخُ: ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى يوم البعث.

ما صاروا إليه وقدمتم على ما قدموا عليه فكيف بكم إذا تناهتْ الأمور وبعثِرَ ما في القبورِ وحصل ما في الصدورِ إنَّ ربهم بهم يومئذ لخبير، وكأني والله بكم وقد وقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لا شفاقها من سالف الذنوب وهبطت عنكم الحجب والأستار، وظهرت العيوب والأسرار وزال الشك والارتياب، هنالك تجزى كل نفسٍ بما كسبت إن الله سريع الحساب جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لسنة رسولِهِ حتى يحلنا دار المقامة من فضلهِ إنه حميد مجيد برحمته وكرمه.

وقد أخرج أبو نعيم في كتاب (الحلية) طرفاً من أول هذه الخطبة.

خطبة أخرى وتعرف بالشقشقية

ذكر بعضها صاحب نهج البلاغة[1] وأخل بالبعض؛ وقد أتيتُ بها مستوفاة:

أخبرنا بها شيخنا أبو القاسم النفيس الأنباري بإسناده عن ابن عباس قال: لما بويعَ أمير المؤمنين بالخلافةِ ناداه رجل من الصف وهو على المنبر، ما الذي أبطأ بك إلى الآن؟ فقال: بديهاً والله لقد تقمصها فلان وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقاً إلى الطير ولكني سدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً[2]، وطفقت أمثل بين أن أصول بيد جذاء ماضية أو أصبر على ظلمة طخياء[3] يوضع منها الكبير ويدب فيها الصغير، وفي رواية طفقت أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن، حتى يلقى ربه فرأيت الصبر أجدر فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا إلى أن حضرت الأول الوفاة.

وفي رواية فصبرت إلى أن مضى الأول لسبيله فأولى بها إلى فلان بعده. وفي رواية فأدلى بها إلى الثاني فيا لله العجب بينا هو يستقيلها في حال حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته فعقدها في ناحية خشناء يصعب مسها ويغلظ كلمها ويكثر فيها العثار، ويقيل منها الاعتذار فمني الناس بمن عقدها له حتى مضى لسبيله.

وفي رواية: بينا هو يقتال منها في حياته إذ عقدها لآخر بعد مماته لشد ما تشطر أضرعها في حوزة خشناء، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم.

---

(١) «نهج البلاغة»: اختلف الناس فيه هل هو للشريف أبي القاسم علي بن طاهر المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ جمعه من كلام عليّ بن أبي طالب (ر) أم جمعه أخوه الشريف الرضي البغدادي، (كشف الظنون ٢/ ١٩٩١).

(٢) الكَشْحُ: ما بين الخاصرة والضلوع (ج) كشوح. يقال: طوى كشحه على الأمر: أضمره وستره.

(٣) الطَّخياء: الليلة المظلمة.

وفي رواية فمني الناس بخبطٍ وشماس وتكور واعتراص فصبرت حتى إذا مضى لسبيله جعلها شورى بين ستة زعم أني أحدهم فيا لله للشورى فيم ومم وبم ولم يعرضْ عني ولكني أسففت معهم حين أسفوا وطرت معهم حيث طاروا وصبرتُ لطولِ المحنةِ وانقضاءِ المدة إلى أن قام الثالث.

وفي رواية: فيا لله والشورى متى اعترض الريب في حتى صرت أقرن إلى هذه النظاير فصغي رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن إلى أن قام الثالث نافجاً حضينه بين نثيله ومعتلفه وبنو أمية يخضمون مال الله خضم الإبل نبت الربيع حتى إذا أجهزَ عليه عمله وأسلمه إلى الهلاك أجله، وكبت به مطيته فما راعني إلا والناس إرسالاً إليَّ كعرفِ الفرسِ يسألوني البيعة وانثالوا عليَّ انثيالاً حتى لقد وطئ الحسنان وهما عطفاي.

وفي رواية: وهما وشق عطفاي وهم مجتمعون حولي كربيضة الغنم فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة وفسقت شرذمة ومرقت أخرى، وقسط قوم كأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكن راقتهم دنياهم وأعجبهم رونقها، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا ما أخذ الله على الأولياء لألقيت حبلها على غاربها، وأسقيت آخرها بكأس أولها وأنشد:

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

وفي رواية: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة(١) ظالم ولا سغب(٢). مظلوم لألقيت حبلها. وفي رواية: ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز؛ ثم ناوله كتاباً فنظر فيه وقطع الكلام. فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين لو أخذت فيما أفضت فيه فقال: كلا تلك شقشقة هدرت ثم قرت فلهذا سميت: الشقشقية.

تفسير غريبها

الشقشقية: بكسر الشين، كالرية يخرجها البعير من فيه إذا هاج وهدر فإذا قيلَ للخطيب ذو شقشقة، فإنما يشبه بالفحل.

وذكر الجوهري: في (الصحاح) في القطب ثلاث لغات ضم القاف وفتحها وكسرها؛ وفلان قطب بني فلان أي سيدهم الذي يدورُ عليه أمرهم ويقالُ لصاحب الجيش قطب رحى الحرب.

---

(١) الكِظَّةُ: البطِنةُ، وهي ما يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام (ج) أكظّةٌ.

(٢) السَّغَبُ: الجوع أو الجوع مع التعب.

وقوله عليه السلام: ينحدرُ عني السيل ولا يرقى إليَّ الطير يشير إلى منزلته ومكانته وشرفه وشجاعته وهيبته، فإذا مر به السيل هابه واندفع عنه، وإذا رآه الطير وهو في ذروة شاهق لم يتجاسر أن يصعد إليه، والكشح بإسكان الشين المعجمة ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف؛ والخلف بتسكين اللام أقصر الأضلاع، وطوى فلان كشحه على الأمر إذا قطعه، وطويتُ كشحي على الأمر إذا أضمرتهُ وسترته وطفقت أي جعلت أفعل لذا يقال: طفق يفعل كذا أي جعل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢، طه: ١٢١] والطخياء الداهية من الطخى وقوله يوضع فيها الكبير لشدتها والجداء القاطعة. والطخياء الليلة المظلمة، والكدح: العمل والسعي. والقذاء في العين والشراب ما يسقط فيه. والشجاما ينشب في الحلق من عظم وغيره. وأدلى بها أي دفعها، ومني أي ابتلي. وقوله لشد ما تشطر أضرعها، الشد العدو وتشاطراتنا صفاً والشطر للنصف، والحوزة الناحية والصعبة نقيضة الذلول، وقوله إن أشنق لها خرم وأنْ إسلس لها تقحم معناه إذا شدد عليها في جذب زمامها وهي تنازعه خرم أنفها، وإن أرخى لها مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها.

وذكر في (الصحاح): أشنق بعيره بالأنف لغة في شنقه؛ وكذا ذكر ابن السكيت في إصلاح المنطق، والخبط أن يمشي الإنسان ولا يتوقى شيئاً والشماس المنع ومنه فرس شموس، والعامة تقول: شموص بالصاد وهو خطأ والاعتراص بالصاد المهملة الدوام على الشيء، والريب الشك. والشورى ما يجري فيها المشاورة. وصغى مال، والضغن الحقد، والهن الشيء، والهنات الخصلات القبيحة والحضن ما بين الإبط إلى أكشح، وقيل: هو ما دون ذلك وحضنا الشيء جانباه. والنثيل الروث. والمعتلف ما يعلف، والخضم الأكل بجيع الفم، وانثالوا انصبوا والعطف الجانب. وربضة الغنم دايرتها. والكظة الممارسة في الحرب. والعفطة حبقة العنز. والإرسال الجماعات والغارب ما بين السنام والعنق ومنه قولهم: حبلك على غاربك أي اذهبي حيث شئت. وأصله أن الناقة إذا رعت وعليها الخطام ألقي على غاربها لأنها كلما رأت الخطام لم يهنئها شيء.

خطبة في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله

أخبرنا عبد اللّه بن أبي المجد الحربي، أنبأنا عبد الوهاب ابن المبارك، أنبأنا أبو الفتح أحمد الحداد، أنبأنا أبو بكر بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن منحويه، أنبأنا محمد بن أحمد بن إسحاق، أنبأنا عبد اللّه بن سليمان بن الأشعث، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عباد بن الحبيب بن المهلب بن أبي صفرة، عن مجالد عن سعيد بن عمير قال: خطب أمير المؤمنين يوماً فقال: الحمد لله داحي المدحوات وداعم المسموكات وجابل القلوب على فطرتِها شقيها وسعيدها وغويها ورشيدها؛

اللهم واجعل شرايف صلواتك ونوامي بركاتك على سيدنا محمد عبدك ورسولك وحبيبك الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق، المعلن بالحق الناطق، بالصدقِ الدافع جيشات الأباطيل والدامغ هيشات الأضاليل، فاضطلع قائماً بأمرك مستوفراً في مرضاتك غير ناكل في قدم ولا واه في عزم مراعياً لعهدك محافظاً لودك حتى أورى قبس القابس وأضاء الطريق للخابط، وهدى به الناس بعد خوض الفتن والآثام والخبط في عشو الظلام وأنارت نيرات الأحكام بارتفاع الأعلام، فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون، وشهيدك يومَ الدينِ وحجتك على العالمين، وبعيثك بالحق ورسولك إلى الخلق؛ اللهم فافسح له مفسحاً في ظلك وأجزه بمضاعفات الخير من فضلك، اللهم اجمعْ بيننا وبينه في بردِ العيش وقرارِ النعمةِ ومنتهى الرغبة ومستقر اللذة ومنتهى الطمأنينة وإرجاء الدعة وإفناء الكرامة.

القدم: بتسكين الدال التقدم. والجيشات من جاشت القدر، تجيش إذا غلت. والهيشات: الجماعات، وهاشوا: إذا تحركوا.

خطبة خطب بها عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله

وبه قال مجالد: حدثني عكرمة عن ابن عباس قال: لما دُفنَ رسول الله صلى الله عليه وآله جاءَ العباسُ وأبو سفيان بن حرب وجماعة من بني هاشم إلى علي عليه السلام فقالوا: مد يدك نبايعك وحرضوه فامتنع، وقال له العباس: أنت والله بعد أيام عبد العصا فخطب وقال: أيها الناس شقوا أمواج الفتن بِسفنِ النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة فقد أفلح من نهضَ بجناحٍ واستسلم فارتاح ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها أجدر بالعاقل من لقمة تخشى بزنبورٍ ومن شربة يلذ بها شاربها مع ترك النظر في عواقب الأمور فإن أقلْ تقولوا: احرص على الملك وإن أسكتْ يقولوا: جزع من الموت هيهات هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه ومن الرجل بأخيه وعمه.

وفي رواية: لقد اندمجت على علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيد، وذكر كلاماً كثيراً. اللتيا والتي: بفتح اللام والتشديد تصغير التي. قال الراجز: بعد اللتياء والتي. والآجن: المتغير؛ والأرشية: جمع رشاء بالمد وهو الحبل. والطوى: البئر المطوية.

خطبة في مدح النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام

أخبرنا أبو طاهر الخزيمي، أنبأنا أبو عبد اللّه الحسين بن علي، أنبأنا عبد اللّه ابن عطاء الهروي، أنبأنا عبد الرحمن بن عبيد الثقفي، أنبأنا الحسين بن محمد الدينوري، أنبأنا عبد اللّه بن إبراهيم الجرجاني، أنبأنا محمد بن علي بن الحسين

العلوي، أنبأنا أحمد بن عبد اللّه الهاشمي، حدثنا الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام قال: خطب أبي أمير المؤمنين يوماً بجامع الكوفة خطبة بليغة في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: بعد حمد الله لما أراد الله أن ينشئ المخلوقات ويبدع الموجودات أقام الخلايق في صورة قبل دحو الأرض ورفع السماوات، ثم أفاض نوراً من نور عزه فلمع قبساً من ضيائه وسطع ثم اجتمع في تلكَ الصورةِ وفيها هيئة نبينا صلى الله عليه وآله فقال له: تعالى أنت المختار وعندك مستودع الأنوار وأنت المصطفى المنتخب الرضاء المنتجب المرتضى من أجلك أضع البطحاء وأرفع السماء وأجري الماء وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار وأنصب أهل بيتك علماً للهداية وأودع أسرارهم من سري بحيث لا يشكل عليهم دقيق ولا يغيب عنهم خفي وأجعلهم حجتي على بريتي والمنبهين على قدري والمطلعين على أسرار خزائني ثم أخذ الحق سبحانه عليهم الشهادة بالربوبية والإقرار بالوحدانية وأن الإمامة فيهم والنور معهم، ثم إن الله أخفى الخليفة في غيبه وغيبها في مكنون علمه ونصب العوالم وموج الماء وأثار الزبد وأهاج الدخان فطفا عرشه على الماء؛ ثم أنشأ الملائكة من أنوار ابتدعها وأنواع اخترعها ثم خلق الله الأرض وما فيها ثم قرن بتوحيده نبوة نبيه محمد وصفيه فشهدت السماوات والأرض والملائكة والعرش والكرسي والشمس والقمر والنجوم وما في الأرض له بالنبوة.

فلما خلق آدم أبانَ للملائكة فضله وأراهم ما خصه به من سابق العلم فجعله محراباً وقبلةً لهم فسجدوا له وعرفوا حقه، ثم بين لآدم حقيقة ذلك النور ومكنون ذلك السر فلما حانتْ أيامه أودعه شيئاً ولم يزلْ ينتقل من الأصلاب الفاخرة إلى الأرحام الطاهرة إلى أن وصل إلى عبد المطلب ثم إلى عبد اللّه ثم إلى نبيه صلى الله عليه وآله، فدعا الناسَ ظاهراً وباطناً، وندبهم سراً وعلانية واستدعى الفهوم إلى القيام بحقوق ذلك السر اللطيف، وندبَ العقولَ إلى الإجابة لذلك المعنى المودع في الذر قبل النسل فمن وافقه قبس من لمحات ذلك النور واهتدى إلى السر وانتهى إلى العهد المودع في باطنِ الأمرِ وغامضِ العلم ومن غمرته الغفلة وشغلته المحنة استحق البعد ثم لم يزل ذلك النور ينتقل فينا ويتشعشع في غرايزنا فنحن أنوار السماوات والأرض وسفن النجاة، وفينا مكنون العلم وإلينا مصير الأمور، وبمهدينا تقطع الحجج فهو خاتم الأئمة ومنقذ الأمة ومنتهى النور، وغامض السر فليهّن من استمسك بعروتنا وحشر على محبتنا.

ومن خطبه عليه السلام عقيب قتل عثمان

أخبرنا غير واحد: عن عبد الوهاب بن المبارك الحافظ الأنماطي، أنبأنا أبو

الفتح أحمد بن محمد الحداد، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن إبراهيم بن فنجويه، أنبأنا محمد بن أحمد بن إسحاق، أنبأنا عبد اللّٰه بن سليمان بن الأشعث، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، عن مجالد عن سعيد بن عمير قال: خطب أمير المؤمنين يوماً بعدما قتل عثمان فقال بعد حمد الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله[1]: «أيها الناس تدرون ما مثلي ومثلكم ومثل عثمان كمثل ثلاثة أثوار كنَّ في أجمةِ ثورٍ أبيض وثور أسود وثور أحمر ومعهم أسد وكان الأسد لا يقدر عليهم لاجتماعهم عليه واتفاقهم» فقال الأسد للثور الأسود والأحمر: إنه لا يدل الناس علينا إلا الثور الأبيض فإنه مشهور بالبياض فلو تركتماني آكله فتصفوا الأجمة لنا ونعيشُ فيها فقالا له: افعل فأكله ثم لبث مدة وقال للثور الأحمر: إنه لا يدل علينا الناس إلا الثور الأسود بسواد لونه فإن لوني ولونك لا يختلفان ولا يشبهان فإنْ تركتني آكله فتصفو الأجمة لي ولك فقال: افعل فأكله ثم لبث مدةً وقال للثور الأحمر: إني آكلكَ فقال: دعني أنادي ثلاثة أصواتٍ فقال: ناد، فصاح ألا إني أكلت يوم أكل الثور الأبيض قالها ثلاثاً، ثم قال علي عليه السلام: ألا إني وهنت يوم قتل عثمان قالها ثلاثاً.

فصل

ومن كلامه عليه السلام في المواعظ والدقايق

قال أبو نعيم الأصفهاني في كتاب (الحلية): وقد تقدم إسناده حدثنا عمر بن محمد، حدثنا الحسين بن محمد بن عفير، حدثنا الحسن بن علي، حدثنا خلف بن تميم، عن عمر بن الرحال عن العلاء بن المسيب عن عبد خير قال: قال لي عليه السلام ليس الخير أنْ يكثرَ مالك وولدك ولكنَّ الخيرَ أنْ يكثرَ عملك ويعظمُ حلمك فلا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين رجلٍ أذنب ذنوباً، فهو يتدارك ذلك بتوبة، ورجل يسارع في الخيرات ولا يقل عملاً في تقوى فكيف يقل ما يتقبل.

وقال أبو نعيم: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، قال: كتب إلي أحمد بن إبراهيم بن هشام الدمشقي، حدثنا ابن صفوان عن القاسم بن يزيد بن عوانة عن ابن حرب، عن ابن عجلان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جَده قال: شيع أمير المؤمنين جنازة فلما وضعت في لحدها عج أهلها وبكوا فقال: مم تبكون أما والله لو عاينوا ما عاين لأذهلهم ذلك عن البكاء عليه أما والله أن له إليهم لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحد.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٥/ ٣٤٨).

ثم قام فيهم فقال: أوصيكم بتقوى الله عباد الله الذي ضرب لكم الأمثال ووقت الآجال وجعل لكم أسماعاً تعي ما عناها وأفئدة تفهم ما دهاها إنَّ اللَّهَ لم يخلقكم عبثاً، ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً بل أكرمكم بالنعم السوابغ والآلاء السوابغ فاتقوا الله عباد الله، وحثوا في الطلب وبادروا بالعمل قبل الندم قبل هادم اللذات ومفرق الجماعات فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا يؤمن فجايعها غرور حايل، وعناد مايل، ونعيم زايل وجيد عاطل فاتعظوا عباد الله بالعبر وازدجروا بالنذر فكأن قد علقتكم مخاليب المنية وأحاطت بكم البلية ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخ الصور وبعثرة القبور، وسياق الحشر والموقف للحساب في النشور، وبرز الخلايق للمبدأ المعيد وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد، ونوقش على القليل والكثير والفتيل والنقير(١) وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب فارتجت لذلك اليوم البلاد وخشع العباد ونادى المنادي من مكان قريب، وحشرت الوحوش وزوجت النفوس وبرزت الجحيم قد تأجج جحيمها وغلا حميمها فاتقوا الله عباد الله بقية مِنْ وجلٍ وحذرٍ وأبصر وازدجر فاحتث طلباً ونجا هرباً وقدم للمعاد واستظهر من الزادِ وكفى بالله منتقماً، وبالكتاب خصيماً، وبالجنة ثواباً ونعيماً، وفي رواية وكفى بالجنة ثواباً وبالنار وبالاً وعقاباً واستغفر الله لي ولكم.

قلت: وقعت إلينا ألفاظ من هذا الكتاب حذفنا إسنادها طلباً للاختصار الذي هو فصل الخطاب.

فمنها قوله عليه السلام: الدنيا دار ممر والأخرى دار مقر، فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا لستاركم عند من يعلم أسراركم واخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم إن الجنازة إذا حملت قال الناس ما تركَ وقالت الملائكة: ما قدمَ فقدموا بعضاً يكن لكم، ولا تؤخروا كلاً يكن عليكم.

وقال عليه السلام: إذا رأيتم الله تعالى يتابع نعمه عليكم وأنتم تعصوه فاحذروه.

وقال عليه السلام: من كفارة الذنوب العظام إغاثة الملهوف، والتنفس عن المكروب.

وقال عليه السلام: إذا كنت في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى.

وقال عليه السلام: ومن أطال الأمل أساء العمل، وسيئة تسؤك خير من حسنة تسرك وتعجبك.

وقال عليه السلام: الدهر يخلق الأبدان ويجدد الآمال، ويقرب المنية ويباعد الأمنية من ظفر به تعب ومن فاته نصب.

(١) الفتيل: الخيط الذي في شقّ نواة التمر.
النَّقير: النقطة في ظهر النواة كالثقبة فيها، ويُضرب بها المثل في القلة.

وقال عليه السلام: عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار.

وقال عليه السلام: كان في الأرض أمانان فرفع أحدهما وهو رسول الله صلى الله عليه وآله فتمسكوا بالآخر وهو الاستغفار قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] الآية.

وقال عليه السلام: من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ.

وقال عليه السلام: كم من مستدرج بالإحسان إليه ومغرور بالستر عليه ومفتون بحسن القول فيه وشتان بين عملين، عمل تذهب لذته وتبقة تبعته وعمل يذهب مؤنته ويبقى أجره.

وقال عليه السلام: استنزلوا الرزق بالصدقة فمن أيقن بالخلف جاد بالعطا.

وقال عليه السلام: من أعطى أربعاً لم يحرمْ أربعاً من أعطى الدعاء لم يحرمْ الإجابة، ومن أعطى التوبة لم يحرم القبول، ومن أعطى الاستغفار لم يحرمْ المغفرة ومن أعطى الشكر لم يحرمْ الزيادة قال: ومصداق ذلك في كتاب الله قال الله تعالى في الدعاء: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وقال في التوبة: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧] الآية. وقال في الاستغفار: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١١٠] الآية. وقال في الشكر: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال عليه السلام: الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معاني أولها: الندم على الفعل، والثاني: العزم على الترك وأن لا يعود. والثالث: تأدية الحقوق ليلقى الله تعالى وليس عليه تبعة. والرابع: أن يعهد إلى كل فريضة فيؤدي حقها والخامس أن يذيب اللحم الذي نبت من السحت[1] بالهموم والأحزان حتى يكتسى لحماً آخر من الحلال، والسادس أن يذيق جسمه ألم الطاعة كما أذاقه لذة المعصية.

وقال عليه السلام: لا تكن ممن يريد الآخرة بعمل الدنيا أو بغير عمل ويؤخر التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين إن أعطى منها القليل لم يشبع وإنْ ملكَ الكثير لم يقنعْ يأمر ولا يأتمر وينهى ولا ينتهي يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم ويبغض العاصين وهو أحدهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الله منه تعجبه نفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلى إن أصابه بلاءٌ دعى مضطراً، وإن ناله رخاءٌ اعترض مغتراً تغلبه نفسه على ما يظن ولا

(١) السُحْت والسُحُتُ: الحرام، وما خبث من المكاسب كالرشوة ونحوها (ج) أسحات.

يغلبها على ما يستيقن، إنْ استغنى بطرَ وإنْ افتقرَ قنطَ يقدمُ المعصية ويسوفُ بالتوبةِ، يصفُ العبرَ ولا يعتبر ويبالغُ في الموعظةِ ولا يتعظ، فهو من القول مكثر ومِنع العملِ مقل ينافسُ فيما يفنى ويسامحُ فيما يبقى يرى الغنم مغرماً والغرم مغنماً يخشى الموتَ ولا يبادر الفوت، يستعظمُ من معاصي غيره ما يستقله من معاصي نفسه، ويستكثرُ من طاعته ما يحتقره من طاعةِ غيره، فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء، يرشدُ غيره ويغوي نفسه أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم.

وقال عليه السلام: من أصبح على الدنيا حريصاً أصبح لقضاءِ اللّهِ ساخطاً ومن أصبحَ يشكو مصيبةً نزلتْ به إلى مخلوق مثله فإنما يشكو ربه، ومن أتى غنياً يتواضع لأجلِ دنياه ذهبَ ثلثا دينه قالوا ومعناه أن المرء إنسان بجسده وقلبه ولسانه والتواضع يحتاج فيه إلى استعمالِ الجسدِ واللسانِ فإنْ أضافَ إلى ذلك القلبُ ذهبَ جميعُ دينه.

وقال عليه السلام: إنْ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وإنْ قوماً عبدوه رهبةً فتلكَ عبادةُ العبيدِ وإنْ قوماً عبدوه شكراً فتلكَ عبادةُ الأحرار.

وقال عليه السلام: احذروا نفاذ النعم فما كل شارد بمردود.

وقال عليه السلام: أفضل الأعمال ما أكرهتَ عليه نفسك.

وقال عليه السلام: لو لم يتواعد الله عباده على معصية لكان الواجب أنْ لا يعصى شكراً لنعمه، ومن ها هنا أخذَ القايل وقيل: إنهما لأمير المؤمنين:

هب البعث لم تأتنا رسله وجاحمة النار لم تضرمِ[1]
أليس من الواجب المستحق حياء العباد من المنعمِ

وقال عليه السلام: ما أكثر العبر وما أقل المعتبر.

وقال عليه السلام: أقل ما يلزمكم لله أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه.

وقال عليه السلام: المدة وإن طالت قصيرة والماضي للمقيم عبرة والميت للحي عظة وليس لأمس عودة ولا أنت من غد على ثقة، وكل لكل مفارق وبه لاحق فاستعدوا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم واصبروا على عملٍ لا غناء لكم عن ثوابهِ وارجعوا عن عملٍ لا صبر لكم على عقابهِ فإنَّ الصبرَ على الطاعةِ أهونُ من الصبر على العذابِ، وإنما أنتم في نفسٍ معدودٍ وأملٍ ممدودٍ وأجلٍ محدودٍ ولا بدَّ للأجلِ أنْ يتناهى وللنفسِ أنْ يحصى وللأملِ أنْ يطوى، وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون.

وقال عليه السلام: اتقوا معاصي الله في الخلواتِ فإنَّ الشاهدَ هو الحاكم.

(١) الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال.

وقال عليه السلام: كم من مؤمل ما لا يبلغه وبان ما لا يسكنه مما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه أصابه حراماً، واحتمل منه آثاماً، ورب مستقبل يوماً ليس بمستدبره ومغبوط في أول يومه قامت بواكيه في آخره، ومن ها هنا أخذَ القايل:

يا راقد الليل مسروراً بأوله ... إنَّ الحوادثَ قد يطرقنَ إسحارا
أفنى القرون التي كانت مسلطة ... مِن الحوادثِ إقبالاً وإدبارا
يا من يكابد دنيا لا بقاء لها ... يمسي ويصبحُ تحتَ الأرضِ سيارا
كم قد أبادتْ صروفُ الدهرِ مَنْ ملكٍ ... قد كانَ في الأرضِ نفاعاً وضرارا

وقال عليه السلام: الزهد كله في كلمتين من القرآن قال الله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] فمن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فهو الزاهد.

وقال عليه السلام: أفضل الزهد إخفاؤه.

وقال عليه السلام: احذروا من الله ما حذركم من نفسه، واخشوه خشية يظهر أثرها عليكم واعملوا بغير رياء ولا سمعة، فإن من عمل لغير الله وكَّلهُ الله إلى من عمل له.

وقال عليه السلام: يوشك أنْ يفقدَ الناس ثلاثاً: درهماً حلالاً، ولساناً صادقاً، وأخاً يستراح إليه.

وقال عليه السلام: استعدوا للموت فقد أظلكم غمامه وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا وانتهوا فما بينكم وبين الجنةِ والنارِ سوى الموت وإنَّ غايةَ ينفقها اللحظة وتهدمها الساعة لجدير بقصرِ المدةِ وأنَّ غائباً يحدوه الجديدان لحري بسرعة الأوبة فرحم الله عبداً سَمِعَ حكمة فوعى ودعى إلى الإخلاص، أو إلى خلاص نفسه فدنى واستقام على الطريقة فنجا وأحبَّ ربه وخافَ ذنبه وقدَّمَ صالحاً وعملَ خالصاً واكتسبَ مذخوراً واجتنبَ محذوراً، رمى غرضاً وأحرز عوضاً كابدَ هواه وكذبَ مناه وجعل الصبرَ مطية نجاته، والتقوى غدة عند وفاته ركب الطريق الغراء ولزم المحجة البيضاء اغتنم المهل وبادر الأجلَ وتزود من العملِ.

وقال عليه السلام: في صفة الدنيا دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن سعى إليها فاتته ومن قعد عنها أتته، ومن أبصر بها بصرته ومن أبصر إليها عمته.

وقال عليه السلام: من لم ينفعه اليسير لم ينفعه الكثير.

وقال عليه السلام: عليك بمداراة الناس وإكرام العلماء والصفح عن زلات الإخوان، فقد أدبك سيد الأولين والآخرين بقوله صلى الله عليه وآله: «اعفِ عمن

ظلمك وصل من قطعك؛ واعط من حرمك»(١).

وقال عليه السلام، وقد مر على المقابر: السلام عليكم يا أهل القبور أنتم لنا سلف ونحن لكم خلف وإنا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون أما المساكن فسكنت وأما الأزواج فنحكت وأما الأموال فقسمت هذا خبر ما عندنا فليت شعري ما خبر ما عندكم ثم قال: أما أنهم لو نطقوا لقالوا: وجدنا التقوى خير زاد.

وقال كميل بن زياد: سمع أمير المؤمنين عليه السلام منشداً ينشد أبيات لأسود ابن يعفر:

ماذا أؤملُ بعدَ آل محرق تركوا منازلهم وبعد أياد

فقال: هلا قال ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٢٥] الآية.

وقال عليه السلام: العجب ممن يدعو ويستبطئ الإجابة وقد سد طريقها بالمعاصي.

وقال عليه السلام: في صفة التائبين غرسوا أشجار ذنوبهم نصب عيونهم وقلوبهم وسقوها بمياه الندم فأثمرت لهم السلامة وأعقبتهم الرضا والكرامة.

فصل

ومن كلامه عليه السلام في صفة الصحابة والأولياء

قال القرشي بالإسناد المتقدم، حدثنا علي بن الجعد، أنبأنا عمرو بن شمر عن السدي عن أبي أراكة قال: صليت مع علي عليه السلام صلاة الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه ثم مكث كان عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قدر رمح أو رمحين قلب يده وقال: لقد رأيتُ أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما أرى اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصبحون اليوم شعثاً غبراً صفراً بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم ريح عاصف وهملت عيونهم حتى تبل ثيابهم والله لكأن القوم باتوا غافلين، ثم نهض فما رأى مفتراً حتى ضربه اللعين ابن ملجم.

وقال أبو نعيم في كتاب (الحلية): وقد تقدم إسناده حدثنا عبد اللّه بن محمد، حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا عباد عن ابن فضيل عن الحسن البصري قال: قال علي عليه السلام: طوبى لمن عرف الناس ولم يعرفه الناس أولئك مصابيح الدجى وأئمة الهدى بهم يكشف الله عن هذهِ الأمةِ كل فتنة أو مظلمة أولئك سيدخلهم الله في رحمة

(١) أخرجه ابن ماجة في (السنن ٢٦٩١)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٣/ ٣٠٨) وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٦١، ٧/ ٤٠).

منه وفضل ليسوا بالمذاييع البذر ولا الجفاة المرائين، المذياع الذي لا يكتم السر.

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: قال أمير المؤمنين يوماً وقد وصف المؤمن فقال: حزنه في قلبه وبشره في وجهه أوسع الناس صدراً وأرفعهم قدراً يكره الرفعة ولا يحب السمعة طويل غمه بعيد همه كثير صمته مشغول بما ينفعه شكور صبور قلبه بذكر الله معمور سهل الخليقة لين العريكة.

وفي رواية: «لسان المؤمن من وراء قلبه وقلب المنافق من وراء لسانه»[١] لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه فإن كان خيراً أبداه وإن كان شراً واراه؛ والمنافق يتكلم بما جاء على لسانه لا يدري ماذا له ولا ماذا عليه.

وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه فمن استطاع منكم أن يلقى الله وهو تقي اللسان من أعراض المسلمين نظيف اليد من أموالهم فليفعل»[٢].

وفي رواية مجاهد عن ابن عباس قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أما بعد فإن الله خلق الخلايق حين خلقهم وهو غني عن طاعتهم لا يتضرر بمعصيتهم لأنه لا تضره معصية من عصاه ولا ينفعه طاعة من أطاعه واتقاه.

فالمتقون في هذه الدار هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد وعيشهم التواضع غضوا أبصارهم عن المحارم ووقفوا أسماعهم على العلم النافع ولولا الرجاء لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى جزيل الثواب وخوفاً من وبيل[٣] العقاب وعظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم فهم والجنة كمن قد رآها منعمون، وفي النار كمن رآها معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة أجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة صبروا أياماً قصيرة فأعقبهم راحة طويلة؛ أما الليل فصافوا أقدامهم تالين أعز الكلام وأحسن النظام يحبرونه تحبيراً ويرتلونه ترتيلاً فإذا مروا بآية فيها ذكر تشويق ركنوا إليها طمعاً وتطلعت نفوسهم شوقاً وهلعاً، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها بمسامع قلوبهم ومثلوا زفير جهنم في آذانهم فهم مفترشون جباههم وركبهم وأطراف أقدامهم يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم.

وأما النهار فعلماء حلماء بررة أتقياء قد براهم الخوف برى القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض ويقول: قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم لا يرضون بأعمالهم بالقليل ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم يمهدون أو مهتمون ومن أعمالهم مشفقون إذا زكى أحدهم خاف أشد الخوف يقول: أنا أعلم

---

(١) أخرجه العراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٣/ ١٠٧).
(٢) أخرجه الشجري في (الأمالي ١/ ٣٠، ٣٦).
(٣) الوبيل: الشديد.

بنفسي من غيري، اللهم فلا تؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون، ومن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين وورعاً في يقين وحزماً في علم وعزماً في حكم وقصداً في غناء وخشوعاً في عبادة وتحملاً في فاقة وصبراً في شدة وطلباً للحلال وتحرجاً عن الطمع يعمل الأعمال الصالحة على وجل ويجتهد في إصلاح ذات البين يمسي وهمته الشكر ويصبح وشغله الفكر الخير منه مأمول، والشر منه مأمون يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه، وفي الزلازل صبور، وفي المكارم وقور وفي الرضا شكور، لا ينابز بالألقاب[1] ولا يعرف العاب ولا يؤذي الجار ولا يشمت بالمصايب، ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق إن بغى عليه صبر ليكون الله سبحانه هو المنتقم له؛ نفسه منه في عناء والناس منه في راحة أتعب نفسه لآخرته ويزهد في الدنيا شوقاً إلى مولاه.

فصل

ومن كلامه عليه السلام في صفة الفقيه

قال أبو نعيم: حدثنا أبي، حدثنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن الحكيم عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي عن شجاع بن الوليد، عن زياد بن خيثمة عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن أمير المؤمنين قال: ألا إن الفقيه كل الفقيه هو الذي لم يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذابه ولا يرخص لهم في معصية ولا يدع القرآن رغبة في غيره ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها.

فصل

وسأله رجل عن المروءة، فقال: إطعام الطعام وتعاهد الإخوان وكف الأذى عن الجيران ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] الآية.

فصل

ومن وصاياه عليه السلام

أخبرنا عبد الوهاب بن عبد الله المقري، أنبأنا محمد بن ناصر، أنبأنا عبد القادر بن يوسف، أنبأنا البرمكي، أنبأنا إسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان النسوي قال: حدثني جدي الحسن بن سفيان، أنبأنا حرملة بن يحيى عن ابن وهب،

(١) تنابز القوم بالألقاب: لقّب بعضهم بعضاً بما يُكره من الألقاب وتعايروا.

حدثنا سفيان عن السري بن إسماعيل عن عامر الشعبي قال: قال عليه السلام: يا أيها الناس خذوا عني هذه الكلمات فلو ركبتم المطي حتى تنضوها ما أصبتم مثلها لا يرجون عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحي إذا لم يعلم أن يتعلم ولا يستحي إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم؛ واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس له.

وفي رواية: أوحى الله إلى نبي من الأنبياء أنه ليس من أهل بيت ولا أهل دار ولا قرية يكونون لي على ما أحب فيتحولون إلى ما أكره إلا تحولت لهم مما يحبون إلى ما يكرهون، وليس من أهل دار ولا قرية يكونون لي على ما أكره فيتحولون إلى ما أحب إلا تحولت لهم مما يكرهون إلى ما يحبون.

ذكر وصيته عليه السلام لكميل بن زياد

أخبرنا عبد الوهاب بن علي الصوفي، أنبأنا علي بن محمد بن عمرو، أنبأنا رزق اللّه بن عبد الوهاب، أنبأنا أحمد بن علي بن الباد، أنبأنا حبيب بن الحسن القزاز، أنبأنا موسى بن إسحاق الأنصاري، حدثنا ضرار بن صرد، حدثنا عاصم بن حميد، حدثنا أبو حمزة الثمالي عن عبد الرحمن بن محمد عن كميل بن زياد قال: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي عليه السلام فأخرجني إلى ناحية الجبان فلما أصحرنا جلس فتنفس الصعداء ثم قال: يا كميل بن زياد إنَّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها احفظ ما أقول لك الناس ثلاثة عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيؤوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال العلم يزكو على الإنفاق والمال يزول ومحبة العلم دين يدان به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد مماته المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق، العلم حاكم والمال محكوم عليه، يا كميل مات خزان المال وهم أحياء، العلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، ثم قال: آه إنَّ ها هنا علماً جمّاً لو أصبت له حملة وأشار بيده إلى صدره ثم قال: اللهم بلى قد أصبت أميناً غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين بالدنيا يستظهر بنعم الله على عباده، ويحجبه على كتابه أو معانداً لأهل الحق ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا ذا ولا ذاك بل منهوماً بالملذات سلس القياد للشهوات مغري يجمع الأموال والادخار ليس من الدين في شيء أقرب شبهاً بالبهائم السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللهم بلى لن تخلو الأرض من قائم لله بحجته لكيلا تبطل حجج الله على عباده أولئك هم الأقلون عدداً الأعلون عند الله قدراً بهم يحفظ الله دينه حتى يؤدونه إلى نظرائهم ويزرعونه في قلوب أشباههم.

وفي رواية: بهم يحفظ الله حججه هجم بهم العلم على حقيقة فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه ودعاته إلى دينه آه ثم آه واشوقاه إلى رؤيتهم واستغفر الله لي ولك إذا شئت فقم.

وصيته لبنيه عليهم السلام

وبه قال: حدثنا أبو حمزة الثمالي، حدثنا إبراهيم بن سعيد عن الشعبي عن ضرار بن ضمرة قال: أوصى أمير المؤمنين بنيه فقال: يا بني عاشروا الناس بالمعروف معاشرة إن غبتم حنوا إليكم وإن متم بكوا عليكم وأنشد:

يـريـدُ بـذاكـم أن يـهـشـوا لـطـاعـتـي وأن يـكـثـروا بـعـدي الـدعـاء عـلـى قـبـري

وأن يـمـنـحـونـي فـي الـمـجـالـس ودهـم وإن كـنـت عـنـهـم غـائـبـاً أحـسـنـوا ذكـري

وقال ابن عباس: قال له رجل أوصني فقال له: لا تحدث نفسك بفقر ولا بطول عمر.

فصل

ومن كلامه عليه السلام في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وبه قال الشعبي: حدثني من سمع علياً عليه السلام وقد سُئل عن سبب اختلاف الناس في الحديث فقال: الناس أربعة منافق مظهر للإيمان ومضيع للإسلام وقلبه يأبى الإيمان لا يتأثم ولا يتحرج كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً فلو علم الناس حاله لما أخذوا عنه ولكنهم قالوا صاحب رسول الله فأخذوا بقوله، وقد أخبر الله عن المنافقين بما أخبر ووصفهم بما وصف، ثم إنهم عاشوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان فولوهم الأعمال وجعلوهم على رقاب الناس فأكلوا بهم الدنيا وإنما الناس تبع للملوك إلا من عصمه الله عز وجل، ورجل سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول قولاً أو رآه يفعل فعلاً ثم غاب عنه ونسخ ذلك القول والفعل ولم يعلم فلو علم أنه نسخ ما حدثوا به، ورجل سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول قولاً فوهم به فلو علم أنه وهم فيه لما حدث عنه ولا عمل به، ورجل لم يكذبْ ولم يغبْ حدثَ بما سمعَ وعملَ به فأما الأول فلا اعتبار بروايته لا يحل الأخذ عنه وأما الباقون فينزعون إلى غاية ويرجعون إلى نهاية، ويستقون من قليب واحد وكلامهم أشرق بنور النبوة ضياؤه ومن الشجرة المباركة اقتبست ناره، وهذه رواية الشعبي.

وفي رواية كميل بن زياد عنه أنه قال: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً وقد كذبَ

على رسول الله صلى الله عليه وآله في عهده حتى قام خطيباً فقال: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وإنما يأتيك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس وذكرهم.

قلت: وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الحديث وهو قوله: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

مائة وعشرون من الصحابة؛ ذكرتهم في كتابي المترجم بحق اليقين وأما طريق علي عليه السلام فأخبرنا غير واحد عن عبد الأول الصوفي، أنبأنا ابن المظفر الداودي، أنبأنا ابن أعين السرخسي، حدثنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا شعبة عن منصور عن ربعي بن خراش قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «من كذبَ عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». أخرجاه في الصحيحين وأخرجه أحمد في المسند والجماعة وقد اقتضى هذا الحديث ذكر مسانيده عليه السلام.

أسند عن رسول الله صلى الله عليه وآله الكثير والذي أخرج له أحمد في مسنده مأتي مأتي حديث وعشرة أحاديث وقال ابن مندة: روى خمسمائة وسبعة وثلاثين حديثاً وأخرج له في الصحيحين أربعة وأربعون حديثاً اتفقا على عشرين وانفرد البخاري بتسعة عشر ومسلم بخمسة، وفي رواة الحديث من اسمه علي بن أبي طالب ثمانية وكلهم رواة الحديث وكانوا علماء أحدهم علي بن أبي طالب بصري روى عن حماد بن سلمة وغيره. والثاني يعرف بالدهان روى عن العدوي، والثالث جرجاني روى عنه أبو سهل القطان، والرابع استرابادي أخرج عنه أبو بكر الإسماعيلي. والخامس تنوخي روى عنه أبو بكر بن مجاهد، والسادس بكر أباذي ـ وهي محلة من بلد جرجان ـ روي عن أبي أحمد بن عدي الحافظ وغيره. والسابع روي عن أبي علي بن شاذان وهو آخر من روى عن ابن عرفة. والثامن قاضي القضاة الزينبي ببغداد روى عن أبيه وعمه طراد الزينبي وابن العلاف وابن النظر وغيرهم.

فصل

في قول عمر بن الخطاب

أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن، وما ورد في هذا المعنى.

قال أحمد في (الفضائل): حدثنا عبد اللّه القواريري، حدثنا مؤمل عن يحيى بن سعيد عن أبي المسيب قال: كان عمر بن الخطاب يقول: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن.

قال ابن المسيب: ولهذا القول سبب وهو أن ملك الروم كتب إلى عمر يسأله عن مسائل فعرضها على الصحابة فلم يجد عندهم جواباً فعرضها على أمير المؤمنين فأجاب عنها في أسرع وقت بأحسن جواب.

ذكر المسائل

قال ابن المسيب: كتب ملك الروم إلى عمر (رض) من قيصر ملك بني الأصفر إلى عمر خليفة المسلمين أما بعد فإني مسائلك عن مسائل فأخبرني عنها ما شيء لم يخلقه الله؟ وما شيء لا يعلمه الله؟ وما شيء ليس عند الله؟ وما شيء كله فم؟ وما شيء كله رجل؟ وما شيء كله عين؟ وما شيء كله جناح؟ وعن رجل لا عشيرة له؟ وعن أربعة لم تحمل بهم رحم؟ وعن شيء يتنفس وليس فيه روح وعن صوت الناقوس[1] ماذا يقول؟ وعن ظاعن ظعن مرة واحدة؟ وعن شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ما مثلها في الدنيا؟ وعن مكان لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة؟ وعن شجرة نبتت من غير ماء؟ وعن أهل الجنة فإنهم يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون ما مثلهم في الدنيا؟ وعن موائد الجنة فإن عليها القصاع في كل قصعة[2] ألوان لا يختلط بعضها ببعض ما مثلها في الدنيا، وعن جارية تخرج من تفاحة في الجنة ولا ينقص منها شيء؟ وعن جارية تكون في الدنيا لرجلين وهي في الآخرة لواحد؟ وعن مفاتيح الجنة ما هي؟.

فقرأ علي عليه السلام الكتاب وكتب في الحال خلفه: (بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد: فقد وقفت على كتابك أيها الملك وأنا أجيبك بعون الله وقوته وبركته وبركة نبينا محمد صلى الله عليه وآله أما الشيء الذي لم يخلقه الله تعالى فالقرآن لأنه كلامه وصفته وكذا كتبَ الله المنزلة والحق سبحانه قديم وكذا صفاته. وأما الذي لا يعلمه الله فقولكم: له ولد وصاحبة وشريك ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله لم يلد ولم يولد. وأما الذي ليس عند الله فالظلم وما ربك بظلام للعبيد. وأما الذي كله فم فالنار تأكل ما يلقى فيها، وأما الذي كله رجل فالماء. وأما الذي كله عين فالشمس. وأما الذي كله جناح فالريح. وأما الذي لا عشيرة له فآدم عليه السلام. وأما الذي لم يحمل بهم رحم فعصى موسى وكبش إبراهيم وآدم وحواء وأما الذي يتنفس من غير روح فالصبح لقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨] وأما الناقوس فإنه يقول: طقاً طقاً حقاً حقاً مهلاً مهلاً عدلاً عدلاً صدقاً صدقاً إن الدنيا قد غرتنا واستهوتنا، تمضي الدنيا قرناً قرناً، ما من يوم يمضي عنا، إلا أوهى منا ركناً، إن الموتى قد أخبرنا أنا

---

(١) النّاقوس: آلة من نحاس ونحوه تُضرب للتنبيه (ج) نواقيس.
(٢) القصعةُ: الصَّحفةُ الضخمةُ تُتخذ للأكل (ج) قِصاعٌ، وقِصَعٌ، وقصعاتٌ.

نرحل فاستوطنا. وأما الظاعن فطور سيناء[١] لما عصت بنو إسرائيل وكان بينه وبين الأرض المقدسة أيام فقلع الله منه قطعة وجعل لها جناحين من نور فنتقه عليهم فذلك قوله وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم وقال لبني إسرائيل: إن لم تؤمنوا وإلا أوقعته عليكم فلما تابوا رده إلى مكانه.

وأما المكان الذي لم تطلع عليه الشمس إلا مرة واحدة فأرض البحر لما فلقه الله لموسى عليه السلام وقام الماء أمثال الجبال ويبست الأرض بطلوع الشمس عليها ثم عاد ماء البحر إلى مكانه، وأما الشجرة التي يسير الراكب في ظلها مائة عام فشجرة طوبى وهي سدرة المنتهى في السماء السابعة إليها ينتهي أعمال بني آدم وهي من أشجار الجنة ليس في الجنة قصر ولا بيت إلا وفيه غصن من أغصانها ومثلها في الدنيا الشمس أصلها واحد وضوءها في كل مكان. وأما الشجرة التي نبتت من غير ماء فشجرة يونس وكان ذلك معجزة له لقوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾ [الصافات: ١٤٦]. وأما غذاء أهل الجنة فمثلهم في الدنيا الجنين في بطن أمه فإنه يغتذي من سرتها ولا يبول ولا يتغوط. وأما الألوان في القصعة الواحدة فمثله في الدنيا البيضة فيها لونان أبيض وأصفر ولا يختلطان. وأما الجارية التي تخرج من التفاحة فمثلها في الدنيا الدودة تخرج من التفاحة ولا تتغير وأما الجارية التي تكون بين اثنين فالنخلة التي تكون في الدنيا لمؤمن مثلي ولكافر مثلك وهي لي في الآخرة دونك لأنها في الجنة، وأنت لا تدخلها. وأما مفاتيح الجنة فلا إله إلا الله محمد رسول الله.

قال ابن المسيب: فلما قرأ قيصر الكتاب قال: ما خرج هذا الكلام إلا من بيت النبوة ثم سأل عن المجيب فقيل له هذا جواب: ابن عم محمد صلى الله عليه وآله فكتب إليه سلام عليك أما بعد: فقد وقفت على جوابك وعلمت أنك من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وأنت موصوف بالشجاعة والعلم وأوثر أن تكشف لي عن مذهبكم والروح التي ذكرها الله في كتابكم في قوله: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] فكتب إليه أمير المؤمنين أما بعد: فالروح نكتة لطيفة ولمعة شريفة من صنعة باريها وقدرة منشئها، أخرجها من خزائن ملكه وأسكنها في ملكه فهي عنده لك سبب وله عندك وديعة فإذا أخذت ما لك عنده أخذ ما له عندك والسلام.

ومن ها هنا أخذ ابن سينا فقال:

هبطَتْ إليك من المحلِّ الأرفعِ ورقاءُ ذاتَ تعزّزٍ وترفُّع

الأبيات.

---

(١) الطُّور: جبل قرب أيلة يُضاف إلى سيناء أو سينين، وهو الذي ناجى فيه موسى عليه السلام ربه، (معجم البلدان ٤/ ٤٨).

وقال أحمد في (الفضائل) والمسند أيضاً: حدثنا عفان، حدثنا حماد، حدثنا عطا بن السايب عن أبي ظبيان أن عمر (رض) أتى بامرأة قد زنت فأمر برجمها فذهبوا ليرجموها فرآهم علي عليه السلام في الطريق فقال: ما شأن هذه؟ فأخبروه فخلى سبيلها ثم جاء إلى عمر فقال له: لم رددتها؟ فقال: لأنها معتوهة آل فلان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله «رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ والصبي حتى يحتلم والمجنون حتى يفيق»[١] قال عمر: لولا علي لهلك عمر.

وفي رواية: أتى عمر بامرأة نكحت في عدتها ففرق بينها وجعل صداقها في بيت المال وقال: لا يجتمعان أبداً فبلغ علياً عليه السلام فقال لها: عليه المهر بما استحل من فرجها ويفرق بينهما فإذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب فبلغ عمر (رض) فقال: لولا علي لهلك عمر.

وفي رواية أتى عمر بامرأة وضعت لستة أشهر فأمر برجمها فقال علي عليه السلام: ليس عليها رجم لأن الله تعالى يقول: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] فخلى عنها وقال: اللهم لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب.

وفي رواية: إنَّ رجلين من قريش أودعا امرأة مائة دينار وقالا لها: لا تدفعيها إلى أحدنا حتى يحضر الآخر، وغابا مدة ثم جاء أحدهما فقال: إنَّ صاحبي قد هلك وأريد المال فدفعته إليه ثم جاء الآخر فطلبه فقالت: أخذه صاحبك فقال: ما كان الشرط كذا فارتفعا إلى عمر فقال للرجل: ألكَ بينة؟ قال: هي، فقال عمر: ما أراك إلا ضامنة فقالت: أنشدك الله أرفعنا إلى علي بن أبي طالب فرفعهما إليه فقصت المرأة القصة عليه فقال للرجل: ألستَ القائل لا تسلميها إلى أحدنا دون صاحبه فقال بلى، فقال: ما لك عندنا أحضر صاحبك وخذ المال فانقطع الرجل وكان محتالاً فبلغ ذلك عمر فقال: لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب؛ وفي هذا المعنى يقول الصاحب ابن عباد:

هل مثل قولك إذ قالوا مجاهرة ... لولا علي هلكنا في فتاوينا

وهذا البيت من قصيدة طويلة أولها:

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٦/ ١٠٠)، والحاكم في (المستدرك ٢/ ٥٩، ٤/ ٣٨٩)، والبغوي في (شرح السنة ٩/ ٢٢١)، والألباني في (إرواء الغليل ٢/ ٤، ٥، ٦، ٧، ٢٦٥)، وابن حجر في (تلخيص الحبير ١/ ١٨٣) وابن خزيمة في (الصحيح ١٠٠٣)، والدارقطني في (السنن ٣/ ١٣٩)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٠٣٠٨، ١٠٣٠٩، ١٠٣١٠)، وابن الجارود في (المنتقى ٨٠٨)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٦/ ٢٥١)، وأبو داود في (السنن ٤٣٩٨ و٤٤٠٠ و٤٤٠٣)، وأبو نعيم في (تاريخ أصبهان ٢/ ٣١٤)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ١٢٣).

حبّ النبي وأهل البيت معتمدي ... إذ الخطوب أساءت رأيها فينا
أيا بن عم رسول الله أفضل من ... ساد الأنام وساس الهاشميينا
يا ندرة الدين يا فرد الزمان أصح ... لمدح مولى يرى تفضيلكم دينا
هل مثل سبقك في الإسلام لو عرفوا ... وهذه الخصلة الغراء تكفينا
هل مثل علمك إن زلوا وإن وهنوا ... وقد هديت كما أصبحت تهدينا
هل مثل جمعك للقرآن تعرفه ... لفظاً ومعنى وتأويلاً وتبيينا
هل مثل صبرك إذ خانوا وإذ فشلوا ... حتى جرى ما جرى في يوم صفينا
هل مثل بذلك للعاني الأسير و ... للطفل الصغير وقد أعطيت مسكينا
يا ربّ سهل زياراتي مشاهدهم ... فإن روحي تهوى ذلك الطينا
يا ربّ صير حياتي في محبتهم ... ومحشري معهم آمين آمينا

قصة دار شريح القاضي

حكى الشعبي قال: اشترى شريح[1] داراً بثمانين ديناراً فبلغ ذلك علياً عليه السلام فاستدعاه فقال له: يا بن الحارث بلغني أنك اشتريت داراً بكذا وكذا وأشهدت على نفسك شهوداً وكتبت كتاباً فقال: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، فنظر إليه نظر المغضب ثم قال: يا شريح إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك حتى يخرجك منها شاخصاً ويسلمك إلى قرارك خالصاً، فاحذر أن تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك أو نقدت الثمن من غير حلالك فإذن خسرت الدنيا والآخرة، أما أنك لو أتيتني عند شرائك إياها لكتبتُ لكَ كتاباً فلم ترغب في شرائها ولا بدرهم فقال: وما كنتَ تكتبُ يا أمير المؤمنين فقالَ: كنتُ أكتبُ: (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت أزعج بالرحيل اشترى منه داراً من دور الغرور من جانب الفانين وخطة الهالكين ويجمع هذه الدار حدود أربعة فالحد الأول ينتهي إلى دواعي الآفات. والحد الثاني إلى نوادب المصيبات. والثالث إلى الهوى المردي. والرابع إلى الشيطان الموذي وفيه يشرع بابها وتجتمع أسبابها اشترى هذا المغرور بالأمل من هذا المرجع بالأجل هذه الدار بالخروج من عز القناعة والدخول في الطلب والضراعة فما أدرك المشتري

(١) شُريح القاضي (... ـ ٧٨هـ/ ٦٩٧م) أبو أمية. من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن. ولي قضاء الكوفة، في زمن عمر وعثمان وعليّ ومعاوية. واستعفى في أيام الحجاج فأعفاه. وكان ثقة في الحديث، مأموناً في القضاء، مات بالكوفة.
(الأعلام ٣/ ١٦١، والشذرات ١/ ٨٥، وطبقات ابن سعد ٦/ ٩٠ ـ ١٠٠، ووفيات الأعيان ٢٢٤، وحلية الأولياء ٤/ ١٣٢).

من درك فعلى مبلبل أجسام الملوك والأكاسرة وسالب نفوس الفراعنة والجبابرة مثل كسرى وقيصر وتبع وملوك حمير، ومن جمع المال إلى المال فأكثر ومن بنى وشيد وزخرف وادخر ونظر بزعمه للولد ووعد وأوعد أشخصوا، والله جميعاً إلى موقف العرض والحساب، والثواب، والعقاب؛ وسيقع الأمر بفصل القضاء ويقتص الجماء من القرناء وخسر هنالك المبطلون وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون شهد على ذلك التواني ابن الفاقة والغرور ابن الأمل والحرص ابن الرغبة واللهو ابن اللعب ومن أخلدُ إلى محل الثوى ومال إلى الدنيا ورغب عن الأخرى.

فصل

في ذكر قصة جرت له عليه السلام مع عبد اللّه بن عباس (رض)

أخبرنا أبو الحسن بن النجار المقري قال: أنبأنا محمد بن أبي منصور، أنبأنا أحمد بن علي بن سوار، أنبأنا أحمد بن عبد الواحد بن محمد الحريري، أنبأنا أحمد ابن محمد الجندي، أنبأنا أبو حامد محمد بن هارون الخضرمي، حدثنا إبراهيم بن سعد الجوهري، حدثنا المأمون عبد اللّه بن هارون عن أبيه هارون عن أبيه محمد المهدي عن أبيه أبي جعفر المنصور، عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن عبد اللّه بن عباس قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بكلام كتب به أمير المؤمنين كتب إليَّ سلام عليك أما بعد: فإن المرء يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه ويسره درك ما لم يكن ليفوته فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفكَ على ما فاتك منها، وما فاتك من الدنيا فلا تأسفن عليه، وليكن همكَ فيما بعد الموت والسلام.

وقد روى السدي هذا عن أشياخه وقال: عقيبه كان الشيطان قد نزغ بين ابن عباس وبين علي عليه السلام مدة ثم عاد إلى موالاته.

قال: وسببه أن أمير المؤمنين ولي ابن عباس البصرة فمر بأبي الأسود الدؤلي فقال له: لو كنتَ من البهائم كنتَ جملاً ولو كنتَ راعياً ما بلغت به المرعى.

فكتب أبو الأسود إلى علي عليه السلام، أما بعد: فإن الله جعلك والياً مؤتمناً وقد بلوناكِ فوجدناك عظيم الأمانة ناصحاً للرعية لا تأكل أموالهم ولا ترتشي في الحكم وإن ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك فلم يسعني كتمانك ذلك فانظر رحمك الله في ذلك.

فكتب أمير المؤمنين إلى أبي الأسود أما بعد؛ فمثلك من نصح الإمام والأمة فلا

تدع إعلامي بما يكون بحضرتك مما فيه صلاح للأمة فأنت بذلك جدير ثم كتب إلى ابن عباس أما بعد فأعلمني ما أخذت من الخراج والجزية وفي أي شيء وضعته.

فكتب إليه ابن عباس: ابعث إلى عملك من أحببت فإني ظاعن والسلام.

ثم دعا ابن عباس أخواله من بني هلال بن عامر؛ فجاءه الضحاك بن عبيد الله وعبد الله بن زريق في جماعة، واستدعى قيساً فجاءَ فأخذَ ما كانَ في بيتِ المالِ من الأموالِ ولحق بالطف[١] فعارضه علي عليه السلام بالخيل ففاته إلى مكة وكان الذي عارضه بكر وجماعة من البطون، فاقتتلوا قتالاً كثيراً وجرح من الفريقين جماعة ثم أفلت ابن عباس في عشرين من أخواله إلى الحجاز فنزل مكة.

قال هشام: كان الذي أخذه من بيت المال أربعمائة ألف درهم وقيل: سبعمائة ألف ولما مضى إلى مكة كتب إليه أمير المؤمنين.

سلام عليك أما بعد: فإني أشركتك في أمانتي ولم يكنْ أحد من أهل بيتي أوثق في نفسي منك لمؤازرتي وأداء الأمانة إليّ فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد حرب والعدو قد كلب وأمانة الناس قد خربت والأمة قد افتتنت قلبت لابن عمك ظهر المجن بمفارقته مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين، واختطفت ما قدرت عليه من مال الأمة اختطاف الذئب فأردت المعزى، إما توقن بالمعاد ولا تخاف رب العباد إما يكبر عليك أنكَ تأكل الحرام وتنكح الحرام وتشتري الإماء بأموال الأرامل والأيتام، أردد إلى المسلمين أموالهم ووالله لئن لم تفعلْ لأعذرن الله فيك فإن الحسن والحسين لو فعلا ما فعلت لما كان لهما عندي هوادة والسلام.

فكتب إليه ابن عباس: حقي في بيت المال أكثر مما أخذت منه، فكتبَ إليه علي عليه السلام: العجب العجب من تزيين نفسك لكَ أنك أخذتَ أقل مما لك وهل أنت إلا رجل من المسلمين وقد علمت بسوابق أهل بدر وما كانوا يأخذون غير ما فرض لهم وكفى بك أنك اتخذت مكة وطناً، وضربتَ بها عطناً[٢] تشتري من مولدات الطايف ومكة والمدينة ما تقع عليه عينك، وتميل إليه نفسك تعطي فيهن مال غيرك وإني أقسم بالله ما أحب أن ما أخذتَ من أموالهم حلالاً ادعه بعدي ميراثاً فكان قد بلغت المدى وعرضت عليك أعمالك غداً بالمحل الأعلى الذي يتمنى فيه المضيع للتوبة الخلاص ولات حين مناص[٣].

فكتب إليه ابن عباس: لأن ألقى الله بكل ما على ظهر الأرض وبطنها أحب إليّ من أن ألقاه بدم امرئ مسلم.

---

(١) الطّفُّ: شط النهر، وساحل البحر، وجانب البرّ، وطفُّ الفرات: ما ارتفع من جانبه.

(٢) العَطَنُ: مبرك الإبل حول الحوض، أو مربِضُ الغنم عند الماء (ج) أعطان.

(٣) المناص: الملجأ والمفرّ.

فكتب إليه علي عليه السلام: إن الدماء التي أشرت إليها قد خضتها إلى ساقيك وبذلت في إراقتها جهدك ووضعت بإباحتها حظك وتقشعت عنها فتياك وإذ لم تستح فافعل ما شئت قال أبو أراكة: ثم ندم ابن عباس واعتذر إلى علي عليه السلام وقبلَ أمير المؤمنين عذره، وقيل: إنه عاد إلى الكوفة والصحيح أنه لم يزل مقيماً بمكة حتى استشهد علي عليه السلام في هذه السنة ولما قتل الحسين عليه السلام لم يزل ابن عباس يبكي عليه حتى ذهب بصره.

قال عكرمة: وسمع أقواماً يتناولون علياً عليه السلام فقال: ويحكم أتذكرون رجلاً كان يسمع وطأ جبريل عليه السلام فوق بيته ولقد عاتب الله أصحاب رسوله في القرآن ولم يذكره إلا بخير.

فصل

من كلامه في المحن

روى أبو أراكة قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: إن للمحن غايات تنتهي إليها فسبيل العاقل أن يقف عندها حتى ينقضي وقتها فإن أعمال الحيلة في تقضيها زيادة فيها وقال علي عليه السلام وقد سمع رجل يذم الدنيا: أيها الذام للدنيا وهو مغتر بغرورها يا ليت شعري متى استهوتك أم متى غرتك أم بمصارع آبائك في البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى، كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبغي لهم الشفاء، وتستوصف لهم الدواء الأطباء لم ينتفع أحد منهم بإشفاقك ولم يغن عنه اجتهادك، ولم تدفع عنه بقوتك أن الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد أحباء الله ومصلى ملائكته ومهبط وحيه ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة وحصلوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد أذنت ببنيها ونادت بفرقتها ونعت نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلاياها الشرور وسوقهم إلى دار السرور، وذكرتهم بنعيمها طيب الحبور ذمها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون ذكرتهم أهوال يوم القيامة وخوفتهم الطامة[1].

فصل

ومن كلامه عليه السلام في القرآن

روى عكرمة عن ابن عباس قال: سمعت أمير المؤمنين وقد سأله رجل عن

---

(١) الطّامّة: القيامة.

القرآن فقال: كتاب الله عليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين والنور المبين والصراط المستقيم والشفاء النافع والريء الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا يخلق على كثرة الرد أو الترداد من قال به صدق ومن عمل به لحق.

فصل

ومن كلامه عليه السلام

فيما رواه السدي عنه، قيمة كل امرئ ما يحسنه. ومن ها هنا أخذ القائل:

قال علي بن أبي طالب … وهو اللبيب العالم المتقن

كل امرئ قيمته عندنا … وعندَ أهل الفضل ما يحسن

فصل

وقد سمع طائفة من أصحابه يذمون أهل الشام أيام صفين

إني أكره لكم أن تكونوا سابين؛ ولكنكم لو ذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، ولو قلتم: اللهم احقن دماءنا ودمائهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن اللغو من لهج به.

وقد ذكر أحمد في المسند طرفاً من هذا فقال: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد قال: ذكر أهل الشام عند علي عليه السلام وهو بالعراق فقيل له ألا تلعنهم؛ وفي رواية: تلعنوهم فقال: لا، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً كلما ماتَ منهم رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب»(١).

فصل

ومن كلامه عليه السلام في التحذير من الظلم

ما رواه مجاهد عن ابن عباس قال: سمعت أمير المؤمنين يقول يوماً: والله لأن

(١) أخرجه السيوطي في (الدر المنثور ١/ ١٢٠).

أبيت على حَسَك السعدان[١] مسهداً أو أجرّ في الأغلال مصفداً أحب إليَّ من أن ألقى الله تعالى ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من حطام الدنيا وكيف أظلم أحداً والنفس تسرع إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها، والله لو أعطيتُ الأقاليمَ السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها شعيرة ما فعلته، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة.

فصل

ومن كلامه لما أخرج أبو ذر إلى الرّبذة

روى الشعبي عن أبي أراكة قال: لما نفي أبو ذر[٢] إلى الربذة[٣] كتب إليه علي عليه السلام أما بعد: يا أبا ذر فإنك غضبت لله تعالى فارج من غضبت له أن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك لهم ما خافوك عليه واهرب منهم لما خفتهم عليه فما أحوجهم إلى ما منعتهم وما أغناك عما منعوك وستعلم من الرابح غداً فلو أن السماوات والأرض كانتا رتقاً على عبد ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجاً لا يؤانسنك إلا الحق ولا يوحشنك إلا الباطل ولو قبلت دنياهم لأحبوك ولو قرضت منها لأمنوك.

فصل

ومن كلامه عليه السلام في القدر

روى الشعبي عن ضرار بن ضمرة قال: قال علي ع: الرضا بالمقدور امتثال المأمور قال: وقال عليه السلام: ما قال الناس لشيء طوبى له إلا وقد خبا له القدر أو الدهر يوم سوء.

---

(١) الحَسَكُ: نبات عشبي بري شائك من الفصيلة السذابية. أزهاره عطريسة وثماره قابضة مُدِرّة للبول ومطهّرة للمجاري البولية. تتعلق ثماره الخشنة بأصواف الغنم وأوبار الإبل، ومنه حسك السعدان. السّعدان: نبت بري له شوك. وهو من أفضل ما ترعاه الإبل.

(٢) أبو ذَرّ الغِفَاري (. . . ـ ٣٢هـ/ . . . ـ ٦٥٢م) جُندب بن جُنادة بن سفيان بن عبيد، من بني غِفار. صحابي من كبارهم، قديم الإسلام. يُضرب به المثل في الصدق. وهو أول من حيّا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام. هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام، فأقام إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان، فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم، فشكوه إلى عثمان فأمره بالرحلة إلى الربذة، فسكنها إلى أن مات.
(الأعلام ٢/ ١٤٠، طبقات ابن سعد ٤/ ١٦١ ـ ١٧٥، صفة الصفوة ١/ ٢٣٨، وحلية الأولياء ١/ ١٥٦).

(٣) الرَّبَذَةُ: قرية قرب المدينة المنورة توفي فيها أبو ذر الغفاري، (معجم البلدان ٣/ ٢٤).

وروى الوالبي؛ عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين فسأله عن القدر فقال: أخبرني عن القدر ما هو؟ قال: طريق مظلم فلا تسلكوه فقال: أخبرني عن القدر فقال: سر الله فلا تفشه. فقال: أخبرني عن القدر فقال: بحر عميق فلا تلجه. ثم قال: أيها السائل خلقك الله كما تشاء أو كما يشاء فقال: كما يشاء فقال: أيميتك كما تشاء أو كما يشاء؟ فقال علي: ما يشاء فقال: ألك مشية فوق مشية الله أم لك مشية مع مشية الله، أو لك مشية دون مشية الله فإن قلت لك: مشية فوق مشية الله فقد ادعيت الغلبة لله تعالى، وإن قلت لك مشية مع مشية الله فقد ادعيت الشركة وإن قلت مشيتي دون مشيته فقد اكتفيت بمشيتك دون مشية الله.

ثم قال له: قل لا حول ولا قوة إلا بالله فقالها، ثم قال: يا أمير المؤمنين علمني تفسيرها فقال: لا حول عن معصية الله إلا بعصمته ولا قوة على طاعته إلا بمعونته أعقلت عن الله قال: نعم فقال لأصحابه: الآن أسلم أخوكم قوموا إليه فصافحوه.

فصل

ومن كلامه في التوحيد

روى عطية العوفي عن ابن عباس قال: سأل رجل أمير المؤمنين فقال له: هل رأيت ربك فقال: أنا أعبد من لا أرى، وفي رواية ما كنت لأعبد رباً لم أره فقال: وكيف رأيته أو كيف تراه؟ فقال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، وإنما تدركه القلوب بحقائق الإيمان قريب من الأشياء غير ملابس بعيد منها غير مباين متكلم بغير رؤية مريد لا بهمة صانع لا بجارحة لطيف لا يوصف بالجفا كبير لا ينعت بالجفاء بصير لا بحاسة برحيم لا برأفة أو برقة تعنوا الوجوه لعظمته وتوجل القلوب من مخافته.

فصل

ومن كتاب كتبه إلى بعض أمراء جيشه في قوم كانوا قد شردوا عن الطاعة وفارقوا الجماعة

رواه الشعبي عن ابن عباس، سلام عليك أما بعد: فإن عادت هذه الشرذمة إلى الطاعة فذلك الذي أوثره وإن تمادى بهم العصيان إلى الشقاق فانهد بمن أطاعك إلى من عصاك واستعن بمن انقادَ معك على من تقاعس عنك فإنَّ المُتكاره مغيبةُ خيرٌ من حضورهِ وعدمه خير من وجوده، وقعوده أغنى من نهوضه.

فصل

ومنَ كلامه عليه السلام في النجوم

روى عِكْرمة عن ابن عباس والشّعبي عن أبي أَراكة قال: لما انصرف أمير المؤمنين من الأنبار أو من الكوفة لقتال الخوارج بالنّهروانْ كان معه مسافر بن عوف بن الأحمر وكان ينظر في النجوم فقال له: يا أمير المؤمنين لا تسِرْ في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات من النهار قال: ولِم؟ قال: لأنك إنْ سرتَ الساعة أصابك ومن معك بلاء وشدة، وإنْ سرتَ في الساعة الثالثة ظفرت، فقال: الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون قال: الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله قل: لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلمُ الغيبَ لاستكثرت من الخير وما مسني السوء وسمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من صدق منجماً أو كاهناً فكأنما كذب بما أنزل على مُحمد» وفي رواية فقد كفرَ وسمعته يقول: «إنما أخاف على أمتي اثنين التصديق بالنجوم والتكذيب بالقدر»[1] ثم قال: ما كان لمحمد صلى الله عليه وآله منجم ولا للخلفاء بعده ثم قال له: هل تعلم ما في بطن فرسي هذه؟ فقال: إنْ حسبت علمت، فقال: من صدقك بهذا القول كذب بالقرآن قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية وما كان محمد صلى الله عليه وآله يدّعي ما ادعيت علمه فمن صدقك في قولك كان كمن اتخذ من دون الله أنداداً، اللهمَّ لا طائر إلا طائرك ولا خير إلا من عندك، ولا إله غيرك ثم قال: يا بن الأحمر نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي نهيت عنها، ثم أقبل على الناس وقال: إياكُم وتَعلُّم النجوم إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر، المُنجم كافر والكافر في النار؛ يا بن الأحمر والله لئن بلغني أنك بعدها تنظر في النجوم وتعمل فيها لأجلدنكَ جلد المُفتري ولأخلدنكَ في الحبس ما بقيت وبقيت ولأحرمنك العطاء ما عشت وكان لي سلطان.

ثم سار أمير المؤمنين في الساعة التي نهاه عن السير فيها فظفر بالخوارج وأبادهم ثم قال: فتحنا بلاد كِسْرى وقَيْصر، وتبع، وحمير، وجميع البلدان بغير قول منجم.

أيها الناس توكلوا على الله واتقوه، واعتمدوا عليه ألا تروا أنه لو سرنا في الساعة التي أشار إليها المنجم لقال الناس: إنما ظفرنا بقول المنجم، فثقوا بالله واعلموا أن هذه النجوم مصابيح جُعلت زينة، ورجوماً للشياطين ويُهتدى بها في ظلمات البر والبحر.

والمنجمون أضداد الرسل يكذبون بما جاؤوا به من عند الله لا يرجعون إلى قرآن

(١) أخرجه ابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٤/ ١٣٥٠).

ولا شرع، إنما يتسترون بالإسلام ظاهراً، ويستهزؤون بالنبيين باطناً فهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف : ١٠٦].

وفي رواية أن ابن أحمر قال له: يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة قال: ولم قال لأنّ القمر في العقرب فقال: قمرنا أو قمرهم، وهذا من أحسن الأجوبة.

فصل

ومن كلامه عليه السلام في قضاء الحوائج

روى الحسن البصري قال: قال علي عليه السلام لجرير بن عبد اللّه البجلي: يا جرير ما من عبد أنعم الله عليه بنعمة إلاّ كثرت حوائج الناس إليه فمنْ قام فيها بما يُحب الله تعالى عرض نعمته للبقاء، ومن قصر فيما يُحب الله فقد عرض نعمته للزوال.

فصل

ومن كلامه عليه السلام في بر الوالدين

روى الكُميل بن زياد قال: كانَ أميرُ المؤمنين يحرضُ على برّ الوالدين ويقول: يا بني عليكم ببرهما فإنَّ في دعائهما الانجبار والبوار.

قلت: وقد أخبرنا مشائخنا بطرف من هذا قرأتُ على شيخنا عبد اللّه بن أحمد المقدسي بقاسيون[1]، ظاهر دمشق من كتابه المُسمى (بالتوابين) وذلك في شهر ربيع الأول سنة أربع وستمائة قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن حمزة السّلمي أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد المقري، أنبأنا أبو نُعيم الحافظ، أنبأنا محمد بن حميد، حدثنا عبد اللّه بن سعيد الرقي، حدثنا يزيد بن محمد بن سنان عن أبيه عن جده قال: حدثني الحسن بن علي عليه السلام قال: بينا أنا ذات ليلة أطوفُ بالبيت مع أبي عليه السلام وقد هدأتِ الأصوات، ونامت العيون إذ سمعَ هاتفاً يهتفُ بصوتٍ شجي ويقول:

يا منْ يجيبُ دُعا المُضطر في الظلمِ … يا كاشفَ الضر والبلوى معَ الألمِ
قد نامَ وفدُكَ حولَ البيتِ وانتبهوا … يدعوا وعينكَ يا قيومُ لم تنمِ
هبْ لي بجودك فضلَ العفوِ عن جرمي … يا مَنْ إليهِ أتى الحجاجُ في الحرمِ
إنْ كانَ عفوكَ لا يرجوهُ ذو سَرَفٍ … فمنْ يجودُ على العاصينَ بالكرمِ

(١) قاسيون: هو الجبل المشرف على مدينة دمشق وفيه عدة مغاور وفيها آثار الأنبياء وكهوف، وهو جبل معظّم، (معجم البلدان ٤/ ٢٩٥).

قال: الحسن فقال: يا بني أما تسمع صوت النادب لذنبه المستقيل لربه؟ الحقهُ فأتني به قال: فلحقتهُ، وقلتُ أجب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: سمعاً وطاعة، ثم جاءَ فسلَّمَ عليه فرد عليه السّلام، فقال: ما اسمك؟ قال: منازل بن لاحق، قال من العرب أنت؟ قال: نعم قال: وما شأنك وما قصتك؟ فبكى وقال: ما قصة من أسلمته ذنوبه، وأوثقتهُ عيوبه؛ قال: اشرح حالك. قال: كنت شاباً مقيماً على اللهو واللعب والطرب وكان لي والد يعظني كثيراً ويقول: يا بني احذر هفوات الشباب وعثراته فإنَّ للّهِ سطوات ونقمات ما هي من الظالمين ببعيدٍ، فكان كلما ألحَّ عليَّ بالمواعظة ألححتُ عليه بالضرب فألح عليّ يوماً فأوجعتهُ ضرباً، فحلف ليأتين البيت الحرام فيتعلق بأستار الكعبة، ويدعو عليَّ فخرج إلى مكة وتعلق بأستار الكعبة ودعا عليَّ وقال:

يا منْ إليه أتى الحجاجُ قد قطعوا — أرضَ التُّهامة من قربٍ ومن بعدِ
إني أتيتُكَ يا منْ لا يخيبُ منْ — يدعوهُ مُبتهلاً بالواحدِ الصّمدِ
هذا منازل لا يرتد عن عققي — فخذْ بحقي يا رحمان منْ ولدي
وشل منهُ بحول منك جانبهُ — يا منْ تقدّس لم يولد ولم يلدِ

قال: والله ما استتمَّ كلامهُ حتى نزل بي ما ترى ثم كشف عن شقهِ الأيمن فإذا هو يابس، قال: فلم أزل أترضاه وأخضع له وأسألهُ العفو عني إلى أنْ رقَّ لي ووعدني أن يأتي المكان الذي دعا عليَّ فيه فيدعو لي هناك قال: فحملته على ناقة عشراء وخرجتُ أقفو أثره حتى إذا صرنا في وادي الأراك طارَ طائرٌ من شجرة فنفرتْ الناقة، فرمت به بين أحجارٍ فرضختْ رأسه ماتَ، فدفنتهُ هناك وأقبلتُ آيساً وأعظم ما ألقاه أني لا أعرف إلا بالمأخوذِ بعقوقِ والده.

قال الحسن: فقال له أبي أبشر فقد أتاك الغوث، ثم صلى ركعتين وأمرهُ فكشف عن شقه، فدعا له مرات يُردد الأدعية ويمسح بيده على شقه فعاد صحيحاً كما كانَ فكادَ عقلُ الرجلِ أنْ يذهبَ فقال له أبي: لولا أنهُ سبق وعد أبيك بالدعاء لك لما دعوتُ لك، ثم قال: يا بني احذروا دعاءَ الوالدين فإنَّ في دعائهما النماء والانجبار والاستيصال والبوار.

فصل

ومن كلامه عليه السلام في قوس قزح

روى السّدي عن أشياخهِ قال: نظر يوماً أمير المؤمنين إلى السماءِ فرأى قوس قزح فقال: ما تقولون؟ فقالوا: نقول إنَّه قوسُ قزحٍ فقال: لا تقولوا هكذا ولكن قولوا: قوسَ الله وأمان من الغرق.

قلت والعامة تقول: قوس قذح بالذال المعجمة، وهو غلط فاحش وإنما سميَ قوس قزح لأنَّ الجبلَ الذي يأخذ منه الناس الجمار بالمُزدلفة[١] يقالُ له: قزح نسب إليه لأنه أول ما رئي في الجاهلية عليه.

فصل

في مناظرته لليهودي

روى الشّعبي وابن المُسيب قالا: جاء حبر من أحبار اليهود إلى علي عليه السلام فناظرهُ، فقطعه فقال له: أنتم ما دفنتُم نبيكم حتى اختلفتُم فيه، فقال له عليه السلام: كذبتَ ويلك نحنُ ما اختلفنا فيه، وإنما اختلفنا عنه، وإنما أنتم ما جفت أرجلكم من ماء البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا إلهاً فأسلم اليهودي.

فصل

في حديث المرأة التي كان لها فرجان

روى الحسن البصري قال: تقدمت امرأة إلى شريح القاضي فقالت: أخلني فأخلاها فقالت: أنا امرأة ولي فرج وإحليل فقال: من أين يخرج البول سابقاً؟ فقالت: منهما جميعاً فقال: لقد أخبرتِ بعجب فقال: وأعجبُ منه أنه تزوجني ابن عمي وأخذ مني خادماً فوطئتها فأولدتها فدهش شريح وقامَ فدخل على علي عليه السلام فأخبره فاستدعى بزوجها فسأله فاعترف فقال لامرأتين: أدخلاها البيت وعدا أضلاعها ففعلتا فقال: كم أضلاعها؟ فقالتا: وجدنا في الجانبِ الأيمنِ ثمانيةَ عشرَ ضلعاً وفي الأيسر سبعة عشر فأمر بأخذ شعرها وأعطاها حذاء وألحقها بالرجال، فقيل له في ذلك فقال: أخذتُ هذا من قصة حواء فإنَّ أضلاعها كانتْ سبعة عشر من كل جانب وأضلاع الرجل تزيد عليها بضلع فلهذا ألحقتها بالرجال.

فصل

فقد ذكرنا ما وقعَ عليه اجتهادنا من اللؤلؤ المنثور في فنون العلوم فنذكر ما وصل إلينا من الدر المنظوم فنقول: أخبرنا بما نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام من الشعر جماعة منهم إبراهيم بن محمد العلوي، وأبو القاسم الخطيب الموصلي وعمر بن

(١) مُزدلفةُ: موضع بين عرفات ومنىً. قيل: سميت بذلك لاقتراب الناس من منىً بعد الإفاضة من عرفات.

صافي وغيرهم، بإسنادهم إلى مشايخهم وذلك في فنون من أبكار الفضائل والعيون فمن ذلك قوله لما بارز الوليد بن عتبة يومَ بدر وقتله:

ألـم تـرَ أنَّ الـلَّـهَ أبـلـى رسـولَـهُ ... بـلاء عـزيـزٍ ذي اقـتـدارٍ وذي فـضـلِ
بـمـا أنـزلَ الـكـفـارُ دارَ مـذلـةٍ ... فـذاقـوا هـوانـاً مـن أسـارٍ ومـن قـتـلِ
وأمـسـى رسـولُ الـلَّـهِ قـد عـزَّ نـصـرهُ ... وكـانَ رسـولُ الـلَّـهِ أرسـلَ بـالـعـدلِ
فـجـاءَ بـبـرهـانٍ مِـنَ الـلَّـهِ نـيـرٍ ... مـبـيـنـة آيـاتـه لـذوي الـعـقـلِ
فـآمَـن أقـوامٌ بـذاكَ وأيـقـنـوا ... فأمسوا بحمدِ اللَّهِ مجتمع الشملِ
وأنـكـرَ أقـوامٌ فـزالـتْ عـقـولـهـم ... وزادهـم الـرحـمـان خـبلاً عـلـى خـبـلِ
وأمـكـنَ مـنـهـم يـومَ بـدرٍ رسـولـه ... وقوماً غضا بي فعلهم أحسن الفعلِ
بـأيـديـهـم بـيـض خـفـاف جـفـونـهـا ... وقـد زيـنـوهـا بـالـجـلاءِ وبـالـصـقـلِ
فـكـم جـدلـوا مـن دائـص ذي حـمـيـة ... صـريـعـاً ومـن شـيـخ كـبـيـر ومـن كـهـلِ
تـبـيـتُ عـيـونُ الـنـايـحـات عـلـيـهـم ... تـجـود بـأسـبـابِ الـرشـاشِ وبـالـويـلِ
نـوايـحُ تـنـعـي عـتـبـة الـغـي وابـنـه ... وشـيـبـة تـنـعـاه وتـبـكـي أبـا جـهـلِ
وتـنـعـي ابـن جـدعـان وذا الـرجـل بـعـده ... مـسـبـلـة حـرى مـبـيـنـة الـثـكـل
تـرى مـنـهـم فـي بـئـرِ بـدرٍ عـصـابـة ... ذووا نجدات في الحروب وفي المحل
فـأضـحـوا لـدى دار الـجـحـيـم قـراره ... من الـذل والأغـلال في أسفل السفل

وقال في يوم أحد لما قالَ الكفارُ قد ثأرنا محمداً:

الله ربـي وهـو الـواحـد الـصـمـد ... فـلـيـس يـشـركـه فـي حـكـمـه أحـدُ
هـو الـذي عـرف الـكـفـار كـفـرهـم ... والـمـؤمـنـون سـيـجـزيـهـم بـمـا أوعـدوا
فـإن تـكـن جـولـة كـانـتْ لـنـا عـظـة ... فـهـل عـسـى أن يـرى فـي غـيـهـا رشـدُ
ويـنـصـرُ الـلَّـهُ مـن والاه مـعـتـمـداً ... ويـمـحـقُ الـكـافـريـن الـغـتـم إذ عـنـدوا
فـإن نـطـقـتـم بـفـخـر لا أبـا لـكـم ... مـمـن تـضـمـن مـن إخـوانـنـا أجـدُ
فـإن طـلـحـة عـايـنـاه مـنـجـدلاً ... ولـلـصـوارم نـار بـيـنـنـا تـقـدُ
ومـن قـتـلـتـم عـلـى مـا كـان مـن ذحـل ... فـإنـهـم طـابـقـوا خـيـراً وقـد سـعـدوا
لـهـم جـنـان مـن الـفـردوسِ طـيـبـة ... لا يـعـتـريـهـم بـهـا حـر ولا بـردُ
قـومٌ وفـوا لـرسـول الله واحـتـسـبـوا ... شـم الـعـرانـيـن مـنـهـم حـمـزة الأسـد[1]

(١) العرانين: مفردها العِرنين: الأنف كلّه أو ما صلب من عظمه حيث يكون الشمم.

ليسوا كقتلاكم فالله أدخلهم نار الجحيم على أبوابها رصدُ

ولما قتل علي عليه السلام طلحة بن أبي طلحة حامل لواء المشركين يوم أُحد قال:

أفاطم هاك السيف غير ذميم فلست برعديد ولا بلئيمِ(١)
لعمري لقد جاهدت في نصرِ أحمدٍ ومرضاة رب بالعباد رحيمِ
أريد ثواب الله لا شيء غيره ورضوانه في جنة ونعيمِ
وكل امرء يسمو إذا الحربُ شمرت وقامت على ساق بكل حليمِ
أنمت ابن عبد الدار حتى صرعته بذي رونقٍ يفري العظام صميم
وبادرته بالحزنِ وارفض جمعه عباديد من ذي فارط وكليمِ(٢)

ومن ذلك في القناعة:

لا تخضعن لمخلوق على طمعٍ فإن ذاك مضر منك بالدينِ
واسترزق الله مما في خزائنه فإن ذلك بين الكاف والنونِ

وقال عليه السلام في المعنى:

أغن عن المخلوقِ بالخالقِ تغن عن الكاذبِ والصادقِ
واسترزق الرحمان من فضلهِ فليسَ غيرُ اللّهِ مِنْ رازقِ
من ظَن أنَّ الناسَ يغنونه لم يكُ بالرحمانِ بالواثقِ
أو ظن أنَّ الرزقَ في كفهِ زلتْ به النعلان مِنْ حالقِ

ومن المنسوب إليه في ذم الدنيا عليه السلام:

ومن يصحبُ الدنيا يكنْ مثلَ قابض على الماءِ خانته فروج الأصابع

وقال عليه السلام في المعنى:

ما الدهر إلا يقظة ونوم وليلة بينهما ويومُ
يعيشُ قومٌ ويموتُ قومٌ والدهرُ قاضٍ ما عليه لومُ

وقال عليه السلام في المعنى:

دنيا تحولُ بأهلها في كل يوم مرتين
فغدوها لتجمع ورواحها لشتات بين

(١) الرِّعْديدُ: الجبان يُرْعَدُ عند القتال جُبناً.

(٢) العبابيد: من الخيل والناس: المتفرّقون الذاهبون في كل وجه، يقال: تفرقوا عبابيد.

ومن المنسوب إليه عليه السلام:

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموتُ راحة كل حي
ولكنا إذا متنا بعثنا ونُسأل بعده عن كلِ شي

وقال عليه السلام في القناعة:

ومِنَ البلاءِ وللبلاءِ علامة أنْ لا ترى لكَ عن هواكَ نزوعِ
العبد عبد النفس في شهواتها والحر يشبعُ تارة ويجوعِ

وقال عليه السلام في المعنى:

صبر الفتى لفقره يجله وبذله لوجهه يذله
والخبز للجائع أدم كله والماء إن جف به يبله
وقطعة من حائط تظله والموت يأتي بعد ذا يتله

من قوله عليه السلام (وتله للجبين):

ورأيت في كتاب (سر العالمين) للغزالي رحمه الله نسبها إليه عليه السلام وهي:

المرء في زمن الإقبال كالشجرةِ وحولها الناس ما دامتْ بها الثمرة
حتى إذا ما عرت من حملها انصرفوا عنها عقوقاً وقد كانوا بها بررة
وحاولوا قطعها من بعد ما شفقوا دهراً عليها من الأرياح والغبرة
قلت مروات أهل الأرض كلهم إلا الأقل فليس العشر من عشرة
لا تحمدن امرءاً حتى تجربه فربما لم يوافق خبره خبرة

وقال عليه السلام في القدر:

إذا عقد القضا عليك عقداً فليس يحله إلا القضاء
فما لك قد أقمت بدارِ ذلّ وأرضُ اللّهِ واسعةٌ فضاء
تبلغ باليسير فكل شيء من الدنيا يكونُ له انقضاء

وقال عليه السلام في المعنى:

للناس حرص على الدنيا بتدبير وصفوها لك ممزوج بتكديرِ
لم يرزقوها بعقلٍ حين ما رزقوا لكنما رزقوها بالمقاديرِ
لو كانَ عَنْ قوة أو عَنْ مغالطةٍ طارَ البزاة بأرزاقِ العصافيرِ

ومما يضاف إلى هذه الأبيات:

ولقمة بجريش الملح آكلها أحب من لقمة تحشى بزنبورِ

كم لقمة جلبت حتفاً لصاحبها ... كحبة الفخ دقت عنق عصفورِ

وقال عليه السلام في المعنى:

ما لا يكون فلا يكون بحيلة ... أبداً وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن في وقته ... وأخو الجهالة متعب محزون
يسعى القوي فلا ينال بسعيه ... حظاً ويدرك عاجز موهون

وقال في فضل العلم عليه السلام:

الناسُ من جهة التمثيل أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواءُ
وإن يكن لهم من أصلِهم شرفٌ ... يفاخرون به فالطينِ والماءُ
ما الفخر إلا لأهل العلم أنهم ... إلى الهدى لمن استهدى أدلاءُ
وقيمة المرء ما قد كانَ يحسنه ... والجاهلونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ

وقال عليه السلام:

فلا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياهُ
فكم من جاهلٍ أودى ... حليماً حين آخاهُ
يقاسُ المرء بالمرءِ ... إذا ما المرء ما شاهُ
وللشيء على الشيء ... علامات وأشباهُ
وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاهُ

وقال عليه السلام في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله:

ألا طرق الناعي بليل فراعني ... وأرقني لما استقل مناديا
فقلت له لما رأيت الذي أتى ... أغير رسول الله إن كنت ناعيا
فحقق ما أشفقت منه ولم يبل ... وكان خليلي عدتي ورجائيا[(١)]
فوالله ما أنساك أحمد ما حدت ... بي العيس في أرض وجاوزت واديا
ليبك رسول الله جيران طيبة ... ويبك على الإسلام من كان باكيا

وقال الشعبي: بلغني أن أمير المؤمنين وقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إن الجزع ليقبح إلا عليك وإن الصبر ليجمل إلا عنك ثم قال:

ما فاضَ دمعي عند نازلةٍ ... إلا جعلتك للبكا سببا

---

(١) حدا الإبل: ساقها وحثّها على السير بالحُداء (الحُداء: الغناء للإبل). فهو حادٍ (ج) حُداةٌ. العِيسُ: كرام الإبل.

وإذا ذكرتك سامحتك به — مني الجفون ففاض وانسكبا
إني أجل ثرى حللت به — أن لا أرى بثراه مكتئبا

وقال عليه السلام:

ما أحسن الدنيا وإقبالها — إذا أطاع الله من نالَهَا
مَنْ لم يواسِ الناس من فضله — عرض للأدبار إقبالَهَا
فاحذر حلول الفقر يا ذا الغنى — واعط من الدنيا لمن نالهَا
فإن ذا العرش العظيم الجزا — يضعفُ للحبةِ أمثالهَا

ويروى (فاحذر حلول الفقر يا جابر) يشير إلى ابن عبد اللّه البجلي الذي ذكرناه في فضل قضاء الحوائج، ويروى أنه كان يتمثل دائماً وقيل: إنهما له:

ولو أني بليت بهاشمي — خؤولته بني عبد المدان
صبرت على عدواته ولكن — تعالي فانظري بمن ابتلاني

ويروى (لهان على ما ألقى) وقال ابن عباس، فيما رواه العوفي عنه: أنشد يوماً أمير المؤمنين وقد سُئل عن الفاتحة نزلت من كنز تحت العرش ولو ثنيت لي الوسادة لذكرت في فضلها حمل بعير ذكر وليس في القرآن آية إلا وأنا أعلم متى وفي أي شيء نزلت ثم أنشد:

إذا المشكلاتُ تصدين لي — كشفت حقايقها بالنظرِ
وإن برقت في خلالِ الصواب — عمياء لا تعتريني فكرِ
مقنعةٌ بعيونِ الأمورِ — وضعت عليها نفيس الدررِ
لساناً كشقشقة الأرحبي — أو كالحسام إذا ما سطر
ولست بامعة في الرجال — أسائل هذا وذا ما الخبر
ولكنني مدره الأصغرين — وجلاب خير ودفاع شرّ(١)

(الإمعة) الذي يكون مع هؤلاء ومع هؤلاء ويسموه العوام المعمعي والمدره: الخطيب؛ وقال عليه السلام في الصبر:

ولربما نطق الفتى فتنافست — فيه العيون وإنه لمموهُ
ولربما سكتَ الفتى عن خصمهِ — حذر الجوابِ وإنه لمفوهُ
ولربما صبرَ الفتى عند الأذى — وفؤاده من حرهِ يتأوهُ

---

(١) المِدْرَةُ: رأسُ القومِ المدافع عنهم والمتكلم بلسانهم (ج) مداره.

قال عليه السلام في المعنى:

يمثل ذو اللب في نفسه مصائبه قبل أن تنزلا
فإن نزلت بغتة لم ترعه لما كان في نفسه مثلا
رأى الأمر يفضي إلى آخر يصبر آخره أولا
وذو الجهل يأمن أيامه وينسى مصارع من قد خلا
فإن ندهته صروف الزمان ببعض عجائبه أعولا
ولو قدم الصبر في نفسه لعلمه الصبر حسن البلا

وحكى الشعبي: أن علياً عليه السلام أتاه رجل فقال: أريد أن أبنِ مسجداً فقال: من حلالك؟ فسكت ثم إنه مضى فبنى مسجداً فكتب عليه السلام في الحائط:

(بنى مسجداً لله من غير حله)

وفي رواية:

رأيتك تبني مسجداً من خيانة فكنت بحمد الله غير موفقِ
كمطعمة الزهاد من كسب فرجها فقال لها أهل البصيرة والتقي:
لك الويل لا تزني ولا تتصدقي

وقال الشعبي: رأى أمير المؤمنين رجلاً يمشي ويخطر بيديه ويختال فقال:

يا مؤثر الدنيا على دينهِ والتايه الحيران في قصدهِ
أصبحتَ ترجو الخلد فيها وقد أبرزَ ناب الموت عن حدهِ
هيهات أنَّ الموتَ ذو أسهم من يرمهِ يوماً بها يردهِ
لا يشرح الواعظ قلب امرئ لم يعزمْ اللّهُ على وشدهِ

وقال عليه السلام في البكاء على الإسلام:

ليبك على الإسلام من كان باكياً فقد تركت أركانه ومعالمه
فقد ذهبَ الإسلامُ إلا بقية قليل من الدنيا الذي هو لازمه

وقال عليه السلام في الحث على كتمان السر:

ولا تفش سرك إلا إليك فإنَّ لكل نصيح نصيحا
فإني رأيت غواة الرجال ولا يتركون أديماً صحيحا

وقال عليه السلام في القناعة بالكفاف:

إقدع النفس بالعفاف وإلا طلبت منك فوق ما يكفيها
طالما قد مضى وما للذي لم يأتِ من لذةِ لمستحليها

إنـمـا أنـت طـول عـمـرك مـا عـمـرت بـالـساعـة الـتـي أنـت فـيـهـا

وقال عليه السلام يذم الزمان والإخوان:

هـذا زمـان لـيـس إخـوانـه يـا أيـهـا الـمـرء بـإخـوانِ
أخـوانـه كـلـهـم ظـالـم لـه لـسـانـان ووجـهـانِ
يـلـقـاكَ بـالـبـشـر وفـي قـلـبـهِ داءُ يـواريـه بـكـتـمـانِ
حـتـى إذا مـا غـبـت عـن عـيـنـه رمـاكَ بـالـزورِ وبـهـتـانِ
هـذا زمـان هـكـذا أهـلـه تـغـر عـن رؤيـةِ إنـسـانِ

وقال عليه السلام في مكارم الأخلاق:

إنَّ الـمـكـارمَ أخـلاقٌ مـعـددة فـالـعـقـلُ أولـهـا والـعـلـمُ ثـانـيـهـا
والـصـبـرُ ثـالـثـهـا والـعـرفُ رابـعـهـا والـعـفـو خـامـسـهـا والـصـبـرُ سـاديـهـا
والـعـيـنُ تـخـبـرُ عـن عـيـنـي مـحـدثـهـا إن كـانَ مِـنْ حـزبـهـا أو مـن أعـاديـهـا
والـنـفـسُ تـكـلـف فـي الـدنـيـا وقـد عـلـمـت أن الـسـلامـة فـيـهـا تـرك مـا فـيـهـا

وقال له رجل: قد عيل صبري فأعطني. فقال: أفأنشدك شيئاً أم أعطك فقال كلامك أحب إليَّ من عطائك فقال:

إن عـضـك الـدهـر فـانـتـظـر فـرجـاً فـإنـه نـازل بـمـنـتـظـره
أو مـسـك الـضـر أو بـلـيـت بـه فـاصـبـر عـلـى يـسـره وفـي عـسـرهِ
ربّ مـعـافـى عـلـى تـهـوره ومـبـتـلـي لا يـنـام مـن حـذرهِ
وآمـن فـي عـشـاء لـيـلـتـه دب إلـيـه الـبـلاء فـي سـحـرهِ
مـن مـارس الـدهـر ذم صـحـبـتـه ونـال مـن صـفـوه ومـن كـدرهِ

وقال عليه السلام في قلة الوفاء:

ذهـبَ الـوفـاءُ ذهـاب أمـس الـذاهـب فـالـنـاس بـيـن مـخـاتـلٍ ومـواربِ

وقال عليه السلام في النظر:

وكـم نـظـرة قـادت إلـى الـقـلـب شـهـوة فـأصـبـح مـنـهـا الـقـلـب فـي الـهـلـكـات

وقال عليه السلام في حلول المكروه:

لا تـكـره الـمـكـروه عـنـد حـلـولـه إن الـعـواقـبَ لـم تـزل مـتـبـايـنـه
كـم مـن يـد لا تـسـتـقـل لـشـكـرهـا لله فـي طـي الـمـكـاره كـامـنـه

وقال عليه السلام في ذم أبي لهب:

أبا لهب تبت يداك أبي لهب وتبت يداها تلك حمالة الحطبِ
خذلت نبياً خير من وطيء الحصا فكنت كمن باع السلامة بالعطبِ
وخفت أبا جهل فأصبحت تابعاً له وكذاك الرأس يتبعه الذنبِ
فأصبح ذاك الأمر عاراً يهيله عليك حجيج الله في موسمِ العربِ
ولو كان من بعض الأعادي محمد لحاميت عنه بالرماحِ وبالقضبِ

وقال عليه السلام لما بارز عمرو بن عبد ود وكان عمرو قد برز يوم الخندق ودعى إلى المبارزة فلم يخرج إليه أحد فقال عمرو:

ولقد بحت من النداءِ لجمعكم هل من مبارزِ
ووقفتُ إذ جبنَ الشجاع مواقف القرن المناجزِ
إني كذلك لم أزل متسرعاً نحو الهزاهزِ
إن الشجاعةَ للفتى والجود من خير الغرايزِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي قم إليه وخذ سيفي ذا الفقار» ودعا له فبرز إليه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجا كل فايز
إني لأرجو أن أقيمَ عليكَ نائحة الجنائز
من ضربةٍ نجلاء يسمع عندها صوت الهزاهز[١]

ثم اختلفا ضربتين فقتله علي عليه السلام؛ ثم انصرف وهو يقول:

أعلي يقتحم الفوارس هكذا وتنوء عنها أسرتي وصحابي
اليوم يمنعني الفرار حفيظتي ومصحم في الرأس ليس تبابي
علم ابن عبد حين أبصر صارمي يهتز أن الأمر غير لعابِ
عبد الحجارة من سفاهة رأيه وعبدت رب محمد بصوابِ
لا تحسبوا الرحمان خاذل دينه ونبيه يا معشر الأحزابِ

---

(١) النّجلاء: طعنةٌ نجلاء: واسعة.

الباب السابع

في وفاته عليه السلام

قال علماء السير: كان علي عليه السلام يستبطئ القاتل فيقول متى يبعث أشقاها.

وقال أحمد في (الفضائل): حدثنا وكيع، حدثنا قتيبة بن قدامة الرّواسي عن أبيه عن الضّحاك بن مُزاحم عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي أتدري من أشقى الأولين؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: «عاقر النّاقة»، ثم قال: «أتدري من أشقى الآخرين؟» قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: «من يخضب هذه من هذه»[1] يعني لحيته من هامته.

وقد أخرجه أيضاً عبد اللّه بن أحمد في كتاب (الزهد) عن أبيه بهذا الإسناد، وقال أحمد في المُسند، حدثنا علي بن حَكِيم الأودي، حدثنا شَرِيك عن عثمان بن أبي زُرْعة عن زيد بن وَهْب قال: قدم على علي عليه السلام وفد من الخوارج من أهل البصرة فيهم رجل يقال له: الجعد بن نعجة، فقال له: يا علي اتقِ الله فإنك ميت فقال: بل أنا مقتول ضربة على هذا تخضب هذه يعني لحيته من رأسه عهد معهود وقضاء مُقضى، وقد خاب من افترى، وعاتبه أبو نعجة في خشونة لباسه فقال: هو أبعد من الكبر وأجدر أنْ يقتدي به المُسلم.

وقال أحمد في المُسند: حدثنا هشام أو هاشم بن القاسم، حدثنا محمد بن راشد عن عبد اللّه بن محمد بن عقيل عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري، وكان أبو فضالة من أهل بدر قال: خرجتُ مع أبي عائداً لعلي بن أبي طالب من مرض أصابه فبل منه فقال له أبي: ما يُقيمك ها هنا بين أعراب جُهينة تحتمل إلى المدينة فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وأصحاب القرآن وصلوا عليك فقال علي عليه السلام: إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله عهد إليَّ أنْ لا أموت حتى تخضب هذه من هذه ـ أي لحيته من دم هامته ـ قتل أبو فضالة مع علي عليه السلام بصفين.

وأنبأنا جدي أبو فرج رحمه الله قال: أنبأنا محمد بن أبي طاهر، أنبأنا الحسن بن

---

(١) أخرجه القرطبي في (التفسير ٢٠/ ٧٨).

علي الجَوْهري، أنبأنا ابن حياة، أنبأنا ابن معروف، حدثنا الحسين بن الفهم، حدثنا محمد بن سعد، حدثنا أبو الفضيل بن دكين، حدثنا قطر بن خليفة، حدثني أبو الطّفيل عامر بن وَائِلة قال: دعا أمير المؤمنين الناس إلى البيعة فجاءهُ عبد الرحمان بن ملجم المُرَادي فردهُ مرتين، ثم أتاه فقال: ما يحبس أشقاها ليخضبن أو ليصبغن هذه من هذه ثم تمثل بهذين البيتين:

أشددْ حيازيمكَ للموتِ فإنَّ الموتَ لاقيكَ
ولا تجزعْ من الموتِ إذا حلَّ بواديكِ

قلت: وهذان البيتان لأحيحة الأنصاري، ولهما ثالث:

فإنَّ الدرعَ والبيضةَ يوم الروعِ يكفيك[1]

وفي رواية: إنَّ علياً عليه السلام رده مرتين أو ثلاثاً، ثم بايعه وقال عند بيعته ما يحبس أشقاها فوالذي نفسي بيده ليخضبن هذه من هذه، ووضع يده على لحيته ورأسه وأنشد البيتين.

وقال ابن سعد: أخبرنا إسماعيل بن علية عن عمارة بن أبي حفصة عن أبي مجلز قال: جاء رجل من مراد إلى علي عليه السلام وهو يصلي في المسجد فقال له: احترس فإنَّ ناساً من مُرَاد يُريدون قتلك، فقال: إنَّ مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه وإنّ الأجل جنة حصينة.

وفي رواية عنه قال: ملكتني عيني فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد[2]، فقال: «ادع عليهم» فقلت: أبدلني الله بهم خيراً منهم وأبدلُهم بي شراً مني فلما كانَ بعد أيام ضربه ابن ملجم.

وقال الشّعبي: أنشد علي عليه السلام قبيل قتله بأيام:

تلكُم قريش تمناني لتقتلني فلا وربك لا فازوا ولا ظفروا
فإنْ بقيت فرهن ذمتي لهم وإنْ عدمت فلا يبقى لهم أثرُ
وسوفَ يورثُهم فقدي على وجلٍ ذلّ الحياة بما خانوا وما غدروا

وذكر ابن سعد في (الطبقات): إنّ علياً عليه السلام قال للمرادي لما أتاه يطلب منه عطاءه فقال:

أريدُ حباءه ويُريد قتلي عذيركَ من خليلك من مُرادي

---

(١) البيضةُ: من الحديد: الخوذة وهي من آلات الحرب.
(٢) الأَوَدُ: الاعوجاج أو الكدّ والتعب.
اللّدَدُ: اشتداد الخصومة والجدل مع الميل عن الحق.

وفي رواية: إنّ ابن ملجم قال يا أمير المؤمنين احملني، فحمله على فرس أشقر فركبه وولى وأشد أمير المؤمنين البيت.

وقال أبو سعد: أنبأنا يزيد بن هارون، أنبأنا هشام بن حسان عن محمد بن عُبيدة قال: قال علي عليه السلام ما يحبس أشقاكم أنْ يجيء فيقتلني اللهم قد سئمتهم وسئموني فأرحْهم مني وأرحني منهم.

وقال ابن سعد: أنبأنا وكيع بن الجراح، حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد، عن عبد الله بن سبيع قال سمعتُ علياً عليه السلام يقول: لتخضبن هذه من هذه فما ينتظر بالأشقى قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نبيد عشيرته قال: إذن والله تقتلون غير قاتلي قالوا: فاستخلف علينا فقال: لا، ولكن أتركُكم إلى ما ترككم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: فماذا تقول لربك إذا لقيته قال: أقولُ: اللهم تركتك فيهم فإنْ شئت أصلحتَهم وإنْ شئتَ أفسدتُهم.

وقال ابن سعد: حدثنا سليمان بن القاسم الثَّقفي قال: حدثتني أمي عن أم جَعْفر سرية علي عليه السلام قالت: إني لأصب الماء على يديه إذ رفع رأسه فأخذ بلحيته ورفعها إلى أنفه فقال: واهاً لك لتخضبن بدمي فأصيب يوم الجمعة.

ذكر صفة مقتله وسببه

قال أهل السير: منهم محمد بن إسحاق وهشام بن محمد والسّدي وغيرهم اجتمع ثلاثة من الخوارج عبد الرحمان بن ملجم المرادي، وهو من حمير وقيل: من مضر، والبرك بن عبد الله التّميمي الصريمي، وقيل: اسمه الحجاج، وعمرو بن بكر السّهمي السعدي وكان اجتماعهم بمكة عند انقضاء الحج فتذاكروا قتلى النهروان الذين قتلهم علي عليه السلام وبكوا وترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم فإنهم إخواننا لم يأخذهم في الله لومة لائم، ثم تذكروا ما لقي الناس يوم الجمل وصفين بين علي عليه السلام ومعاوية وعَمْرو بن العاص، وقالوا: لو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وأرحنا المسلمين منهم والبلاد والعباد وثأرنا بهم إخواننا، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكُم ابن أبي طالب وقال البرك: وأنا أكفيكُم معاوية وقال عمرو: وأنا لعمرو بن العاص، فدخلوا الكعبة وتحالفوا فيها وتعاهدوا وتعاقدوا أنْ لا ينكصَ أحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يقتل دونه ثم أخذوا سيوفهم فسموها وتعاهدوا أن يكون الاجتماع في سابع وعشرين شهر رمضان وقصد كل واحد منهم الجهة التي يريدها:

فأما ابن ملجم فقصد الكوفة، فتلقاه أصحابه من الخوارج فكاتمَهم ما يُريد أو كان يزورهم ويزورونه، وهو ساكت مخافة أنْ يظهر شيء مما قدم له وأنه زار يوماً

أصحاباً له من بني تيم الرّباب وكان علي عليه السلام قتل منهم يوم النَّهروان عدة فرأى منهم امرأة يقال لها: قطام بنت شجنة بن عَدِيّ بن عامر، وكان أمير المؤمنين قتل أباها وأخاها يوم النهروان، وكانت فائقة الجمال فعشقها وأخذت بمجامع قلبه وعقله ونسي الأمر الذي قدم لأجله، فخطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تعطيني ثلاثة آلاف درهم وعبداً وقينة، وتقتل علي بن أبي طالب فقال: لك الدراهم والعبد والقينة وأما قتل ابن أبي طالب فما أراك ذكرتيه لي وأنت تريدينني فكيف أصنع به؟ قالت: التمس غرته، فإن أصبتهُ شفيت نفسي ونفسك ونفعك العيش معي وأخذت بثأر الأحبة، وإنْ قتلت فما عند الله خير وأبقى؛ فقال: والله ما جاء بي إلا هذا. قال وَهْب بنُ منبه: فقال الشاعر فيها:

ولـم أرَ مـهـراً سـاقـهُ ذو سـمـاحـة كـمـهـرِ قـطـام بـيـنـنـا غـيـر مُـعـجـمِ
ثـلاثـةُ آلاف وعـبـدٍ وقـيـنـةٍ وقـتـل عـلـي بـالـحُـسـامِ الـمُـصـمـمِ
فـلا مـهـر أغـلا مـن عـلـي وإن غـلا ولا فـتـك إلا دونَ فـتـك ابـن مـلـجـمِ

وروي: أنّ ابن ملجم دخل بها فلما فرغ منها ازداد عشقاً لها فقالت له: والله لا تُساكني حتى تقتل علياً ثم قالت: إني سأطلب لك رجلاً يساعدك على أمرك فبعثت إلى رجل من قومها من تيم الرباب يقال له: وردان بن مجالد، فكلمته في ذلك فأجابها ثم أتى ابن ملجم رجلاً من أشجع من الخوارج فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة واسم الرجل شبيب بن بجرة؟ فقال له: وما هو؟ قال: قتل ابن أبي طالب، فقال له: ثكلتك أمك لقد جئت شيئاً نكراً قال: كيف تصل إليه؟ قال: أكمن له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، وإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قتلنا فما عند الله خير وأبقى فأجابه، فجاء إلى قطام وكانت معتكفة في المسجد الجامع قد ضربت عليها قبة فأخبراها فقالت متى عزمتما فقالا: الليلة وكانت ليلة الجمعة فكمنا عندها، وجاء إلى وردان فعصبتهُم قطام بالحرير فأخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها أمير المؤمنين وذكر بعضهم أنَّ الأشعث بن قيس كان مواطئاً لهم على قتل أمير المؤمنين، فاجتمعوا في الليل في المسجد، وكان حَجَر بن عَدِيّ نائماً في المسجد، فسمع الأشعث يقول لهم: أسرعوا فقد ضحك الصبح فقال له حجر: ما تقول يا أعور؟ ثم قصد علياً عليه السلام ليخبرهُ فوجده قد جاء من موضع آخر فقيل: فخرج يُريد صلاة الصبح فأقبلن الأوز يصحن في وجهه، فقال: إنهنّ نوائحُ فلما حصل في المحراب هجموا عليه فضربه ابن ملجم وهو يقول: ومن الناس من يشري نفسه ابتغاءَ مرضاة الله وهرب وردان وشبيب، وصاح ابن ملجم: لا حكم إلا لله يا بن أبي طالب، فلما ضربه على قرنه صاح علي عليه السلام لا يفوتنكم الكلب فشدوا عليه، فأخذوه وقتل وردان ونجى شبيب وصاحت أم كلثوم

بنت علي عليه السلام وبكت وقالت: أي والله لا بأس على أبي والله يجزيك فقال: فعلى من تبكين فوالله ضربته بسيف اشتريته بألف وسممتهُ بألف فإن خانني أبعده الله ولو كانت هذه الضربة بأهل مضر لما بقي منهم أحد وتأخر عليٌ عليه السلام عن المحراب وقدم جعدة بن هبيرة، فصلى بالناس الفجر وحمل علي عليه السلام إلى القصر وقال: عليَّ بالرجل فادخل عليه فقال: أي عدو الله ألم أُحسن إليك؟ قال: بلى قال: فما حملك على هذا؟ أشار علي عليه السلام إلى إحسانه إليه وحمله على الأشقر.

وفي رواية أنه قال له: ولقد كنت أعلم أنك قاتلي وإنما أحسنت إليك لأستظهرَ باللّهِ عليك ثم قال لبنيه قال: يا بني إنْ هلكت فالنفس بالنفس اقتلوه كما قتلني وإنْ بقيت رأيتُ فيه رأياً.

وفي رواية: وإن عشت فضربة بضربة أو أعفو، وفي رواية: إن زينب قالت له: يا ملعون قتلت أمير المؤمنين قال: إنما قتلت أباك ثم حبس.

وقال ابن عباس: ضربه ابن ملجم بمسجد الكوفة يوم الجمعة لثلاثة عشر بقين من شهر رمضان وقيل: ليلة إحدى وعشرين منه فبقي الجمعة والسبت وتوفي ليلة الأحد وقيل: يوم الأحد وغسله ابناه الحسن والحسين وعبد اللّه بن جعفر وصلى عليه ولده الحسن، وكبّر عليه أربعاً وقيل خمساً، وقيل: ستاً أو سبعاً، وكان عنده بقايا من حنوط[1] رسول الله صلى الله عليه وآله فحنطوه به ودفن في السَّحر.

واختلفوا في موضع قبره على أقوال: أحدهما في قصر الإمارة بالكوفة وغيبوا موضعه، قاله الواقدي.

والثاني: أنهم جعلوهُ في صندوق وحملوهُ على بعير إلى المدينة فضل البعير الذي كان عليه فأخذتهُ طي فظنوهُ مالاً فلما رأوه دفنوه عندهم قاله عكرمة.

والثالث: أنَّ التابوت مضى إلى المدينة ودفن إلى جانب فاطمة عليها السلام: قاله أبو نُعيم الفَضْل بن دكين.

والرابع: أنه في قبلة جامع الكوفة ذكره هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال: وأخبرت أن حائط القبلة انشق في أيام الحجاج فحفر الأساس فوجدوا شيخاً أبيض الرأس واللحية وعلى ثيابه أثر الدم فردوا عليه التراب وقد حكاه ابن شبرمة وحكاه البلاذري أيضاً وقال: إن الحجاجَ لما رآهُ قد ظهر قال أبو تراب والله وأراد به سوءاً، فقال له عنبسة بن سعيد بن العاص: ناشدتُك الله أنْ لا تفعل فسكت.

والخامس: أنه في الكوفة عند مسجد الجماعة مما يلي أبواب كِنْدة حكاه ابن سعد في (الطبقات) عن الشّعبي.

---

(١) الحَنُوطُ: كلّ طيب يُخلط للميت.

والسادس: أنه على النجف في المكان المشهور الذي يُزار فيه اليوم وهو الظاهر وقد استفاض ذلك.

وقد حكى أبو نُعيم الأصفهاني: إنَّ الذي على النجف إنما هو قبر المُغيرة بن شعبة قال ولو علم به زواره لرجموه.

قلت: وهذا من أغلاط أبي نعيم فإنّ المغيرة بن شعبة لم يعرف له قبر وقيل: إنه مات بالشام.

وقيل: آخر كلمة قالها علي عليه السلام ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

وحكى الواقدي عن الزهري قال: قال علي عليه السلام لبنيه: يا بني إن مت فالحقوا بي ابن ملجم أخاصمه عند رب العالمين فلما دفن أحضره الحسن ليقتله فقال له: هل لك في خصلة إني والله ما أعطى الله عهداً إلا وفيت به وإني كنت أعطيت الله عهداً أن أقتل علياً ومعاوية يوم التحكيم أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه ولك عهد الله على أن أعود فأضع يدي في يدك فقال: لا والله حتى تعاين النار ثم قطع يديه ورجليه وسمل عينه(١) بمسمارين وقطع لسانه وتركه في قوصرة ثم أحرقه بالنار.

وذكر المدائني: أنَّ علياً عليه السلام أمرهم أن لا يمثلوا به.

وذكر ابن سعد: أن عبد اللّه بن جعفر لما سمل عينه بمسمار لم يجزع وقال: إنك لتكحل عين ابن عمك بململول مض.

ولما أرادوا أن يقطعوا لسانه جزع فقيل له: قد قطعنا يديك ورجليك فلم تجزع، فلم جزعت عند قطع لسانك؟ فقال: أكره أنْ يمضي علي ساعة لا أذكر الله فيها.

قال ابن سعد: والعباس بن علي يومئذ صغير فلم يستأذنوا به بلوغه قال: قيل فقد أمرهم أمير المؤمنين أن يقتلوه كما قتله. فالجواب: إنَّ المدائني ذكر في (تاريخه) أن أمير المؤمنين أمرهم أن يمثلوا به وهو الواجب.

وأما قول سعد: إن العباس كان يومئذ صغيراً فلم يستأذنوا به بلوغه فهذا دليل لأبي حنيفة في مسألة القصاص إذا كان في ورثة المقتول صغار وكبار فللكبير أن ينفرد بالاستيفاء خلافاً لصاحبيه والشافعي.

وروى أنَّ أميرَ المؤمنين قال للحسن عليه السلام لما ضربه ابن ملجم: إنْ شئتَ أن تقتل وإنْ شئت أن تعفو فقد فوض الاستيفاء إلى رأيه مع أن في الورثة صغار وكان بمحضر من الصحابة من غير نكير، فإن قالوا يحتمل أنه قتله سياسة قلنا مع حضور الصحابة لا سياسة.

---

(١) سَمْلُ العين: فقؤها بحديدة محماة.

واختلفوا في مبلغ سن أمير المؤمنين علي عليه السلام على أقوال، أحدها ثلاث وستون مثل عمر رسول الله صلى الله عليه وآله، حكاه ابن جرير عن جعفر بن محمد.

قال الواقدي: وهو أثبت عندنا، والثاني خمس وستون، والثالث سبع وستون؛ والرابع ثمان وخمسون وهو الأشهر.

أخبرنا غير واحد، عن إسماعيل بن أحمد، أنبأنا عمر بن عبيد اللّه البقال، أنبأنا أبو الحسين بن بشران، أنبأنا عثمان بن أحمد الدّقاق، حدثنا حَنبل، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال: قتل علي عليه السلام وهو ابن ثمان وخمسين سنة، ومات لها الحسن، وقتل لها الحسين ومات لها علي بن الحسين زين العابدين عليهم السلام.

قلت: وهذه الرواية أصح لأنهم لا يختلفون أن النبي صلى الله عليه وآله كان أسن منه.

قال الواقدي: وكفن في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة وقيل كان سنه وسن طلحة والزبير سناً واحداً.

قال الواقدي: وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر لأنه بويع له في ذي الحجة لثمان عشرة ليلة خلت منه سنة خمس وثلاثين واستشهد في رمضان سنة أربعين.

وقال ابن جرير في (تاريخه) وابن سعد في (الطبقات): أنه لما استشهد علي عليه السلام بلغ عائشة فقالت:

فألقت عصاها واستقرّ بها النّوى كما قرّ عينا بالأيابِ المُسافر

ثم قالت: من قتلهُ؟ قالوا: رجل من مُراد فقالت:

فإنْ يكُ هالكاً فلقد نعاهُ نعي ليس في فيه التُّراب

فعابها الناس؛ وقالت لها زينب بنت سلمة بن أبي سلمة: ألعلي تقولين هذا؟ فقالت: إني أنسى فذكروني.

ورثاه منهم أبو الأسود الدؤلي فقال:

ألا أبلغْ معاويةَ بن حربٍ فلا قرتْ عيونُ الشامتينا
أفي شهرِ الصّيام فجعتمونا بخيرِ الناسِ طراً أجمعينا
قتلتُم خير من ركبَ المطايا بِبِر خير من ركبَ السفينا
ومنْ لبَس النّعال ومنْ تمسكَ بالسبعِ المثاني والمئينا[1]

(١) المثاني من القرآن: الآيات تُتلى وتُكرَّرُ: فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني. والقرآن الكريم كله.

لقد علمتْ قريش حيثُ كانتْ بأنكَ خيرُها حسباً ودينا
إذا استقبلت وجه أبي تراب رأيتَ البدرَ حار الناظرينا

وقال أحمد في المسند: حدثنا وكيع، حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن هبيرة قال: خطبنا الحسن بن علي عليه السلام بعدما استشهد علي عليه السلام فقال: لقد فاتكُم بالأمسِ رجلٌ لم يسبقُه الأولون ولم يدركه الآخرون كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبعثُهُ بالراية جبرائيل وميكائيل عن يمينه وعن شماله فلا ينصرف حتى يفتح له أو يفتح الله على يديه.

وقال الواقدي: لما بلغ الصحابة خبرهُ بكوا عليه.

وقال أبو مسعود الأنصاري: كنا نعدهُ خير البشر.

وقال الخطيب في تاريخه: شهد علي عليه السلام بدراً وهو ابن عشرين سنة وشهد الفتح، وهو ابن ثمان وعشرين، وهو قريب مما ذكره جَعْفر بن محمد عن أبيه.

وذكر جماعة من أرباب السير: أنّ عِمْران بن حطان وكان من الخوارج رثى ابن ملجم فقال:

يا ضربة منْ كمي ما أرادَ بها إلاّ ليبلغَ من ذي العرشِ رضوانا
إني لأذكرهُ يوماً فأحسبهُ أوفى البريةَ عندَ اللَّهِ ميزانا
أكرم بقومِ بطون الأرض أقبرهُم لم يخلطوا دينُهم بغياً وعدوانا

كذب لعنه الله وإنما صوابه ما نظمه طاهر بن محمد حيث قال:

يا ضربة من لعينِ ما أرادَ بها إلا إمام الهُدى ظلماً وعدوانا
إني لأذكرهُ يوماً فأثبتهُ أشقى البرية عندَ اللَّهِ خسرانا
وقالَ هذا رسولُ الله سيدنا وخاتم الرُّسل أعلاماً وإعلانا

ولما بلغت هذه الأبيات القاضي أبا الحارث الطَّبري فقال مجيباً له:

إني لأبرأ مما أنتَ قائلهُ عن ابنِ ملجم الملعون بُهتانا
إني لأذكرهُ يوماً فألعنهُ ديناً والعن عِمْران بن حطانا
عليه ثم عليك الدهر متصلاً لعائن الله أسراراً وإعلانا
فأنتم من كلابِ النّار جاءَ به نصُّ الشريعة بُرهاناً وتبيانا

أشار القاضي إلى قوله عليه السلام الخوارج كلاب أهل النار.

قال الواقدي: وأما البرك بن عبد اللّه فإن في تلك الليلة التي ضرب ابن ملجم فيها علياً شد علي معاوية بسيفه وقد خرج لصلاة الفجر، فضربه فوقع السيف في إليته

فجرحه فأخذ فقال لمعاوية: إن عندي خبراً أبشرك به فقال: وما هو؟ قال: إن أخاً لي قتل علياً في هذه الليلة فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم قتل واتخذ معاوية المقصورة[(١)] من تلك الليلة وهو أول من اتخذها وأقام الحرس وأحضرَ معاوية الساعدي كان طبيباً فقال له: اختر إحدى خصلتين إما أن أحمي حديدة فأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع عنك الأولاد وتبرأ منها فإن الضربة مسمومة فقال معاوية: أما النار فلا طاقة لي بها وأما انقطاع الولد فإنَّ في يزيد وعبد اللّه ما تقر به عيني فسقاه شربة فلم يولد له بعدها وبرئ ولما بلغ القاضي أبا حازم ذلك قال: يا ليت ذلك قبل أن يولد يزيد ثم احترس معاوية.

وأما عمرو بن بكر؛ فجلس بعمرو بن العاص فلم يتفق خروجه في تلك الليلة لمرضٍ عرضَ له ثم أمر خارجة بن أبي جبينة العامري أنْ يُصلي مكانه وكان صاحب شرطته فخرج ليصلي فشد عليه عمرو فقتله فأخذ وجيء به إلى عمرو فقال: يا فاسق قتلت خارجة فقال: يا فاسق والله ما ظننتُه غيرك فقتله عمرو.

وقيل: إنهُ بكى فقال له عمرو بن العاص: ما يبكيك أجزعاً من الموت؟ فقال: لا والله وإنما أبكي كيف حظي صاحباي بقتل علي ومعاوية.

ذكر ميراث أمير المؤمنين عليه السلام

اتفق علماء السير: على أنهُ لم يخلّف ديناراً ولا درهماً.

فحكى الواقدي عن الحسن عليه السلام أنه قال: والله ما ترك أبي بيضاء ولا صفراء سوى مائتي درهم، وفي رواية سوى سبعمائة درهم أعدها لشراء خادم لأهله.

فإنْ قيل، فقد روى أحمد في المسند عن محمد بن كعب القُرظي قال: قال علي عليه السلام لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وآله وإني لأربط على بطني الحجر من الجوع وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعين ألفاً.

والجواب أن أحمد روى هذا الأثر عن علي عليه السلام فقال: حدثنا الحجاج عن شريك عن عاصم بن كليب عن محمد بن كعب القرظي؛ وشريك ضعيف مخلط في الرواية وكان يشرب إلا شربة المسكرة وحالة أمير المؤمنين تنافي هذا على ما ذكرنا من زهده وورعه، وقد قال أبو الحسين بن فارس اللغوي: سألتُ أبي عن هذا الحديث فقال: إنْ صح فمعناه الذي تصدقت به من مالي منذ كان لي مال كذا وكذا ألفاً.

قال ابن فارس: قال أبي: وكيف يكون له مال وقد قال: يا بيضاء يا صفراء غري غيري؟

(١) المقصورة: الدار الواسعة المحصّنة.

ذكر ولاته عليه السلام

لما قتل: كان ابن عباس على البَصْرة قبل أنْ يقتل، وقد ذكرنا الخلاف فيه وعلى فارس وكرمان زياد بن أبيه، وعلى اليمن عُبيد الله بن عباس، وعلى مكة والطائف قثم بن العباس، وعلى المدينة أبو أيوب الأنصاري، وقيل سهل بن حنيف.

ذكر خاتمه

كان نقشه: اللّهُ الملك على عبده وكان يتختم في اليمين وكذا الحسن والحسين عليهما السلام.

ذكر مواليه

قنبر ويحيى بن أبي كثير: روى عنه الأوزاعي، وكان عالماً فاضلاً؛ وابنه عبد الله بن يحيى كان عالماً وله موالي أخر.

ذكر أزواجه ومولياته

قال الواقدي: قتل علي عليه السلام وترك أربع حرائر أُمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وليلى التَّيمية، وأم البنين كلابية وأسماء بنت عُمَيس، وثمانية عشر أم ولد.

فصل

فهذا ما وقع عليه اختيارنا في هذا المختصر من سيرته نفعنا بمحبته وحشرنا.

فصل

في ذكر أخيه جعفر بن أبي طالب عليه السلام

لما ذكرنا في صدر الكتاب سيرة والده وإخوته وأخواته رأينا أن نختم الكتاب بذكر بعض سيرة جَعْفر فنقول: قد ذكرنا أنّ أمه فاطمة بنت أسد وأنه كان أسن من علي عليه السلام بعشر سنين وأنه أسلم قديماً، وأقام بالحبشة مهاجراً حتى فتحت خَيْبر سنة سبع، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله فيها، فقام إليه واعتنقه وقبل بين عينيه، وقال: «ما أدري بأيهما أفرح بقدوم جَعْفر أو بفتح خيبر»[١].

ذكره أبو نعيم في (الحلية) عن أبي هريرة وقال النبي صلى الله عليه وآله لجعفر:

---

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك ٢/ ٦٢٤، ٣/ ٢٠٨)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٤/ ١/ ٢٣)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١٢/ ١٠٦، ١٤/ ٣٤٩)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٦٩١٤).

«أشبهت خلقي وخلقي»[١]، قال أبو هريرة: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يُسميه «أبا المساكين» لأنه كان يحبهم ويطعمهم ويجلس إليهم ويرفق بهم، وكنيته المشهورة أبو عبد اللّه.

ذكر قصته مع عَمْرو بن العاص وصاحبيه

قال أحمد في المسند: حدثنا يعقوب عن أبيه عن محمد بن إسحاق عن الزّهري عن أبي بكر بن عبد الرحمان، عن أم سَلَمة قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي آمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذي، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أنْ يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين وأنْ يهدوا إلى النجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا إليه هدية ثم بعثوا بذلك مع عبد اللّه بن أبي ربيعة المخزومي، وعمرو بن العاص وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هدية قبل أنْ تكلموا النَّجاشي فيهم، ثم قدموا إلى النجاشي هداياه، ثم سلوه أنْ يسلمهم إليكما قبل أنْ يكلمهم، فخرجا حتى قدما على النجاشي فدفعا إلى كل بطريق هديته وقالا: إنه قد صار إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدينٍ مبتدع، وقد بعثنا أشرافهم إلى الملك ليردوهم إليه، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإنّ قومهم أعلا بهم عيناً قالوا: نعم ثم قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فقالا: أيها الملك إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دينهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن، ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلا بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم، فقالت: بطارقته صدقوا سلمهم إليهم، فغضب النجاشي ثم قال: لاها الله إذن لا أسلمهم إليهم، ولا أكاد قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سوى حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم فإنْ كانوا كما يقولون سلمتهم إليهما، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أن جاءهم رسوله

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٣/ ٢٤٢، ٥/ ٢٤، ١٨٠)، والترمذي في (السنن ٣٧٦٥)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٩٨، ١٠٨، ١١٥، ٢٣٠، ٤/ ٣٤٢)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٨/ ٥، ١٠/ ٢٢٦)، والحاكم في (المستدرك ٣/ ١٢٠)، وعبد الرزاق في (المصنف ٢٠٣٩٤)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٣٣٧٧)، وابن كثير في (التفسير ٦/ ٣٧٩، ٧/ ٣٤١)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٣١، ٣٠٠)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١١/ ١٧١)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ٣٠٧، ٦/ ٥٦٦)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٤/ ١/ ٢٤)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٣١٩٦، ٣٣١٩٨، ٣٦٧٦٠، ٣٦٩٠٥، ٣٦٩٠٦).

اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول: والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وآله كائن في ذلك ما هو كائن، فلما جاؤوه وقد دَعَى النّجاشيُ أساقفتهُ فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم به قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين آخر من هذه الأمم؟ قالت: وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب؛ فقال: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبدُ الأصنامَ ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطعُ الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف وكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً أميناً نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا عليه، وما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أنْ نعبدَ الله، ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به وعبدنا الله وحده لا شريك له ولا نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرَّمَ اللّهُ علينا، وأحللنا ما أحل الله لنا فعدى علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان وأنْ نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أنْ لا نظلم عندك أيها الملك.

قال: فقال النجاشي: فهل معك مما جاء به عن الله شيء؟ فقال جعفر: نعم قال: فاقرأهُ عليّ فقرأ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم.

ثم قال النجاشي: إنَّ هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما أبداً.

قالت: فلما خرجوا من عنده أو خرجنا من عنده قال عَمْرو بن العاص: والله لأتينهُ غداً فأعيبُهم عنده بما استأصل به حضرائهم، فقال له عبد اللّه بن أبي ربيعة: وكان أتقى الرجلين فينا لا تفعل فإنَّ لهم أرحاماً، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أنَّ عيسى ابن مريم عبد، قالت: ثم غدا عليه من الغد فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فاسألُهم عما يقولون فيه فأرسل إليهم فسألَهم عنه، قالت أم سَلَمة: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمعَ القومُ قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول فيه ما قال الله تعالى وما جاء به نبينا صلى الله عليه وآله كائناً في ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى؟ فقال جعفر: نقول فيه ما جاء به نبينا صلى الله عليه وآله وهو عبد الله وروحه ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء البتول قالت: فضرب النّجاشي يده

إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، ثم قال: اذهبوا فأنتم سيوم بأرض، والسيوم الآمنون من سبكم عرم ثم من سبكم غرم قالها ثلاثاً ثم قال: ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة ليَ بها فوالله ما أخذا مني رشوة حين رد علي ملكي.

قلت: وقول النجاشي لاها الله إذن قسم، والها في قوله: لاها الله فتوكيد (أو قسم) واسم الله مجرور، وعامة الروايات لاها الله إذن وأنكره أبو حاتم السجستاني وقال: الصحيح لاها الله إذا ومعناه لا والله، فأدخل اسم الله بين ها وإذا قال: وليست إذن ها هنا للتوكيد وإنما معناه هذا ما أقسم به.

وقال أبو نعيم في (الحلية): حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبيه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أنْ ننطلق إلى جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة أو إلى النجاشي فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدايا وذكر بمعنى ما تقدم وفيه، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم فلا يتكلم منكم أحد فلما انتهوا إليه بدرهم من عنده وقالوا: اسجدوا للملك فقالوا: لا نسجد لغير الله تعالى فقال النجاشي: مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده وأنا أشهد أنه الذي بشر به عيسى ابن مريم عليه السلام ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله.

وذكر أبو نعيم أيضاً في (الحلية) عن عمرو بن العاص قال: لما أتينا النجاشي ناديت على بابه ائذن لعمرو بن العاص فنادى جعفر من خلفي ائذن لحزب الله فسمع صوته فأذن له قبلي، وفي رواية فانتفض النجاشي ورطن عمرو لصاحبه وقال أتسمع ما يقول.

وفي رواية أن النجاشي: صنع باباً صغيراً فكان الداخل فيه يسجد له فلما جاء جعفر ولاه ظهره ودخل فيه فلما رآه النجاشي عظم في عينه وأكبره وأسلم على يده.

وفي رواية: فبكت أساقفته حتى اخضلت لحاهم فنزل فيهم ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ [المائدة: ٨٣] الآية.

ذكر وفاته

قال أهل السير: استشهد جعفر بمؤتة[١] وهي أدنى أرض البلقاء إلى الحجاز وذلك في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة.

(١) مُؤْتَةُ: موضع بالشام على مرحلتين من بيت المقدس، التقت فيه جيوش المسلمين وجيوش هرقل وقُتل فيه جعفر بن أبي طالب. وكان هذا اليوم في السنة الثامنة من الهجرة، (معجم البلدان ٥/ ٢٢١).

قال ابن إسحاق: وسبب هذه الغزاة أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتاب فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وآله غيره، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله فندب الناس وعسكر بالجرف[1] وهم ثلاثة آلاف وشيعهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ثنية الوداع فساروا حتى نزلوا أرض مؤتة، فالتقاهم هرقل في أربع مائة ألف منهم أربعون ألف مقرنين، فالتقوا فثبت المسلمون ثم قتل زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة وكانوا أمراء الجيش.

قال ابن سعد في (الطبقات) عن ابن عمر قال: وجد فيما أقبل من بدن جعفر ما بين منكبيه تسعين ضربة بين طعنة رمح وضربة بسيف.

وقال ابن سعد في (الطبقات) أيضاً: أنبأنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب عن حميد عن هلال عن أنس بن مالك أنَّ النبي صلى الله عليه وآله نعى جعفراً وزيداً وابن رواحة قبل أن يجيء خبرهم نعاهم وعيناه تذرفان.

وفي رواية: رأيتُ جعفر يطير في الجنة بجناحيه.

ذكر أولاده

عبد اللّه وبه كان يكنى ومحمد وعون وأمهم أسماء بنت عميس ولدتهم بأرضِ الحبشةِ وكان جعفر قد هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية؛ وأشهرهم عبد اللّه وكان من الأجواد وهو من الطبقة الخامسة ممن توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو محدث ولما ولدته أمه أسماء بالحبشة ولد بعد ذلك بأيام للنجاشي ولد فسماه عبد اللّه تبركاً باسمه وأرضعت أسماء عبد اللّه بن النجاشي بلبنَ ابنها عبد اللّه.

وقال ابن سعد في (الطبقات): حدثنا الواقدي عن محمد بن مسلم عن يحيى بن أبي يعلى، قال: سمعت عبد اللّه بن جعفر يقول: أنا أحفظ حين دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على أمي فنعى إليها أبي فأنظرُ إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تذرفان أو تهرقان بالدموع حتى تقطر لحيته ثم قال: «اللهم إنَّ جعفر قد قدم إليَّ أحسن الثواب فأخلفه في ذريتَه بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريته»[2] ثم قال: «يا أسماء ألا أبشرك؟ قالت أمي: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال: «فإنَّ اللّهَ قد جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة»[3]، فقالت: يا رسول الله فأعلم

---

(١) الجُرْفُ: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، (معجم البلدان ٢/ ١٢٨).

(٢) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ٣٣٢٠٩)، والسيوطي في (جمع الجوامع ٩٧٧٤).

(٣) أخرجه البيهقي في (دلائل النبوة ٤/ ٣٧١)، وصاحب (الجامع الكبير المخطوط الجزء الثاني ٢/ ٤٢٥).

الناس بذلك قال عليه السلام: فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ بيدي ومسح برأسي ورقي المنبر فأجلسني أمامه على الدرجة السفلى والحزن يعرف فيه فتكلم وقال: «إن المرءَ كثير بأخيه وابن عمه إلا أن جعفراً قد استشهد وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة»[١]. ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وآله ودخل بيته وأدخلني معه وأمر بطعام فصنع لأهلي ثم أرسل إلى أخي فتغدينا عنده غداء طيباً مباركاً عمدت سلمى إلى شعير فطحنته ثم نسفته ثم أنضجته ثم أدمته بزيت وجعلت عليه فلفلاً فتغذيتُ أنا وأخي معه وأقمنا ثلاثة أيام ندور معه في بيوت أزواجه ثم رجعنا إلى بيتنا فأتانا رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أساوم بشاة أخاً لي فقال: «اللهم بارك لي في صفقته»[٢] قال عبد اللّه: فما بعتُ شيئاً ولا اشتريت إلا بورك فيه.

وقال ابن سعد: حدثنا عفان بن مسلم عن مهدي بن ميمون، عن محمد بن عبد اللّه بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن علي قال: أمهل رسول الله صلى الله عليه وآله آل جعفر ثلاثاً بعدما جاء نعيه ثم أتاهم فقال: «لا تبكون على أخي بعد اليوم ادعوا ليّ أبناء أخي»[٣]. قال فجيء بأغيلمة ثلاثة كأنهم أفرخ محمد، وعون، وعبد اللّه وقال: «ادعوا ليّ الحلاق فجيء بحجام فحلق رؤوسهم، وقال: أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عون فشبيه خَلقي وخُلقي، ثم أخذ بيد عبد اللّه فشالها وقال: اللهم اخلف جعفراً في أهله بخير وبارك لعبد اللّه في صفقة يمينه» قال: فجاءت أمهم فجعلت تفرح لهم فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «أتخافين عليهم العيلة وأنا وليهم في الدنيا والآخرة».

وقال ابن سعد: حدثنا أبو معاوية الضرير عن عاصم الأحول عن مورق العلجي عن عبد اللّه بن جعفر قال؛ كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقى بصبيان أهل بيته وإنه جاء مرة فسبق بي إليه فحملني فجعلني بين يديه ثم جيء بأحد ابني فاطمة الحسن والحسين عليهما السلام فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابته.

وذكر ابن سعد أيضاً في (الطبقات) قال: حدثنا يزيد بن هارون وعفان بن مسلم قالا: حدثنا مهدي بن ميمون، حدثنا محمد بن عبد اللّه بن يعقوب، عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن علي عليه السلام، عن عبد اللّه بن جعفر قال:

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ٣٣٢٠٢، ٣٧١٦٣، ٤٤٤٣٨)، والسيوطي في (جمع الجوامع ٥٨٧٠)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٤/ ٣٧١).

(٢) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ٣/ ٢٣٠).

(٣) أخرجه أبو داود في (السنن ٤١٩٢)، والنسائي في (السنن ٨/ ١٨٢)، وأحمد بن حنبل في (المسند١/ ٢٠٤)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٤/ ١/ ٢٥)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٤٤٦٣)، والبغوي في (شرح السنة ٥/ ٤٦١)، وابن حجر في (فتح الباري ٧/ ٥١٣)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٤/ ٢٥٢).

أردفني رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم خلفه وأسر إليَّ حديثاً لا أحدث به أحداً أبداً.

وقد أخرج البخاري ومسلم، معنى هذا الحديثين في الصحيحين فأخرجا عن عبد اللّه بن الزبير أنه قال لعبد اللّه بن جعفر: أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وآله أنا وأنت وابن عباس فقال له عبد اللّه بن جعفر: نعم فحملنا وتركك.

ولمسلم عن عبد اللّه بن جعفر قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم خلفه وأسر إليَّ حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس.

وقال ابن سعد في (الطبقات): حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا إسماعيل بن عامر قال: كان عبد اللّه بن عمر إذا لقيَ عبد اللّه بن جعفر يقول له: السلام عليك يا بن ذي الجناحين.

ذكر وفاته

قال الواقدي: توفي عبد اللّه بن جعفر سنة ثمانين وهو عام الجحاف؛ سيل كان ببطن مكة؛ جحف بالناس فذهب بالحاج والجمال بأحمالها، وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان؛ وكان والي المدينة أبان بن عثمان فصلى عليه أبان ولما وضعَ على السرير وصلى عليه، حمله أبان فما وضع سريره عن عنقه حتى بلغ إلى حفرته بالبقيع وعبد اللّه بن جعفر يومئذ ابن تسعين سنة.

قال ابن سعد في (الطبقات): وكان قد خرب فوه وسقطت أسنانه فكان يطبخ له الثريد والشيء اللين فيأكله وكان إذا قيل له: إنك لستَ بآكلٍ شق عليه ذلك.

ذكر أولاد عبد اللّه بن جعفر

كان له عدة أولاد منهم: جعفر الأكبر وبه كان يكنى وأمه أم عمر وبنت خراش بن بغيض وعلي، وعون الأكبر؛ ومحمد؛ وعباس، وأم كلثوم وأمهم زينب بنت علي عليه السلام وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ؛ وحسن درج، وعون الأصغر قتل مع الحسين بن علي عليه السلام يوم الطفوف ولا بقية له وأمهم حمانة بنت المسيب بن نجبة الفزاري، وأبو بكر، وعبيد اللّه: ومحمد وأمهم الخوصاء بنت حفصة من بني بكر بن وايل، وصالح، ويحيى لا بقية لهما؛ وموسى، لا بقية لهما أيضاً؛ وجعفر؛ وأم أبيها وأم وأمهم ليلى بنت مسعود؛ وحميد، وأم الحسن لأم ولد، وجعفر، وأبو سعيد؛ وأمهما أم الحسين بنت عمر من بني صعصعة ومعاوية، وإسحاق؛ وإسماعيل، وقثم؛ وعباس؛ وأم عون لأمهات أولاد شتى ولم يسم أحد من هاشم ولده بمعاوية إلا عبد اللّه بن جعفر ولما سماه هجره بنو هاشم فلم يكلموه حتى توفي رحمه الله.

وزوج إحدى بناته الحجاج بن يوسف خوفاً من شره فسقطت منزلته عند الناس والتقاه الوليد بن عبد الملك وهو ولي عهد أبيه يوماً بظاهر دمشق فسلم عليه عبد اللّه فرد عليه الوليد أقبح رد وقال له: ويحك يا بن جعفرَ عمدت إلى عقيلة آل جعفر فسلمتها إلى عبد بني ثقيف، يتفخذها والله لئن عشت لك لأرينك العجب فاعتذر إليه فلم يقبل عذره، ومات عبد اللّه قبل أن يفضي الأمر إلى الوليد.

الباب الثامن

في ذكر الحسن عليه السلام

وكنيته: أبو محمد؛ ويلقب بالقايم؛ والتقي، والطيب، والسيد، والسبط والولي؛ ولد في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة وأذن رسول الله صلى الله عليه وآله في أذنه.

قال أحمد بن حنبل في المسند: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن عقيل، عن محمد بن علي عن أبيه علي عليه السلام قال: لما ولد لي الحسن سميته باسم عمي حمزة، ولما ولد الحسين سميته باسم أخي جعفر فدعاني رسول الله ﷺ فقال لي: «يا أبا تراب إن الله قد أمرني أن أغير اسم هذين الغلامين فسماهما حسناً وحسيناً»[1] وأخرجه أحمد أيضاً في (الفضائل).

وقال أحمد في المسند: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني عن علي عليه السلام قال: لما ولد الحسن سميته حرباً فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ابني ما سميتوه؟ فقلت: حرباً، فقال: لا بل هو حسن»[2]، فلما ولد حسين سميته حرباً، فقال: «لا بل هو حسين بأسماء ولد هارون شبر وشبير».

وفي رواية: فلما ولد الثالث سميته حرباً، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو محسن مثل مشبر»[3]. وهذا يدل على صحة ما ذكره الزبير بن بكار أنَّ فاطمة جاءت من علي

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٥/ ٢٣، ٨/ ٥٦)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٤/ ٢٦٣)، والحاكم في (المستدرك ٣/ ١٤١)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٣/ ٢٤٧)، ومسلم في (الصحيح ٣٦٤٤٣)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٣/ ١٢)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٣٦٣).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٩٨، ١١٨)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٦/ ١٦٦، ٧/ ٦٣)، والحاكم في (المستدرك ٣/ ٦٥، ١٨٠)، والطبراني في (المعجم الكبير ٣/ ١٠٠)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٨/ ٥٢)، والبخاري في (الأدب المفرد ٨٢)، والهيثمي في (موارد الظمآن ٢٢٢٧).

(٣) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ٣/ ١٠٠)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٧٦٧٦، ٣٧٦٩٢)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٨/ ٥٢)، والحاكم في (المستدرك ٣/ ١٦٥)، ومسلم في الصحيح (الإيمان ١٨٧)، وابن كثير في (التفسير ٧/ ٣٤٧)، والطبري في (التفسير ٢٦/ ٧٥)، =

بولد آخر اسمه محسن مات طفلاً، وقيل: إن الحسن ولد لستة أشهر.

وذكر ابن سعد في (الطبقات): أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين بكبشين ووزنت فاطمة عليها السلام شعرهما لما حلقته وتصدقت بوزنه فضة وقيل: فضة وذهباً وذلك في اليوم السابع وكان وزن شعرهما درهم.

ذكر فضائل الحسن عليه السلام

كان من كبار الأجواد؛ وله الخاطر الوقاد وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبه حباً شديداً.

قال أحمد في المسند: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، حدثنا عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: رأيت رسول الله ﷺ واضعاً الحسن على عاتقه وهو يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه»[(١)] متفق عليه، وفي رواية فأحب من يحبه.

وقال أحمد: أيضاً حدثنا محمد بن عبد اللّه بن الزبير، حدثنا عمر بن سعيد عن ابن أبي مليكة عن عقبة بن الحارث ويكنى أبا سروعة قال: صلى أبو بكر (رض) صلاة العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال ثم خرج يمشي ومعه علي عليه السلام إلى جنبه فرأى الحسن بن علي يلعب مع الصبيان فاحتمله على عاتقه وجعل يقول:

«يا بأبي شبه النبي ليس شبيهاً بعلي»

وعلي يضحك انفرد بإخراجه البخاري.

وقال أحمد أيضاً: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن الزهري عن

= والبغوي في (شرح السنة ٦/ ٢١٩)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ١٦)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٦٢٠٢)، والسيوطي في (الدر المنثور ٦/ ٨٥)، والطحاوي في (مشكل الآثار ١/ ١٤٢).

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٥/ ٣٣، ٧/ ٢٠٥)، ومسلم في (الصحيح ١٨٨٢)، والترمذي في (السنن ٣٧٨٣)، وابن ماجة في (السنن ١٤٢)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٢٤٩، ٢٩٢، ٣٣١، ٥٣٢، ٤/ ٢٩٢)، والحاكم في (المستدرك ٣/ ١٦٩، ١٧٧)، والبيهقي في (السنن الكبرى ١٠/ ٢٣٣)، وابن حجر في (المطالب العالية ٣٩٨٨)، والبخاري في (التاريخ الكبير ٣/ ٤٥٣، ٤/ ٣١٥)، والبخاري في (الأدب المفرد ٨٦، ١١١٣)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١/ ١٣٩)، وابن السني في (عمل اليوم والليلة ٤١٥)، والطبراني في (المعجم الكبير ٣/ ١٩)، وابن حجر في (فتح الباري ٧/ ٩٤، ١٠/ ٣٣٢)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٢٠٥، ٣١٩، ٧/ ٥٣)، والسيوطي في (جمع الجوامع ٩٧٦٠)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٦١٣٣)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٤٣١١، ٣٧٦٤٠، ٣٧٦٤١، ٣٧٦٤٢، ٣٧٦٥١، ٣٧٧٠٥)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١٢/ ١٠١)، والحميدي في (المسند ١٠٤٣)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٨/ ٤٣).

الحسن البصري قال: حدثني أبو بكرة ونفيع بن حرب، قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعلى الحسن أخرى ويقول: «إنّ ابني هذا سيد ولعلّ الله أنْ يصلح به بين فئتَين عظيمتين من المسلمين»[(١)] انفرد بإخراجه البخاري.

وقال البخاري قال لي عبد اللّه بن محمد: إنما ثبت سماع الحسن البصري من أبي بكرة بهذا الحديث.

وفي إفراد البخاري عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة ويقول: إنّ أباكما إبراهيم كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق»[(٢)]، والتامة التي لا نقص فيها لأن كلام المخلوقين ناقص، وقد روى التامات وهو أبلغ من التامة، والهامة كل نسمة تهم بسوء واصل اللامة من لممت إلماماً وإنما لم يقل: ملمة لتوافق لفظ هامة فتكون أخف على اللسان.

وأخرج البخاري عن أنس قال: لم يكن أحد يشبه بالنبي ﷺ إلا الحسن بن علي وكذا أخرج البخاري في الحسين وسنذكره في مقتله عند حضور رأسه بين يدي ابن زياد.

وأخرجه أحمد في المسند؛ وفيه كان الحسن بن علي أشبههم وجهاً برسول الله، وفي رواية كان الحسن يشبه رسول الله ﷺ من رأسه إلى سرته؛ والحسين يشبهه من سرته إلى قدميه.

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٣/ ٢٤٤، ٩/ ٧١)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٥/ ٣٨)، والطبراني في (المعجم الكبير ٣/ ٢١، ٢٢)، والسيوطي في (جمع الجوامع ٦٠٥٨)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٨/ ١٧، ٣٦)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٢٢٦)، وصاحب (الأذكار النووية ٣٢١)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٦/ ٤٤٢)، وابن حجر في (فتح الباري ٥/ ٣٠٧)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٦١٧٥)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٤٢٦٣)، والقرطبي في (التفسير ٤/ ٧٧، ١٠٤، ٧/ ٣٢)، والبغوي في (شرح السنة ١٤/ ١٣٦).

(٢) أخرجه أبو داود في (السنن ٤٧٣٧)، والترمذي في (السنن ٢٠٦٠)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٢٧٠)، والحاكم في (المستدرك ٣/ ١٦٧)، والطبراني في (المعجم الكبير ١٠/ ٨٧، ١١/ ٤٤٨)، وفي (المعجم الصغير ١/ ٢٥٧)، وعبد الرزاق في (المصنف ٧٩٨٧)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٥/ ١١٣، ١٠/ ١٨٧)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٥/ ٤٥)، والبغوي في (شرح السنة ٥/ ٢٢٨)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ١٥٣٤)، والطحاوي في (مشكل الآثار ٤/ ٧٢)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٢٢٣، ٤/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم الرازي في (علل الحديث ٢٠٧٢)، وابن السني في (عمل اليوم والليلة ٦٢٨)، والسيوطي في (الدر المنثور ٣/ ٤٠)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٩٧٢، ٨٥٤٧)، وابن عبد البر في التمهيد ٢/ ٢٧٢)، والبيهقي في (الأسماء والصفات ١٨٤)، وابن حجر في (الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ٩٠).

وحكى ابن سعد في (الطبقات) بإسناده إلى عبد اللّه بن الزبير قال: رأيتُ رسول الله ﷺ وهو ساجد ويجيء الحسن ويركب ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل ولقد رأيته يجيء وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر.

وقال أحمد: حدثنا زكريا بن يحيى عن عبيد اللّه بن عمرو عن عبد اللّه بن عقيل عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال: خرج النبي ﷺ في طائفة من النهار لا يكلمني ولا أكلمه حتى أتى سوق بني قينقاع فجلس بفناء بيت فاطمة عليها السلام فقال: «أثم لكع فحسبته ستاً فظنت أنها تلبسه سنحاباً أو تغسله فجاء الحسن يشتد حتى عانقه وقبله ساعة وقال: «اللهم إني أحبه وأحب من يحبه» متفق عليه، اللكع الصغير في السن وهذا قاله على وجه الملاعبة والسنحاب، القلادة؛ ويشتد يعدو وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سوق من أسواق المدينة فانصرف وانصرفت فقال لي: يا لكع ثلاثاً ادع لي الحسن بن علي فدعوته فجاء وفي عنقه السنحاب فالتزمه النبي ﷺ بيده وقال: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه»، وقوله عليه السلام لأبي هريرة: يا لكع أراد به أنه صغير في العلم والقدر.

قال أبو هريرة: فما كان أحد عندي أحب إليَّ من الحسن بن علي بعدما قال رسول الله ﷺ ما قال.

قال أبو هريرة: وكان رسول الله ﷺ يقبله.

وقال أبو نعيم الأصفهاني في (الحلية): حدثنا عبد اللّه بن محمد بن جعفر، حدثنا محمد بن نصر، حدثنا إسماعيل بن عمر، حدثنا العباس بن الفضل عن القاسم ابن عبد الرحمان، عن محمد بن علي قال: حج الحسن بن علي عليه السلام من المدينة إلى مكة عشرين حجة على قدميه والنجايب تقاد معه وكان يقول: إني أستح من الله أن ألقاه ولم أمش إلى بيته.

وذكر ابن سعد في (الطبقات) أنه حج خمسة عشر حجة ماشياً وأنه قاسم الله ما له ثلاث مرات حتى كان يعطي نعلاً ويمسك نعلاً، وخرج من جميع ما له لله تعالى مرتين؛ وفي رواية وسمعَ رجلاً يسأل الله عشرة آلاف درهم فبعث إليه، وقد ذكره جدي في الصفوة.

ذكر ما جرى له بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام

قال علماء السير: بويع الحسن بالخلافة في اليوم الذي استشهد فيه علي عليه السلام وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة قال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله فإن ذلك يأتي على كل شرط فبايعه وبايعه الناس وقيل: إنما بايعوه بعدما قتل علي عليه السلام بيومين.

وقال الزهري: يقول كان قد بايع علياً عليه السلام أربعون ألفاً من أهل العراق على الموت ليسيروا معه إلى الشام فلما استشهد بايعوا الحسن عليه السلام قال: وكان الحسن لا يؤثر القتال ويميل إلى حقن الدماء وعرف الحسن أن قيس بن سعد لا يوافقه على هذا الرأي فأقام بالكوفة ستة أشهر إلى سلخ ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، ثم خرج من الكوفة ونزل المداين وبعث قيس بن سعد على مقدمته في اثني عشر ألفاً وأقبل معاوية من الشام في جيوشه.

قال الشعبي؛ فبينا الحسن في سرادقه[1] بالمداين وقد تقدم قيس بن سعد إذ نادى منادٍ في العسكر: ألا أن قيس بن سعد قد قتل فانفروا فنفروا إلى سرادق الحسن فنازعوه حتى أخذوا بساطاً كانَ تحته، وطعنه رجل بمشقص فأدماه فازدادت رغبته في الدخول في الجماعة وذعر منهم فدخل المقصورة التي في المداين بالبيضاء وكان الأمير على المداين سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد ولاه عليها علي عليه السلام.

فقال له المختار، وكان شاباً: هل لك في الغناء والشرف؟ قال: وما ذلك؟ قال: تستوثق من الحسن وتسلمه إلى معاوية، فقال له سعد: قاتلك الله أثب على ابن رسول الله وأوثقه وأسلمه إلى ابن هند، بئس الرجل أنا إن فعلته.

وذكر ابن سعد في (الطبقات): أن المختار قال لعمه سعد: هل لك في أمر تسود به العرب؟ قال: وما هو؟ قال: تدعني أضرب عنق هذا يعني الحسن وأذهب به إلى معاوية، فقال له: قبحك الله ما هذا بلاهم عندنا أهل البيت.

ولما رأى الحسن، تفرق عنه الناس واختلاف أهل العراق عليه وغدر أهل الكوفة به رغب في الصلح وكان معاوية قد كتب إليه في السر يدعوه إلى الصلح فلم يجبه ثم أجابه.

قال الشعبي: لما مال الحسن إلى صلح معاوية قال له أخوه الحسين: أنشدك الله أن تصدق أحدوثة معاوية، وتكذب أحدوثة أبيك فقال: أما ترى إلى ما نحن فيه، وقد روى النمري ما يدل على أنَّ معاوية هو الذي راسله في الصلح.

وقد روي عن الحسن البصري قال: استقبل والله الحسن بن علي على معاوية بكتائب أمثال الجبال، قال عمرو بن العاص: إني والله لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها فقال له معاوية: أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء من لي بأمور المسلمين من لي بنسائهم من لي بضعفتهم، فبعث إليه رجلين من بني عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر، وقال: اذهبا إلى هذا الرجل واعرضا عليه

(١) السُرادق: ما يُمدُّ فوق صحن الدار وهو ستر الدار، و ـ: الخيمة الواسعة (ج) سرادقات.

وقولا له واطلبا إليه فأتياه، فدخلا عليه وتكلما وقالا له: وطلبا إليه فقال لهما الحسن: إنَّ بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في ذمامها قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك قال: فمن لي بهذا الأمر قالا له: نحن لك به فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به فصالحه وكان ذلك بالمداين.

قال الشعبي: صالحه على أن يأخذ من بيت المال بالكوفة خمسة ألف ألف وأن لا يسب علي عليه السلام وأشياء شرطها عليه وكتبوا الكتاب، فأعطاه مائة ألف دينار أخرى وجميع ما كان في بيت مال الكوفة ثم سار معاوية فالتقيا بمسكن من أرض العراق ومسكن بكسر الكاف موضع على نهر دجيل قريباً من أوانا عند دير الجاثليق[١]، ذكره الخطيب في تاريخه وفي هذا المكان قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير وفيه قبر مصعب، وإبراهيم بن الأشتر النخعي قيل: وإنما التقيا بأذرح فسلم إليه الأمر، والأول أصح وذلك لخمس بقين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين فكانت خلافة الحسن ستة أشهر وأياماً.

وقال السدي: لم يصالح الحسن معاوية رغبة في الدنيا وإنما صالحه لما رأى أهل العراق يريدون الغدر به وفعلوا معه ما فعلوا خاف منهم أن يسلموه إلى معاوية والدليل عليه أنه خطب بالنخيلة قبل الصلح، فقال: أيها الناس إنَّ هذا الأمر الذي اختلفتُ فيه أنا ومعاوية إنما هو حق أتركه إرادة لإصلاح الأمة وحقناً لدمائها وإن إدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين.

ثم سار معاوية فدخل الكوفة، فأشار عليه عمرو بن العاص أن يأمر الحسن أن يخطب ليظهر عليه فقال له: قم فاخطب فقام وخطب فقال: أيها الناس إن الله هديكم بأولنا وحقن دماكم بآخرنا، ونحن أهل بيت نبيكم، أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً وإنَّ لهذا الأمر مدة والدنيا دول.

ذكر ما جرى له بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام

وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١] فضج الناس بالبكاء فالتفت معاوية إلى عمر وقال: هذا رأيك، ثم قال للحسن: حسبك يا أبا محمد.

وفي رواية، أنه قال: نحن حزب الله المفلحون وعترة[٢] رسوله المطهرون وأهل

---

(١) دَيْرُ الجاثليقِ: دير قديم البناء رحبُ الفناء من طسّوج مسكِن قرب بغداد في غربي دجلة في عرض حربى، وهو في رأس الحدّ بين السواد وأرض تكريت، وعنده كانت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير، وعنده قُتل هذا الأخير، (معجم البلدان ٢/ ٥٠٣).

(٢) العِتْرةُ: نسلُ الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون ممن مضى.

بيته الطيبون الطاهرون واحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم فطاعتنا مقرونة بطاعة الله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول، وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة فإن وافقتم رددناه عليه وخاصمناه إلى الله تعالى بظبي السيوف، وإن أبيتم قبلناه فناداه الناس من كل جانب البقية البقية.

وفي رواية ابن عبد البر المالكي في كتاب (الاستيعاب)[1] وكنيته أبو عامر بن سفيان بن ياليل الخارجي وقيل: ابن ليلى ناداه يا مذل المؤمنين.

وفي رواية هشام: ومسود وجوه المؤمنين فقال له: ويحك أيها الخارجي لا تعنفني فإن الذي أحوجني إلى ما فعلت فتلكم أبي وطعنكم إياي وانتهابكم متاعي وإنكم لما سرتم إلى صفين كان دينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ويحك أيها الخارجي إني رأيتُ أهل الكوفة قوماً لا يوثق بهم وما اغتر بهم إلا من ذل ليس أحد منهم يوافق رأي الآخر ولقد لقي أبي منهم أموراً صعبة وشدايداً مرة وهي أسرع البلاد خراباً وأهلها هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً.

وفي رواية أن الخارجي لما قال له: يا مذل المؤمنين قال: ما أذللتم ولكن كرهت أن أفنيهم وأستأصل شافتهم لأجل الدنيا.

وذكر ابن جرير وغيره، إن الحسن لما صالح معاوية أقام بالكوفة يتجهز حتى برىء من جراحته فخرج إلى المسجد فقال: يا أهل الكوفة اتقوا الله في جيرانكم وضيفانكم من أهل بيت نبيكم فبكى الناس، فلما سار نحو المدينة تلقاه الناس من القادسية فقالوا: يا مذل العرب.

قال الزهري؛ كان الحسن متأولاً في صلحه لمعاوية.

قلت والذي أشار إليه الزهري ذكره أحمد في (الفضائل) فقال: حدثنا بهر بن حكيم، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا سعيد بن حمكان عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً»[2] فقال سفينة واسمه مهران: نظرتُ فإذاً خلافة أبي بكر سنتان وخلافة عمر عشر سنين وخلافة

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: مجلد للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر النمري القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ وهو كتاب جليل القدر ذكر فيه أولاً خلاصة سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام ثم رتّب الأصحاب على ترتيب الحروف لأهل المغرب، (كشف الظنون ١/ ٨١).

(٢) أخرجه الهيثمي في (موارد الظمآن ١٥٣١)، وابن حجر في (فتح الباري ٨/ ٧٧، ١٢/ ٢٨٧، ١٣/ ٢١٢)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ٢١٠، ٢٢٥)، والطحاوي في (مشكل الآثار ٤/ ٣١٣)، وابن كثير في (التفسير ٦/ ٨٥)، والقرطبي في (التفسير ١٢/ ٢٩٧، ٢٩٨)، وابن حجر في (الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ١٢٠)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٣/ ٢١٩، ٦/ ٢٢٥، ٢٨٢، ٧/ ٢٠٦، ٨/ ١٦، ٤١، ١٣٥)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٢٢٢).

عثمان اثني عشر سنة وخلافة علي خمس سنين وباقي الكسور تمام الثلاثين فكان ما فعل الحسن نظراً للأمة.

قال أهل السير: ولما سلم الحسن الأمر إلى معاوية أقام يتجهز إلى المدينة فاجتمع إلى معاوية رهط من شيعته منهم عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وهو أخو عثمان لأمه، وكان علي عليه السلام قد جلده في الخمر وعتبة وقالوا: نريد أن تحضر الحسن على سبيل الزيارة لنخجله قبل مسيره إلى المدينة فنهاهم معاوية وقال: إنه ألسن بني هاشم فألحوا عليه فأرسل الحسن فاستزاره فلما حضر شرعوا فتناولوا علياً عليه السلام والحسن ساكت فلما فرغوا حمد الحسن الله، وأثنى عليه وصلى على رسوله محمد صلى الله عليه وآله قال: إن الذي أشرتم إليه قد صلى إلى القبلتين وبايع البيعتين وأنتم بالجميع مشركون وبما أنزل الله على نبيه كافرون وأنه حرم على نفسه الشهوات وامتنع من اللذات حتى أنزل الله فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] وأنت يا معاوية ممن قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه: «اللهم لا تشبعه أو لا أشبع الله بطنك» أخرجه مسلم عن ابن عباس.

وبات أمير المؤمنين يحرس رسول الله صلى الله عليه وآله من المشركين وفداه بنفسه ليلة الهجرة حتى أنزل الله فيه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] ووصفه الله بالإيمان فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٥] والمراد به أمير المؤمنين وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى وأنت أخي في الدنيا والآخرة»[1] وأنت يا معاوية

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (فضائل الصحابة ٣٠)، والترمذي في (السنن ٣٧٣٠، ٣٧٣١)، وابن ماجة في (السنن ١٢١)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ١٧٩، ٣/ ٣٢، ٦/ ٣٦٩، ٤٣٨)، والدولابي في (الكنى والأسماء ١/ ٩٢)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ١١٧، ١٩٩، ٥/ ٣٢٤، ٦/ ١٠٩، ٢٠٣)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٤٢٤٢، ٣٢٨٨١، ٣٦٤٧٠، ٣٦٤٩٥، ٣٦٥٧٢، ٤٤٢١٦)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٤/ ٣٤٥، ٧/ ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٨/ ٣٠٧)، وابن أبي حاتم الرازي في (علل الحديث ٢٦٨٠)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ٢٢٧)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٩/ ١٠٩، ١١١)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٦٠٧٨)، والقرطبي في (التفسير ١/ ٢٦٦)، والطبراني في (المعجم الصغير ٢/ ٢٢، ٥٤)، والنسائي في (تهذيب خصائص عليّ ٢٦، ٢٨، ٣٢)، والبخاري في (التاريخ الكبير ١/ ١١٥، ٧/ ٣٠١)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١/ ٣٢٥، ٣/ ٤٠٦، ٤/ ٣٢٣، ٣٨٣، ٨/ ٥٣، ٢٦٦، ٩/ ٣٦٥، ١٠/ ٤٣، ١٢/ ٣٢٣)، والطبراني في (المعجم الكبير ١/ ١٠٨، ١١٠، ٢/ ٢٧٥، ٤/ ٢٠، ٢٢٠، ١١/ ٧٤)، وابن أبي عاصم في (السنة ٢/ ٥٦٥، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٩، ٦١٠)، وأبو نعيم في (تاريخ أصبهان ١/ ٨٠، ٢/ ٢٨١)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٠٨٨، ٢٢٢٢).

نظر النبي ﷺ إليك يوم الأحزاب فرأى أباك على جمل يحرض الناس على قتاله وأخوك يقود الجمل وأنت تسوقه فقال: لعن الله الراكب والقائد والسائق وما قابله أبوك في موطن إلا ولعنه وكنت معه ولاك عمر الشام فخنته، ثم ولاك عثمان فتربصت عليه، وأنت الذي كنت تنهي أباك عن الإسلام حتى قلت مخاطباً له:

يا صخر لا تسلمن طوعاً فتفضحنا   بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
لا تركنن إلى أمرٍ تقلدنا   والراقصات بنعمان به الحرقا

وكنت يوم بدر؛ وأُحد، والخندق، والمشاهد كلها تقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وقد علمت المسلمين الذي ولدت عليه؛ ثم التفت إلى عمرو بن العاص، وقال: أما أنت يا بن النابغة فادعاك خمسة من قريش غلب عليك ألأمهم وهو العاص وولدت على فراش مشرك وفيك نزل ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] وكنت عدو الله وعدو رسوله وعدو المسلمين وكنت أضر عليهم من كل مشرك وأنت القائل:

ولا أنثني عن بني هاشم   بما استطعت في الغيب والمحضر
وعن عايب اللات لا أنثني   ولولا رضي اللات لم تمطر

وأما أنتَ يا وليد فلا ألومكَ على بغضِ أمير المؤمنين فإنّه قتلَ أباكَ صبراً وجلدكَ في الخمرِ لما صليتَ بالمسلمينَ الفجرَ سكراناً، وقلت: أزيدكم؟ وفيك يقول الحطيئة:

شهد الحطيئة حين يلقى ربه   أنَّ الوليدَ أحق بالعذرِ
نادى وقد تمت صلاتهم   أأزيدكم سكراً وما يدري
ليزيدهم أخرى ولو قبلوا   لأتت صلاتهم على العشرِ
فأتوا أبا وهب ولو قبلوا   لقرنت بين الشفعِ والوترِ
حبسوا عنانك إذ جريت ولو   تركوا عنانك لم تزل تجري

وسماك الله في كتابه فاسقاً، وسمي أمير المؤمنين مؤمناً في قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨] وفيك يقول حسان بن ثابت وفي أمير المؤمنين:

أنزلَ اللّهُ ذو الجلال علينا   في علي وفي الوليد قرانا
ليسَ من كان مؤمناً عمركَ الله   كمنْ كان فاسقاً خوانا
سوفَ يُدعى الوليد بعد قليلٍ   وعلي إلى الجزاءِ عيانا
فعلي يجزى هُناك جنانا   ووليدِ يُجزى هناك هوانا

وأما أنت يا عتبة فلا ألومك في أمير المؤمنين فإنه قتل أباك يوم بدر واشترك في

دم ابن عمك شيبة وهلا أنكرت على من غلب على فراشك ووجدته نائماً مع عرسك حتى قال فيك نصر بن حَجاج:

نـبـئـتُ عـتـبـة هـيـأتـه عـرسـهُ لـصـداقـة الـهُـذلـي مـن الـحـيـانِ
ألـفـاهُ مـعـهـا فـي الـفـراشِ فـلـم يـكـن فـحـلاً وأمـسـكَ خـشـيـة الـنـسـوانِ
لا تـعـتـبـنّ يـا عـتـب نـفـسـك حـبـهـا إنّ الـنـسـاءَ حـبـائـل الـشّـيـطـانِ

ثم نفض الحسن ثوبه وقام فقال معاوية:

أمـرتُـكـم أمـراً فـلـم تـسـمـعـوا لـه وقـلـتُ لـكـم: لا تـبـعـثـن إلى الـحـسـنِ
فـجـاء ورب الـراقـصـاتِ عـشـيـة بـركـبـانـهـا يـهـويـن مـن سـرةِ الـيـمـنِ
أخـافُ عـلـيـكـم مـنـه طـول لـسـانـهِ وبـعـد مـداه حـيـن إجـرارهِ الـرسـنِ
فـلـمـا أبـيـتُـم كـنـتُ فـيـكـم كـبـعـضـكُـم وكـان خـطـابـي فـيـه غـبـنـاً مـن الـغـبـنِ
فـحـسـبُـكـم مـا قـالَ مـمـا عـلـمـتـم وحـسـبـي بـمـا ألـفـاه فـي الـقـبـرِ والـكـفـنِ

تفسير غريب هذه الواقعة

قال الأصمعي وهشام بن محمد الكلبي في كتابه المسمى (بالمثالب) وقد وقفت عليه: معنى قول الحسن لمعاوية قد علمت الفراش الذي ولدت عليه أنّ معاوية كان يقال: إنه من أربعة من قريش: عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ومسافر بن أبي عمر، وأبي سفيان، والعباس بن عبد المطلب، وهؤلاء كانوا ندماء قريش، وهو الذي وشى به عَمْرو بن العاص إلى النّجاشي، فدعى الساحر فنفث في إحليله فهام مع الوحش، وكانت امرأة النجاشي قد عشقته، وأما مسافر بن أبي عمرو فقال الكلبي: عامة الناس على أنّ معاوية منه لأنه كان أشد الناس حباً لهند فلما حملت هند بمعاوية خاف مسافر أنْ يظهر أنه منه فهرب إلى ملك الحيرة وهو هند بن عمرو، فأقام عنده ثم إنَّ أبا سفيان قدم الحيرة فلقيهُ مسافر وهو مريض من عشقه لهند، وقد سقى بطنه فسأله عن أهل مكة، فأخبره وقيل: إنّ أبا سفيان تزوج هنداً بعد انفصال مسافر عن مكة، فقال له أبو سفيان: إني تزوجت هنداً بعدك فازداد مرضه وجعل يذوب فوصف الكي، فأحضروا له المكاوي والحجام فبينا الحَجّام يكويه إذ حبق الحجام فقال مسافر: (قد يحبقُ العير والمكواةُ في النار)[1] فسارت مثلاً ثم مات مسافر من عشقه لهند.

وذكر هشام بن محمد الكلبي أيضاً في كتاب (المثالب) وقال: كانت هند من

(١) قد يحبق (وقيل: يَضْرَطُ) العير والمكواة في النار: مثل عربي يُضرب للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه. وقيل: إذا أعطى البخيل شيئاً مخافة ما هو أشد منه قالوا هذا المثل، (مجمع الأمثال ٢/ ٩٥).

المُغيلمات، وكانت تميل إلى السودان من الرجال، فكانت إذا ولدت ولداً أسود قتلته.

قال وجرى بين يزيد بن معاوية وبين إسحاق بن طابه بن عبيد كلام بين يدي معاوية وهو خليفة فقال يزيد لإسحاق: إن خيراً لك أنْ يدخلَ بنو حربِ كلهم الجنة أشار يزيد إلى أنَّ أم إسحاق كانت تتهم ببعض بني حرب، فقال له إسحاق: إن خيراً لك أنْ يدخل بنو العباس كلهم الجنة فلم يفهم يزيد قوله، وفهم معاوية فلما قام إسحاق قال معاوية ليزيد: كيف تشاتم الرجال؟ قبل أنْ تعلم ما يقال فيك: قال قصدت شين إسحاق وهو كذلك أيضاً، قال: وكيف؟ قال: أما علمتَ أنَّ بعض قريش في الجاهلية يزعمون أني للعباس، فسقط في يدي يزيد.

قال الشعبي: وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هندٍ يوم فتح مكة بشيءٍ من هذا فإنها لما جاءت تبايعهُ، وكان قد أهدر دمها فقالت: على ما أبايعك؟ فقال: «على أنْ لا تزنين» فقالت: وهل تزني الحرة؟ فعرفها رسول الله ﷺ، فنظر إلى عمرو فتبسم.

قلتُ وقد رُوي عن هندٍ خلافَ هذا فذكرَ صاحبُ العقدِ: أن هنداً بنت عتبة كانتْ تحت الفاكه بن المغيرة المخزومي وكانَ لهُ بيتٌ للضيافة يغشاهُ الناسُ فيهِ من غيرِ إذنٍ فقالَ فيهِ يوماً مع هندٍ ثم خرجَ وتركها فيه نائمة فجاءَ بعضُ الأضيافِ على عادتهِ فوجدَها نائمةً فولّى خارجاً واستقبله الفاكهُ فدخلَ على هندٍ فانتبهها وقالَ من هذا الذي كان عندَكِ؟ فقالت: والله ما زلتُ نائمة مُنذُ خرجتَ وما رأيتُ أحداً دخلَ سواكَ فقالَ لها: الحقي بأهلكِ وخاضَ الناسُ في أمرها فقالَ لها أبوها: أخبريني خبرَك فإن كانَ صادقاً دسيتُ إليه من يقتلهُ فينقطعُ الكلامُ عنك وإن كانَ كاذباً حاكمتُهُ إلى بعضِ كهانِ اليمن، فقالتْ: واللّهِ لكاذبٌ فقال عتبةُ للفاكهِ قد رميت ابنتي ببهتانٍ عظيم فإما أن تُبين وإما أنْ تحاكمني إلى الكاهنِ فقالَ ذلك إليك.

فخرجا في جماعة من أهلها فلما شارفوا بلادَ الكاهن تغيّر وجهُ هندٍ فقال لها أبوها: هلاّ كان هذا قبل أن يشتهر خروجَنا بين الناسِ فقالَتْ والله ما ذاك ولكنكم تأتونَ بشراً يُخطئ ويصيب ولعله يخطئ، فليسمني بميسم[1] يبقى على ألسنة العرب فقالَ أبوها: صدقت ولكني سأخبره لك فصفر لفرسه، فأدلى فعمد إلى حبة بر فتركها في إحليله وأوكئ عليها، ثم نزلوا على الكاهنِ فأكرمهم فقال له عتبة: قد أتيناكَ في أمرٍ وقد خبأتُ لك خبية فأخبرني بها فقال: ثمرة في كمرة، فقال أريد أبين من هذا؟ فقال: حبة بر في إحليل مهر، فقال: صدقت، فانظر في أمر هذه النسوة وكان قد خرج معها نسوة من بني عبدِ مناف، فجعلَ يمسح على رأس كل واحدة ويقول: قومي لشأنكِ حتى مسح على رأسِ هندٍ فقال: قومي غير رشحاء ولا زانية وستلدين ملكاً

(١) المِيْسَمُ: الآلة التي يُوسم بها، وهي حديدة يُحمى عليها في النار وتُكوى بها جلود الحيوانات لتُحدث السِّمة.

يُقال له معاوية فأخذ الفاكة بيدها، فنترتها، وقالت: والله لأحرصن على أنْ يكون من غيرك، فتزوجها أبو سفيان بعده فولدت معاوية، والرشحُ: بالحاء المهملة لحم العجز والفخذين.

وأما قولُ الحسن لعمرو بن العاص: ولدت على فراش مشترك، فذكر الكلبي أيضاً في (المثالب) قال كانت النابغة أم عمرو بن العاص من البغايا أصحاب الرايات بمكةَ فوقعَ عليها العاصُ بن وائل في عدة من قريش منهم أبو لهب، وأمية بن خلف، وهشامُ بن المغيرة، وأبو سفيان بن حرب في طهر واحد.

قال ابن الكلبي: وكان الزناة الذين اشتهروا بمكة جماعة منهم هؤلاء المذكورون؛ وأمية بن عبد الشمس، وعبد الرَّحمان بن الحكم بن أبي العاص أخو مروان بن الحكم، وعتبة بن أبي سفيان أخو معاوية، وعقبة بن أبي معيط فلما حملتْ النابغةُ بعمر وتكلموا فيه فلما وضعته اختصم فيه الخمسة الذين ذكرناهم كل واحد يزعم أنه ولده وألّب عليه العاص بن وائل وأبو سفيان بن حرب كل واحد يقول: والله إنه مني فحكما النابغة، فاختارت العاص فقالت: هو منه فقيل لها ما حملك على هذا وأبو سفيان أشرف من العاص؟ فقالت: هو كما قلتم إلا أنه رجل شحيح والعاص جواد ينفقُ على بناتي وأبو سفيان لا ينفق عليهن وكانَ لها بنات.

وأما قول الحسن للوليد بن عقبة: وجلدك علي في الخمر فذكر أرباب السير قاطبة أن عثمان بن عفان ولّى الوليد بن عقبة الكوفة سنة ست وعشرين وكان الوليدُ مدمناً على شربِ الخمرِ، وكانَ يجلسُ على الشرابِ وعندَهُ ندماؤه ومغنوه طول الليل إلى الفجر فإذا أذنه المؤذن بصلاة الفجر خرج سكراناً فصلّى بهم فخرج يوماً في غلالة لا يدري أين هو فتقدم إلى المحراب فصلّى بهم الفجر أربعاً وقال أزيدُكم؟ فقال له عبد اللّه مسعود ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم، ولما سجد قال في سجودهِ اشربْ واسقني، فناداهُ ابن غيلان الثَّقفي سقاك اللّهُ المهلَ ومَنْ بعثك أميراً علينا ثم حصبهُ وحصبه أهل المسجدِ فدخلَ الوليدُ القصرَ وهو يترنحُ فنامَ في سريره فهجمَ عليه جماعةٌ منهم أبو جُنْدب بن زُهير الأسَدي وابن عوف الأزْدي وغيرهما وهو سكران لا يعي فأيقظوهُ فلم ينتبه ثم قاءَ عليهم الخمرَ، فنزعوا خاتمهُ من يدهِ وخرجوا من فورهمْ إلى المدينةِ فدخلوا على عثمان فشهدوا على الوليد أنه شربَ الخمرَ فقال: وما يُدريكم أنه شرب خمراً، قالوا: شربَ الخمر الذي كنا نشربه في الجاهلية فزبرهما، ونال منهما فخرجا من عنده، فدخلا على علي عليه السلام وأخبراهُ بالقصةِ فدخلَ على عثمان فقالَ لهُ دفعتَ الشهودَ وأبطلتَ الحدودَ؟ قال له فما ترى؟ فقال: تبعثُ إلى الفاسق فتحضره فإن قامت عليه البينة حددتهُ، فأرسل إلى الوليدِ فأحضره، فشهدوا عليه ولمْ يَكُنْ لهُ حجةً فرمى عثمان السوطَ إلى علي وقال له حدّه فقال علي لولدهِ الحسن: قُمْ

فحده فامتنعَ الحسنُ وقال: يتولى حارها من تولى قارها والقرُّ البردُ؛ ومعناه يتولاه والي الأمر، فقال لعبد اللّه بن جعفر: قم فاجلده فامتنع، فلما رآهم لا يفعلون توقياً لعثمان أخذ السوط ودنا من الوليد، فسبه الوليدُ فقال له عقيل بن أبي طالب يا فاسق ما تعلم من أنت؟ ألست علجاً[١] من أهل صفورية؟ قرية بين عكا واللجون من أعمال الأردن كان أبوك يهودياً منها، فجعل الوليد يحيد عن علي فأخذه فضربَ به الأرضَ فقال له عثمان ليس لك ذلك فقال: بلى وشر من ذلك، إذ فسق ثم يمتنع أن يُؤخذ منه حق الله تعالى ثم جلدَهُ أَربعين.

وقَدْ أخرجَ أحمد في المسند معنى هذا فقال: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن عبد اللّه بن الداناج عن حصين بن المنذر بن الحارث بن وعلة قال: لما قال علي عليه السلام للحسن: قُمْ فاجلدْهُ قال وفيم أنت وذاك؟ فقال علي: بل عجزت ووهنت قم يا عبد اللّه بن جعفر، فاجلدهُ فقام فجلده وعلي عليه السلام يعد حتى بلغ أربعين قال: امسك ثم قال: جلد رسول الله صلى الله عليه وآله في الخمر أربعين وضربَ أبو بكر (رض) أربعين، وضربها عمر (رض) صدراً من خلافته، ثم أتمها ثمانين وكل سنة.

فإن قيل، فقد روى أحمد في المسند أيضاً عن علي عليه السلام أنه قال: ما من رجل أقمت عليه حداً فمات فأجد في نفسي منه إلا صاحب الخمر فإنه لو مات لوديته لأن رسول الله صلى الله عليه وآله يسنه وأخرجاه في الصحيحين، فكيف تقول وكل سنة؟ قلنا: لا خلاف إنّ النبي صلى الله عليه وآله ضرب في الخمرِ فالضربُ في الجملة سنة والعدد ثبت بإجماع الصحابة.

وقيلَ هذه القصة إنما جرت للحسن مع معاوية والوليد ومن سميناهم بالشام لأن الحسن كانَ يفدُ على معاوية كل حين ومعه الحسين.

قلت: وقد دعى رسول الله صلى الله عليه وآله على الوليد بن عقبة لما رد أمانه.

فقالَ أحمد في المسند: حدثنا عبيد اللّه بن عمر، حدثنا عبد اللّه بن داود، حدثنا نُعيم بن حَكِيم عن ابن أبي مريم عن علي عليه السلام قال: جاءت امرأة الوليد بن عقبة تشكوه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت: يا رسول إن الوليد يضربني فقال: «اذهبي إليه وقولي له: قد أجارني رسول الله صلى الله عليه وآله» فلم نلبث إلا يسيراً حتى جاءت فقالت: ما زادني إلاّ ضرباً، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله هدبةً[٢] من ثوبهِ فدفعها إليها وقال لها: «قولي هذا أماني من رسول الله» فلم نلبث

(١) العِلْجُ: الشديد الجافي من الرجال (ج) علوج، وأعلاج.
(٢) هُدبةٌ: واحدة الهُدْبُ: من الثوب طرفُه الذي لم يُنسج (ج) أهداب.

إلا يسيراً حتى جاءت فقالت: يا رسول الله ما زادني إلا ضرباً قال: «فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله يديه، وقال: «اللهم عليك بالوليد»[١] وفي رواية «اللهم عليك بالفاسق».

واختلفوا في معنى تسميتِهِ بالفاسقِ على قولين أحدهما: أنَّ الوليد قال يوماً لعلي عليه السلام ألستُ أبسطُ منك لساناً وأحدَّ سناناً فنزلت ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨] ذكره ابن عباس.

والثاني: أن النبي صلى الله عليه وآله بعثه سنة ثمان من الهجرة إلى بني المصطلق يصدقهم وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد فلما بلغهم قدوم الوليد خرجوا يتلقونه بالهدايا والسلاح فرحاً به فلما رآهم ولّى راجعاً إلى المدينةِ فقالَ: يا رسول الله قد منعوا الزكاة وقاموا إليّ بالسلاح فابعث إليهم البعوث، فقدم الحارث بن عباد على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: « يا حارث أردتَ قتلَ رسولي ومنعتَ الزكاةَ» فقال: والذي بعثك بالحق ما وصل إلينا وإنما رجع من الطريقِ ولقد كذبَ فأنزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ [الحجرات: ٦] الآية.

وذكرَ هشامُ بن محمد الكلبي عن محمد بن إسحاق قالَ: بعث مروان بن الحكم وكانَ والياً على المدينة رسولاً إلى الحسن عليه السلام فقال له: يقول لك مروان أبوك الذي فرق الجماعة وقتل أمير المؤمنين عثمان، وأباد العلماء والزهاد يعني الخوارج وأنت تفخرُ بغيركِ فإذا قيلَ لك من أبوك؟ تقول: خالي الفرس، فجاءَ الرسول إلى الحسن فقال له يا أبا مُحمد إني أتيتُك برسالة ممن يخاف سطوته ويحذر سيفه، فإن كرهتَ لم أبلغك إياها ووقيتك بنفسي، فقال الحسن: لا بل تؤديها ونستعين عليه بالله، فأدّاها فقال له: تقول لمروان إن كنت صادقاً فالله يجزيك بصدقك، وإنْ كنت كاذباً فالله أشد نقمةً، فخرج الرسول من عنده، فلقيه الحُسين فقال: من أين أقبلت؟ فقالَ من عندِ أخيكَ الحسن، فقال وما كنت تصنع؟ قال أتيت برسالة من عند مروان فقال: وما هي؟ فامتنع الرسول من أدائها فقال لتخبرني أو لأقتلنك فسمع الحسن، فخرج وقال لأخيه: خل عن الرجلِ، فقال لا والله حتى أسمعها فأعادها الرسول عليه فقال: قل له يقول لك الحسين بن علي بن فاطمة: يا ابنَ الزرقاءِ الداعية إلى نفسها بسوق ذي المجاز صاحبة الراية بسوق عكاظ[٢]، ويا ابن طريد رسول الله ولعينه اعرفْ

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ١/ ١٥٢)، وصاحب (الجامع الكبير المخطوط الجزء الثاني ٢/ ٤٠٠).

(٢) عُكاظ: موضوع بين نخلة والطائف إلى الجنوب من مكة، كانت تقوم به أشهر أسواق العرب، يجتمع العرب في هذه السوق لتناشد الأشعار والتفاخر، مرةً كل عام، من هلال ذي القعدة، وتستمر إلى العشرين منه، (معجم البلدان ٤/ ١٤٢).

من أنتَ ومن أُمكَ ومَنْ أبوكَ، فجاء الرسول إلى مروان فأعاد عليه ما قالا، فقال له: ارجع إلى الحسن وقُلْ لهُ: أشهد أنك ابن رسول الله وقل للحسين: أشهد أنك ابن علي بن أبي طالب، فقال للرسول: قل له كلاهما لي ورغماً.

قال الأصمعي: أما قول الحسين: يا ابن الداعية إلى نفسها فذكر ابن إسحاق أن أم مروان اسمها أمية، وكانت من البغايا في الجاهلية، وكان لها راية مثل راية البيطار تعرف بها، وكانت تُسمى أم حبتل الزرقاء، وكان مروان لا يعرف له أب وإنما نسبَ إلى الحكم كما نُسب عمرو إلى العاص.

وأما قوله: يا بن طريد رسول الله يشير إلى الحكم بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس أسلم الحكم يوم الفتح، وسكن المدينة وكان ينقل أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكفار من الأعراب وغيرهم ويتجسس عليه.

قال الشعبي: وما أسلم إلاّ لهذا ولم يُحسن إسلامهُ، ورآه رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً وهو يمشي ويتخلج في مشيته يحاكي رسول الله، فقال له: كن كذلك فما زال يمشي كأنه يقع على وجهه، ونفاه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الطائف ولعنه، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله كلّم عثمان أبا بكر أن يردَهُ لأنه كان عم عثمان فقال أبو بكر: هيهات شيء فعله رسول الله صلى الله عليه وآله والله لا أخالفهُ أبداً، فلما مات أبو بكر وولى عمر كلمه فيه فقال: يا عثمان أما تستحي من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أبي بكر ترد عدو الله وعدو رسوله إلى المدينة، والله لا كان هذا أبداً فلما مات عمر وولي عثمان رده في اليوم الذي وُلي فيه وقرّبه وأدناه ودَفَع له مالاً عظيماً ورفع منزلتهُ فقامَ المسلمون على عثمان وأنكروا عليه وهو أول ما أنكروا عليه، وقالوا: رددت عدو الله ورسوله، وخالفت الله ورسوله فقال: إن رسول الله وعدني برده فامتنع جماعة من الصحابة عن الصلاة خلف عثمان لذلك، ثم توفي الحكم في خلافته فصلّى عليه ومشى خلفه فشق ذلك على المسلمين، وقالوا: ما كفاك ما فعلت حتى تُصلي على منافق ملعون لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله ونفاه فخلعوه وقتلوه، وأعطى ابنه مروان خمس غنائم إفريقية خمس مائة ألف دينار.

ولما بلغَ عائشة أرسلت إلى عثمان أما كفاك أنك رددت المنافق حتى تعطيه أموالَ المسلمين وتُصلي عليه وتشيّعه بهذا السبب قالت: اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر.

ولمّا بلغَ مروان إنكارها جاء إليها يعاتبها فقالتْ له: اخرج يا بن الزرقاء إني أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لعن أباك وأنتَ في صلبهِ.

قال الشعبي: إن مروان ولد سنة اثنتين من الهجرة وأبوه إنما أسلم يوم الفتح ونفاه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك.

قلت: وقد ذكر ابن سعد في (الطبقات) معنى الحكاية التي حكيناها عن ابن إسحاق ورسالة مروان إلى الحسن وقال فيها: كان مروان يشتم علياً عليه السلام يوم الجمعة على المنبر، وكان الحسن يقعد في حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يفرغ ثم يخرج فيصلى خلفه، فبعث إليه الحسن يعاتبه، فقال له مروان للرسول قل: ما أجد لك مثلاً إلا البغلة يقال لها: من أبوك؟ فتقول: خالي الفرس.

وقال ابن سعد: كان الحسن والحسين يخضبان بالسواد، ومن مكارم أخلاق الحسن ما قرأتهُ على أبي القاسم عبد المحسن بن عبد اللّه بن الخطيب بالمَوْصِل سنة خمس وست مائة. قال: أنبأنا والدي أبو الفضل عبد اللّه بن أحمد، وعمي عبد الرحمان بن أحمد بن محمد الطوسي قالا: أنبأنا الحاجب أبو الحسن علي بن محمد بن علي العلاف، أنبأنا عبد الملك بن محمد بن بشران، أنبأنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الكندي بمكة في المسجد الحرام سنة ثلاث وخمسين وثلاث مائة قرأته عليه قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي صاحب كتاب اعتلال القلوب قال: أنبأنا أبو زيد عمرو بن شيبة، حدثنا أيوب بن عمرو الغفاري قال: أنبأنا خالي محمد بن عمارة الغفاري قال: طلّق عبد اللّه بن عامر امرأته بنت سهيل بن عمرو فقدمت المدينة، ومعها ابنتها ووديعة جوهر لابن عامر، فتزوجها الحسن، ثم أراد ابن عامر العمرة فأتى المدينة فلقي الحسن فقال: يا أبا محمد إن لي إلى ابنة سهيل حاجة فأذنْ لي في الدخولِ عليها فقال لها الحسن: البسي ثيابك فهذا ابن عامر يستأذن عليك، فدخل عليها، فسألها وديعته فجاءته بها عليها خاتمه فقال: خذي ثلثها فقالت: ما كنت لآخذ على أمانة ائتمنت عليها ثمناً أبداً، فقال: إن ابنتي قد بلغت وأحب أن تخلي بيني وبينها فبكت وبكت ابنتها ورق لهما ابن عامر، فقال الحسن فهل لكما فوالله ما محلل خير مني فخجل ابن عامر وقال: والله ما أخرجتها من عندك أبداً فكفلها الحسن حتى مات.

وقال الشعبي: طلّق الحسن امرأة وبعث إليها عشرة آلاف درهم فبكت وقالتْ: (متاعٌ قليل من حبيبٍ مفارق) فبلغ الحسن، فقال لو راجعت امرأة لراجعتها.

وقال ابن سعد في (الطبقات): كان الحسن لا يُفارقه أربع حرائر وكانت عنده ابنة منظور بن يسار الفَزاري وامرأة من بني أسد فطلقهما، وبعث إلى كل واحدة بعشرة آلاف درهم مع مولاه يسار، فقالت الفزارية: جزاهُ الله خيراً وقالت الأسدية: (متاعٌ قليل من حبيبٍ مفارق) فأخبرهُ، فراجع الأسدية، وترك الفَزَارية.

وفي رواية: أنه تزوج تسعين امرأة.

قال ابن سعد: وكان مطلقاً؛ وقيل: لم يراجع الأَسَدية.

وقال ابن سعد: ما فارقَ امرأة إلا وهي تُحبه.

ذكر وفاته عليه السلام

قال علماء السّير: أقامَ الحسن بالمدينة بعدما صالح معاوية إلى سنة تسع وأربعين فمرضَ أربعين يوماً، وتوفي لخمسٍ ليال بقين من ربيع الأول.

وقال الواقدي: توفي سنة خمسين وقيل: سنة إحدى وخمسين، والأول أشهر.

واختلفوا في سنه على قولين، أحدهما: تسع وأربعين سنة، والثاني سبع وأربعون سنة والأول أصح ودفن بالبقيع(١) وقبره ظاهر يُزار.

وقال ابن سعد في (الطبقات): رأى الحسن في المنام مكتوباً بين عينيه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، فاستبشر أهل بيته بذلك، فبلغ سعيد بن المسيب فقال: إنْ صدقت رؤياه فما بقي من أجله إلا القليل فمات بعد أيام.

سبب موته عليه السلام

قال علماء السير: منهم ابن عبد البر سَمّته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قَيس الكِنْدي.

وقال السّدي: دسَّ إليها يزيد بن معاوية أنْ سُمي الحسن وأتزوجك فسمتهُ فلما مات أرسلت إلى يزيد تسأله الوفاء بالوعد، فقال: أنا والله ما أرضاك للحسن أفنرضاك لأنفسنا؟!

وقال الشعبي: إنما دَسَّ إليها معاوية فقال: سمي الحسن وأزوجك يزيد وأُعطيك مائة ألف درهم، فلما مات الحسن بعثت إلى معاوية تطلب إنجاز الوعد، فبعث إليها بالمال، وقال: إني أُحب يزيد وأرجو حياته لولا ذلك لزوجتك إياه.

وقال الشعبي: ومصداق هذا القول أن الحسن كانَ يقولُ عند موتهِ وقد بلغهُ ما صنع معاوية: «لقد عملت شربته، وبلغَ أمنيته والله لا يفي بما وَعدْ ولا يصدقْ فيما يقول».

وقد حكى جدي في كتاب (الصفوة) قال: ذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه أن جعدة هي التي سمته وقال الشاعر في ذلك:

تغر فكم لك من سلوة ... تفرج عنك غليل الحزنْ
بموتِ النّبي وقتلِ الوصيّ ... وقتل الحُسين وسَمّ الحسنْ

وقال ابن سعد في (الطبقات): سمه معاوية مراراً لأنه كان يقدم عليه الشام هو وأخوه الحسين عليهما السلام.

وقال أبو نُعيم: أنبأنا محمد بن علي، حدثنا أبو عروبة الحَراني عن سليمان بن عمرو بن خالد عن ابن علية، عن ابن عون، عن عُمير بن إسحاق قال: دخلت أنا

---

(١) البقيع: بقيع الفرقد: مقبرة في المدينة المنورة.

ورجل على الحسن نعودهُ في مرضِ موتهِ فقال: يا فلان سلني حاجة، فقال: لا والله لا نسألك حتى يُعافيك الله، فقال: سلني قبل أن لا تسألني فلقد ألقيت طائفة من كبدي وأني سُقيتُ السمَّ مراراً فلم أُسق مثل هذه المرة.

قال: ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عند رأسه فقال له: يا أخي من تتهم؟ قال: لم لتقتله؟ قال: نعم، قال: إنْ يك الذي أظن، فالله أشد بأساً وأشدّ تنكيلاً، وإن لم يكن فما أحب أن يقتل بي بريء ثم قضى نحبه.

وفي رواية: أنه جزع وبكى بكاءً شديداً فقال له الحسين: يا أخي ما هذا الجزع، وما هذا البكاء؟ وإنما تقدم على رسول الله ﷺ وعلى أبيك وعمك جعفر وفاطمة وخديجة، وقد قال لك جدك: «إنك سيدُ شباب أهل الجنة» ولك سوابق كثيرة منها أنك حججت ماشياً خمس عشرة مرة، وقاسمت الله مالك مرتين وفعلت وفعلت، وعدد مكارمه، فوالله ما زاده ذلك إلا بكاءً وانتحاباً. ثم قال: يا أخي ألست أقدم على هولٍ عظيم، وخطبٍ جسيم لم أقدم على مثله قط، ولست أدري أتصير نفسي إلى النار فأعزيها، أو إلى الجنة فأهنيها.

وأخبرنا جدي أبو الفرج رحمه الله قال: أنبأنا محمد بن أبي منصور، وعلي بن أبي عمر قال: قالا: أنبأنا رزق الله وطراد بن محمد الزينبي قالا: أنبأنا علي بن بشران، أنبأنا أبو بكر القرشي عن إسحاق بن إسماعيل، عن أحمد بن عبد الجبار عن سفيان بن عيينة عن رؤية بن مصقلة قال: لما نزل بالحسن عليه السلام الموت قال: أخرجوا فراشي إلى صحن الدار، فأخرجوه، فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إني أحتسب عندك نفسي فإنها أعز الأنفس علي لم أصب بمثلها اللهم ارحم صرعتي وآنس في القبر وحدتي. ثم توفي عليه السلام.

ولما توفي تولى أمره أخوه الحسين وأخرجه إلى المسجد، وكان سعيد بن العاص أمير المدينة، فقالت بنو هاشم: لا يصلي عليه إلا الحسين فقدمه الحسين وقال: لولا السنة لما قدمتك.

وقال ابن سعد عن الواقدي: لما احتضر الحسن قال: ادفنوني عند أبي يعني رسول الله ﷺ فأراد الحسين أن يدفنه في حجرة رسول الله ﷺ، فقامت بنو أمية ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وكان والياً على المدينة، فمنعوه وقامت بنو هاشم لتقاتلهم، فقال أبو هريرة: أرأيتم لو مات ابن لموسى، أما كان يدفن مع أبيه.

قال ابن سعد: ومنهم أيضاً عائشة، وقالت: لا يدفن مع رسول الله ﷺ أحد.

قال: وحمل مروان بن الحكم سرير الحسن على عنقه إلى البقيع فقال له الحسين: تحمل سريره وقد كنت تجرعه الغيظ.

قال: وكتب مروان إلى معاوية أن بني هاشم أرادوا أن يدفنوا الحسن عند رسول

الله صلى الله عليه وآله، ومال معهم سعيد بن العاص، ومنعتهم لأجل عثمان المظلوم أيكون في البقيع وحسن مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبي بكر وعمر فكتب إليه معاوية يشكره ثم عزل سعيد بن العاص وولى مرواناً المدينة.

ولمّا دفن قام أخوه محمد بن الحنفية على قبره باكياً وقال: رحمك الله أبا محمد لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك، ولنعم الروح روح عمر به بدنك ولنعم البدن بدن تضمنه كفنك وكيف لا وأنت سليلُ الهدى، وحليفُ أهل التقى وخامس أصحاب الكسا ربيت في حجر الإسلام، ورضعت ثدي الإيمان، ولك السوابق العظمى والغايات القصوى، وبك أصلح الله بين فئتين عظيمتين، ولم بك شعث الدين فعليك السلام فلقد طبت حياً وميتاً وأنشد:

أأدهن رأسي أم تطيب محاسني وخدك معفوراً وأنت سليبُ
سأبكيكَ ما ناحتْ حمامةُ أيكةٍ وما اخضر في دوحِ الرياضِ قضيبُ
غريبٌ وأكنافُ الحجاز تحوطهُ ألا كل من تحتِ الترابِ غريبُ

قال الواقدي: ولما بلغ معاوية موته وكان بالخضراء كبر تكبيرة سمعها أهل المسجد.

وذكر ابن سعد: أن ابن عباس كان بالشام لما توفي الحسن، وكان بصره قد ذهب فدخل على معاوية، وقال لقائده: لا تقدني لئلا يشمت بي معاوية فقال معاوية: والله لأخبرنه بما هو أشد عليه من شماتتي به، فقال له: هلك الحسن بن علي فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ووالله لن تبقى بعده يا معاوية.

وروي أن ابن عباس قال له: أمات الحسن قال: نعم قال: لا يحزنك الله ولا يسؤك.

فقال ابن عباس: أما ما أبقاك الله لي فلا يحزنني، ولا يسؤني فأعطاه معاوية على كلمته هذه مائة ألف درهم وعروضاً وقال: أقسمها على أهلك.

ذكر أولاده

قال الواقدي وهشام: كان له خمسة عشر ذكراً وثمان بنات فمن الذكور علي الأكبر، وعلي الأصغر وجعفر؛ وفاطمة، وسكينة، وأم الحسن، وعبد اللّه، والقاسم؛ وزيد، وعبد الرحمان، وأحمد؛ وإسماعيل، والحسين وعقيل؛ والحسن؛ وهو أبو عبد اللّه حسن بن حسن بن علي عليه السلام وهذا المذكور إنما هو ترتب الواقدي، ومحمد بن هشام.

وأما محمد بن سعد فقد رتبهم في (الطبقات) على غير هذا الترتيب وزاد فقال: كان للحسن عليه السلام من الولد محمد الأصغر، وجعفر؛ وحمزة؛ وفاطمة؛ درجوا

وأمهم أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب؛ ومحمد الأكبر وبه كان يكنى؛ والحسن وأمهم خولة بنت منظور غطفانية، وزيد، وأم الحسن، وأم الخير وأمهم أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري واسمه عقبه بن عمرو، وإسماعيل ويعقوب وأمهما جعدة بنت الأشعث بن قيس التي سمته؛ والقاسم، وأبو بكر وعبد اللّه قتلوا مع الحسين يوم الطفوف وأمهم أم ولد ولا بقية لهم وقيل: اسم أمهم نفيلة التي قال عبد اللّه بن حسن للسفاح وأشار إليها: تبني قصوراً نفعها لبني نفيلة لما نذكر وحسين الأثرم، وعبد الرحمان، وأم مسلمة لأم ولد تسمى ظمياء وعمر لأم ولد لا بقية له، وأم عبد اللّه وهي أم أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام وأمها أم ولد تدعى صافية، وطلحة لا بقية له وأمه أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد اللّه التيمي؛ وعبد اللّه الأصغر، وأمه زينب بنت سبيع بن عبد اللّه أخي جرير بن عبد اللّه البجلي وهذا أصح.

وذكر الواقدي أنه كان لزيد بن الحسن أولاد منهم؛ محمد لأم ولد لا بقية له؛ ونفيسة بنت زيد تزوجها الوليد بن عبد الملك فتوفيت عنده وأمها لبانة بنت عبد اللّه بن العباس؛ وحسن بن زيد ولي المدينة لأبي جعفر المنصور وأمه أم ولد.

قال الواقدي توفي زيد بن الحسن ببطحاء بن أزهر على أميال من المدينة فحمل إلى البقيع، قال ولم يذكر لنا تاريخ موته إلاّ أنه من الطبقة الثانية من التابعين ومن أولاد الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام كان له أولاد منهم عبد اللّه بن حسن بن علي عليه السلام، وحسن بن حسن؛ وإبراهيم بن حسن بن حسن بن علي عليه السلام وكلهم ماتوا في حبس المنصور بالكوفة لما نذكر، وزينب بنت حسن بن حسن بن علي عليه السلام وتزوجها الوليد بن عبد الملك ثم فارقها، وأم كلثوم بنت حسن وأم الجميع فاطمة بنت الحسين بن علي عليه السلام وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد اللّه؛ وجعفر بن حسن بن حسن، وداود، وفاطمة، وأم القاسم ومليكة لأم ولد تدعى حبيبة فارسية، وأم كلثوم لأم ولد، وكل هؤلاء ولد الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام، والمشهور منهم عبد اللّه بن حسن بن حسن بن علي عليه السلام.

فنذكر بعض سيرته قال الواقدي: فيما حكاه عنه أن كنيته أبو محمد وكان مقيماً بالمدينة حتى زال ملك بني أمية فلما ولى أبو العباس السفاح الخلافة قدم من المدينة في جماعة من الطالبيين، وهو بالأنبار فأحسن جايزتهم وقدم عبد اللّه وحباه وقربه وأدناه وصنع به شيئاً لم يصنعه بأحد، وكان يسمر معه بالليل فسمر معه ليلة إلى نصف الليل فدعي أبو العباس بسفط[1] فيه جواهر ففتحه ثم قال يا أبا محمد هذا واللّه

(١) السّفط: وعاء كالقُفَّة أو وعاء للطِّيب وأدوات النساء (ج) أسفاط.

الجوهر الذي وصل إلي من الجوهر الذي كان في يد بني أمية فقاسمه إياه ثم نعس أبو العباس فخفق برأسه فأنشأ عبد اللّه يقول:

ألم تر حوشباً أمسى ويبني قصوراً نفعها لبني نفيلة
يؤمل أن يعمرَ عمر نوح وأمر الله يأتي كل ليلة

وانتبه أبو العباس ففهم ما قال، فقال؛ أيمثل هذا الشعر عندي وقد رأيت صنيعي بك، وأنني لم أدخر عنك شيئاً؟ فقال: يا أمير المؤمنين والله ما أردت بها سوء، وإنها أبيات خطرت لي فإن رأيت أن تحمل ما كان مني، فلتفعل فقال: قد فعلت.

وذكر الصولي في كتاب (الأوراق)[1] أن هذين البيتين أنشدهما عبد اللّه في غير هذا الوجه؛ فقال لما قدم عبد اللّه على أبي العباس أخذ بيده وجعل يمر به على قصوره وأبنيته التي بناها بالهاشمية وكان معجباً بها، فأنشد هذين البيتين فغضب السفاح واحمرت عيناه، وجذب يده من يده وقال: ما أردت بها فقال: والله ما أردت إلا أن أرهدك فيها، فقال السفاح:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

فقال: اغفرها لي فقال السفاح: لا غفر الله لي إنْ غفرتها لك أبداً.

وفي رواية: فقال له عبد اللّه: أقلني قال: لا أقالني الله إنْ أقلتك أو بت في عسكري فأخرجه إلى المدينة.

فلما توفي السفاح حبس أبو جعفر المنصور عبد اللّه بن حسن بالمدينة.

وذكر الصولي في كتاب (الأوراق) أن السفاح لما غضب على عبد اللّه بن حسن كلمه فيه المنصور، فضحك وقال: تكلمني فيه ووالله لا يحيفه سواك.

وقال الصولي: لما قدم عبد اللّه على السفاح أعطاه ألف ألف درهم وذلك لأنه لما قدم عليه قال له يوماً: يا أمير المؤمنين سمعت بألف ألف درهم، وما رأيتها قط فأمر أبو العباس بحملها إلى بين يديه، فلما أحضرت ورآها عبد اللّه استهابها فقال: احملوها معه فجاء الناس يهنون عبد اللّه فقال: شكرتم رجلاً أعطانا بعض حقنا، وفاز بالباقي فبلغ أبا العباس فلم يقل شيئاً.

ذكر حبس المنصور لعبد اللّه بن حسن وإخوته

قال علماء السير: كان لعبد اللّه بن حسن بن حسن عدة أولاد نذكرهم بعد وكان المشار إليه منهم، محمد، وإبراهيم وكانا يترشحان للخلافة وكان المنصور يخاف

(١) «الأوراق في أخبار آل عباس وأشعارهم»: كتاب لمحمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة كتب فيه ما رآه وشاهده، (كشف الظنون ١/ ٢٠١).

منهما وكانا يسكنان البوادي خوفاً منه، ثم يتنقلان في الأمصار من الحجاز إلى اليمن ثم إلى البصرة ثم إلى الهند ثم إلى السند، فلما حج المنصور سنة أربع وأربعين ومائة اجتمع بعبد اللّه بن حسن بن حسن بالمدينة، فسأله عن ولديه فقال: لا علم لي بهما فاغلظ له أبو جعفر فقال يا ماص بظر أمه؛ فقال له عبد اللّه: يا أبا جعفر بأي أمهاتي تمصني بفاطمة بنت رسول الله، أم بفاطمة بنت الحسين أم بأم إسحاق بنت طلحة أم بخديجة بنت خويلد، ثم حبسه، وقيل: إنه لما سأله عن ولديه قال: والله لو كانا تحت قدمي ما رفعتهما عنهما.

وذكر الصولي في (الأوراق) أن عبد اللّه بن حسن لما لامه الناس في كتم أمر ولديه قال: بليتي أعظم من بلية الخليل عليه السلام لأن الله تعالى أمره بذبح ابنه وهو طاعة لله تعالى: قال الله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦] وهذا يطلب مني أن أدله على ولدي ليقتلهما، وهو لله معصية فأمر بحبسه، فأقام عبد اللّه محبوساً ثلاث سنين وحبس معه جماعة منهم: حسن، وإبراهيم ابنا حسن أخو عبد اللّه بن حسن وحسن بن جعفر بن حسن وأبو بكر بن حسن بن حسن أخو عبد اللّه أيضاً وسليمان، وعبد اللّه، وعلي، وعباس بنو داود بن حسن بن حسن، ومحمد وإسحاق ابنا إبراهيم بن حسن بن حسن؛ وعباس بن حسن بن حسن بن علي عليه السلام أخذوه وهو قاعد على بابه، فنادت أمه عائشة بنت طلحة: بالله دعوني أشمه فلم يفعلوا؛ وعلي بن حسن بن حسن العابد؛ وموسى بن عبد اللّه بن حسن بن حسن وعلي بن محمد بن عبد اللّه بن حسن بن حسن، وكان الذي تولى حبسهم رياح بن عثمان ولاه أبو جعفر المدينة فقيدهم وضيق عليهم.

وأول من حبس منهم عبد اللّه ثم تتابعوا ولم يزالوا محبوسين حتى حج أبو جعفر في سنة أربع وأربعين ومائة هذه السنة، وكان حبس عبد اللّه على ما قيل: سنة إحدى وأربعين؛ فلما قفلَ أبو جعفر من مكة بعثَ إلى رياح فحملهم، وحمل معهم محمد بن عبد اللّه بن عمر بن عثمان وأخو بني حسن بن حسن لأمهم جميعاً ويسمى بالديباج وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فأخذهم رياح، فزادهم قيوداً وأغلالاً، وضيق عليهم حلق الحديد فأثرت في أرجلهم حتى أتى بهم الربذة لأنَّ أبا جعفر لم يدخلْ في تلك الحجة إلى المدينة بل أقام بالربذة حتى وصلوا في المحافل عراة ليس تحتهم وطأ ولا وسائد وأبو جعفر ينظر إليهم من وراء ستر.

قال الطبري: حمل معهم نحواً من أربعمائة من (جهينة ومزينة) وغيرهم.

قال عبد الرحمان بن أبي الموالي فأنا رأيتهم بالربذة ملقين في الشمس فدعي أبو جعفر بمحمد الديباج وكانت ابنته تحت إبراهيم بن عبد اللّه بن حسن فقال له:

أخبرني أين الكذابان الفاسقان يعني إبراهيم، ومحمد، ابني عبد اللّه بن حسن بن حسن فقال: والله ما أدري فضربه أربعمائة سوط، ثم ألقي عليه قميصاً غليظاً ثم نزعه فخرج جلده معه، وكان من أحسن الناس، ولهذا سمي الديباج وأصاب عينه سوط فذهبت عينه وحمل مكبلاً إلى أخيه عبد اللّه بن حسن وهو عطشان فلم يتجاسر أحد يسقيه ماء، فصاح عبد اللّه: يا معشر المسلمين أيموتُ أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله عطاشاً ثم ركبَ أبو جعفر في محمل ومعادله الربيع في الشق الآخر وحمل بنو حسن على أقتاب الجمال مكشوفة رؤوسهم والشمس تقرعها، وليس تحتهم غطاء عرايا عطاشاً جياعاً فمر بهم يوماً أبو جعفر وهو في محمله وقد غطاه بالحرير والديباج[١] فناداه عبد اللّه بن حسن: يا أبا جعفر هكذا فعلنا بكم يوم بدر فلم يكلمه، يشير إلى فعل النبي صلى الله عليه وآله بالعباس لما أسر يوم بدر وبات يئن في قيوده أو في قده فقال: لقد منعني أنين العباس الليلة أن أنامَ ثم حلَّ عنه.

وذكر الصولي في (الأوراق) أنّ ابن أبي الزناد السعدي لما أخرجوا من المدينة على الجمال وكل واحد يعادله جندي قال:

من لنفسٍ كثيرةِ الإشفاقِ ولعينٍ كثيرةِ الإطراقِ
جمدتْ للذي دهاها زماناً ثم جادتْ بدمعها المهراقِ
لفراقِ الذين راحوا إلى المو تِ عياناً والموتُ مرُّ المذاقِ
ثم ظلوا يسلمون علينا بأكفٍّ مشدودةٍ في وثاقِ

قال هشام بن محمد: واسم ابنه الديباج التي زوجها إبراهيم رقية، فلم يزالوا سائرين حتى قدم بهم أبو جعفر الكوفة على أسوأ حال.

قال الواقدي: وكانوا عشرين من أولاد الحسن عليه السلام، فحبسهم بها وقيل حبسهم بالهاشمية مقابل الكوفة في سرداب[٢] تحت الأرض لا يعرفون ليلاً ولا نهاراً وهذا السرداب عند قنطرة الكوفة موضعه معروف يزار، ولم يكنْ عندهم بئر للماء فكانوا يبولون ويتغوطون في مواضعهم فاشتدت عليهم الرائحة فكان الورم يبدو في أقدامهم وكانوا إذا ماتَ عندهم ميت لم يدفن بل يبلى وهم ينظرون إليه، وقيل: بل ردم عليهم الحبس فماتوا.

وقال الطبري: إنهم ماتوا عطشاً لأنهم ما كانوا يسقون ماءً.

واختلفَ علماءُ السير في موتِ عبد اللّه بن حسن هل كان موته قبل خروج

---

(١) الدِّيباج: نسيج من الحرير ملوَّن ألواناً (ج) ديابيج، ودبابيج.
(٢) السِّرداب: بناء تحت الأرض يُجعل فيه الماء في الصيف أو يُلجأ إليه من حرِّ الصيف. أو هو المكان الضيق يُدخل فيه (ج) سراديب.

ولديه محمد وإبراهيم على المنصور أم بعد ذلك؟ قال قوم: بعد موته وقال آخرون: قبل موته وهو الأصح لما نذكر.

ذكر خروج محمد وإبراهيم على أبي جعفر المنصور

قال علماء السير: لما أخذ أبو جعفر عبد الله بن حسن وأهله إلى العراق أشفق محمد وإبراهيم من ذلك فخرجا إلى اليمن ثم إلى الهند والسند، ثم قدما الكوفة مستخفيين وكان أبو جعفر قد وضع عليهما العيون وكانت له مرآة ينظر فيها فيرى ما في الدنيا فنظر يوماً فيها فقال: هذا محمد وإبراهيم معاً في العسكر، وبايع محمداً وإبراهيم خلق من عسكر أبي جعفر ثم إنهما خافا فمضى محمد إلى الحجاز وإبراهيم إلى البصرة.

ذكر مقتل محمد بن عبد الله بن حسن

قال علماء السير: كان قد بويع له في عامة الأمصار لما رأى الناس من جبروت[1] أبي جعفر وعسفه فخرج محمد بالمدينة في مائتين وخمسين فارساً في رجب وكبروا وأتى السجن فكسر بابه وأخرجَ من فيه وحبسَ رياح بن عثمان في دار هشام ثم صعد محمد المنبر فخطب وقال: أيها الناس إنه قد كانَ من أمر الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم وقد بنى القبة الخضراء معاندة لله وتصغيراً للكعبة الحرام وإنما أخذ الله فرعون حين قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] وإن أحق الناس بالقيام في هذا الأمر أبناء المهاجرين والأنصار اللهم إنهم قد أحلوا حرامك وحرموا حلالك وآمنوا من أخفت وأخافوا من آمنت اللهم، فاحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً ثم نزل.

قلت: هكذا وقعت هذه الرواية أنَّ محمداً قال وقد بنى القبة الخضراء وهي وهم فإن بغداد بنيت بعد قتل محمد وإبراهيم.

قال الواقدي: واستولى محمد على المدينة ومكة واليمن.

وذكر ابن جرير في (تاريخه) قال: استفتى مالك بن أنس في الخروج مع محمد وقيل له: إنَّ في أعناقنا بيعة لأبي جعفر فقال مالك: إنما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين فأسرع الناس إلى محمد، ولزم مالك بيته فما خرج منه.

قال الواقدي وغيره: وكان عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور محبوساً عنده فقال أبو جعفر: شاوروه فقال: إن البخل قد قتل أبا جعفر مروه بإنفاق الأموال فإن غلب عادت إليه، وإن لم يغلب لم يقدر عدوه على درهم.

(١) الجبروتُ: التجبُّر والكِبْرُ والعتوُّ والقهر.

قال هشام بن محمد: ولما بلغ أبا جعفر خروج محمد كتب إليه من أمير المؤمنين أبي جعفر إلى محمد بن عبد الله قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: ٣٣] إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤] ولك عليّ عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك، فأنت آمن وجميع ولدك وأخوتك وأهل بيتك ومن اتبعك على دمائهم وأموالهم وأعطيك ألف ألف درهم وأنزلك أي البلاد أحببت وأطلق من في حبسي من أهلك، وإن شئت أن تستوثق لنفسك فابعث إليَّ من شئت ليأخذ لك الأمان والمواثيق والعهود والسلام فكتب إليه محمد بن عبد الله: من محمد بن عبد الله المهدي إلى عبد الله بن محمد ﴿طسٓمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ١ ـ ٦] وأنا أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت عليَّ وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا وخرجتم له بشيعتنا وخطبتم بفضلنا، وإن أبانا علي كان الوصي وهو الإمام فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء، ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له نسبنا وشرفنا لسنا من أبناء الطلقاء ولا الطرداء ولا اللعناء، ولا يمت أحد من بني هاشم بمثل ما نمت به من القرابة والمسابقة والفضل وإنا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة بنت عمرو في الجاهلية وبنو فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في الإسلام فوالدنا علي أول الناس إسلاماً وأول من صلى مع رسول الله، وجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وجدتنا خديجة الطاهرة وإن هاشماً ولد أبانا مرتين مرة من قبل أبيه ومرة من قبل أمه فاطمة بنت أسد، وكذا ولد حسناً مرتين فإنا أوسط بني هاشم نسباً، وأشرفهم أباً لم يتنازع في أمهات ولا أولاد ولم يعرق في العجم ولك من الأمان على مثل ما ذكرت إن دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي أن أؤمنك على نفسك وولدك ومالك وأهلك وعلى كل حدث أحدثته إلا حداً من حدود الله وحقاً لمسلم أو معاهد.

وأما قولك عن الأمان: فأي الأمانات تعطيني؟ أمان عمك عبد الله بن علي أو أمان أبي مسلم أو أمان ابن هبيرة والسلام.

فكتب إليه أبو جعفر، أما بعد: فإني وقفت على كتابك فإذاً جل فخرك بقرابة النساء لتضل به الجفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة والإناث كالعصبة والأولياء، فإن الله تعالى جعل العم أباً؛ وأما ما ذكرت من أولاد فاطمة بنت عمرو فقد

حجبها الكفر فلا ترث هي ولا أحد من أولادها، وأما قولك: إن هاشماً ولد علياً مرتين فرسول الله سيد الأولين والآخرين لم يلده هاشم إلا مرة وزعمت أنك لم تلدك أمهات الأولاد، فقد فخرت على من هو خير منك وهو إبراهيم بن رسول الله وما خياركم إلا من أمهات الأولاد لأنه ما ولد فيكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مثل علي بن الحسين وأمه أم ولد وهو خير منك ومن جدك حسن بن حسن، وكذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمان أمه أم ولد وكذا محمد بن علي بن الحسين أمه أم ولد وما كان فيكم مثله ولا مثل ابنه جعفر وأمه أم ولد، وأما قولكم إنكم بنو رسول الله فالله تعالى يقول: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وأنتم بنو ابنته وهي وإن كانت قرة عين إلا أنها لا تحوز الميراث ولا الولاية ولا يجوز لها الإمامة ولا القضاء أليس الإجماع منعقداً على أن الجد أبا الأم والخال والخالة لا يرثون مع العصبة.

وأما ما فخرت به من سابقة علي وفضله فهذا لا أدفعه غير أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما حضرته الوفاة أمر بالصلاة غيره وكان في الستة الذين كانوا شورى فتركوه وقدم عبد الرحمان بن عوف عثمان بن عفان وقتل عثمان وهو متهم به وأبا سعد وصدور الصحابة كابن عمر وأسامة بن زيد وغيرهم، فإنهم تخلفوا عن بيعته وقاتله طلحة والزبير وعائشة وأغلقوا أبواب الخلافة دونه، ثم قاتل عليها بكل وجه وتفرق عنه أصحابه وشك فيه شيعته قبل التحكيم وبعده حتى قاتله منهم جماعة، ثم حكم حكمين رضي بهما وأعطاهما عهده وميثاقه فاجتمعا على خلعه ثم كان جدك حسن بعده فباعها من معاوية بخرق ودراهم ولحق بالحجاز ورفع الأمر إلى غير أهله وأخذ مالاً من غير حله فإن كانَ لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه، ثم خرج عمك حسين على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه إليه ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل، وحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان فقتلوا زيداً بالكوفة وابنه يحيى بخراسان، وأسروا صبيانكم ونساءكم، وحملوهم في المحامل بغير وطء كالسبي المجلوب إلى الشام وطافوا برأس عمك حسين بن علي في البلدان حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم وقد كانت بنو أمية تلعن جدكم علياً على المنابر، كما تلعن الكفرة وفي الصلوات المكتوبات فار لنا ذلك ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقى الحجيج الأعظم وعمارة المسجد الحرام وولاية المقام وزمزم فنازعنا فيها جدك فقضى لنا عليه ولقد قحط أهل المدينة فلم يتوسل عمر إلا بأبينا ولم يتقرب إلى الله إلا به وأبوكم حاضر فلم يتوسل به ولم يكن بعد رسول الله شرف ولا فضل إلا والعباس أحق به، وقد علمت أن الإسلام جاء والعباس يمون أبا طالب وعياله للأزمة التي

أصابته ولولا أنَّ العباسَ أخرجَ إلى بدر مكرهاً لمات طالب وعقيل جوعاً وللحسا جفان عتبة وشيبة ولكنه كان من المطعمين، فأذهبَ الله به عنكم العارُ والسبة وكفاكم النفقة والمؤنة ثم فدى عقيلاً يوم بدر فكيف تفخرون علينا وقد علناكم في الكفر وفديناكم من الأسرِ وحزنا عليكم مكارم الآباء وورثنا دونكم خاتم الأنبياء وطلبنا بثأركم فأدركنا ما عجزتم عنه والسلام.

ولما يئس أبو جعفر منه بعث إليه عيسى بن موسى عمه وقال: ما أبالي أيهما قتل صاحبه لأن السفاح كان قد عهد إلى عيسى بعد أبي جعفر وأبو جعفر كان يكره ذلك وجهز مع عيسى أربعة آلاف ثم قال له: ابذل له الأمان قبل قتاله، وسار عيسى فلما وصل إلى فيد كتب إلى جماعة من أصحاب محمد فتفرقوا عنه وكان قد اجتمع مع محمد بمائة ألف فحفر خنادق المدينة واستعد.

وقال الصولي: لما نزل أصحاب أبي جعفر بعقوة محمد لم يكن همه إلا أن حرق ديوانه وكان فيه أسامي من كاتبه وبايعه؛ فلما فرغ من ذلك قال: الآن طبتُ نفساً بالموتِ ولولا فعله ذلك لوقع الناس في أمر عظيم، وجاء عيسى فوقف على سلع[1] ثم قال: يا محمد لك الأمان فصاح به محمد «والله ما نسمع ما تقول وأن الموت في عز خير من الحياة في ذل، ثم ترجل فقد بقي معه من مائة ألف ثلاثمائة وستة عشر رجل على عدد أهل بدر ثم اغتسل هو وأصحابه وتحنطوا وعرقبوا دوابهم ثم حملوا على عيسى وأصحابه فهزموا ثلثاً ثم تكاثروا عليهم فقتلوهم وقتل حميد بن قحطبة محمداً ولم يعرفه، وجاء برأسه إلى عيسى وأورث أخته زينب وابنته فاطمة جسده بالبقيع وحمل رأسه إلى أبي جعفر فنصبه في الكوفة وطاف به في البلدان، وكان مكثه منذ ظهر إلى أن قتل شهرين وسبعة عشر يوماً لأنه خرج في أول رجب، وقتل لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان وسنه يوم قتل خمس وأربعون سنة، وكان قتله عند أحجار الزيت، وكان معه ذو الفقار فأخذه عيسى بن موسى ثم انتقل إلى الرشيد.

قال الأصمعي: أنا رأيته وفيه ثمان عشرة فقارة، ولما التقوا قدم قادم على أبي جعفر فقال له: ما الخبر؟ فقال: هرب محمد فقال أبو جعفر: كذبت نحن أهل بيت لا نفر.

وقال ابن سعد في (الطبقات) وأم محمد بن عبيدة الله هند بنت أبي عبد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب، وكنيته أبو عبد الله وهو من الطبقة الخامسة من التابعين من أهل المدينة.

---

(١) سَلْعٌ: جبل بسوق المدينة، (معجم البلدان ٣/ ٢٣٦).

قال ابن سعد: وكان لمحمد من الولد عبد الله قتله هشام بن عمر ببلاد القشمير[١] في المعركة، وعلي مات بالسجن بمصر؛ وحسن قتله موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بفخ صبراً، وفاطمة تزوجها ابن ابن عمها حسن بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي عليه السلام، وزينب تزوجها محمد بن السفاح، وكان أبو جعفر قد جهزه مع عيسى بن موسى لقتال محمد فدخل بها ليلة قتل أبوها؛ ثم مات عنها محمد بن السفاح، فتزوجها عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس ففارقها فتزوجها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ثم فارقها فتزوجها إبراهيم بن حسن بن زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام وأم جميع من ذكرنا، أم سلمة بنت محمد بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، والطاهر وأمه فأخته بنت فليح من آل الزبير بن العوام، وإبراهيم لأم وله أسند الحديث محمد عن نافع مولى ابن عمر.

ذكر مقتل إبراهيم بن عبد الله أخي محمد بن عبد الله

قال علماء السير: وفي هذه السنة ابتدأ المنصور بعمارة بغداد، فبينما هو مشغول بالعمارة إذ ورد عليه الخبر بخروج إبراهيم بن عبد الله بالبصرة وأنه غلب على الأهواز وفارس، وأنه في خلق عظيم ومال الناس إليه وازدادوا حرصاً على قتال أبي جعفر لما قتل محمداً.

وكان خروج إبراهيم غرة شوال وقيل: غرة رمضان من هذه السنة، فانصرف أبو جعفر من عمارة بغداد وهجر النساء واللذات. وقال: والله لا أعود إلى شيء منها حتى أعلم رأس إبراهيم لي أو رأسي له وكان قد انضم إلى إبراهيم مائة ألف وليس عند أبي جعفر سوى ألفي فارس كان قد فرق جيوشه في الشام وإفريقية وخراسان.

ثم سار إبراهيم في العساكر نحو الكوفة فنزل بباخمري قريباً من الكوفة وكان قد أشار عليه أهل البصرة أن لا يخرج منها فقال له وفد الكوفة: إن بالكوفة مائة ألف ينتظرون قدومك فإذا رأوك ماتوا دونك فقدم بهذا الطمع فلما نزل بباخمري خرج ليلة يطوف في عسكره فسمع أصوات الغناء والطنابير[٢] فقال: ما أظن أن عسكراً فيه هذا ينتصر.

ثم جهز أبو جعفر عيسى بن موسى لقتال إبراهيم فقيل له: بيت عيسى فقال: أكره التبييت فقيل له: تطلب الملك وتكره القتل ثم التقوا بباخمري.

قال الشعبي: وهي ستة عشر فرسخاً من الكوفة فاقتتلوا فانهزم أصحاب أبي

---

(١) قِشْميرُ: مدينة متوسطة لبلاد الهند، (معجم البلدان ٤/ ٣٥٢).

(٢) الطنابير: مفردها الطُنبور: من آلات الطَرب، ذات عنق طويل وستة أوتار من نحاس.

جعفر إلا عيسى ثبت في مائة رجل من أهله وخواصه وظهر الظفر لإبراهيم فبينا هو في المعركة جاء سهم عابر لا يدري من أين هو فذبحه فوقع وهو يقول: وكان أمر الله قدراً مقدوراً أردنا أمراً وأراد الله غيره.

وانهزم أصحابه وجاء أصحاب عيسى فجزوا رأسه وأتوا به عيسى فسجد ثم بعثه إلى أبي جعفر.

وكان قتله يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذي القعدة من هذه السنة وكان سنة يوم قتل ثمان وأربعون سنة، وكان مدة مقامه من حين خرج إلى أن قتل ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام.

ولما أتى برأس إبراهيم إلى أبي جعفر بكى حتى جرت دموعه على خد إبراهيم ثم قال: أما والله لقد كنت كارهاً لهذا ثم نصبه بالكوفة؛ ثم قال للربيع: احمله إلى أبيه عبد اللّه إلى السجن فحمله الربيع، فوافاه يصلي فقال له: أسرع فأسرع وسلم فنظر إلى الرأس فأخذه فوضعه في حجره ثم قال: رحمك الله أبا القاسم وأهلاً بك وسهلاً لقد وفيت بعهد الله وميثاقه.

فقال له الربيع: كيف كان أبو القاسم في نفسك فقال كما قيل:

فتىً كان يحميهِ من الذُلِّ سيفه ويكفيهِ سوءات الذنوب اجتنابها

ثم قال للربيع: قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك مثلها والملتقى بيننا القيامة والله الحاكم.

قال الربيع: فأبلغته ما قال فما رأيته منكسراً مثل انكساره حين قلت له ذلك.

وقال الأصمعي: أحضر يوماً إلى أبي جعفر هريسة الفستق ومعها مصارين الدجاج محشوة بشحم البط والسكر ودهن الفستق فقال: إن إبراهيم ومحمداً أرادا أن يسبقاني إلى هذا فسبقتهما إليه.

قال الأصمعي: وبباخمري من أرض الطف وقد ذكرها دعبل في قصيدته التائية التي رثى فيها جماعة من أهل البيت وهي:

مدارس آيات خلت من تلاوةٍ ومنزلِ وحي موحش العرصاتِ[1]

لآل رسول الله بالخيفِ من منىً وبالبيتِ والتعريفِ والجمراتِ[2]

ديار عليّ والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفناتِ

---

(١) العرصات: مفردها العَرْصة: البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء.

(٢) الخيفُ: ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل، ومنه خيفُ منىً (ج) أخياف، وخيوف. مِنىً: بلد قرب مكة، ينزله الحُجاج أيام التشريق، وفيه تُنحر الأضاحي، (يُصرف ولا يُصرف).

ألم تر أني مذ ثلاثين حجة ... أروح وأغدو دائم الحسراتِ
أرى فيأهم في غيرهم متقسماً ... وأيديهم من فيئهم صفراتِ
وآل رسول الله نحف جسومهم ... وآل زياد غلظة القصراتِ
بنات زياد في القصورِ مصونة ... وبنتُ رسول الله في الفلواتِ
أحبّ قصي الرحم من أجلِ حبكم ... وأهجر فيكم زوجتي وبناتي
وأكتم حبيكم مخافة كاشح ... عنيف لأهل الحق غير مواتِ
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد ... تقطع قلبي إثرهم حسراتِ
خروج إمام لا محالة كائن ... يقوم على اسم الله بالبركاتِ
يميز فينا كل حق وباطل ... ويجزي على النعماء والنعمات
فيا نفسي طيبي ثم يا نفس ابشري ... فغير بعيد كلما هواتي
قفا نسأل الدار التي خف أهلها ... متى عهدها بالصوم والصلواتِ
وأين الأولى شطت بهم غربة النوى ... أفانين بالأطرافِ مفترقاتِ
هم أهل ميراثِ النبي إذا اعتزوا ... وهم خير سادات وخير حماتِ
قبور بكوفان وأخرى بطيبة ... وأخرى بفخ نالها صلواتي
وأخرى بأرضِ الجوزجان محلها ... وقبر بباخمري لدى الغرباتِ
وقبر ببغدادِ لنفسِ زكية ... تضمنها الرحمان في الغرفاتِ
فأما الممضات التي ليس بالغاً ... مبالغها مني بكنه صفاتِ
نفوس لدى النهرين من أرض كربلا ... معرسهم فيها بشط فراتِ
تقسمهم نهب المنون فما ترى ... لهم عفرة مغشية الحجراتِ
وقد كان منهم بالحجونِ وأهلها ... ميامين نحارون في السنواتِ
إذا فخروا يوماً أتوا بمحمدٍ ... وجبريل والقرآن ذي السوراتِ
ملامك في أهل النبي فإنهم ... أوداي ما عاشوا أو أهل ثقاتي
تخيرتهم رشداً لأمري لأنهم ... على كل حال خيرة الخيراتِ
فيا رب زدني في يقيني بصيرة ... وزد حبهم يا رب في حسناتي
بنفسي أنتم من كهول وفتية ... لفك عناة أو لحملِ دياتِ
لقد خفت في الدنيا وأيام عيشها ... وإني لأرجو إلا من بعد وفاتي

قوله: قبور بكوفان يريد الكوفة واسمها كوفان وهي الرملة الحمراء وبها سميت وطيبة المدينة سماها رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، وفخ اسم الشعب الذي فيه محمد بن الحنفية بينه وبين مكة ستة أميال والمقتول فيه الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن علي عليه السلام قتله فيه موسى بن عيسى في أيام موسى الهادي سنة تسع وستين ومائة وكان معه سليمان بن عبد اللّه بن حسن بن حسن فضربوا عنقه بمكة.

فأما الذي بأرضِ الجوزجان فيحيى بن زيد وسنذكر ذلك، خرج في أيام الوليد بن عبد الملك فقتل في المعركة.

وقال ابن سعد في (الطبقات): أم إبراهيم بن عبد اللّه بن حسن بن حسن هند بنت أبي عبيدة بن عبد اللّه بن زمعة بن الأسود بن المطلب، قال: لما ظهر محمد بن عبد اللّه بالمدينة وسلم عليه بالخلافة بعثَ أخاه إبراهيم إلى البصرة، فدخلها أول شهر رمضان في هذه السنة، يعني سنة خمس وأربعين وقبض وخرج معه من الفقهاء على أبي جعفر عيسى بن يونس ومعاذ بن معاذ وعباد بن العوام وإسحاق بن يوسف الأزرق ومعاوية بن هيثم بن بشير في جماعة من العلماء، ولم يزل مقيماً بالبصرةِ حتى قتل أخوه محمد بالمدينة فسار إلى العراق فقتل وكان له من الولد حسن بن أمامة بنت عصمة كلابية، وعلي لأم ولد.

وفي هذه السنة قتل أبو جعفر محمد الديباج وهو يعلم ببراءة ساحته وسببه أنه حبسه مع عبد اللّه بن حسن بن حسن، فكتب إليه نائبه أبو عون بخراسان أن خراسان قد انتقضت علينا بخروج محمد وإبراهيم وطال عليهم أمرهما، فضرب عنق محمد الديباج وبعث برأسه إليه وبعث معه رجالاً يحلفون بالله أنه رأس محمد بن عبد اللّه بن حسن وأن أمه فاطمة بنت رسول الله فلما انكشف الأمر لأهل خراسان قالوا: لم نطلع لأبي جعفر على كذبة غير هذه.

وفي هذه السنة توفي عبد اللّه بن حسن بن حسن ومن معه.

فقال ابن سعد في (الطبقات): حدثنا الواقدي قال: أول من مات منهم في الحبس عبد اللّه بن حسن فقال السجان: ليخرج أقربكم فليصل عليه فخرج أخوه حسن بن حسن بن حسن فصلى عليه، وذلك في يوم عيد الأضحى وهو ابن خمس وسبعين سنة، وقيل ابن اثنتين وسبعين سنة، وقيل: توفي في بغداد والأول أصح وقيل: كان ابن ست وسبعين سنة والأول أشهر.

وذكر الخطيب في (تاريخه) قال: أخذ أبو جعفر عبد اللّه بن حسن فقيده وحبسه في داره فلما أراد الخروج إلى الحج وقفت له ابنة صغيرة لعبد اللّه على الطريق واسمها فاطمة فلما مر بها أبو جعفر قالت:

ارحم كبيراً سنه متهدماً في السجنِ بين سلاسلٍ وقيودِ
وارحم صغار فتى يزيد فإنهم يتموا لِفقدكَ لا لفقد يزيدِ
إن جدتَ بالرحم القريبة بيننا ما جدنا من جدكم ببعيدِ

فقال أبو جعفر: أذكرتنيه ثم أحدره إلى المطبق فكان آخر العهد به قولها: (وارحم صغار فتى يزيد) إنما وقع من فلتات لسان فاطمة لا أنه كان لعبد اللّه بن حسن ابن اسمه يزيد ولا يعرف في آل أبي طالب من اسمه يزيد إلا يزيد بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر، وقد أنكر عليه بنو هاشم هذا وهجروه لأجل ما سميَ به.

وذكر أبو الفرج الأصبهاني، أن عمر بن عبد العزيز (رض) كان يحترم عبد اللّه بن حسن بن حسن ويعظمه ويقضي حوائجه ورآه يوماً واقفاً ببابه فقال له: ألم أقل لكَ إذا كانتْ لكَ حاجة فارفعها إليَّ فوالله إني لأستحي من الله أن يراك على بابي.

قال الواقدي: وأم عبد اللّه بن حسن فاطمة بنت الحسين عليه السلام، وكان له من الولد محمد وإبراهيم وقد ذكرناهما وموسى، وإدريس وهارون وفاطمة وزينب ورقية؛ وأم كلثوم؛ وأم كلهم هند بنت أبي عبيدة بن عبد اللّه بن زمعة بن الأسود بن المطلب، وعيسى. وإدريس الأصغر صاحب الأندلس والبربر وداود وأمهم عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث الشاعر المخزومي؛ وسليمان ويحيى صاحب الديلم وأمهما قريبة بنت ركيح بن أبي عبيدة بن عبد اللّه بن زمعة بن الأسود بن المطلب.

وقال ابن سعد في (الطبقات): كنية عبد اللّه بن حسن بن حسن أبو محمد وهو من الطبقة الرابعة من التابعين من أهل المدينة.

وقال وحكى الواقدي أنه كان من العباد وكان له شرف وهيبة ولسان فصيح.

قال الواقدي: وولده إدريس بن عبد اللّه كان بالمدينة صغيراً فلما خرجَ حسين بن علي بفخ خرج معه فلما قتل حسين هرب إدريس إلى الأندلس وأقام هناك وولد له بها وغلب أولاده على تلك الناحية وخلف بالمدينة ابنة اسمها فاطمة فتزوجها إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد اللّه بن عباس.

وقال هشام: وأما علي فطلبه هارون فلحق بالديلم فاجتمع إليه خلق كثير فبعث إليه هارون الفضل بن يحيى فآمنه فقدم عليه فرده إلى المدينة فلما خرج حسين بن علي بفخ صار إليه ثم أفلت.

قال الواقدي: ثم مات بعد عبد اللّه بن حسن بن حسن، ثم محمد الديباج الذي بعث برأسه أبو جعفر إلى المشرق وهو محمد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان بن عفان، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي عليه السلام كان أبوه يدعى

المطرف لجماله وكان أصغر ولد أمه وكان أخوته لأمه يحبونه وبسببهم قتله أبو جعفر، وكان له من الولد خالد، وعبد العزيز، وعبد اللّه؛ والقاسم؛ وعثمان وأمهم أم كلثوم بنت إبراهيم بن محمد بن طلحة التيمي؛ وأمها لبانة بنت عبد اللّه بن العباس بن عبد المطلب.

وقال ابن سعد في (الطبقات): كان معهم في الحبس علي بن حسن بن حسن ابن حسن بن علي بن أبي طالب وهو أبو حسين بن علي بن حسن بن حسن بن حسن صاحب فخ وكان من أفضل أهل زمانه نسكاً وعبادة لم يأكلْ لأحد من أهل بيته طعاماً ولا من القطايع التي كانت أقطعها أبو عباس وأبو جعفر ولا توضأ من تلك العيون ولا شرب منها، وكانوا يبكون عليه في الحبس ويقولون: هذا البائس دهى بسببنا.

الباب التاسع

في ذكر الحسين عليه السلام

وكنيته: أبو عبد الله، ويلقب: بالسيد، والوفي؛ والولي؛ والمبارك والسبط، وشهيد كربلاء؛ ولد سنة أربع من الهجرة في شعبان.

وقال ابن سعد في (الطبقات): علقت به فاطمة عليها السلام لخمس ليال خلون من ذي القعدة سنة ثلاث من الهجرة، فكان بين ذلك وبين ولادة الحسن خمسون ليلة ووضعته في شعبان لليال خلون منه سنة أربع.

قال ابن سعد: ولما ولد أذن رسول الله صلى الله عليه وآله في أذنه.

وقال ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبه ويحمله على كتفيه ويقبل شفتيه وثناياه.

قال: ودخل عليه يوماً جبرئيل وهو يقبله، قال: أتحبه؟ قال: نعم؛ قال: أمتك ستقتله.

وقال ابن سعد في (الطبقات): أنبأنا عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي، حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن سماك أن أم الفضل امرأة العباس قالت: يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم كأن عضواً من أعضائك سقط في بيتي فقال: «خيراً تلد فاطمة غلاماً فترضعينه بلبان ابنك قثم»[1] قال: فولدت فاطمة الحسين فكفلته أم الفضل قالت: فأتيت به إلى رسول الله فبينا هو يقبله إذ بال عليه فقال: «خذيه» فأخذته فقرصته قرصة بكى منها فقال: «يا أم الفضل آذيتيني أبكيتِ ابني»[2] ثم دعا بماء فحدره عليه حدراً وقال: «إذا كان غلاماً فاحدروه عليه حدراً وإذا كانت جارية فاغسلوه غسلاً»، وفي رواية: «إنما يصب على بول الغلام ويغسل بول الجارية»؛ وفي رواية: «يا أم الفضل لقد أوجع قلبي ما فعلت به ثم قال: ينضح أو يرش بول الغلام ويغسل بول الجارية».

وقال البخاري: «حدثنا موسى بن إسماعيل أخبرنا مهدي عن محمد بن أبي

---

(١) أخرجه ابن ماجه في (السنن ٣٩٢٣)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٦/٣٣٩)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٤١٤٦٥)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٨/ ٢٠٤)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٤/٣١٦).

(٢) أخرجه ابن سعد في (الطبقات الكبرى ٨/ ٢٠٤).

يعقوب عن ابن أبي نعيم عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «هما ريحانتاي من الدنيا يعني الحسن والحسين»[١]؛ وهذا الحديث في إفراد البخاري.

وقال أحمد في المسند: حدثنا أبو نعيم، أنبأنا سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن أبي نعيم، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[٢]. وقد أخرجه الترمذي أيضاً وقال: هذا حديث حسن صحيح وأخبرنا غير واحد عن محمد بن عبد الباقي.

أخبرنا أبو محمد الجوهري: أنبأنا القاضي بن معروف؛ حدثنا أبو محمد بن صادق، حدثنا يوسف بن موسى القطان، أخبرنا أبو بكر بن عياش، حدثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد اللّه بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «هذان ابناي فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني يعني الحسن والحسين»[٣].

وقال أحمد في (الفضائل): حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعي عن شداد

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٥/ ٣٣، ٨/٨)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٨٥، ٩٣)، والطبراني في (المعجم الكبير ٣/ ١٣٧)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١٢/ ١٠٠)، والبخاري في (الأدب المفرد ٨٥)، وابن حجر في (فتح الباري ٧/ ٩٥، ١٠/ ٤٢٦)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٣١٧)، والشجري في (الأمالي ١/ ١٧٦)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ١٣٦)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٥/ ٧١، ٧/ ٣٦٥)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٤٢٥٦، ٣٧٧١٩)، والنسائي في (تهذيب خصائص عليّ ٦٨).

(٢) أخرجه الترمذي في (السنن الكبرى ٣٧٦٨)، وابن ماجه في (السنن ١١٨)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١١/ ٩٠)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٣/ ٣، ٦٢، ٦٤، ٨٢)، والحاكم في (المستدرك ٣/ ١٦٦، ١٦٧)، والطبراني في (المعجم الكبير ٣/ ٢٥، ٢٨، ١٩/ ٢٧٢)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٩/ ١٧٨، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤)، والطحاوي في (مشكل الآثار ٢/ ٣٩٣)، والسيوطي في (الدر المنثور ٤/ ٢٦٢)، والهيثمي في (موارد الظمآن ٢٢٢٨) والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٦١٥٤)، وابن حجر في (المطالب العالية ٢٠١، ٣٩٩٣)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٧٧٩٥، ٣٤٢٤٦، ٣٤٢٥٩، ٣٤٢٦٠، ٣٤٢٨٢، ٣٤٢٨٥، ٣٤٦٨٢)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١٢/ ٩٦، ٩٧)، والبغوي في (شرح السنة ١٤/ ١٣٨)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٢/ ٥١، ٨/ ٣٥)، والألباني في (السلسلة الصحيحة ٧٩٦)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٤/ ١٣٩، ١٤٠، ٥/ ٥٨، ٧١)، والشجري في (الأمالي ١/ ٤٤، ٢/ ٢٣٥)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٥٩، ٤/ ٢٠٩، ٢٥٥، ٣١٧، ٧/ ٣٦٨)، وأبو نعيم في (تاريخ أصبهان ٣٤٢)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١/ ١٤٠، ٢/ ١٨٥، ٤/ ٢٠٧، ٦/ ٣٧١، ٩/ ٢٣١)، والنسائي في (تهذيب خصائص عليّ ٦٢، ٦٧)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٢/ ٦٣٨، ٧٦٨، ٨٢٠، ٣/ ١٢٧٠، ١٣٧٠، ٥/ ١٩٥٩، ٦/ ٢٣٧٨، ٧/ ٢٧٣٨).

(٣) أخرجه ابن كثير في (البداية والنهاية ٨/ ٣٥)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٢٠٧).

ابن عمار عن وائلة بن الأسقع قال: أتيت فاطمة عليها السلام أسألها عن عليّ عليه السلام فقالت: توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فجلست أنتظره وإذا برسول الله صلى الله عليه وآله قد أقبل ومعه علي والحسن والحسين قد أخذ بيد كل واحد منهم حتى دخل الحجرة فأجلس الحسن على فخذه اليمنى والحسين على فخذه اليسرى وأجلس علي وفاطمة بين يديه ثم لف عليهم كساه أو ثوبه ثم قرأ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] الآية، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي حقاً». وهذا الحديث مشتمل على فضل الحسين وغيره.

وذكر أحمد في (الفضائل) عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين وقال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما كان معي في درجتي يوم القيامة».

وذكر ابن سعد في (الطبقات) عن يعلى بن عبيد اللّه بن الوليد عن عبد اللّه بن عبيد بن عمير قال: حج الحسين خمساً وعشرين حجة ماشياً ونجائبه تقاد معه.

وذكر ابن سعد أيضاً: أن الحسين جاءَ يوماً إلى عمر وهو يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: انزل عن منبر أبي فأخذه فأقعده إلى جنبه؛ وقال: وهل أنبت الشعر على رؤوسنا إلا أبوك.

وقال عكرمة: حدثني ابن عباس قال: كان عمر بن الخطاب (رض) يحب الحسن والحسين ويقدمهما على ولده ولقد قسم يوماً فأعطى الحسن والحسين كل واحد منهما عشرة آلاف درهم وأعطى ولده عبد اللّه ألف درهم فعاتبه ولده وقال: قد علمت سبقتي في الإسلام وهجرتي وأنت تفضل عليَّ هذين الغلامين، فقال: ويحك يا عبد اللّه ائتني بجد مثل جدهما وأب مثل أبيهما وأم مثل أمهما، وجدة مثل جدتهما وخال مثل خالهما، وخالة مثل خالتهما، وعم مثل عمهما، وعمة مثل عمتهما جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوهما علي وأمهما فاطمة وجدتهما خديجة، وخالهما إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وخالتهما زينب ورقية وأم كلثوم وعمهما جعفر بن أبي طالب وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب.

وذكر ابن سعد في (الطبقات) وقال: كان ابن عباس يمسك بركاب الحسن والحسين حتى يركبا ويقول: هما ابنا رسول الله.

وذكر ابن سعد أيضاً عن أبي يحيى قال: قال مروان بن الحكم يوماً للحسن والحسين: إنكم أهل بيت ملعونين فقال له الحسين: يا ملعون يا بن الملعون لقد لعن رسول الله صلى الله عليه وآله أباك وأنت في صلبه نحن أهل بيت أذهبَ الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً.

وذكر الثعلبي في تأويل قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا

يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩] عن سفيان الثوري وسعيد بن جبير أن البحرين علياً وفاطمة والبرزخ محمد رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين عليهما السلام.

وقال ابن سعيد: كان الحسين يخضب بالحناء والكتم، وفي رواية بالوسمة[1] وفي رواية بالسواد.

ذكر سيرته عليه السلام مختصراً

قال علماء السير: أقام الحسين بعد وفاة أخيه الحسن يحج في كل عام من المدينة إلى مكة ماشياً إلى أن توفي معاوية وقام يزيد في سنة ستين وكان معاوية قد قال ليزيد لما أوصاه: إني قد كفيتك الحل والترحال ووطأت لك البلاد والرجال وأخضعت لك أعناق العرب وإني لأتخوف عليك أن ينازعك هذا الأمر الذي أسست لك إلا أربعة نفر من قريش الحسين بن علي وعبد اللّه بن الزبير وعبد اللّه بن عمر وعبد الرحمان بن أبي بكر، فأما ابن عمر فرجل قد وقذته العبادة وإذا لم يبق أحد غيره بايعك، وأما الحسين فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً، وأما ابن أبي بكر فإنه ليست له همة إلا في النساء واللهو فإذا رأى أصحابه قد صنعوا شيئاً صنع مثله، وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويطرق إطراق الأفعوان[2] ويراوغك مراوغة الثعلب فذاك ابن الزبير فإن وثب عليك وأمكنتك الفرصة منه فقطعه إرباً إرباً.

فلما مات معاوية، كان على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان؛ وعلى مكة عمرو بن سعيد بن العاص، وعلى الكوفة النعمان بن بشير، وعلى البصرة عبيد اللّه بن زياد؛ فلم يكن ليزيدهم بعد موت أبيه إلا بيعة النفر الذين سماهم أبوه.

فكتب إلى الوليد بن عتبة فأمره بأخذ البيعة عليهم أخذاً شديداً ليس فيه رخصة، فلما وقف على الكتاب بعث إلى مروان بن الحكم فأحضره وأوقف على كتاب يزيد واستشاره وقال: كيف ترى أن أصنع بهؤلاء قال: أرى أن تبعث إليهم الساعة فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة، فإن لم يفعلوا وإلا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية لأنهم إن علموا وثب كل واحد منهم في جانب وأظهر الخلاف والمنابذة، ودعا إلى نفسه إلا ابن عمر فإنه لا يرى الولاية والقتال إلا أن يدفع عن نفسه، أو يدفع إليه هذا الأمر عنواً، فأرسل الوليد عمر بن عثمان إلى الحسين وإلى عبد اللّه بن الزبير فوجدهما في المسجد فقال: أجيبا الأمير فقالا: انصرف فالآن نأتيه.

---

(١) الوسمة: العلامة.

(٢) الأفعوانُ: ذَكَر الأفاعي.

ثم قال ابن الزبير للحسين: ظن فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي ليس له عادة بالجلوس فيها إلا لأمر.

فقال الحسين: أظن طاغيتهم قد هلك فبعث إلينا ليأخذ البيعة علينا ليزيد قبل أن يفشو في الناس الخبر.

قال ابن الزبير: هو ذاك فما تريد أن تصنع قال أجمع فتياني وأذهب إليه فجمع أهله وفتيانه ثم قال: إذا دعوتكم فاقتحموا.

ثم دخل على الوليد ومروان عنده فأقرأه كتاب يزيد ودعاه إلى البيعة فقال: مثلي لا يبايع سراً بل على رؤوس الناس، وهو أحب إليكم وكان الوليد يحب العافية فقال: انصرف في دعة الله حتى تأتينا مع الناس، فقال له مروان: والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت عليه أبداً حتى تكثر القتلى بينكما أحبس الرجل عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه فوثب الحسين قائماً وقال: يا بن الزرقاء هو يقتلني أو أنت كذبت ومنت؛ ثم خرج فقال الوليد؛ يا مروان والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وإني قتلت حسيناً.

وأما ابن الزبير فإنه قال: الآن آتيكم ثم خرج في الليل إلى مكة على طريق الفرع هو وأخوه جعفر بن الزبير فأرسلوا الطلب خلفهم ففاتهم.

وخرج الحسين في الليلة الآتية بأهله وفتيانه وقد اشتغلوا عنه بابن الزبير فلحق بمكة.

وبعث الوليد إلى ابن عمر فقال: إذا بايع الناس بايعت.

وقال أبو سعيد المقري: سمعت الحسين عليه السلام يتمثل تلك الليلة وهو خارج من المسجد بقول ابن مفرغ:

لا ذعرت السوام في غسقِ الصبح ... مغيراً ولا دعوت يزيدا[1]

يوم أعطى من المهانةِ ضيماً ... والمنايا يرصدنني أن أحيدا

ويروى: (حين أعطى مخافة الموت ضيماً) ويروى: (إذا دعوت يزيدا).

قال: فقلتُ في نفسي ما تمثل بهذين البيتين إلا لشيء يريده: فخرج بعد ليلتين إلى مكة.

وقال السدي: خرج الحسين من المدينة وهو يقرأ فخرج منها خائفاً يترقب فلما دخل مكة فقال له عمرو بن سعيد: ما إقدامك؟ فقال: عائذاً بالله وبهذا البيت، وأقام الحسين بمكة ولما بلغ يزيد ما صنع الوليد عزله عن المدينة وولاها عمرو بن سعيد الأشدق.

(١) الغَسَقُ: ظلمة الليل، أو ظلمة أوّله.

وقال الواقدي: لم يكن ابن عمر بالمدينة حين مات معاوية بل كان بمكة ثم قدم المدينة بعد ذلك هو وابن عباس ولما استقر الحسين بمكة، وعلم به أهل الكوفة كتبوا إليه يقولون: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك ولسنا نحضر الصلاة مع الولاة فأقدم علينا فنحن في مائة ألف؛ فقد فشا فينا الجور وعمل فينا بغير كتاب الله وسنة نبيه ونرجو أن يجمعنا الله بك على الحق وينفي عنا بك الظلم فأنت أحق بهذا الأمر من يزيد وأبيه الذي غصب الأمة فيها وشرب الخمر ولعب بالقرود والطنابير وتلاعب بالدين، وكان ممن كتب إليه سليمان بن صرد والمسيب بن نجية ووجوه أهل الكوفة.

قال الواقدي: ولما نزل الحسين مكة كتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس.

أما بعد فإن ابن عمك حسيناً وعدو الله ابن الزبير التويا ببيعتي ولحقا بمكة مرصدين للفتنة معرضين أنفسهما للهلكة، فأما ابن الزبير فإنه صريع الفناء، وقتيل السيف غداً وأما الحسين فقد أحببت الأعذار إليكم أهل البيت مما كان منه وقد بلغني أن رجالاً من شيعته من أهل العراق يكاتبونه ويكاتبهم ويمنونه الخلافة ويمنيهم الأمرة وقد تعلمون ما بيني وبينكم من الوصلة وعظيم الحرمة، ونتائج الأرحام وقد قطع ذلك الحسين وبته وأنت زعيم أهل بيتك وسيد أهل بلادك فألقه فأردده عن السعي في الفرقة ورد هذه الأمة عن الفتنة، فإن قبل منك وأناب إليك فله عندي الأمان والكرامة الواسعة، وأجري عليه ما كان أبي يجريه على أخيه، وأن طلب الزيادة فاضمن له ما أريك الله أنفذ ضمانك وأقوم له بذلك وله عليَّ الإيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة بما تطمئن به نفسه ويعتمد في كل الأمور عليه، عجل بجواب كتابي وبكل حاجة لك إليَّ وقبلي والسلام.

قال هشام بن محمد وكتب يزيد في أسفل الكتاب:

يا أيها الراكبُ الغادي لمطيته ... على عذافرةٍ في سيرها قحمُ
أبلغ قريشاً على ناي المزار بها ... بيني وبين الحسين الله والرحمُ
وموقف بفناءِ البيتِ أنشده ... عهد الإله غداً يوفي به الذممُ
هنيتمُ قومكم فخراً بأمكم ... أم لعمري حسان عفة كرمُ
هي التي لا يداني فضلها أحد ... بنت الرسول وخير الناس قد علموا
إني لأعلم أو ظناً لعالمه ... والظنُّ يصدقُ أحياناً فينتظمُ
إن سوف يتركَكم ما تدعون به ... قتلي تهاداكم العقبانُ والرخمُ
يا قومنا لا تشبوا الحربَ إذ سكنت ... وامسكوا بحبالِ السِّلمِ واعتصموا
قد غرت الحرب من قد كانَ قبلكم ... من المقرونِ وقد بادت بها الأممُ
فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً ... فربَّ ذي بذخ زلت به القدمُ

فكتب إليه ابن عباس؛ أما بعد فقد ورد كتابك تذكر فيه لحاق الحسين وابن الزبير بمكة، فأما ابن الزبير فرجل منقطع عنا برأيه وهواه يكاتمنا مع ذلك أضغاناً يسرها في صدره يوري علينا وري الزناد لا فك الله أسيرها فاراً في أمره ما أنت رآه. وأما الحسين فإنه لما نزل مكة وترك حرم جده ومنازل آبائه سألته عن مقدمه فأخبرني أن عمالك في المدينة أساؤوا إليه وعجلوا عليه بالكلام الفاحش فأقبل إلى حرم الله مستجيراً به وسألقاه فيما أشرت إليه، ولن أدع النصيحة فيما يجمع الله به الكلمة ويطفي به النائرة ويخمد به الفتنة، ويحقن به دماء الأمة فاتق الله في السر والعلانية ولا تبيتن ليلة وأنت تريد لمسلم غائلة، ولا ترصده بمظلمة ولا تحفر له مهواة فكم من حافر لغيره حفراً وقع فيه وكم من مؤمل أملاً لم يؤت أمله وخذ بحظك من تلاوة القرآن ونشر السنة، وعليك بالصيام والقيام لا تشغلك عنهما ملاهي الدنيا وأباطيلها فإن كل ما شغلت به عن الله يضر ويفنى، وكل ما اشتغلت به من أسباب الآخرة ينفع ويبقى والسلام.

قال هشام بن محمد: ثم إن حسين كثرت عليه كتب أهل الكوفة وتواترت إليه رسله إن لم تصل إلينا فأنت آثم فعزم على المسير، فجاء إليه ابن عباس ونهاه عن ذلك وقال له: يا بن عم إن أهل الكوفة قوم غدر قتلوا أباك وخذلوا أخاك وطعنوه وسلبوه وسلموه إلى عدوه وفعلوا ما فعلوا، فقال: هذه كتبهم ورسلهم وقد وجب عليَّ المسير لقتال أعداء الله فبكى ابن عباس وقال: واحسيناه.

وذكر المسعودي في كتاب (مروج الذهب): إن ابن عباس قال له: إن كرهت المقام بمكة خوفاً على نفسك فسر إلى اليمن فإن فيها عزلة ولنا بها أنصار وأعوان وبها قلاع وشعاب وأكتب إلى أهل الكوفة فإن أخرجوا أميرهم وسلموها إلى نائبك فسر إليهم فإنك إن سرت إليهم على هذه الحالة لم آمن عليك منهم وإن عصيتني فاترك أهلك وأولادك ها هنا فوالله إني لخائف عليك أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وأهله ينظرون إليه.

قلت: وهذا معنى قول علي عليه السلام: لله در ابن عباس فإنه ينظر من ستر رقيق فلما يئس ابن عباس منه حزن لفقده ولقي ابن الزبير، فقال: يا بن الزبير قرت عينك وأنشد:

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري

قال الواقدي: ولما بلغ عبد الله بن عمر ما عزم عليه الحسين دخل عليه سفري فلامه ووبخه ونهاه عن المسير، وقال له: يا أبا عبد الله سمعت جدك رسول الله صلى

الله عليه وآله يقول: «ما لي وللدنيا وما للدنيا وما لي»[١] وأنت بضعة منه.

وذكر له نحو ما ذكر ابن عباس فلما رآه مصراً على المسير قبل ما بين عينيه وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل.

ولما بلغ ابن الزبير عزمه دخل عليه وقال له: لو أقمت ها هنا بايعناك فأنت أحق من يزيد وأبيه وكان ابن الزبير أسرّ الناس بخروجه من مكة وإنما قال له هذا لئلا ينسبه إلى شيء آخر.

ولما بلغ محمد بن الحنفية مسيره وكان يتوضأ وبين يديه طشت فبكى حتى ملأه من دموعه ولم يبق بمكة إلا من حزن لمسيره ولما كثروا عليه أنشد أبيات أخي الأوس.

سأمضي فما في الموت عار على الفتى ... إذا ما نوى خيراً وجاهد مغرما
وآسى الرجال الصالحين بنفسهِ ... وفارقَ مثبوراً وخالف محرما
وإن عشت لم أذمم وإن مت لم ألم ... كفى بك ذلاً أن تعيشَ وترغما

ثم قرأ ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] ثم بعث الحسين قبل خروجه من مكة إلى الكوفة مسلم بن عقيل وقال له: انظر ما كتبوا به إلينا فإن كان حقاً فأخبرني فاستعفاه مسلم فلم يعفه فقال له: يا بن عم الناس كثير فبالله لا تلق الله بدمي فقال له: لا بد من مسيرك فسار حتى أتى الكوفة.

وأما الحسين عليه السلام: فإنه خرج من مكة سابع ذي الحجة سنة ستين فلما وصل بستان بني عامر لقي الفرزدق الشاعر وكان يوم التروية[٢] فقال له: إلى أين يا بن رسول الله ما أعجلك عن الموسم قال: لو لم أعجل لأخذت أخذاً فأخبرني يا فرزدق عما وراءك فقال: تركت الناس بالعراق قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية فاتق الله في نفسك وارجع.

فقال له: يا فرزدق إن هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمان وأظهروا الفساد في الأرض، وأبطلوا الحدود وشربوا الخمور واستأثروا في أموال الفقراء والمساكين، وأنا أولى من قام بنصرة دين الله وإعزاز شرعه والجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا؛ فأعرض عنه الفرزدق وسار.

---

(١) أخرجه الدارمي في (السنن ٢/ ٥٤)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٠٩)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٦٣٦١)، والهيثمي في (موارد الظمآن ٢٥٢٦)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٣/ ٢١٠).

(٢) يوم التروية: هو الثامن من ذي الحجة، وكان يتزود فيه الحُجّاج بالماء ويرتوون فيه لما بعد.

ذكر مسير مسلم بن عقيل وقتله

قال علماء السير: ولما قدم مسلم الكوفة نزل على رجل يقال له: عوسجة ودب إليه أهل الكوفة فبايعه منهم اثني عشر ألفاً وقيل: ثمانية عشر ألفاً فكتب إلى الحسين يخبره بذلك فقام رجل ممن يهوى يزيد بن معاوية فدخل على النعمان بن بشير، وكان والياً على الكوفة فقال له: إنك ضعيف مستضعف قد فسدت البلاد وأخبره بقصة مسلم فقال له النعمان: والله لئن أكون ضعيفاً في طاعة الله أحب إليَّ من أن أكونَ قوياً في معصية الله والله لا هتكت ستراً ستره الله.

فكتب إلى يزيد بقوله، وكان يزيد أبغض الناس في عبيد اللّه بن زياد وإنما احتاج إليه.

فكتب إليه إني قد وليتك الكوفة مع البصرة وإن الحسين قد سار إلى الكوفة فاحترز منه وإن مسلم بن عقيل بالكوفة فاقتله فأقبل ابن زياد في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة متلثماً فما مر على مجلس من مجالسهم فيسلم إلا قالوا: وعليك السلام يا بن بنت رسول الله وهم يظنون أنه الحسين عليه السلام فلم يزل كذلك حتى نزل قصر الإمارة فدعى مولى له فأعطاه ثلاثة آلاف درهم وقال: اذهب فسل عن الرجل الذي يبايعه أهل الكوفة فاعلمه أنك من شيعته وادفع إليه هذا المال ليتقوى به فلم يزل يتلطف حتى دخل على مسلم بن عقيل وعنده هاني بن عروة فبايعه ودفع إليه المال وتحول مسلم بن عقيل إلى دار هاني بن عروة المرادي، فقال ابن زياد لأهل الكوفة: ما بال هاني بن عروة لم يأتني فقال محمد بن الأشعث: أنا آتيك به فجاء محمد فدخل على هاني وقال له: إن الأمير قد ذكرك ولم يزل به حتى جاء به إليه وعند ابن زياد شريح القاضي.

فلما نظر إليه ابن زياد قال: أتتك بخائن رجلاه فلما سلم عليه قال له: يا هاني أين مسلم؟ فقال: لا أدري فأمر ابن زياد مولاه الذي أعطاه الدراهم فخرج فلما رآه هاني أسقط في يديه وقال: والله ما دعوته وإنما جاء فرمى بنفسه عليَّ في منزلي فقال: آتيني به فقال والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه فضربه ابن زياد بقضيب فشجه ومال هاني إلى سيف شرطي ليأخذه فدفع عنه. فقال ابن زياد: قد أحل الله دمك واجتمعت مذحج على باب القصر وصاحوا، فقال ابن زياد للقاضي شريح: اخرج إليهم وقل لهم: إنما حبسه ليسأله فقال له هاني: يا شريح اتق الله فإنه قاتلي فخرج إليهم شريح فقال لهم ذلك فتفرقوا.

وبلغ مسلم بن عقيل الخبر فخرج من دار هاني ونادى بشعاره فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة فعبأهم وسار إلى القصر وكان عند ابن زياد وجوه أهل الكوفة فقال لهم: قوموا ففرقوا عشايركم عن مسلم وإلا ضربت أعناقكم فصعدوا على القصر

وجعلوا يكلمونهم فتفرق من كان مع مسلم وتسللوا عنه ودهمه الليل وقد بقي وحده فجاء إلى باب فجلس عليه فجاءته امرأة أو خرجت إليه فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماءً فسقته وقالت: من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل فقالت: ادخل فدخل وكانت المرأة أم مولى لمحمد بن الأشعث فعرفه ابنها فانطلق فأخبر ابن الأشعث فأخبر ابن زياد فبعث إليه عمرو بن حريث المخزومي، وكان على شرطته ومعه محمد بن الأشعث فأحاطوا بالدار فخرج إليهم مسلم يقاتل فآمنه ابن الأشعث وجاء به إلى ابن زياد فأمر به فأصعد إلى أعلى القصر فضربت عنقه وألقى رأسه إلى الناس وصلبت جثته بالكناسة[1] ثم فعل بهاني بن عروة كذلك فقال الشاعر:

فإن كنتِ لا تدرينَ بالموتِ فانظري ... إلى هاني بالسوقِ وابن عقيلِ
أصابهما ريب المنون فأصبحا ... أحاديثَ من يسعى بكلِّ سبيلِ

وقال آخر في ممالاة ابن الأشعث على مسلم بن عقيل:

وتركت عمك لم تقاتل دونه ... فشلا ولولا أنت كان ممنعا
وقتلت وافد حزب آل محمد ... وسلبت أسيافاً له ودروعا

وكان ابن الأشعث: قد سلبه قبل أن يأتي به ابن زياد وكان قتل مسلم لثمان مضين من ذي الحجة بعد رحيل الحسين من مكة بيوم، وقيل: يوم رحيله ولم يعلم الحسين بما جرى في الكوفة.

وبعث ابن زياد برأس مسلم بن عقيل إلى دمشق إلى يزيد، وهو أول رأس حمل من رؤوس بني هاشم وجثة مسلم أول جثة صلبت منهم.

وذكر ابن هشام بن محمد وابن إسحاق في قصة مسلم بن عقيل ما هو أتم من هذا، فقالا لما خرج الحسين عليه السلام من المدينة لقيه عبد اللّه بن مطيع فقال: يا أبا عبد اللّه إلى أين جعلت فداك؟ فقال: إلى مكة فقال له: إياك وأهل الكوفة وذكر غدرهم وفعلهم بعلي عليه السلام والحسن؛ ثم قال له: الزم الحرم فإنك سيد العرب ولن يعدلوا بك أحداً ويأتيك الناس من كل جانب فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك فاقبل حتى نزل مكة واختلف الناس إليه من الآفاق وابن الزبير قد لزم الكعبة يصلي عندها نهاراً ويطوف ليلاً وبين كل راحتين وفي كل يوم يأتي حسيناً وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير لعلمه بميل الناس إلى الحسين دونه وكان ابن الزبير يشير إليه بالخروج.

قال ابن إسحاق: فلما بلغ الشيعة بالكوفة أن الحسين بمكة وأنه قد امتنع من بيعة

(١) الكُنَاسَةُ: محلة بالكوفة عندها واقع يوسف بن عمر الثقفي زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، (معجم البلدان ٤/ ٤٨١).

يزيد اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد فقال لهم: يا قوم قد امتنع الحسين من بيعة يزيد، وأنتم شيعة أبيه فإن كنتم تنصرونه وتجاهدوا عدوه فاكتبوا إليه وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغروا الرجل بنفسه، فقالوا: لا والله بل ننصره ونبذل نفوسنا دونه، فكتبوا إليه بما قدمنا ذكره، وبعثوا الكتاب مع عبد اللّه ابن سبع الهمداني وعبد اللّه بن وال فقدما إلى الحسين لعشرة مضين من رمضان ثم بعثوا بعدهما بيومين قيس بن مسهر الصيداوي وعبد الرحمان بن عبد اللّه الأرجي وعمارة بن عيد اللّه السلولي، ومعهم نحو من مائة وخمسين صحيفة من أهل الكوفة ثم لبثوا يومين وسرحوا هاني بن هاني السبعي وسعيد بن عبد اللّه الحنفي وكتبوا معهما إلى الحسين كتاباً فيه الناس ينتظرون قدومك لا رأي لهم في غيرك فحي هلا العجل العجل.

وكتب إليه شبث بن ربعي وحجار بن أبحر وزيد بن الحارث، وعروة بن قيس في آخرين، أما بعد: فقد اخضر الجناب وأينعت الثمار فاقدم فإنك تقدم على جند مجند لك والسلام.

واجتمعت الرسل كلها بمكة عنده، فحينئذ بعث إليهم مسلم بن عقيل وكتب معه كتاباً قد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم فإن كتب إليّ أنه قد اجتمع رأى ملأكم وذي الحجي منكم على مثل ما قدمت به رسلكم قدمت عليكم وإلا لم أقدم والسلام.

ثم دعا مسلم بن عقيل، فبعثه مع قيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبد اللّه السلولي وعبد الرحمان بن عبد اللّه الأرحبي، وأمره بكتمان الأمر فسار مسلم إلى الكوفة فلما وصلها نزل دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي وأقبلت الشيعة إليه فقرأ عليهم كتاب الحسين فبكوا بأجمعهم ثم قالوا: والله لنضربن بين يديه بسيوفنا حتى نموت جميعاً، وبلغ النعمان بن بشير الخبر فخطب وقال: احذروا الفتن وسفك الدماء، وكان النعمان يحب العافية فناداه عبد اللّه بن مسلم بن السعيد الحضرمي حليف بني أمية، والله إنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم وإن رأيك رأي المستضعفين فقال: لأن أكون ضعيفاً في طاعة الله خيراً من أن أكون قوياً في معصية الله.

فكتب عبد اللّه إلى يزيد بذلك فعزل النعمان وولي ابن زياد، فلما دخل ابن زياد الكوفة طلب مسلم بن عقيل على ما قدمناه وقتله وبعث برأسه ورأس هاني بن عروة إلى يزيد وكتب إليه: الحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه وكفاه مؤنة عدوه، فكتب إليه يزيد بشكره ويقول: قد عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش وقد صدق ظني فيك وبلغني أن الحسين قد توجه إلى العراق فضع له المناظر والمسالح واحترس منه واحبس على الظنة، وخذ على التهمة واكتب إليّ في كل ما يحدث من خير وشر والسلام.

وقال هشام: كان مخرج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ودخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان فأقام بمكة شهر شعبان ورمضان وشوال وذي القعدة وخرج منها لثمان ليال مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء وكان يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل بالكوفة.

وقال هشام بن محمد أيضاً: كان الحسين قد بعث قيس بن مسهر إلى مسلم بن عقيل ليستعلم خبره قبل أن يصل إليه فأخذه ابن زياد وقال له: قم في الناس واشتم الكذاب ابن الكذاب يعني الحسين فقام على المنبر وقال: أيها الناس إني تركت الحسين بالحاجر وأنا رسوله إليكم لتنصروه فلعن الله الكذاب ابن الكذاب ابن زياد فطرح من القصر فمات.

ذكر وصول الحسين عليه السلام إلى العراق

قال علماء السير: ولم يزل الحسين قاصداً الكوفة مجداً في السير ولا علم له بما جرى على مسلم بن عقيل حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال تلقاه الحر بن يزيد التميمي فسلم عليه وقال: أين تريد يا بن رسول الله؟ قال: أريد هذا المصر فقال له: ارجع فوالله ما تركت لك خلفي خيراً ترجوه وأخبره بقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وقدوم ابن زياد الكوفة واستعداده له فهم بالرجوع وكان معه أخوه مسلم بن عقيل فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل فقال: لا خير في الحياة بعدكم ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد، فلما رأى ذلك عدل إلى كربلا فأسند ظهره إلى قصب وحلف ألا يقاتل إلا من وجه واحد، فنزل وضرب أبنيته وكان في خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل.

وكان ابن زياد قد جهز عمر بن سعد بن أبي وقاص لقتال الحسين في أربعة آلاف وجهز خمسمائة فارس فنزلوا على الشرايع.

وقال ابن زياد لعمر بن سعد: اكفني هذا الرجل ـ وكان عمر يكره قتاله ـ فقال: اعفني؛ فقال: لا أعفيك، وكان ابن زياد قد ولى عمر بن سعد الري وخوزستان فقال: قاتله وإلا عزلتك، فقال: أمهلني الليلة فأمهله ففكر فاختار ولاية الري على قتل الحسين فلما أصبح غدا عليه فقال: أنا أقاتله.

قال محمد بن سيرين: وقد ظهرت كرامات علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا فإنه لقي عمر بن سعد يوماً وهو شاب فقال: ويحك يا بن سعد كيف بك إذا أقمت يوماً مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار.

وقال الواقدي وغيره: لما رحل الحسين عليه السلام من القادسية وقف يختار مكاناً ينزل فيه وإذا سواد الخيل قد أقبل كالليل وكأن راياتهم أجنحة النسور وأسنتهم

اليعاسيب[١] فنزلوا مقابلهم ومنعوهم الماء ثلاثة أيام، فناداه عبد اللّه بن حصن الأزدي؛ يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء ووالله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً، فقال الحسين: اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً فكان بعد ذلك يشرب الماء ولا يروى حتى سقى بطنه فمات عطشاً.

وناداه عمرو بن الحجاج: يا حسين هذا الماء تلغ فيه الكلاب وتشرب منه خنازير أهل السواد والحمر والذئاب، وما تذوق منه والله قطرة حتى تذوق الحميم في نار الجحيم فكان سماع هذا الكلام على الحسين أشد من منعهم إياه الماء. قال: فلما اشتد بالحسين وأصحابه العطش بعث بالعباس بن علي عليه السلام أخيه إلى الشارع في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً فاقتتلوا عليه ولم يمكنوهم من الوصول إليه.

وكان عمر بن سعد يكره قتال الحسين فبعث إليه يطلب الاجتماع به فاجتمعا خلوة فقال له عمر: ما جاء بك؟ فقال: أهل الكوفة فقال: ما عرفت ما فعلوا معكم؟ فقال: من خادعنا في الله انخدعنا له، فقال له عمر: قد وقعت الآن فما ترى فقال: دعوني أرجع فأقيم بمكة أو المدينة أو أذهب إلى بعض الثغور فأقيم به كبعض أهله فقال: أكتب إلى ابن زياد بذلك فكتب إلى ابن زياد يخبره بما قال فهم ابن زياد أن يجيبه إلى ذلك فقال شمر بن ذي الجوشن الكلابي: لا تقبل منه حتى يضع يده في يدك فإنه إن أفلت كان أولى بالقوة منك وكنت أولى بالضعف منه فلا ترض إلا بنزوله على حكمك؛ فقال ابن زياد: نعم ما رأيت.

وكتب إلى ابن سعد أما بعد: فإني لم أبعثك إلى الحسين لتطاوله وتمنيه السلامة وتكون شافعاً له عندي فإن نزل على حكمي ووضع يده في يدي فابعث به إليَّ، وإن أبى فازحف عليه واقتله وأصحابه وأوطئ الخيل صدره وظهره ومثل به وإن أبيت فاعتزل عملنا وسلمه إلى شمر بن ذي الجوشن فقد أمرناه فيك بأمر وكتب إلى أسفل الكتاب:

الآن حين تعلقته حبالنا ... يرجو الخلاص ولات حين مناص

ورفع الكتاب إلى شمر وقال: اذهب إليه فإن فعل ما أمرته به وإلا فاضرب عنقه وأنت الأمير على الناس وابعث إليَّ برأسه.

قلت: وقد وقع في بعض النسخ أن الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد: دعوني أمضي إلى المدينة أو إلى يزيد فأضع يدي في يده ولا يصح ذلك عنه فإن عقبة بن سمعان قال: صحبت الحسين من المدينة إلى العراق ولم أزل معه إلى أن قتل والله ما سمعته قال ذلك.

---

(١) اليعاسيب: مفردها اليعسوب: ملكةُ النحل، وهي أنثى، وكان العرب يظنّونها ذكراً لضخامتها. يقال: (هو يعسوب قومه)؛ أي: رئيسه وكبيرهم ومقدَّمهم.

قال الواقدي: ولما وصل شمر إلى عمر بن سعد ناداه عمر بن سعد لا أهلاً والله بك ولا سهلاً يا أبرص لا قرب الله دارك ولا أدنى مزارك وقبح ما جئت به، ثم قرأ الكتاب وقال: والله لقد ثنيته عما كان في عزمه ولقد أذعن ولكنك شيطان فعلت ما فعلت فقال له شمر: إن فعلت ما قال الأمير، وإلا فخل بيني وبين العسكر فبعث عمر إلى الحسين فأخبره بما جرى فقال: والله لا وضعت يدي في يد ابن مرجانة أبداً وأنشد:

لا ذعرت السوام في فلق الصبح

وقد ذكرناه، وذكره جدي أبو الفرج في كتاب (المنتظم)[1] أن شمر بن ذي الجوشن وقف على أصحاب الحسين وقال: أين بنو أختنا؟ فخرج إليه العباس وعثمان وجعفر بنو علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا: ما الذي تريد؟ فقال: أنتم يا بني أختي آمنون فقالوا: لعنك الله ولعن أمانك أتؤمننا وبان رسول الله لا أمان له.

قلت: ومعنى قول شمر: أين بني أختنا يشير إلى أم البنين بنت حزام الكلابية وشمر كان كلابياً.

وقال ابن جرير: وكان شمر قد أخذ من ابن زياد أماناً لبنيها وكانت تحت علي عليه السلام وهؤلاء الثلاثة بنوها.

وذكر ابن جرير أيضاً: أن جرير بن عبد اللّه بن مخلد الكلابي. كانت أم البنين عمته فأخذ لهم أماناً هو وشمر بن ذي الجوشن.

ذكر مقتله عليه السلام

قال هشام: ثم إن عمر بن سعد لما يئس منه نادى: يا خيل الله اركبي فزحفوا إليه ولما علم الحسين أنهم قاتلوه عرض على أصحابه وأهله الانصراف وأن يتفرقوا عنه فبكوا وقالوا: أقبح الله العيش بعدك وسمعته أخته زينب بنت علي عليه السلام فقامت تجر ثوبها وتقول: واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم قتل أبي علي اليوم ماتت أمي فاطمة اليوم مات أخي الحسن يا خليفة الماضين ويا ثمال الباقين ثم لطمت وجهها والحسين يعزيها وهي لا تقبل العزاء. والثمال الغياث وأصله من الثميلة وهي البقية من الماء.

ثم قال الحسين: ما يقال لهذه الأرض؟ فقالوا: (كربلا) ويقال لها: أرض (نينوى) قرية بها فبكى وقال: كرب وبلاء؛ أخبرتني أم سلمة قالت: كان جبرائيل عند

(١) «المنتظم في تاريخ الأمم» كتاب لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧ من الهجرة إلى خلافة المستضيء عليها ترتيب السنين وهو تاريخ كبير فيه نبذ من الفوائد الحديثية وتراجم الملوك والأعيان، (كشف الظنون ٢/ ١٨٥٠ ـ ١٨٥١).

رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت معي فبكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «دع ابني» فتركتك فأخذك ووضعك في حجره فقال جبرائيل: أتحبه؟ «قال: نعم؛ قال: فإن أمتك ستقتله. قال: وإن شئت أن أريك تربة أرضه التي يقتل فيها؟ قال: نعم؛ قالت: فبسط جبرائيل جناحه على أرض كربلا فأراه إياها» فلما قيل للحسين: هذه أرض كربلا شمها وقال: هذه والله هي الأرض التي أخبر بها جبرائيل رسول الله وأنني أقتل فيها.

وفي رواية: قبض منها قبضة فشمها وقد ذكر ابن سعد في (الطبقات) عن الواقدي بمعناه وقال: فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وآله وبيده تربة حمراء.

وذكر ابن سعد أيضاً عن الشعبي قال: لما مر علي عليه السلام بكربلا في مسيره إلى صفين وحاذى نينوى قرية على الفرات وقف ونادى صاحب مطهرته أخبر أبا عبد اللّه ما يقال لهذه الأرض؟ فقال: كربلا فبكى حتى بلَّ الأرض من دموعه ثم قال: دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: «كان عندي جبرائيل آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشط الفرات بموضع يقال له: كربلا ثم قبض جبرائيل قضبة من تراب فشمني إياها فلم أملك عيني إن فاضتا».

وقد روى الحسن بن كثير وعبد خير قالا: لما وصل علي عليه السلام إلى كربلا وقف وبكى وقال: بأبيه أغيلمة يقتلون ها هنا هذا مناخ ركابهم هذا موضع رحالهم هذا مصرع الرجل ثم ازداد بكاؤه، فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها قام يصلي ويدعو ويترحم على أخيه الحسن، وذلك لأن الحسن قال له لما احتضر: يا أخي اسمع ما أقول: إن أباك لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله تسوف إليَّ بهذا الأمر رجاء أن يكون صاحبه فصرف عنه إلى غيره؛ فلما احتضر أبو بكر تسوف أن يكون صاحبه فصرف عنه إلى عمر، فلما احتضر عمر تسوف أن يكون صاحبه فصرف عنه إلى عثمان تجرد أبوك للطلب بالسيف ولم يدركه وأبى الله أن يجعل بيننا أهل البيت النبوة والدنيا والخلافة والملك، فإياك وسفهاء أهل الكوفة أن يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص.

ولما طلع الفجر: وهو يوم الجمعة عاشر المحرم؛ وقيل: يوم السبت من سنة إحدى وستين عبيء أصحابه ميمنة وميسرة وكانوا كما ذكرنا خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل؛ وقال قوم: كانوا سبعين فارساً ومائة راجل وقيل: كان معه ثلاثون فارساً.

وذكر المسعودي: أنه كان معه ألف والأول أصح.

وقال المسعودي: قتل منهم أحد وثمانون نفساً ولم يحضر قتال الحسين أحد من أهل الشام بل كلهم من أهل الكوفة ممن كاتبه وكانوا ستة آلاف مقاتل فأعطى الحسين

الراية أخاه العباس، وجعل البيوت والحرم خلفه فأطلق القوم النار من وراء البيوت فناداه شمر: يا حسين تعجلت النار في الدنيا فقال له الحسين: يا بن راعية المعزى إليّ تقول هذا، أنت والله أولى بها صلياً؛ ثم ناداه محمد بن الأشعث أبشر الساعة ترد الجحيم فقال: مَنْ هذا؟ فقالوا: ابن الأشعث فقال: لعنك الله وقومك.

ثم نادى الحسين: يا أهل الكوفة أما هذه كتبكم إليّ أقدمتموني وغررتموني أين عهودكم ومواثيقكم؟ فلم يجبه أحد، وفي رواية أنه نادى: يا شبث بن ربعي ويا حجار بن الحر، ويا قيس بن الأشعث، ويا زيد بن الحارث، ويا فلان، ويا فلان ألم تكتبوا إلي؟ فقالوا: ما ندري ما تقول.

وكان الحر بن يزيد اليربوعي من ساداتهم فقال له: بلى والله لقد كاتبناك ونحن الذين أقدمناك فأبعد الله الباطل وأهله والله لا أختار الدنيا على الآخرة ثم ضرب رأس فرسه ودخل في عسكر الحسين فقال له الحسين: أهلاً بك وسهلاً أنت والله الحر في الدنيا والآخرة ثم ناداهم الحر ويحكم لا أم لكم أنتم الذين أقدمتموه فلما أتاكم أسلمتموه فصار كالأسير ومنعتموه وأهله الماء الجاري الذي تشرب منه اليهود والنصارى والمجوس ويتمرغ فيه خنازير السواد بئس ما خلفتم محمداً في أهله وذريته وإذا لم تنصروه وتفوا له بما حلفتم عليه فدعوه يمضي حيث شاء من بلاد الله أما أنتم بالله مؤمنون وبنبوة محمد جده مصدقون وبالمعاد موقنون ثم حمل وقال:

أضرب في أعناقكم بالسيف عن خيرِ من حلّ منىً والخيف

وقتل منهم جماعة، ثم تكاثروا عليه فقتلوه.

قال الواقدي: أول من رمى في عسكر الحسين بسهم عمر بن سعد.

وقال هشام بن محمد: لما رآهم الحسين مصرين على قتله أخذ المصحف ونشره وجعله على رأسه ونادى بيني وبينكم كتاب الله وجدي محمد رسول الله يا قوم بم تستحلون دمي ألستُ ابن بنت نبيكم، ألم يبلغكم قول جدي فيَّ وفي أخي؟ «هذان سيدي شباب أهل الجنة» إن لم تصدقوني فاسألوا جابراً وزيد بن أرقم وأبا سعيد الخدري أليس جعفر الطيار عمي؟ فناداه شمر الساعة ترد الهاوية؛ فقال الحسين: (الله أكبر) أخبرني جدي رسول الله فقال: «رأيت كأن كلباً ولغ في دماء أهل بيتي وما أخالك إلا إياه» فقال شمر: أنا أعبد الله على حرف إن كنت أدري ما تقول فالتفت الحسين فإذا بطفل له يبكي عطشاً فأخذه على يده، وقال: يا قوم إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل؛ فرماه رجل منهم بسهم فذبحه، فجعل الحسين يبكي ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا، فنودي من الهوى: دعه يا حسين فإن له مرضعاً في الجنة؛ ورماه حصين بن تميم بسهم فوقع في شفتيه فجعل الدم يسيل من شفتيه وهو يبكي ويقول: اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بي وبإخوتي وولدي

وأهلي ثم اشتد به العطش فهم أن يلقي نفسه بين القوم، ثم شرفت نفسه عن ذلك ثم جاء وقت صلاة الظهر فصلى بأصحابه صلاة الخوف، فبينا هم في الصلاة تكالبوا عليه فحمل زهير بن القين يذب عن الحسين ويقول:

أنا زهيرٌ وأنا ابن القينِ أردكم بالسيفِ عن حسينِ

ثم صاح زهير بالحسين:

أقدم حديث هادياً مهديا اليوم تلقى جدك النبيا

وحسناً والمرتضى عليا

فخفق الحسين برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول: رأيت الساعة جدي رسول الله وهو يقول: «يا بني اصبر الساعة تأتي إلينا» وصاح شمر: ما تنتظرون به احملوا عليه فتشدد الحسين ولبس سراويلاً ضيقاً فأعجلوه؛ فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف فسقط، وضربه زرعة بن شريك التميمي على كتفه اليسرى فأبانها فجعل يبكي، وحمل عليه سنان بن أنس النخعي فطعنه برمح في ترقوته، ثم نزل فحز رأسه بعد أن ذبحه. وقد اختلفوا في قاتله على أقوال أحدها: سنان بن أنس النخعي، (قاله هشام بن محمد). والثاني: (الحصين بن نمير رماه بسهم ثم نزل فذبحه وعلق رأسه في عنق فرسه ليتقرب به إلى ابن زياد). والثالث: مهاجر بن أوس التميمي. (والرابع: كثير بن عبد الله الشعبي) (والخامس: شمر بن ذي الجوشن). والأصح أنه سنان بن أنس النخعي وشاركه شمر بن ذي الجوشن.

ولما دخل سنان على الحجاج قال له: أنت قاتل الحسين؟ قال: نعم، قال أبشر فإنك أنت وإياه لا تجتمعان في دار أبداً.

قالوا: فما سمع من الحجاج كلمة خيراً منها؛ ثم عدوا ما في جسده فوجدوه ثلاثاً وثلاثين طعنة برمح وأربعاً وثلاثين ضربة بسيف ووجدوا في ثيابه مائة وعشرين رمية بسهم، وسلبوه جميع ما كان عليه حتى سرواله أخذه بحر بن كعب التميمي، وأخذ قميصه إسحاق بن حوية الخضرمي، وأخذ سيفه القلانس النهشلي، وأخذ قطيفته قيس بن الأشعث الكندي، وأخذ نعليه الأسود بن خالد الأزدي، وأخذ عمامته جابر بن يزيد، وأخذ برنسه مالك بن بشير الكندي.

وقال عمر بن سعد: مَنْ جاء برأس الحسين فله ألف درهم.

وقال عمر أيضاً: من يوطىء الخيل صدره؟ فأوطؤوا الخيل ظهره وصدره ووجدوا في ظهره آثاراً سوداً فسألوا عنها فقيل: كان ينقل الطعام على ظهره في الليل إلى مساكن أهل المدينة، وأخذ ملحفة فاطمة بنت الحسين واحد، وأخذ حليها آخر وعروا نساؤه وبناته من ثيابهن.

قال الواقدي: وجاء سنان بن أنس (وقيل: شمر) فوقف على باب فسطاط عمر بن سعد وقال:

أوقر ركابي فضة وذهبا أنا قتلتُ السّيد المحجبَا
قتلتُ خير الناس أماً وأباً وخيرهم إذ ينسبونَ نسبَا

فناداه عمر بن سعد: أو مجنون أنت لو سمعك ابن زياد لقتلك.

وذكر ابن سعد في (الطبقات) أن سنان بن أنس النخعي جاء إلى باب ابن زياد، وأنشد هذه الأبيات فلم يعطيه ابن زياد شيئاً.

ذكر من قتل مع الحسين عليه السلام من أهله

قال هشام بن محمد: قتل من آل أبي طالب جماعة، منهم: الحسين بن علي قتله سنان بن أنس، والعباس بن علي قتله زيد بن رقاد، وقتل أخوه جعفر وعبد اللّه وعثمان وهم من أم البنين التي ذكرناها؛ وقتل محمد بن علي عليه السلام وأمه أم ولد، وقتل أبو بكر بن علي وأمه ليلى بنت مسعود بن دارم؛ وقتل علي بن الحسين بن علي وهو علي الأكبر وأمه ليلى بنت مرة الثقفية، قتله مرة بن سعد العبدي؛ وقتل عبد اللّه بن الحسين وأمه الرباب بنت امرئ القيس قتله هاني بن ثابت الحضرمي؛ واستصغروا علي بن الحسين فلم يقتلوه؛ وقتلوا أبا بكر بن الحسين بن علي وأمه أم ولد قتله عبد اللّه بن عقبة الغنوي؛ وقتل عبد اللّه بن الحسن بن علي عليه السلام وأمه أم ولد قتله سعد بن عمر بن نفيل الأزدي وقتل عون بن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب وأمه جمانة بنت المسيب بن نجبة قتله عبد اللّه بن قطيبة الطائي. وكان لجعفر ولد آخر اسمه عون أمه أسماء بنت عميس وقد ذكرناه؛ وقتل محمد بن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب، وأمه الحوط بنت حفصة تميمية، وقتل جعفر بن عقيل بن أبي طالب، وأمه أم البنين ابنة النفراء قتله بشر بن حوط الهمداني، وقتل أخوه عبد اللّه بن عقيل وأمه أم ولد قتله عمر بن صبيح. وقد ذكرنا أن ابن زياد قتل مسلم بن عقيل وأمه أم ولد، وقتل عبد اللّه بن مسلم بن عقيل، وأمه رقية بنت علي عليه السلام، وأمها أم ولد قتله عمر بن صبيح الصيداوي، وقتل محمد بن مسلم بن عقيل، وأمه أم ولد قتله لقيط بن ياسر الجهني (واستصغروا الحسن بن الحسن بن علي فلم يقتلوه) واستصغروا أيضاً عمر بن الحسن بن علي عليه السلام فلم يقتلوه وتركوه.

فالحاصل إنهم قتلوا من آل أبي طالب تسعة عشر، سبعة لعلي عليه السلام الحسين، والعباس، وجعفر، وعبد اللّه، وعثمان، ومحمد، وأبو بكر، ومن ولد الحسين اثنان علي، وعبد اللّه، ومن ولد الحسن ثلاثة أبو بكر، والقاسم وعبد اللّه، ومن ولد عبد اللّه بن جعفر اثنان عون، ومحمد؛ ومن ولد عقيل خمسة، مسلم؛

وجعفر، وعبد اللّه بن مسلم بن عقيل وأخاه محمد بن مسلم.

وذكر المدايني: أنه قتل مع الحسين عبد الرحمان بن عقيل وعون بن عقيل، فعلى هذا هم أحد وعشرون. وفيهم يقول سراقة الباهلي:

يا عين ابكي بعبرةٍ وعويل — واندبي إن ندبت آل الرسولِ

سبعة منهم لصلب عليّ — قد أبيدوا وسبعة لعقيلِ

لعنَ الله حيثُ حلّ زياداً — وابنه والعجوز ذات بعولِ

يعني - (سمية) - وكانت من البغايا وقصتها مشهورة، وقيل: مرجانة.

وقال الشعبي، أول قتيل منهم: العباس بن علي، ثم علي بن الحسين الأكبر خرج وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي — نحن وبيت الله أولى بالنبي

من شمر وعمر وابن الدعي

فطعنه رجل فقتله؛ ثم من بعده عون بن جعفر ثم القاسم بن الحسن بن علي ثم عبد اللّه بن الحسين ثم عبد اللّه بن علي، ثم عثمان بن علي؛ ثم عبد الرحمان بن عقيل ثم محمد بن عبد اللّه بن جعفر؛ ثم الحسين عليه السلام وتتابعوا بعده وكان زهير بن القين قد قتل مع الحسين.

وقالت امرأة لغلام له: اذهب فكفن مولاك؛ فذهب فرأى الحسين مجرداً فقال: أكفن مولاي وأدع الحسين لا والله فكفنه ثم كفن مولاه في كفن آخر.

وحكى محمد بن سعد عن محمد بن الحنفية أنه قال: لقد قتلوا تسعة عشر شاباً كلهم ركنوا في رحم فاطمة وهذا يدل على أنه قتل معه خلق كثير من أهله من أولاده وأولاد الحسن بن علي عليهم السلام.

وكان مقتله يوم الجمعة ما بين الظهر والعصر، لأنه صلى صلاة الخوف بأصحابه (وقيل: يوم السبت) وقد ذكرناه.

ذكر إنفاذ الرؤوس والسبايا إلى ابن زياد

قال هشام بن محمد، والواقدي، وابن إسحاق: ثم بعث عمر بن سعيد إلى ابن زياد برأس الحسين ورؤوس أصحابه وبناته ومن بقي من الأطفال مع خولى بن يزيد الأصبحي وفيهم علي بن الحسين الأصغر وكان مريضاً فلما مروا على جثة الحسين بن علي عليه السلام صاحت زينب بنت علي وامحمداه صلى عليك إله السماء هذا حسين مرمل بالعراء في الدماء وبناتك سبايا وذريتك قتلى تسفى عليهم الصبا[1] يا محمداه،

(١) سَفَتِ الريحُ التراب: حملته أو نثرته. فهي سافية (ج) سافيات، وسوافٍ.
الصَّبا: ريح مهبّها من مشرق الشمس ويقابلها الدَّبور.

فأبكت كل عدو وصديق؛ وحمل مع رأس الحسين اثنان وتسعون رأساً.

وفي أفراد البخاري عن ابن سيرين قال: لما وضع رأس الحسين بين يدي ابن زياد جعل طست وجعل يضرب ثناياه بالقضيب وقال في حسنه شيئاً وكان عنده أنس بن مالك فبكى وقال: كان أشبههم برسول الله وكان مخضوباً بالوسمة.

وروي أنه كان مخضوباً بالسواد، قالوا: ولا يثبت في ذلك وإنما غيرته الشمس.

وقد روى ابن أبي الدنيا: أنه كان عند ابن زياد زيد بن أرقم فقال له: ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقبلُ ما بين هاتين الشفتين ثم جعل زيد يبكي فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك فنهض زيد وهو يقول: أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة، والله ليقتلن أخياركم وليستعبدن شراركم فبعداً لمن رضي بالذل والعار.

ثم قال: يا بن زياد لأحدثنك حديثاً أغلظ من هذا، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أقعد حسناً على فخذه اليمنى وحسيناً على فخذه اليسرى ثم وضع يده على يافوخيهما ثم قال: «اللهم إني أستودعك إياهما وصالح المؤمنين» فكيف كانت وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله عندك يا بن زياد.

وقال هشام بن محمد: لما وضع الرأس بين يدي ابن زياد قال له كاهنه: قم فضع قدمك على فم عدوك فقام فوضع قدمه على فيه ثم قال لزيد بن أرقم: كيف ترى؟ فقال: والله لقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله واضعاً فاه حيث وضعت قدمك.

وقيل: إن هذه الواقعة جرت ليزيد بن معاوية مع زيد بن أرقم.

وذكر ابن جرير: إن الذي كان حاضراً عند يزيد أبو برزة الأسلمي لما نذكر.

وقال الشعبي: كان عند ابن زياد قيس بن عباد فقال له ابن زياد: ما تقول فيَّ وفي حسين؟ فقال: يأتي يوم القيامة جده وأبوه وأمه فيشفعون فيه ويأتي جدك وأبوك وأمك فيشفعون فيك فغضب ابن زياد وأقامه من المجلس.

وقال المدايني: كان ممن حضر الواقعة رجل من بكر بن وائل يقال له: جابر أو جبير فلما رأى ما صنع ابن زياد قال في نفسه لله: على ألا أصيب عشرة من المسلمين خرجوا على ابن زياد إلا خرجت معهم فلما طلب المختار بثأر الحسين والتقى العسكران برز هذا الرجل وهو يقول:

وكل شيء قد أراه فاسداً   إلا مقام الرمح في ظل الفرس

ثم حمل على صفوف ابن زياد وصاح: يا ملعون يا بن ملعون ويا خليفة الملعون فتفرق الناس عن ابن زياد فالتقيا بطعنتين فوقعا قتيلين.

وقيل: إنما قتل ابن زياد إبراهيم بن الأشتر لما نذكر.

وقال هشام: لما حضر علي بن الحسين الأصغر مع النساء عند ابن زياد وكان مريضاً قال ابن زياد: كيف سلم هذا اقتلوه؟! فصاحت زينب بنت علي: يا بن زياد حسبك من دمائنا إن قتلته فاقتلني معه وقال علي: يا بن زياد إن كنت قاتلي فانظر إلى هذه النسوة من بينه وبينهن قرابة يكون معهن، فقال ابن زياد: أنت وذاك.

قال الواقدي: وإنما استبقوا علي بن الحسين لأنه لما قتل أبوه كان مريضاً فمر به شمر فقال: اقتلوه ثم جاء عمر بن سعد فلما رآه قال: لا تتعرضوا لهذا الغلام ثم قال لشمر: ويحك من للحرم.

قال علي: فأخذني رجل من أهل الكوفة فأكرمني وتركني في منزله وجعل كلما دخل عليّ وخرج يبكي، فأقول: إن يكن عند رجل من أهل الكوفة خير فعند هذا، فبينا أنا ذات يوم عنده إذا منادي ابن زياد من كان عنده علي بن الحسين فليأت به وله ثلاثمائة درهم قال: فدخل وهو يبكي ويقول: أخاف منهم فربط يدي إلى عنقي وسلمني إليهم وأخذ الدراهم.

وقال ابن هشام: قال ابن زياد في ذلك المجلس لزينب: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم، فقالت: بل الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهرنا به تطهيراً وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وإن الله كتب القتل على أهلنا فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بيننا وبينكم فتحاكم بين يديه.

قال ابن أبي الدنيا: ثم جمع ابن زياد الناس في المسجد ثم خطب وقال: الحمد لله الذي قتل الكذاب ابن الكذاب حسين وشيعته، فقام إليه عبد اللّه بن عفيف الأزدي وكان منقطعاً في المسجد ذهبت عينه اليمنى مع علي عليه السلام يوم صفين فقال: يا ابن مرجانة الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك، والذي ولاك يا بن مرجانة أتقتلون أولاد النبيين وتتكلمون بكلام الفاسقين؟!

فقال ابن زياد: دونكم وإياه، فصاح عفيف بشعار الأزد فثار إليه منهم سبعمائة رجل فحملوه إلى داره.

ثم قام عمر بن سعد من عند ابن زياد يريد منزله إلى أهله وهو يقول في طريقة: ما رجع أحد مثل ما رجعت أطعت الفاسق ابن زياد الظالم ابن الفاجر وعصيت الحاكم العدل وقطعت القرابة الشريفة، وهجره الناس وكان كلما مرّ على ملأ من الناس أعرضوا عنه وكلما دخل المسجد خرج الناس منه، وكل من رآه قد سبه فلزم بيته إلى أن قتل.

وذكر ابن سعد في (الطبقات) قال: قالت مرجانة أم ابن زياد لابنها: يا خبيث قتلت ابن رسول الله، والله لا ترى الجنة أبداً، ثم إن ابن زياد نصب الرؤوس كلها

بالكوفة على الخشب وكانت زيادة على سبعين رأساً وهي أول رؤوس نصبت في الإسلام بعد رأس مسلم بن عقيل بالكوفة.

وذكر عبد اللّه بن عمرو الوراق في كتاب (المقتل) أنه لما حضر الرأس بين يدي ابن زياد أمر حجاماً فقال: قوره، فقوره وأخرج لغاديده ونخاعه وما حوله من اللحم، واللغاديد ما بين الحنك وصفحة العنق من اللحم.

فقام عمرو بن حريث المخزومي فقال لابن زياد: قد بلغت حاجتك من هذا الرأس فهب لي ما ألقيت منه فقال: ما تصنع به؟ فقال: أواريه فقال: خذه فجمعه في مطرف خز كان عليه وحمله إلى داره فغسله وطيبه وكفنه ودفنه عنده في داره وهي بالكوفة تعرف بدار الخز دار عمرو بن حريث المخزومي؛ وقيل: إن الرباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين أخذت الرأس ووضعته في حجرها وقبلته وقالت:

واحسيناً فلا نسيت حسيناً أقصدته أسنة الأعداء

غادروه بكربلاء صريعاً لا سقى الله جانبي كربلاء

وقال عبيد بن عمير: لقد رأيت في هذا القصر عجباً (يعني قصر الكوفة) رأيت رأس الحسين بين يدي ابن زياد موضعاً. ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار موضعاً ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير، ثم رأيت رأس مصعب بن الزبير بين يدي عبد الملك بن مروان. قيل له: فكم كانت المدة؟ فقال: مقدار ثلاث سنين فأف لدنيا تنتهي إلى هذا.

ثم إن ابن زياد حط الرؤوس في اليوم الثاني وجهزها والسبايا إلى الشام إلى يزيد بن معاوية.

ذكر حمل الرأس إلى يزيد

قال الواقدي: ثم دعا ابن زياد زجر بن قيس الجعفي وسلم إليه الرؤوس والسبايا وجهزه إلى دمشق، فحكى ربيعة بن عمر وقال: كنت جالساً عند يزيد بن معاوية في بهو له إذ قيل: هذا زحر بن قيس بالباب فاستوى جالساً مذعوراً وأذن له في الحال فدخل فقال: ما وراك؟ فقال: ما تحب أبشر بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين في سبعين راكباً من أهل بيته وشيعته فعرضنا عليهم الأمان والنزول على حكم ابن زياد فأبوا واختاروا القتال فما كان إلا كنومة القايل أو جز جزور[1] حتى أخذت السيوف مأخذها من هام الرجال جعلوا يلوذون بالآكام[2] فهاتيك أجسامهم مجردة وهم صرعى في الفلاة.

(١) الجَزُورُ: ما يُصلح للذبح من الإبل أو ما يُذبح من الشاءِ (ج) جزائر، وجُزُرٌ.
(٢) الآكام: الروابي والتلال.

قال: فدمعت عينا يزيد وقال: لعن الله ابن مرجانة ورحم الله أبا عبد اللّه لقد كنا نرضى منكم يا أهل العراق بدون هذا قبح الله ابن مرجانة لو كان بينه وبينه رحم ما فعل به هذا.

فلما حضرت الرؤوس عنده قال: فرقت سمية بيني وبين أبي عبد اللّه وانقطع الرحم لو كنت صاحبه لعفوت عنه ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً؛ رحمك الله يا حسين لقد قتلك رجل لم يعرف حق الأرحام.

وفي رواية: لعن الله ابن مرجانة لقد اضطره إلى القتل لقد سأله أن يلحق ببعض البلاد أو الثغور فمنعه لقد زرع لي ابن زياد في قلب البر والفاجر والصالح والطالح العداوة ثم تنكر لابن زياد ولم يصل زجر بن قيس بشيء.

ثم بعث بالرأس إلى ابنته عاتكة فغسلته وطيبته.

قلت: وهكذا وقعت هذه الرواية رواها هشام بن محمد.

وأما المشهور عن يزيد في جميع الروايات: أنه لما حضر الرأس بين يديه جمع أهل الشام وجعل ينكت عليه بالخيزران ويقول أبيات ابن الزبعرى:

ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا ... وقعة الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرن من ساداتهم ... وعدلنا قتل بدر فاعتدل

حكى القاضي أبو يعلى عن أحمد بن حنبل في كتاب (الوجهين والروايتين) أنه قال: إن صح ذلك عن يزيد فقد فسق.

قال الشعبي وزاد فيها يزيد فقال:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل

قال مجاهد: نافق، وقال الزهري: لما جاءت الرؤوس كان يزيد في منظره على جيرون فأنشد لنفسه:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت ... تلك الشموس على ربي جيرون
نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح ... فلقد قضيت من الغريم ديوني

وذكر ابن أبي الدنيا أنه لما نكت بالقضيب ثناياه أنشد لحصين بن الحمام المري:

صبرنا وكان الصبرُ منا سجيةً ... بأسيافنا تفرين هاماً ومعصما
نفلق هاماً من رؤوس أحبة ... إلينا وهم كانوا أعق وأظلما

قال مجاهد: فوالله لم يبق في الناس أحد إلا من سبه وعابه وتركه.

قال ابن أبي الدنيا: وكان عنده أبو برزة الأسلمي فقال له: يا يزيد ارفع قضيبك فوالله لطال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل ثناياه.

وذكر البلاذري: أن الذي كان عند يزيد وقال هذه المقالة أنس بن مالك وهو غلط من البلاذري لأنَّ أنساً كان بالكوفة عند ابن زياد ولما جيء بالرأس بكى وقد ذكرناه.

وقال هشام: لما أنشد يزيد الأبيات قال له علي بن الحسين: بل ما قال الله أولى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢] فقال يزيد: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وكان علي بن الحسين والنساء موثقين في الحبال فناداه علي: يا يزيد ما ظنك برسول الله لو رآنا موثقين في الحبال عرايا على أقتاب الجمال؟ فلم يبق في القوم إلا من بكى.

وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن البصري قال: ضرب يزيد رأس الحسين ومكاناً كان يقبله رسول الله صلى الله عليه وآله ثم تمثل الحسن:

سمية أمسى نسلها عدد الحصى ... وبنت رسول الله ليس لها نسل

وقال ابن سعد: بعث ابن زياد بالرأس مع مخفر بن ثعلبة العايدي وأمر يزيد نساءه فأقمن المأتم على الحسين ثلاثة أيام.

وحكى هشام بن محمد عن أبيه عن عبيد بن عمير قال: كان رسول قيصر حاضراً عند يزيد فقال ليزيد: هذا رأس من؟ فقال: رأس الحسين قال: ومن الحسين؟ قال: ابن فاطمة، قال: ومن فاطمة؟ قال: بنت محمد، قال: نبيكم؟ قال: نعم، قال: ومن أبوه؟ قال: علي بن أبي طالب، قال: ومن علي بن أبي طالب؟ قال: ابن عم نبينا، فقال: تباً لكم ولدينكم ما أنتم وحق المسيح على شيء، إن عندنا في بعض الجزاير دير فيه حافر حمار ركبه عيسى السيد المسيح ونحن نحج إليه في كل عام من الأقطار وننذر له النذور ونعظمه كما تعظمون كعبتكم فأشهد أنكم على باطل ثم قام ولم يعد إليه.

وحكى محمد بن سعد في (الطبقات) عن محمد بن عبد الرحمان قال: لقيني رأس الجالوت فقال: إن بيني وبين داود سبعين نبياً وإن اليهود تعظمني وتحترمني وأنتم قتلتم ابن بنت نبيكم.

وذكر عبد الملك بن هاشم في كتاب (السيرة) الذي أخبرنا القاضي الأسعد أبو البركات عبد القوي بن أبي المعالي بن الحبار السعدي في جمادى الأول سنة تسع وستمائة بالديار المصرية قراءة عليه ونحن نسمع قال: أنبأنا أبو محمد عبد اللّه بن

رفاعة بن غدير السعدي في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة قال: أنبأنا أبو الحسن علي بن الحسن الخلعي، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن سعيد النحاس النحيبي، أنبأنا أبو محمد عبد اللّه بن جعفر بن مُحمد بن رنجويه البغدادي، أنبأنا أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد اللّه البرقي، أنبأنا أبو محمد عبد الملك بن هشام النحوي البصري. قال: لما أنفذ ابن زياد رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية مع الأسارى موثقين في الحبال منهم نساء وصبيان وصبيات من بنات رسول الله صلى الله عليه وآله على أقتاب الجمال موثقين مكشفات الوجوه والرؤوس وكلما نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من صندوق أعدوه له فوضعوه على رمح وحرسوه طول الليل إلى وقت الرحيل ثم يعيدونه إلى الصندوق ويرحلوا فنزلوا بعض المنازل وفي ذلك المنزل دير فيه راهب فأخرجوا الرأس على عادتهم ووضعوه على الرمح وحرسه الحرس على عادته وأسندوا الرمح إلى الدير فلما كان في نصف الليل رأى الراهب نوراً من مكان الرأس إلى عنان السماء فأشرف على القوم وقال: من أنتم؟ قالوا: نحن أصحاب ابن زياد قال: وهذا رأس مَنْ؟ قالوا: رأس الحسين بن علي بن أبي طالب ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: نبيكم؟ قالوا: نعم قال: بئس القوم أنتم لو كان للمسيح ولد لأسكناه أحداقنا ثم قال: هل لكم في شيء؟ قالوا: وما هو قال: عندي عشرة آلاف دينار تأخذونها وتعطوني الرأس يكون عندي تمام الليلة وإذا رحلتم تأخذونه قالوا: وما يضرنا؟ فناولوه الرأس وناولهم الدنانير فأخذه الراهب فغسله وطيبه وتركه على فخذه وقعد يبكي الليل كله فلما أسفر الصبح قال: يا راس لا أملك إلا نفسي وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدك محمداً رسول الله وأشهد الله إنني مولاك وعبدك ثم خرج عن الدير وما فيه وصار يخدم أهل البيت.

قال ابن هشام في السيرة: ثم إنهم أخذوا الرأس وساروا فلما قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض: تعالوا حتى نقسم الدنانير لا يراها يزيد فيأخذها منا فأخذوا الأكياس وفتحوها وإذا الدنانير قد تحولت خزفاً وعلى أحد جانب الدينار مكتوب ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢] الآية وعلى الجانب الآخر ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] فرموها في بردى.

وذكر هشام بن محمد: أنه لما دخل النساء على يزيد نظر رجل من أهل الشام إلى فاطمة بنت الحسين عليه السلام وكانت وضيئة فقال ليزيد: هب لي هذه فإنهن لنا حلال فصاحت الصبية وارتعدت وأخذت بثوب عمتها زينب فصاحت زينب: ليس ذلك إلى يزيد ولا كرامة فغضب يزيد وقال: لو شئت لفعلت فقالت زينب صلّ إلى غير قبلتنا ودِنْ بغير ملتنا، وافعلْ ما شئت فسكن غضبه.

وقال الزهري: لما دخلت نساء الحسين وبناته على نساء يزيد قمن إليهن وصحن

وبكين وأقمن المأتم على الحسين ثم قال يزيد لعلي الأصغر: إن شئت أقمت عندنا فبررناك؛ وإن شئت رددناك إلى المدينة فقال: لا أريد إلا المدينة فرده إليها مع أهله.

وقال الشعبي: لما دخلت نساء الحسين على نساء يزيد قلن: واحسيناه فسمعهن يزيد فقال:

يا صيحة تحمد من صوايح ما أهون الموت على النوايحِ

وكان في السبايا الرباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين وهي أم سكينة بنت الحسين[1] وكان الحسين يحبها حباً شديداً وله فيها أشعار منها:

لعمرك إنني لأحبّ داراً تحل بها سكينةُ والربابُ
أحبهما وأبذل فوق جهدي وليس لعاذلٍ عندي عتابُ
وليس لهم وإن عتبوا مطيعاً حياتي أو يغيبني الترابُ

فخطبها يزيد والأشراف من قريش فقالت: والله لا كان لي حمواً آخر بعد ابن رسول الله وعاشت بعد الحسين سنة ثم ماتت كمداً.

ولم تستظل بعد الحسين بسقف.

وذكر ابن جرير في تاريخه أن يزيد لما جيء برأس الحسين سراً أولاً ثم ندم على قتله وكان يقول: وما عليَّ لو احتملت الأذى وأنزلت الحسين معي في داري حفظاً لقرابة رسول الله ورعاية لحرمته لعن الله ابن مرجانة لقد بغضني إلى المسلمين وزرع لي في قلوبهم البغضاء، ثم غضب على ابن زياد ونوى قتله.

واختلفوا في الرأس على أقوال: أشهرها أنه رده إلى المدينة مع السبايا ثم رد إلى الجسد بكربلا فدفن معه، قاله هشام وغيره.

والثاني: إنه دفن بالمدينة عند قبر أمه فاطمة عليها السلام قاله ابن سعد قال: لما وصل إلى المدينة كان سعيد بن العاص والياً عليها فوضعه بين يديه وأخذ بأرنبة أنفه[2] ثم أمر به فكفن ودفن عند أمه فاطمة عليها السلام.

وذكر الشعبي: أن مروان بن الحكم كان بالمدينة فأخذه وتركه بين يديه وتناول أرنبة أنفه وقال:

---

(١) سُكينة بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب (. . . ـ ١١٧هـ/ . . . ـ ٧٣٥م) نبيلة شاعرة كريمة، من أجمل النساء وأطيبهن نفساً. كانت سيدة نساء عصرها. تزوجها مصعب بن الزبير، وقُتل، ثم تزوجها عبد اللّه بن عثمان بن عبد اللّه فمات عنها، وتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ثم طلقها، كانت إقامتها ووفاتها بالمدينة.
(الأعلام ٣/ ١٠٦، ووفيات الأعيان ١/ ٢١١، والدر المنثور ٢٤٤).

(٢) أرنبة الأنف: طرفه.

يا حبذا بردك في اليدينِ ولونك الأحمر في الخدينِ

والله لكأني أنظر إلى أيام عثمان، وقال ابن الكلبي: سمع سعيد بن العاص أو عمرو بن سعيد الضجة من دور بني هاشم فقال:

عجت نساء بني تميم عجة كعجيجِ نسوتنا غداة الأرنب

والبيت لعمرو بن معدي كرب والرواية (عجت نساء بني زياد).

وروي أن مروان أنشد:

ضرب الدوسر فيهم ضربة أثبتت أوتاد ملك فاستقر

والثالث: أنه بدمشق حكى ابن أبي الدنيا قال: وجد رأس الحسين في خزانة يزيد بدمشق فكفنوه ودفنوه بباب الفراديس وكذا ذكر البلاذري في (تاريخه) قال: هو بدمشق في دار الإمارة وكذا ذكر الواقدي أيضاً.

والرابع: إنه بمسجد الرقه على الفرات بالمدينة المشهورة. ذكره عبد اللّه بن عمر الوراق في كتاب (المقتل) وقال: لما حضر الرأس بين يدي يزيد بن معاوية قال: لأبعثنه إلى آل أبي معيط عن رأس عثمان وكانوا بالرقة فبعثه إليهم فدفنوه في بعض دورهم ثم أدخلت تلك الدار في المسجد الجامع قال: وهو إلى جانب سدرة هناك وعليه شبيه النيل لا يذهب شتاءً ولا صيفاً.

والخامس: أن الخلفاء الفاطميين نقلوه من باب الفراديس إلى عسقلان[1] ثم نقلوه إلى القاهرة وهو فيها وله مشهد عظيم يزار في الجملة ففي أي مكان رأسه أو جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر قاطن في الأسرار والخواطر، أنشدنا بعض أشياخنا في هذا المعنى:

لا تطلبوا المولى حسين بأرضِ شرقٍ أو بغربِ

ودعوا الجميع وعرجوا نحوي فمشهده بقلبي

واختلفوا في سنه على أقوال أحدها ست وخمسون سنة قاله الواقدي لأنه ولد سنة أربع من الهجرة، والثاني خمس وخمسون قاله السدي؛ والثالث ثمان وخمسون.

حديث الجمال التي حمل عليها الرأس والسبايا

أخبرنا غير واحد عن عبد الوهاب بن المبارك، أنبأنا أبو الحسين بن عبد الجبار، أنبأنا الحسين بن علي الطناجيري، حدثنا عمر بن أحمد بن شاهين، حدثنا أحمد بن عبد اللّه بن سالم، حدثنا علي بن سهل، حدثنا خلد بن خداش،

(١) عَسْقَلان: مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين، ويقال لها: عروس الشام، (معجم البلدان ٤/ ١٢٢).

حدثنا حماد بن زيد عن ابن مرة عن أبي الوصين مروان بن الوصين قال: نحرت الإبل التي حمل عليها رأس الحسين وأصحابه فلم يستطيعوا أكل لحومها كانت أمر من الصبر.

وقال الواقدي: لما وصل الرأس إلى المدينة والسبايا لم يبق بالمدينة أحد وخرجوا يضجون بالبكاء وخرجت زينب بنت عقيل بن أبي طالب كاشفة وجهها ناشرة شعرها تصيح وا حسيناه وا أخوتاه وا أهلاه وا محمداه ثم قالت:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم: ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم؟
بأهل بيتي وأولادي أما لكم عهد أما أنتم توفون بالذمم
ذريتي وبنوا عمي بمضيعة منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رحمي

ذكر قول أم سلمة، والحسن البصري، والربيع بن خيثم، وغيرهم ما قالوا فيه

ذكر ابن سعد عن أم سلمة لما بلغها قتل الحسين عليه السلام قالت: أوَقد فعلوها ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ثم بكت حتى غشي عليها.

وروى ابن سعد: إنها قالت: لعن الله أهل العراق.

وقال الزهري: لما بلغ الحسن البصري قتل الحسين بكى حتى اختلج صدغاه ثم قال: وأذل أمة قتلت ابن بنت نبيها والله ليرده رأس الحسين إلى جسده ثم لينتقمن له جده وأبوه من ابن مرجانة.

وقال الزهري: لما بلغ الربيع بن خيثم قتل الحسين بكى وقال: لقد قتلوا فتية لو رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله لأحبهم أطعمهم بيده وأجلسهم على فخذه.

وذكره ابن سعد أيضاً، وحكى الزهري عن الحسن البصري أنه قال: أول داخل دخل على العرب ادعاء معاوية زياد بن أبيه وقتل الحسين عليه السلام.

وقال عامر الشعبي: لما بلغ عبد اللّه بن الزبير قتل الحسين عليه السلام خطب بمكة وقال: ألا أن أهل العراق قوم غدر وفجر ألا وأن أهل الكوفة شرارهم إنهم دعوا الحسين ليولوه عليهم ليقيم أمورهم، وينصرهم على عدوهم ويعيد معالم الإسلام فلما قدم عليهم ثاروا عليه يقتلوه، وقالوا له: إن لم تضع يدك في يد الفاجر الملعون ابن زياد الملعون فيرى فيك رأيه، فاختار الوفاة الكريمة على الحياة الذميمة فرحم الله حسيناً وأخزى قاتله ولعن من أمر بذلك ورضي به أفبعد ما جرى على أبي عبد اللّه ما جرى يطمئن أحد إلى هؤلاء، أو يقبل عهوداً الفجرة الغدرة أما والله لقد كان صواماً

بالنهار قواماً بالليل، وأولى بينهم من الفاجر ابن الفاجر والله ما كان يستبدل بالقرآن الغناء ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الخمور، ولا بقيام الليل الزمور، ولا بمجالس الذكر الركض في طلب الصيود واللعب بالقرود فتلوه فسوف يلقون غياً ألا لعنة الله على الظالمين ثم نزل.

ذكر منام ابن عباس

أخبرنا زيد بن الحسن اللغوي، أنبأنا أبو منصور القزاز، أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، أنبأنا ابن زرق، أنبأنا محمد بن عمر الحافظ، حدثنا الفضل بن الحباب، حدثنا محمد بن عبد اللّه الخزاعي، حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يرى النائم نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فقلت: يا رسول الله ما هذه القارورة؟ قال: دم الحسين وأصحابه ما زلت ألتقطه منذ اليوم قال: فنظرنا فإذا قد قتل الحسين في ذلك اليوم، وقيل: الذي رأى المنام عمار بن أبي عمار.

ذكر نوح الجن عليه

حكى الزهري: عن أم سلمة قالت: ما سمعت نواح الجن إلا في الليلة التي قتل فيها الحسين سمعت قائلاً يقول:

ألا يا عين فاحتلفي بجهدِ ... ومن يبكي على الشهداء بعدي
على رهطٍ تقودهم المنايا ... إلى متجبرٍ في ثوبِ عبدِ

قالت: فعلمت أنه قد قتل الحسين. وقال الشعبي: سمع أهل الكوفة قائلاً يقول في الليل:

أبكي قتيلاً بكربلاء ... مضرج الجسم بالدماءِ
أبكي قتيلاً الطغاة ظلماً ... بغير جرمٍ سوى الوفاءِ
أبكي قتيلاً بكى عليه ... من ساكن الأرض والسماءِ
هتكَ أهلوهُ واستحلوا ... ما حرم الله في الإماءِ
يا بأبي جسمه المعرى ... إلا من الدينِ والحياءِ
كل الرزايا لها عزاء ... وما لذا الرزء من عزاءِ

وقال الزهري: ناحت عليه الجن فقالت:

خير نساء الجن يبكين شجيات ... ويلطمن خدوداً كالدنانير نقيات

ويلبسن ثياب السود بعد القصبيات

قال ومما حفظ من قول الجن:

مسح النبيّ جبينه ... وله بريق في الخدودِ
أبواه من عليا قريش ... وجده خير الجدودِ
قتلوك يا بن الرسولِ ... فأسكنوا نار الخلودِ

ذكر بعض مراثيه

ذكر هشام بن محمد قال: لما قتل الحسين عليه السلام سمع قاتلوه قائلاً يقول من السماء:

أيها القاتلونَ جهلاً حسيناً ... إبشروا بالعذابِ والتنكيلِ
كلّ أهل السماء يدعو عليكم ... من نبي ومرسل وقبيلِ
قد لعنتم على لسانِ ابن داود ... وموسى وصاحب الإنجيلِ

فكانوا يرون أنه بعض الملائكة وقد أكثر الناس فيها.

قال السدي: أول من رثاه عقبة بن عمرو العبسي فقال:

إذا العينُ قرّت في الحياةِ وأنتم ... تخافونَ في الدنيا فأظلم نورها
مررتُ على قبر الحسين بكربلا ... ففاضت عليه من دموعي غزيرها
وما زلتُ أبكيه وأرثي لشجوهِ ... ويسعدُ عيني دمعها وزفيرها
وناديتُ من حولِ الحسين عصائباً ... أطافت به من جانبيه قبورها
سلامٌ على أهل القبور بكربلا ... وقل لها: مني سلام يزورها
سلامٌ بآصال العشي وبالضحى ... تؤديه نكباء الرياح ومورها
ولا برح الزوّار زوار قبره ... يفوح عليهم مسكها وعبيرها

وقال الربيع بن أنس؛ رثاه عبد اللّه بن الحر فقال:

يقولُ أمير غادر أي غادر ... ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة
ونفسي على خذلانه واعتزاله ... وبيعة هذا الناكث العهد لائمة
فيا ندمي ألا أكون نصرته ... ألا كل نفس لا تسدد نادمة
وإني على أنْ لم أكن من حماته ... لذو حسرة ما إن تفارق لازمة
سقى الله أرواح الذين تآزروا ... على نصره سقيا من الغيث دائمة
وقفت على أطلالهم ومحالهم ... فكاد الحشى ينفض والعين ساجمة
لعمري لقد كانوا سراعاً إلى الوغى ... مصاليت في الهيجا حماة خضارمة

فإن يقتلوا في كل نفس بقية | على الأرض قد أضحت لذلك واجمة
وما إن رأى الراؤون أفضل منهم | لدى الموت سادات وزهر قماقمة
أيقتلهم ظلماً ويرجو ودادنا | فدع خطة ليست لنا بملائمة
لعمري لقد أرغمتمونا بقتلهم | فكم ناقم منا عليكم وناقمة
أهم مراراً أن أسير بجحفلٍ | إلى فئةٍ زاغت عن الحقّ ظالمة
فكفوا وإلا زرتكم في كتايب | أشد عليكم من زحوفِ الديالمة

ولما بلغ ابن زياد هذه الأبيات طلبه فقعد على فرسه ونجا منه، وقال آخر من أبيات وقد مر بكربلا:

كربلا لا زلت كرباً وبلا | ما لقي عندك أهل المصطفى
كم على تربك لما صرعوا | من دمٍ سالَ ومن دمعٍ جرى
يا رسولَ الله لو أبصرتهم | وهم ما بين قتل وسبا
من رميضٍ يمنعُ الظلّ ومن | عاطشٍ يسقي أنابيب القنا
جزروا جزر الأضاحي نسله | ثم ساقوا أهله سوق الأما
هاتفات برسولِ الله في | شدة الخوف وعثرات الخطا
قتلوه بعد علم منهم | أنه خامس أصحاب الكسا
ليس هذا لرسول الله يا | أمة الطغيان والكفر جزا
يا جبالَ المجدِ عزاً وعلا | وبدورِ الأرض نوراً وسنا
جعل الله الذي نالكم | سبب الحزن عليكم والبكا
لا أرى حزنكم يسلي ولا | رزؤكم ينسي وإن طال المدا

وذكر المدايني، عن رجل من أهل المدينة قال: خرجت أريد اللحاق بالحسين عليه السلام ـ لما توجه إلى العراق ـ فلما وصلت الربذة إذا برجل جالس فقال لي: يا عبد الله لعلك تريد أن تمد الحسين؟ قلت: نعم، قال: وأنا كذلك ولكن أقعد فقد بعثتُ صاحباً لي والساعة يقدم بالخبر؛ قال: فما مضت إلا ساعة وصاحبه قد أقبل وهو يبكي فقال له الرجل: ما الخبر؟ فقال:

والله جئتكم حتى بصرت به | في الأرض منعفر الخدين منحورا
وحوله فتية تدمى نحورهم | مثل المصابيح يغشونَ الدّجى نورا
وقد حثثتُ قلوصي كي أصادفهم | من قبل ما ينكحونَ الخرد الحورا(١)

---

(١) القَلُوصُ: من الإبل: الفتيَّةُ المجتمعةُ الخَلْقِ (ج) قلائص. (جج) قِلاص. =

يا لهفَ نفسي لو أني لحقتهم إذاً تقرت إذا حلوا أساريرا

فقال الرجل الجالس:

إذهبْ فلا زال قبراً أنت ساكنه حتى القيامة يسقي الغيث ممطورا
في فتيةٍ بذلوا لله أنفسهم قد فارقوا المالَ والأهلين والدورا

وذكر الشعبي وحكاه ابن سعد أيضاً قال: مر سليمان بن قتة بكربلا فنظر إلى مصارع القوم فبكى حتى كاد أن يموت ثم قال:

وإن قتيل الطف من آلِ هاشم أذلّ رقاباً من قريش فذلت
مررتُ على أبياتِ آل محمد فلم أرها أمثالها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحتْ منهم برغمي تخلت
ألم تر أن الأرض أضحت مريضةَ لفقدِ حسين والبلاد اقشعرت

فقال له عبد اللّه بن حسن بن حسن: هلا قلت (أذل رقاب المسلمين فذلت).

وأنشدنا أبو عبد اللّه محمد بن البنديجي البغدادي قال: أنشدنا بعض مشايخنا أن ابن الهبارية الشاعر اجتاز بكربلا فجلس يبكي على الحسين وأهله وقال بديهاً:

أحسين والمبعوث جدك بالهدى قسماً يكون الحق عنه مسايلي
لو كنت شاهد كربلا لبذلت في تنفيس كربك جهد بذل الباذلِ
وسقيت حد السيف من أعدائكم عللاً وحدّ السمهري الذابلِ[1]
لكنني أخرت عنك لشقوتي فبلابلي بين الغري وبابلِ
هبني حرمت النصر من أعدائكم فأقل من حزن ودمع سايلِ

ثم نام في مكانه فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فقال له: يا فلان جزاك الله عني خيراً ابشر فإن الله قد كتبك ممن جاهد بين يدي الحسين.

وأنشدنا أبو عبد اللّه النحوي بمصر قال: كحل بعض العلماء عينه يوم عاشورا[2] فعوتب على ذلك فقال:

وقائل: لِمَ كحلت عيناً يوم استباحوا دم الحسينِ؟
فقلت: كفوا أحق شيء تلبس فيه السواد عيني

= الخريدةُ من النساء: البِكْرُ والخَفِرةُ الحييَّةُ الطويلةُ السُّكوت المستترة (ج) خرائد.

(١) السَّمْهريّ: الرمح الصلب العود، وهو منسوب إلى سمهر وهو رجل كان يُقوّم الرماح، وامرأته ردينة التي تُنسب إليها الرماح.

(٢) عاشوراء: اليوم العاشر من المحرَّم.

وقد ذكر جدي في كتاب (التبصرة) وقال: إنما سار الحسين إلى القوم لأنه رأى الشريعة قد دثرت فجد في رفع قواعد أصلها فلما حصروه فقالوا له: إنزل على حكم ابن زياد فقال: لا أفعل وأختارُ القتلَ على الذلِّ وهكذا النفوس الأبية ثم أنشد جدي رحمه الله فقال:

ولما رأوا بعض الحياة مذلة ... عليهم وعزّ الموت غير محرمِ
أبوا أنْ يذوقوا العيشَ والذلّ واقع ... عليه وماتوا ميتة لم تذمم
ولا عجب للأسدِ إنْ ظفرت بها ... كلاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى ... وحتف عليٍّ في حسام ابن ملجم

ذكر الحمرة التي ظهرت في السماء وما يلتحق بها

ذكر ابن سعد في (الطبقات) إن هذه الحمرة لم تر في السماء قبل أن يقتل الحسين.

قال جدي أبو الفرج في كتاب (التبصرة) لما كان الغضبان يحمر وجهه عند الغضب فليستدل بذلك على غضبه وأنه أمارة السخط والحق سبحانه ليس بجسم فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق، وذلك دليل على عظم الجناية.

وذكر جدي أيضاً في هذا الكتاب ولما أسر العباس يوم بدر سمع رسول الله صلى الله عليه وآله أنينه فما نام تلك الليلة فكيف لو سمع أنين الحسين.

قال: ولما أسلم وحشي قاتل حمزة قال له رسول الله: «غيب وجهك عني فإني لا أحب من قتل الأحبة»[1] قال: وهذا والإسلام يجب ما قبله فكيف يقدر الرسول أن يرى من ذبح الحسين وأمر بقتله وحمل أهله على أقتاب الجمال.

وقال ابن سرين: لما قتل الحسين أظلمت الدنيا ثلاثة أيام ثم ظهرت هذه الحمرة.

وأخبرنا غير واحد عن علي بن عبيد، أنبأنا علي بن أحمد اليسري، أنبأنا أبو عبد اللّه بن بطة، أنبأنا محمد بن هارون الخضرمي، حدثنا هلال بن بشر بن عبد المطلب بن موسى عن هلال بن ذكوان قال: لما قتل الحسين مكثنا شهرين أو ثلاثة كأنما لطخت الحيطان بالدم من صلاة الفجر إلى غروب الشمس، قال: وخرجنا في سفر فمطرنا مطراً بقي أثره في ثيابنا مثل الدم.

وقال ابن سعد: ما رفع حجر في الدنيا إلا وتحته دم عبيط؛ ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت.

(١) أخرجه البيهقي في (السنن الكبرى ٩/ ٩٨)، وابن حجر في (فتح الباري ٧/ ٢٧٠).

وقال السدي: لما قتل الحسين بكت السماء وبكاؤها حمرتها.

وقال ابن سرين: وجد حجر قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله بخمس مائة سنة عليه مكتوب بالسريانية فنقلوه إلى العربية فإذا هو:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحسابِ

وقال سليمان بن يسار وجدَ حجر عليه مكتوب:

لا بد أن ترد القيامة فاطمة وقميصها بدم الحسينِ ملطخُ

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه والصور في يومِ القيامةِ ينفخُ

حديث عبد اللّه بن عمر (رض)

قال أحمد في المسند: حدثنا أبو النصر، حدثنا مهدي عن محمد بن أبي يعقوب عن ابن أبي نعيم قال: جاء رجل إلى ابن عمر وأنا جالس عنده يسأله عن دم البعوض يكون في الثوب طاهر هو أم نجس؟ فقال له ابن عمر: من أين أنت؟ قال: من أهل العراق، فقال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله وقد سمعته يقول: «هما ريحانتاي من الدنيا» انفرد بإخراجه البخاري.

ذكر الكتاب الذي كتبه يزيد بن معاوية إلى ابن عباس

ذكر الواقدي. وهشام وابن إسحاق وغيرهم قالوا: لما قتل الحسين عليه السلام بعثَ عبد اللّه بن الزبير إلى عبد اللّه بن عباس ليبايعه، وقال: أنا أولى من يزيد الفاسق الفاجر وقد علمت سيرتي وسيرته وسوابق أبي الزبير مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسوابق معاوية فامتنع ابن عباس، وقال: الفتنة قائمة وباب الدماء مفتوح وما لي ولهذا، إنما أنا رجل من المسلمين فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فكتب إلى ابن عباس سلام عليك.

أما بعد: فقد بلغني أنَّ الملحد في حرم الله دعاكَ لتبايعه فأبيتَ عليه وفاءً منك لنا فانظر من بحضرتك من أهل البيت ومن يرد عليك من البلاد فاعلمهم حسن رأيك فينا وفي ابن الزبير، وأن ابن الزبير إنما دعاكَ لطاعته والدخولِ في بيعته لتكون له على الباطل ظهيراً وفي المأثم شريكاً وقد اعتصمت في بيعتنا طاعة منك لنا ولما تعرف من حقنا فجزاك الله من ذي رحم خير ما جازى به الواصلين أرحامهم الموفين بعهودهم فما أنس من الأشياء ما أنا بناس برك وتعجيل صلتك بالذي أنت أهله فانظر من يطلع عليك من الآفاق فحذرهم زخارف ابن الزبير وجنبهم لقلقة لسانه فإنهم منك أسمع ولك أطوع والسلام.

فكتب إليه ابن عباس: بلغني كتابك تذكر أني تركت بيعة ابن الزبير وفاءً مني لك

ولعمري ما أردت حمدك ولا ودك، تراني كنتُ ناسياً قتلك حسيناً وفتيان بني المطلب مضرجين بالدماء مسلوبين بالعراء تسفي عليهم الرياح، وتنتابهم الضباع حتى أتاح الله لهم قوماً وأروهم فما أنس ما أنس طردك حسيناً من حرم الله وحرم رسوله وكتابك إلى ابن مرجانة تأمره بقتله، وإني لأرجو من الله أن يأخذك عاجلاً حيث قتلت عترة نبيه محمد صلى الله عليه وآله ورضيت بذلك، وأما قولك: إنك غير ناس بري فأحبسْ أيها الإنسان بركَ عني وصلتكَ فإني حابسٌ عنكَ ودي ولعمري إنك ما تؤتينا مما لنا من في قبلك إلا اليسير، وإنك لتحبس عنا منه العرض الطويل ثم إنك سألتني أنْ أحثَّ الناس على طاعتك وأنْ أخذلهم عن ابن الزبير فلا مرحباً ولا كرامة تسألني نصرتكَ ومودتكَ وقد قتلتَ ابن عمي وأهل رسول الله مصابيح الهدى ونجوم الدجى غادرتهم جنودك بأمرك صرعى في صعيد واحد قتلى أنسيت إنفاد أعوانك إلى حرم الله لتقل الحسين، فما زلت ورائه تخيفه حتى أشخصته إلى العراق عداوة منك لله ورسوله ولأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فنحن أولئك لا آبائك الجفاة الطغاة الكفرة الفجرة أكباد الإبل والحمير الأجلاف أعداء الله وأعداء رسوله الذين قاتلوا رسول الله في كل موطن، وجدك وأبوك هم الذين ظاهروا على الله ورسوله ولكن إن سبقتني قبل أن آخذ منك ثأري في الدنيا فقد قتل النبيون قبلي وكفى بالله ناصراً ولتعلمن نبأه بعد حين.

ثم إنك تطلب مودتي وقد علمت لما بايعتك ما فعلت ذلك إلا وأنا أعلم أن ولد أبي وعمي أولى بهذا الأمر منك ومن أبيك، ولكنكم معتدين مدعين أخذتم ما ليس لكم بحق وتعديتم إلى من له الحق وإني على يقين من الله أن يعذبكم كما عذب قوم عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين، يا يزيد وإن من أعظم الشماتة حملك بنات رسول الله وأطفاله وحرمه من العراق إلى الشام أسارى مجلوبين مسلوبين ترى الناس قدرتك علينا، وإنك قد قهرتنا واستوليت على آل رسول الله وفي ظنك إنك أخذت بثأر أهلك الكفرة الفجرة يوم بدر وأظهرت الانتقام الذي كنتَ تخفيه والأضغان الذي تكمن في قلبك كمون النار في الزناد، وجعلت أنت وأبوكَ دمَ عثمان وسيلة إلى إظهارها، فالويل لك من ديان يوم الدين ووالله لئن أصبحت آمناً من جراحة يدي فما أنت بآمن من جراحة لساني الكثكث وأنت المفند المثبور ولك الأثلب وأنت المذموم ولا يغرنك أن ظفرت بنا اليوم فوالله لئن لم نظفر بك اليوم لنظفرن غداً بين يدي الحاكم العدل الذي لا يجور في حكمه وسوف يأخذكَ سريعاً أليماً ويخرجك من الدنيا مذموماً مدحوراً أثيماً فعش لا أبا لك ما استطعت فقد ازداد عند الله ما اقترفت والسلام على من اتبع الهدى.

قال الواقدي: فلما قرأ يزيد كتابه أخذته العزة بالإثم وهم بقتل ابن عباس فشغله

عنه أمر ابن الزبير ثم أخذه الله بعد ذلك بيسير أخذاً عزيزاً. (الكثكث) بكسر الكاف فتات الحجارة والتراب وبفتح الكاف أيضاً و(الفند) ضعف الرأي و(الأثلب) التراب أيضاً و(الثبور) الهلاك، كل هذا في معنى الدعاء على الإنسان وذمه.

ذكر أولاد الحسين عليه السلام

(علي الأكبر): قتل مع أبيه يوم كربلا ولا بقية له، وأمه آمنة بنت أبي مر بن عروة بن مسعود الثقفي وأمها بنت أبي سفيان بن حرب، (وعلي الأصغر وهو زين العابدين) والنسل له وأمه أم ولد، قال ابن قتيبة: كانت أسدية ويقال لها: السلافة وقيل: غزالة، تزوجها بعد الحسين زبيد مولى الحسين فولدت له عبد اللّه فهو أخو علي زين العابدين بالرضاعة ويقال اسم زبيد: زيد، وعقبه ينزلون ينبع[١].

وقال الزهري: زوجها من زبيد ولدها. . . ثم أعتق زين العابدين جارية له فتزوجها فعابه عبد الملك بن مروان فكتب إليه زين العابدين لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أعتق رسول الله صلى الله عليه وآله جويرية وصفية وتزوجهما، وأعتق زيد بن حارثة وزوجه زينب بنت جحش بنت عمته.

وقال الزهري: كان عليّ باراً بأمه لم يأكل معها في قصعة قط فقيل له في ذلك فقال: أخاف أن أمد يدي إلى ما وقعت عينها عليه فأكون عاقاً لها، وكان للحسين من الولد أيضاً جعفر لا بقية له وأمه السلافة قضاعية، وفاطمة أمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد اللّه؛ وعبد اللّه قتل مع أبيه يوم الطف، وسكينة وأمها الرباب بنت امرئ القيس وقد ذكرناها؛ ومحمد قتل مع أبيه.

فأما فاطمة بنت الحسين فكانت عند الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام ثم تزوجها عبد اللّه بن عمر بن عثمان بن عفان فأولدها الديباج وقد ذكرناه.

وأما سكينة: فتزوجها مصعب بن الزبير فهلكَ عنها فتزوجها عبد اللّه بن عثمان بن عبد اللّه بن حكيم بن حزام فولدت له عثمان الذي يقال له: قرير، ثم تزوجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان أخو عمر بن عبد العزيز؛ ثم فارقها قبل الدخول بها وماتت في أيام هشام بن عبد الملك ولها السيرة الجميلة والكرم الوافر والعقل التام وهذا قول ابن قتيبة.

أما غيره فيقول: اسمها آمنة وقيل: أميمة وأول من تزوجها مصعب بن الزبير قهراً وهو الذي ابتكرها ثم قتل عنها وقد ولدت له فاطمة وكانت من الجمال والأدب والظرف والسخاء بمنزلة عظيمة، وكانت تأوي إلى منزلها الأدباء والشعراء والفضلاء

(١) ينبع: حصن به نخيل وماء وزرع وبها وقوف لعليّ بن أبي طالب (ر) يتولاها ولده. وقيل: ينبع بين مكة والمدينة، (معجم البلدان ٥/ ٤٥٠).

فتجيزهم على مقدارهم وكان مصعب بن الزبير أصدقها ستمائة ألف ولما قتلَ عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير خطبها فقالت: أبعد ما قتل ابن الزبير لا والله لا كان هذا أبداً.

وقال هشام بن محمد: اجتمع على بابها جماعة من الشعراء لتخاير بينهم، وكانوا يرضون بحكمها لما يعرفون من أدبها وبصارتها بالشعر فأحسنت ضيافتهم وأكرمتهم، وكان فيهم الفرزدق، وجرير؛ وكثير عزة، ونصيب، وجميل فنصبت بينها وبينهم ستارة وأذنت لهم فدخلوا عليها؛ وكانت لها جارية قد روت الأشعار والأخبار وعلمتها الأدب فخرجت من عندها الجارية فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال: ها أنا، فقالت: ألست القائل:

همـا دلـتـانـي مـن ثـمـانـيـن قـامـة ... كـمـا أنـقـض بـاز أقـتـم الـريـش كـاسـره

فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا: ... أحـي فـيـرجـى، أم قـتـيـل نـحـاذره

فقال نعم؛ فقالتْ: فما الذي دعاك إلى إفشاء سرك وسرها هلا سترت عليها وعلى نفسك خذ هذه ألف دينار والحق بأهلك.

ثم قالت: أيكم جرير؟ فقال: ها أنا، فقالت: ألست القائل:

طـرقـتـك صـايـدة الـقـلـوب ولـيـس ذا ... وقـت الـزيـارة فـاذهـبـي بـسـلامِ

قال: نعم. قالت: وأي ساعة أحلى من ساعة الزيارة، خذ هذه ألف دينار والحق بأهلك.

ثم قالت: أيكم كثير عزة؟ فقال: ها أنا ذا. فقالت أنت القائل:

يـقـرُّ بـعـيـنـي مـا يـقـرّ بـعـيـنـهـا ... وأحـسـن شـيء مـا بـه الـعـيـن قـرت

فقال: نعم؛ قالت: أفسدت الحبّ بهذا التعريض خذ هذه ألف دينار وانصرف.

ثم قالت: أيكم نصيب؟ فقال: ها أنا ذا؛ فقالت: أنت القائل:

مـن عـاشـقـيـنِ تـواعـدا وتـراسـلاَ ... حـتـى إذا نـجـم الـثـريّـا حـلـقـا

بـاتـا بـأنـعـم لـيـلـة وألـذهـا ... حـتـى إذا وضـح الـصـبـاح تـفـرقـا

قال: نعم، قالت: وهل في الحب تداني؟ خذ هذه ألف دينار وانصرف.

ثم قالت: أيكم جميل؟ قال: ها أنا ذا؛ فقالت: إنَّ مولاتي تسلم عليك ولم تزل مشتاقة إليك منذ سمعت قولك:

فـيـا لـيـتَ شـعـري هـل أبـيـتـنَّ لـيـلـةً ... بـوادي الـقُـرى إنـي إذاً لـسـعـيـدُ[1]

لـكـلّ حـديـث بـيـنـهـنَّ بـشـاشـة ... وكـل قـتـيـل بـيـنـهـنَّ شـهـيـدُ

(١) وادي القُرى: وادٍ بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى، (معجم البلدان ٥/ ٣٤٥).

قالت: جزاك الله خيراً، جعلت حديثنا بشاشة وقتلانا شهيداً، قد حكمنا لك على الجميع خذ هذه أربعة آلاف دينار وانصرف راشداً.

وروي أن الجارية كانت تدخل على مولاتها في كل مرة ثم تخرج فتقول: أين فلان وتذكر شعره.

قال هشام: وكانت قد ولدت من مصعب ابنة سمتها اللباب وكانت فائقة الجمال لم يكن في عصرها أجمل منها فكانت تلبسها اللؤلؤ وتقول: ما ألبسها إياه إلا حتى تفضحه. واختلفوا في وفاتها، قال ابن سعد: توفيت بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة وكان على المدينة خالد بن عبد اللّه بن الحارث بن الحكم فقال: انتظروني حتى أصلي عليها وخرج في حاجة فخافوا عليها أن تتغير فاشتروا لها كافوراً[(١)] بثلاثين ديناراً ثم أمر شيبة بن نصاح فصلى عليها.

وأما غير ابن سعد فإنهُ يقول: إنها توفيت بمكة في هذه السنة، وفي هذه السنة أيضاً توفيت أختها لأبيها فاطمة بنت الحسين عليه السلام وأمها أم إسحاق بنت طَلْحة بن عبيد اللّه تزوجها ابن عمها حسن بن حسن بن علي، فولدت له عبد اللّه وإبراهيم، وحسن، وزينب ثم مات عنها؛ فخلف عليها عبد اللّه بن عمرو بن عثمان زوجها منه ابنها عبد اللّه بن حسن بن حسن بأمرها، فولدت منه محمد الديباج وقد ذكرناه، وفاطمة هذه هي التي خطبها عبد الرحمان بن الضحاك بن قيس الفهري وكان والياً على المدينة، فامتنعت عليه فآذاها، وضيق عليها فبعثت إلى يزيد بن عبد الملك تشكوه فشق على يزيد ذلك وغضب وقال: بلغ من أمر عبد الرحمان أن يتعرضَ لبنات رسول الله! من يسمعني موته وأنا على فراشي هذا؟ ثم بعث إليه من طاف به المدينة في جبة صوف، ثم عزله وأغرمه أمواله كلها ومات فقيراً وكانت وفاة فاطمة بالمدينة والله الموفق للصواب.

فصل
في عقوبة قاتليه
والانتصار من ظالميه

قال الزّهري: ما بقي منهم أحد إلا وعوقب في الدنيا، إما بالقتل أو العمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة.

وقال جدي أبو الفرج في كتاب (المُنتظم) عن ابن عباس، قال: أوحى اللّهُ إلى

(١) الكافور: شجر كبير من الفصيلة الفارسية، ينبت في الهند والصين. تُتخذ منه مادة عطرية بلورية الشكل يميل لونها إلى البياض تُستعمل في الطب، وهو أصناف كثيرة (ج) كوافير.

محمد صلى الله عليه وآله: «إني قتلتُ بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإني قاتل بابن فاطمة سبعين ألفاً»[1] وسبعين ألفاً، وفي رواية: «وإني قاتل بابن بنتك».

قلت: وقد ذكر جدي هذا الحديث في (الموضوعات) ورواه عن الفرا عن الخطيب بإسناده إلى ابن عباس، فكيف يذكره في (التاريخ) ولم ينبه فيه والعلة فيه محمد بن شداد فإنه في إسناده ابن الخطيب. رواه عن ابن نباح عن محمد بن إبراهيم عن ابن شَدّاد وهو المسمعي عن أبي نُعيم عن عبد اللّه بن حبيب عن أبيه عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس، ومحمد بن شداد ضعيف باتفاقهم، ثم هذه الجملة لم يقل به الحسين عليه السلام.

وحكى الواقدي عن ابن الرّماح قال: كان بالكوفة شيخ أعمى قد شهد قتل الحسين، فسألناه يوماً عن ذهاب بصره فقال: كنت في القوم وكنا عشرة غير أني لم أضرب بسيف ولم أطعن برمح، ولا رميت بسهم فلما قتل الحسين وحمل رأسه رجعت إلى منزلي، وأنا صحيح وعيناي كأنهما كوكبان فنمت تلك الليلة، فأتاني آتٍ في المنام وقال أجب رسول الله، قلت ما لي ولرسول الله فأخذ بيدي وانتهرني ولزم تلبابي وانطلق بي إلى مكان فيه جماعة ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس، وهو مغتم متحير حاسر عن ذراعيه وبيده سيف وبين يديه نطع[2]، وإذا أصحابي العشرة مذبحين بين يديه فسلمت عليه فقال: «لا سَلَّم اللّهُ عليك ولا حياك يا عدو الله الملعون، أما استحييت مني تهتك حرمتي، وتقتل عترتي ولم ترع حقي؟ قلت: يا رسول الله ما قاتلتُ، قال: نعم ولكنك كثرت السواد» وإذا بطست عن يمينه فيه دم الحسين، فقال: «اقعد» فجثوتُ بين يديه فأخذ مروداً وأحماه، ثم كحل به عيني فأصبحت أعمى كما ترون.

وحكى هشام بن محمد عن القاسم بن الأصبغ المُجاشعي قال: لما أُتي بالرؤوس إلى الكوفة إذا بفارس أحسن الناس وجهاً قد علق في لبب فرسه رأس غلام أمرد كأنه القمر ليلة تمامه والفرس يمرح، فإذا طأطأ رأسه لحق الرأس بالأرض فقلت له: رأس من هذا؟ فقال: هذا رأس العباس بن علي؛ قلت: ومن أنت؟ قال: حرملة بن الكاهل الأسدي، قال: فلبثتُ أياماً، وإذا بحرملة ووجهه أشد سواداً من القار فقلت له: لقد رأيتك يوم حملت الرأس، وما في العرب أنضر وجهاً منك وما أرى اليوم لا أقبح ولا أسود وجهاً منك، فبكى وقال: والله منذ حملت الرأس وإلى اليوم ما تمرُّ عليَّ ليلة إلا واثنان يأخذان بضبعي ثم ينتهيان بي إلى نار تأجج فيدفعاني

(١) أخرجه السيوطي في (الدر المنثور ٤/ ٢٦٤).
(٢) النِّطْعُ والنَّطْعُ والنِّطَعُ: بساط من جلد، كثيراً ما كان يُقتلُ فوقه المحكوم عليه بالقتل (ج) أنطاع، ونطوع.

فيها وأنا أنكص فتسعفني كما ترى ثم مات على أقبح حال.

وحكى السدي قال: نزلت بكربلا ومعي طعام للتجارة فنزلنا على رجل فتعشينا عنده وتذاكرنا قتل الحسين وقلنا ما شرك أحد في دم الحسين إلا ومات أقبح موتة فقال الرجل: ما أكذبكم أنا شركت في دمه وكنت فيمن قتله وما أصابني شيء قال: فلما كان آخر الليل إذا بصياح قلنا: ما الخبر؟ قالوا: قام الرجل يصلح المصباح فاحترقت إصبعه ثم دب الحريق في جسده فاحترق؛ قال السدي: فأنا والله رأيته كأنه حممة.

فصل

فأما قتل ابن زياد وجماعة آخرين فذكر علماء السير قالوا: لما قتل الحسين سقط في أيدي القوم الذين قعدوا عن نصرته، وقاموا مكفرين نادمين، فلما مات يزيد بن معاوية منتصف ربيع الأول سنة أربع وستين تحركت الشيعة بالكوفة وكانوا يخافون منه، وقيل: إنما تحركت في هذه السنة قبل موت يزيد وهو الأصح.

فذكر هشام بن محمد قال: لما قتل الحسين تحركت الشيعة وبكوا ورأوا إنه لا ينجيهم ولا يغسل عنهم العار والإثم إلا قتل من قتل الحسين أو يقتلوا فيه عن آخرهم، وفزعوا إلى خمسة من رؤساء أهل الكوفة، وهم سليمان بن صرد الخزاعي وكانت له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وآله؛ والمسيب بن نجبة الفزاري وكان من أصحاب علي عليه السلام وخيارهم، وعبد اللّه بن سعد بن نفيل الأزدي، وعبد اللّه ابن والي التميمي؛ ورفاعة بن شداد البجلي، وكان اجتماعهم في منزل سليمان بن صرد فاتفقوا وتعاهدوا وتعاقدوا على المسيرِ إلى قتال أهل الشام والطلب بدمِ الحسين وأنْ يكونَ اجتماعهم بالنخيلة سنة خمس وستين.

قلت: وما لقتالهم لأهلِ الشام معنى لأنه لم يحضر أحد من أهل الشام قتال الحسين، وإنما قتله أهل الكوفةِ، فإنّ كانَ طلبهم ليزيد فقد مات وقد كان ينبغي أن يقتلوا قتلته بالكوفة يطلبوا ابن زياد ثم إنهم كاتبوا الشيعة فأجابهم أهل الأمصار، وقيل: إنهم تحركوا عقيب قتل الحسين أول سنة إحدى وستين، ولم يزالوا في جمع الأموال والاستعداد حتى مات يزيد.

ثم إن المختار بن أبي عبيدة في هذه السنة وثب بالكوفة في رمضان يوم الجمعة بعد موت يزيد بخمسة أشهر، وكان قدومه من مكة من عند عبد اللّه بن الزبير نائباً عنه في زعمه فوجد الشيعة قد اجتمعوا على سليمان بن صرد فحسده فقال: إنما جئت من عند محمد ابن الحنفية وهو المهدي وأنا أمينه ووزيره فانضمت إليه طائفة من الشيعة وجمهورهم مع سليمان بن صرد، فكان المختار يحسده له ويقول: ليس لسليمان خبرة بالحرب وأنه يقتلكم ويقتل نفسه، ووالله لأقتلن بقتلة الحسين عدد من قُتلَ على دم

يحيى بن زكريا؛ ولما دخلتْ سنة خمس وستين اجتمعَ سليمان بن صرد بالنخيلةِ مع الشيعةِ وكانَ قد حلفَ له من الكوفة ثمانية عشر ألفاً فصفى له خمسة آلاف فلما عزم على المسير إلى الشام قال له عبد اللّه بن سعد: تمضي إلى الشام وقتلة الحسين كلهم بالكوفة عمر بن سعد ورؤوس الأرباع.

قلت: وهذا موافق لما أوردته من المؤاخذة.

فقال سليمان: هو ما تقول غير أنَّ الذي جهز إليه الجيوش بالشام هو الفاسق بن الفاسق ابن مرجانة، وكان ابن زياد لما بلغه موت يزيد هرب من الكوفة إلى الشام فالتجى إلى مروان بن الحكم، وهو الذي ولاه الخلافة، قال سليمان: فإذا قتلناه عدناَ إلى قتلة الحسين عليه السلام، ثم سار سليمان بمن معه وكانوا يسمون (التوابين) فلم يزالوا سائرين إلى عين ورده وهي بالخابور - قريبة من أعمال قرقيسيا - فالتقاهم عبيد اللّه بن زياد هناك في جيوش أهل الشام جهزهم معه مروان بن الحكم فاقتتلوا أياماً وكانوا في أربعة آلاف وابن زياد في ثلاثين ألفاً، ثم التقوا يوماً فكانت لسليمان في أول النهار، ثم عادت عليه في آخره وقيل لم يكن ابن زياد حاضراً بل كان مقدم الجيش الحصين بن نمير، ثم قتل سليمان وافترقوا وكانت الوقعة في رجب ومات مروان بن الحكم في رمضان.

ذكر ابن جرير أن ابن زياد لما فرغ من التوابين جاءه نعي مروان بالطاعون فسار حتى نزل الجزيرة.

وقيل: إن الواقعة كانت بالشام بعين وردة من عمل بعلبك؛ والأول أصح ذكره ابن سعد وغيره، ثم عادَ من بقي من التوابين إلى العراقِ فوثبَ المختار ابن أبي عبيدة وجاءه الإمداد من البصرة والمدائن والأمصار، وقامَ معه إبراهيم بن الأشتر النخعي وخرج والشيعة معه ينادون: يا لثارات الحسين.

ذكر سليمان بن صرد

قال ابن سعد: هو من الطبقة الثالثة من المهاجرين، وكنيته أبو المطرف صحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان اسمه يسار فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله سليمان وكان له سن عالية وشرف في قومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، تحول فنزل الكوفة وشهد مع علي عليه السلام (الجمل وصفين) وكان في الذين كتبوا إلى الحسين أن يقدم الكوفة غير أنه لم يقاتل معه خوفاً من ابن زياد، ثم قدم بعد قتل الحسين فجمعَ الناس فالتقوا بعين وردة وهي من أعمال قرقيسيا، وعلى أهل الشام الحصين بن نمير فاقتتلوا فترجل سليمان فرماه الحصين بن نمير بسهم فقتله فوقع وقال: فزت ورب الكعبة وقتل معه المسيب بن نجبة، فقطع رأسيهما وبعث بهما إلى

مروان بن الحكم، قال: وكان سن سليمان يوم قتل ثلاث وتسعون سنة ولما دخلت سنة ست وستين أعلن المختار بالطلب بثأر الحسين، وكان ابن زياد بالجزيرة ثم نفي المختار عبد اللّه بن مطيع والي ابن الزبير على الكوفة إلى مكة، وملك القصر ثم أخذ المختار من شهد قتل الحسين، بأقبح القتلات وأشنعها فلم يبق من الستة آلاف الذين قاتلوه مع عمر بن سعد وملكوا الشرائع أحداً وبعث إلى خولي بن يزيد الأصبحي الذي حمل رأس الحسين إلى ابن زياد، فأحاطوا بداره فاختبأ في المخرج فقالوا لامرأته: أين هو؟ فقالت: في المخرج فأخرجوه فمثلوا به وحرقوه؛ وقال المختار: لأقتلن رجلاً يرضى بقتله أهل السماواتِ والأرضِ، وقد كانَ أعطى عمر بن سعد أماناً أن لا يخرجِ من الكوفة فأتى رجل إلى عمر وقال له: قد قال المختار كذا وكذا والله ما يريد سواكَ فأرسل إليه عمر ولده حفصاً وقال للمختار: يقول لك أبي أتفي لنا بالذي وعدتنا أو بالذي كان بيننا وبينك؟ فقال لحفص: اجلس؛ ثم سار المختار رجلين فغابا ثم عادا وبيد أحدهما رأس عمر بن سعد فقال ولده حفص: أقتلتم أبا حفص؟ فقال المختارُ: أنت تطمع الحياة بعده لا خير لكَ فيها فضرب عنقه، وقال المختار: عمر بالحسين وحفص بعلي بن الحسين ولا سواء؛ ثم قال: والله لو قتلتُ به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا ولا بأنملة من أنامله؛ ثم قتل شمرَ أقبح قتلة، وقيل: ذبح شمر كما ذبح الحسين. وكان شمر أبرص وأوطأ الخيل صدره وظهره.

قال أبو سعد: قدم أبو شمر الضبابي الكلابي وكنيته أبو شمر؛ ويقال: أبو النابغة ويقال له: ذو الجوشن، قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: «أسلم؟ فلم يفعلْ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما يمنعك أن تكون في أول هذا الأمر؟» فقال: رأيتُ قومكَ كذبوك وأخرجوكَ وقاتلوكَ فإن ظهرت عليهم تبعتك وإن لم تظهر عليهم لم أتبعك؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «سترى ظهوري عليهم».

قال ذو الجوشن: فوالله إني لفي قومي إذ قدم علينا ركب فقلنا: ما الخبر؟ فقالوا: ظهر محمد على قومه وكان ذو الجوشن يتوجع على تركه الإسلام حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال ابن سعد: وكان ذو الوشن جاء رسول الله صلى الله عليه وآله بعد فراغه من بدر وأهدى له فرساً يقال لها: العرجاء فلم يقبلها منه.

قال ابن سعد: وبعثَ المختارُ بالرؤوس إلى محمد بن الحنفية، ثم جاءَ ابن زياد فنزلَ الموصل في ثلاثين ألفاً فجهز إليه المختار إبراهيم بن الأشتر في ثلاثة آلاف وقيل: في سبعة آلاف وذلك في سنة تسع وستين، فالتقى بابن زياد فقتله على الزاب وكان من غرق من أصحابه أكثر ممن قتل واختلفوا في قاتل ابن زياد.

فذكر ابن جرير عن إبراهيم بن الأشتر أنّه قالَ: قتلتُ رجلاً شممتُ منه رائحةَ المسكِ على شاطئ نهر جاذر[1] قالَ: ضربته فقددته نصفين، وقيلَ: إنَّ الذي قتله شريك بن جرير الثعلبي، وقيلَ: جابر أو جبير، وقد ذكرناه، وبعثَ ابن الأشتر برأسِ ابن زياد إلى المختار فجلسَ في القصرِ وألقيت الرؤوس بين يديه فألقاها في المكانَ الذي وضع فيه رأس الحسين وأصحابه ونصب المختار رأس ابن زياد في المكان الذي نصب فيه رأس الحسين ثم ألقاه في اليوم الثاني في الرحبة مع الرؤوس.

قال عمار بن عمير: فبينا أنا واقف عند الرؤوس بالكناسة إذ قال الناس: قد جاءت قد جاءت فإذا حية عظيمة تتخلل الرؤوس حتى دخلت في منخري ابن زياد وخرجت فغابت ساعة ثم عادت ففعلت كذلك وقيل: إنما فعلتْ الحية ذلك بالقصر بين يدي المختار فقال المختار: دعوها دعوها وفي رواية فعلت ذلك ثلاثة أيام.

فصل

في يزيد بن معاوية

ذكر علماء السير عن الحسن البصري أنه قال: قد كانت في معاوية هنات لو لقي أهل الأرض ببعضها لكفاهم وثوبه على هذا الأمر واقتطاعه من غير مشورة من المسلمين؛ وادعاؤه زياداً. وقتله حجر بن عدي وأصحابه وبتوليته مثل يزيد على الناس.

قال: وقد كان معاوية يقول: لولا هواي في يزيد لأبصرتُ رشدي.

وذكر جدي أبو الفرج في كتاب (الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد) وقال: سألني سائل فقال: ما تقول في يزيد بن معاوية؟ فقلت له: يكفيه ما به؛ فقال: أتجوز لعنه؟ فقلت: قد أجاز العلماء الورعون منهم أحمد بن حنبل فإنه ذكر في حق يزيد ما يزيد على اللعنة.

قال جدي: وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزاز، أنبأنا أبو إسحاق البرمكي، أنبأنا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر، أنبأنا أحمد بن محمد بن الخلال، حدثنا محمد بن علي عن مهنا بن يحيى قال: سألت أحمد بن حنبل عن يزيد بن معاوية فقال: هو الذي فعل ما فعل قلت: ما فعل؟ قال: نهب المدينة قلت: فنذكر عنه الحديث؟ قال: لا؛ ولا غرامة لا ينبغي لأحد أن يكتب عنه الحديث.

وحكى جدي أبو الفرج عن القاضي أبي يعلى بن الفراء في كتابه (المعتمد في الأصول) بإسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي إن قوماً ينسبوننا إلى

(١) جاذر: من قرى واسط، (معجم البلدان ٢/ ٩٢).

توالي يزيد؟ فقال: يا بني وهل يتوالى يزيد أحد يؤمن بالله؟ فقلت: فلم لا تلعنه؟ فقال: وما رأيتني لعنت شيئاً يا بني لم لا تلعن من لعنه الله في كتابه فقلت وأين لعن الله يزيد في كتابه؟ فقال: في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣] فهل يكون فساد أعظم من القتل وفي رواية: لما سأله صالح فقال: يا بني ما أقول في رجل لعنه الله في كتابه وذكره.

قال جدي: وصنف القاضي أبو يعلى كتاباً ذكر فيه بيان من يستحق اللعن وذكر منهم يزيداً، وقال في الكتابِ المذكورِ الممتنع من جوازِ لعن يزيد إما أن يكونَ غير عالم بذلك أو منافقاً يريد أن يوهم بذلك وربما استفز الجهّال بقوله عليه السلام: المؤمن لا يكون لعاناً.

قال القاضي: وهذا محمول على من لا يستحق اللعن، فإنْ قيلَ فقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [محمد: ٢٢] نزلت في منافقي اليهود فقد أجاب جدي عن هذا في الرد على المتعصب وقال: الجواب إنَّ الذي نقل هذا مقاتل بن سليمان ذكره في تفسيره، وقد أجمع عامة المحدثين على كذبه كالبخاري ووكيع والساجي والسدي والرازي والنسائي وغيرهم، وقال: فسرها أحمد بأنها في المسلمين فكيف يقبل قول أحمد: إنها نزلت في المنافقين؛ فإن قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وآله: «أول جيشٍ يغزو القسطنطينية مغفور له»[١] ويزيد أول من غزاها، قلنا: فقد قال النبي صلى الله عليه وآله: «لعن الله من أخافَ مدينتي». والآخر ينسخ الأول.

قال أحمد في المسند: حدثنا أنس بن عياض، حدثني يزيد بن حفصة عن عبد اللّه بن عبد الرحمان بن أبي صعصعة عن عطاء بن يسار عن السايب بن خلاد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً».

وقال البخاري: حدثنا حسين بن حريث، أنبأنا أبو الفضل عن جعيدة عن عائشة قالت: سمعت سعداً يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يكيد أهل المدينة إلا انماع كما يماع الملح في الماء»[٢].

وأخرجه مسلم أيضاً بمعناه، وفيه لا يريد أهل المدينة أحد بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص؛ ولا خلاف أن يزيد أخاف أهل المدينة وسبى أهلها ونهبها

(١) أخرجه ابن كثير في (البداية والنهاية ٨/ ١٢٧).
(٢) أخرجه البخاري في (الصحيح ٣/ ٢٧)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٢/ ٢٣١)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح).

وأباحها، وتسمى وقعة الحرة[١] وسببه ما رواه الواقدي وابن إسحاق وهشام بن محمد أن جماعة من أهل المدينة وفدوا على يزيد سنة اثنتين وستين بعدما قتل الحسين فرأوه يشرب الخمر، ويلعب بالطنابير والكلاب، فلما عادوا إلى المدينة أظهروا سبه، وخلعوه، وطردوا عامله عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وقالوا: قدمنا من عند رجل، لا دين له يسكر ويدع الصلاة وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل؛ وكان حنظلة يقول: يا قوم والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرميَ بالحجارة من السماء رجل ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة ويقتل أولاد النبيين، والله لو يكون عندي أحد من الناس لأبلى الله فيه بلاءً حسناً، فبلغ الخبر إلى يزيد فبعث إليهم مسلم بن عقبة المري في جيش كثيف من أهل الشام فأباحها ثلاثاً وقتل ابن الغسيل والأشراف وأقام ثلاثاً ينهب الأموال ويهتك الحريم.

قال ابن سعد: وكان مروان بن الحكم يحرض مسلم بن عقبة على أهل المدينة فبلغ يزيداً فشكر مروان وقربه وأدناه ووصله.

وذكر المدايني في كتاب (الحرة) عن الزهري قال: كان القتلى يوم الحرة سبعمائة من وجوه الناس من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الموالي؛ وأما من لم يعرف من عبد أو حر أو امرأة فعشرة آلاف وخاض الناس في الدماء حتى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وامتلأت الروضة والمسجد قال مجاهد: التجأ الناسُ إلى حجرةِ رسول الله ومنبره والسيف يعملُ فيهم.

وكانتْ وقعة الحرة سنة ثلاث وستين في ذي الحجة، فكان بينها وبين موت يزيد ثلاثة أشهر ما أمهله الله بل أخذه أخذ القوي وهي ظالمة وظهرت فيه الآثار النبوية والإشارات المحمدية.

وذكر أبو الحسن المدايني عن أم الهيثم بنت يزيد قالت: رأيت امرأة من قريش تطوفُ بالبيتِ فعرض لها أسود فعانقته وقبلته فقلت لها: ما هذا منك؟! قالت: هذا ابني من يوم الحرة وقع عليَّ أبوه فولدته.

وذكر أيضاً المدايني عن أبي قرة قال: قال هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة بعد الحرة من غير زوج، وغير المدايني يقول: عشرة آلاف امرأة.

وقال الشعبي: أليس قد رضي يزيد بذلك وأمر به وشكر مروان بن الحكم على فعله ثم سار مسلم بن عقبة من المدينة إلى مكة فمات في الطريق فأوصى إلى الحصين بن نمير فضرب الكعبة بالمجانيق وهدمها وأحرقها وجاء نعي يزيد لعنه الله في ربيع.

(١) الحَرّة: المقصود بها حَرّة واقم: إحدى حرتي المدينة، وهي الشرقية، وفيها كانت وقعة الحرة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية في سنة ٦٣ وأمير الجيش من قبل يزيد مسلم بن عقبة المرّي، (معجم البلدان ٢/ ٢٤٩).

وقال جدي: ليس العجب من قتال ابن زياد الحسين وتسليطه عمر بن سعد على قتله والشمر وحمل الرؤوس إليه، وإنما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثناياه، وحمل آل رسول الله سبايا على أقتاب الجمال، وعزمه على أن يدفع فاطمة بنت الحسين إلى الرجل الذي طلبها وإنشاده أبيات ابن الزبعرى: (ليت أشياخي ببدر شهدوا) ورده الرأس إلى المدينة وقد تغيرت ريحه وما كان مقصوده إلا الفضيحة، وإظهار رايحة الرأس فيجوز أن يفعل هذا بالخوارج أليس بإجماع المسلمين أن الخوارج والبغاة يكفنون ويصلى عليهم ويدفنون؟ وكذا قول يزيد لي: أن أسبيكم لما طلب الرجل فاطمة بنت الحسين قولاً يقنع لقائله وفاعله باللعنة ولو لم يكن في قلبه أحقاد جاهلية، وأضغان بدرية لاحترم الرأس لما وصل إليه ولم يضربه بالقضيب وكفنه ودفنه وأحسن إلى آل رسول الله.

قلتُ: والذي يدل على هذا أنه استدعى ابن زياد إليه، وأعطاه أموالاً كثيرة وتحفاً عظيمة وقرب مجلسه، ورفع منزلته، وأدخله على نسائه، وجعله نديمه وسكر ليلة وقال للمغني غنِ ثم قال يزيد بديهياً:

اسقني شربة تروي فؤادي ... ثم مل فاسق مثلها ابن زيادِ
صاحب السر والأمانة عندي ... ولتسديد مغنمي وجهادي
قاتل الخارجي أعني حسيناً ... ومبيد الأعداء والحسادِ

وقال ابن عقيل: ومما يدل على كفره وزندقته فضلاً عن سبه ولعنه أشعاره التي أفصح بها بالإلحاد وأبان عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد. فمنها قوله في قصيدته التي أولها:

علية هاتي واعلني وترنمني ... بدلك أني لا أحب التناجيا
حديث أبي سفيان قدما سمي بها ... إلى أحد حتى أقام البواكيا
ألا هات فاسقيني على ذاك قهوة ... تخيرها العسني كرماً شاميا
إذا ما نظرنا في أمورٍ قديمةٍ ... وجدنا حلالاً شربها متواليا
وإن مت يا أم الأحيمر فانكحي ... ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فإنَّ الذي حدثت عن يوم بعثنا ... أحاديث طسم تجعلُ القلب ساهيا
ولا بد لي من أنْ أزورَ محمداً ... بمشمولة صفراء تروي عظاميا[1]

قلت ومنها قوله:

ولو لم يمسْ الأرضَ فاضل بردها ... لما كانَ عندي مسحة في التيمم

(١) الشَّمولُ: الخمر تشمل بريحها الناس.

ومنها: (لما بدت تلك الحمول وأشرقت) وقد ذكرناها. ومنها قوله:

معشر الندمان قوموا ... واسمعوا صوت الأغاني
واشربوا كأس مدام ... واتركوا ذكر المغاني
أشغلتني نغمة العيدان ... عن صوت الأذاني
وتعوضت عن الحور ... خموراً في الدنانِ

إلى غير ذلك مما نقلته من ديوانه، ولهذا تطرق إلى هذه الأمة العار بولايته عليها، حتى قال أبو العلاء المعري يشير بالشنار(١) إليها:

أرى الأيام تفعل كل نكر ... فما أنا في العجائبِ مستزيدِ
أليس قريشكم قتلت حسيناً ... وكان على خلافتكم يزيدِ؟

قلتُ: ولما لعنه جدي أبو الفرج على المنبر ببغداد بحضرة الإمام الناصر وأكابر العلماء قام جماعة من الجفاة من مجلسه فذهبوا فقال جدي: (ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود).

وحكى لي بعض أشياخنا عن ذلك اليوم: أنَّ جماعةً سألوا جدي عن يزيد فقالَ: ما تقولون في رجل ولي ثلاث سنين في السنة الأولى قتل الحسين في الثانية أخاف المدينة وأباحها وفي الثالثة رمى الكعبة بالمجانيق(٢) وهدمها، فقالوا: نلعن فقال: فالعنوه.

وقال جدي في كتاب (الرد على المتعصب العنيد) قد جاء في الحديث: «لعنَ من فعلَ ما لا يقاربُ عشر معشار فعل يزيد»، وذكر الأحاديث التي ذكرها البخاري، ومسلم في (الصحيحين) مثل حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه «لعن الواشمات والمتوشمات»(٣)، وحديث ابن عمر «لعن الله الواشمة والمتوشمة» و«لعن الله المصورين»(٤)، وحديث جابر «لعن رسول الله صلى الله عليه وآله آكل الربا وموكله»(٥)، الحديث وحديث ابن عمر في مسند أحمد «لعنت الخمر على عشرة

---

(١) الشُّنارُ: أقبحُ العيب أو العار.

(٢) المجانيق: مفردها المنجنيق: آلة قديمة من آلات الحرب وحصار المدن، كانت تُرمى بها الحجارة على الأسوار فتهدمها.

(٣) أخرجه الترمذي في (السنن ٢٧٨٢)، وابن ماجة في (السنن ١٩٨٩)، والنسائي في (السنن ٨/ ١٤٦)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٤٣٤)، وأبو نعيم في (تاريخ أصبهان ٢/٣٥٨).

(٤) أخرجه القرطبي في (التفسير ١٤/٢٣٨)، وصاحب (الأذكار النووية ٣١٤).

(٥) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ١/٣٩٣، ٤٠٢)، والطبراني في (المعجم الكبير ٢/ ١٨٤)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٦/ ١٥١)، وابن حجر في (فتح الباري ١٣/ ١٤)، وصاحب (الأذكار النووية ٣١٤)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٩/ ٦١).

وجوه»[١] الحديث، وأورد أخباراً كثيرة في هذا الباب، وهذه الأشياء دون فعل يزيد في قتله الحسين وإخوته وأهله ونهب المدينة، وهدم الكعبة وضربها بالمجانيق، وأشعاره الدالة على فساد عقيدته ومن رام الزيادة على هذا فليقف على كتابه المسمى (بالرد على المتعصب العنيد).

(١) أخرجه ابن ماجة في (السنن ٣٣٨٠)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٢٥، ٧١).

الباب العاشر

في ذكر محمد ابن الحنفية

وكنيته: أبو القاسم، وقيل أبو عبد اللّه، وهو من الطبقة الأولى من التابعين، ولد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال أحمد في المسند: حدثنا وكيع، حدثنا مطر، حدثنا منذر، حدثنا محمد ابن الحنفية عن أبيه علي عليه السلام قال: قلتُ: «يا رسولَ اللّهِ أرأيتَ إن ولد لي بعدك ولد أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك؟ قال: نعم»[1].

قال الزهري: فكانت رخصة من رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام، فإن قيل: فقد روي «يولد لك ابن قد نحلته اسمي وكنيتي».

قلتُ: حدثتنا رواة أحمد في المسند ولم يتكلم فيه أحد وإنما الحديث الذي رواه أخرجه مشايخنا عن القزاز عن الخطيب ولفظه عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «يولد لك ولد قد نحلته اسمي وكنيتي»[2] في إسناده الحسن بن بشير أحاديثه منكرة، أما الحديث الذي رويناه فلا مطعن فيه.

قلت: وقد تسمى بهذا الاسم وتكنى بهذا الكنية جماعة في الإسلام، محمد بن أبي بكر الصديق فإن كنيته أبو القاسم، ومحمد بن طلحة بن عبيد اللّه، ومحمد بن أبي وقاص، ومحمد بن عبد الرحمان بن عوف، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن حاطب بن أبي بلتعة، ومحمد بن الأشعث بن قيس في آخرين، وأم محمد خولة بنت جعفر بن قيس الحنفي، وكانت أم ولد من سبي اليمامة.

قال الزهري: كان محمد من أعقل الناس وأشجعهم معتزلاً عن الفتن وما كان فيه الناس.

وقال ابن سعد في (الطبقات) لما استولى ابن الزبير على الحجاز وقتل الحسين بعث ابن الزبير إلى ابن الحنفية يقول له: بايعني وبعث إليه عبد الملك بن مروان يقول له كذلك فقال لهما: إنما أنا رجل من المسلمين إذا اجتمع الناس على إمام بايعته فلما قتل ابن الزبير بايع عبد الملك.

---

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك ٤/ ٢٧٨)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٨/ ١٩).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في (العلل المتناهية ١/ ٢٤٥).

وقالَ وهبُ بن منبه: كانتْ القلوبُ مائلة إلى محمد ابن الحنفية، وكانَ المختار بن أبي عبيدة يدعو إليه بالكوفة، ويراسله، ويقول: إنه المهدي وهذا مذهب الكيسانية وهم طائفة من الإمامية أصحاب المختار بن أبي عبيدة؛ وكان المختار يلقب بكيسان؛ وجماعة من الكيسانية يزعمون أن محمد ابن الحنفية لم يمت وأنه مقيم بجبل رضوى[1] في شعبٍ منه ومعه أربعون مِنْ أصحابه دخلوا ذلك الشعب فلم يوقف لهم على أثر وإنهم أحياء يرزقون، وفيهم يقولُ كثيرُ عزة (وكان من الكيسانية):

ألا إنَّ الأئــمــةَ مِــنْ قــريــشٍ ... ولاةُ الأمــرِ أربــعــة ســواء
عــلــي والــثــلاثــةُ مــن بــنــيــهِ ... هــم الأســبــاط لــيــس لــهــم خــفــاء
فــســبــط ســبــط إيــمــان وبــر ... وســبــط غــيــبــتــه كــربــلاء
وســبــط لا يــذوق الــمــوت حــتــى ... يــقــود الــخــيــل يــقــدمــهــا الــلــواء

وقوله: سبط مجازاً، وإنما أراد الولد، ولو قال: ابن لا يذوقُ الموتُ كان أولى. ومن الكيسانية السيد الحميري واسمه إسماعيل بن محمد وهو القائل:

ألا قــلْ لــلإمــامِ: فــدتــكَ نــفــســي ... أطــلــتَ بــذلــكَ الــجــبــلِ الــمــقــامــا
أضــر بــمــعــشــرِ والــوكَ مــنــا ... وســمــوكَ الــخــلــيــفــة والإمــامــا
وعــدوا أهــل هــذا الأرضِ طــراً ... مــقــامــكَ فــيــهــم ســتــيــنَ عــامــا
ومــا ذاقَ ابــن خــولــة طــعــمَ مــوت ... ولا وارتْ لــه أرض عــظــامــا
لــقــد أمــســى بــمــورقِ شــعــبِ رضــوى ... تــراجــعــه الــمــلائــكــةُ الــكــرامــا
هــدانــا الله إذ حــزنــا لأمــر ... بــه ولــديــه نــلــتــمــسُ الــتــمــامــا

وقال السيد أيضاً:

يا شعب رضوى ما لمن بكَ لا يرى ... وبــنــا إلــيــه مــن الــصــبــابــةِ أشــوقِ
حــتــى مــتــى وإلــى مــتــى وكــم الــذي ... يــا بــن الــوصــي وأنــت حــي تــرزق

قال الواقدي: ولما علم ابن الزبير بقصة محمد مع المختار وطلبَ منه أنْ يبايعه حبسه في مكان يقالُ له: حبس عارم وفيه يقولُ كثير يخاطبُ ابن الزبير:

يــخــبــرُ مَــنْ لاقــيــت أنّــك عــابــدٌ ... بل الــعــابدُ الــمــظــلومُ في حبسِ عارمِ
ومن يرَ هذا الشيخ في الخيفِ والمنى ... مِنَ الــنــاسِ يــعــلــمُ أنّــه غــيــرُ ظــالــمِ
ســمــى نــبــي الله وابــن وصــيــه ... وفــكــاك أَغــلال وقــاضــي الــمــغــارم

وقال هشام: وإنما حبسه في قبة زمزم وحبسَ معه عشرين من وجوه عشيرته

---

(١) رضوى: جبل بالمدينة، (معجم البلدان ٣/ ٥١).

وجماعة من بني هاشم لم يبايعوه، وضرب لهم أجلاً إن لم يبايعوه فيه وإلا حرقهم بالنار وأشار بعض من كان مع محمد أن يبعث إلى المختار فيعرفه حديثهم وما توعدهم به ابن الزبير.

وقال في كتابه: يا أهل الكوفة لا تخذلونا كما خذلتم الحسين، فلما قرأ المختار كتابه بكى، وجمع الأشراف، وقرأ عليهم الكتاب، وقال: هذا كتاب مهديكم وسيد أهل بيت نبيكم، وقد تركهم الرسول ينتظرون القتل والحريق ولست أبا إسحاق إن لم أنصرهم وأسرب الخيل في أثر الخيل كالسيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل ثم سرح إليهم عبد اللّه الجدلي في ألف فارس، واتبعه بألف، ثم بألف وألف، فساروا حتى هجموا على مكة ونادوا: يا ثارات الحسين ووافوا الحطب على باب القبة، ولم يبق من الأجلِ سوى يومين فكسروا باب القبة وأخرجوا محمداً ومن معه، وسلموا عليه وقالوا: خَل بيننا وبين عدو الله المحل ابن الزبير فقال محمد: «لا أستحل القتال في حرم الله» ثم تتابع عدد المختار حتى خرج محمد في أربعة آلاف فخرج إلى أيلة[1] فأقام بها مدة سنتين، وكان ابن الزبير قد أحرق داره وقيل: بل أقام بالطائف وهو الأشهر.

ذكر نبذة من كلامه (رض)

أخبرنا غير واحد عن إسماعيل بن أحمد السمرقندي، أنبأنا عمرو بن عبيد اللّه البقال، أنبأنا أبو الحسين بن بشران، أنبأنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدثنا حنبل بن إسحاق، حدثنا هارون بن معروف عن عبد اللّه بن المبارك، حدثنا الحسين بن عمر الفقيمي عنِ منذر الثوري، قال: كان محمد ابن الحنفية يقول: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروفِ من لا يجد من معاشرته بداً حتى يجعل الله له من أمره فرجاً ومخرجاً؛ وبه قال الثوري: قال محمد: من كرمتْ نفسه عليه هانت الدنيا في عينيه. وبه قال الثوري، قال محمد: إنَّ اللّهَ جعلَ الجنةَ ثمناً لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها وقال أيضاً: كل ما لا ينبغي به وجه الله فهو مضمحل.

وذكر أبو نعيم في كتاب (الحلية) وقال: حدثنا أحمد بن محمد بن سنان، حدثنا محمد بن إسحاق السراج الثقفي، حدثنا عمر بن محمد بن الحسن، حدثنا أبي عن حماد بن سلمة عن علي ابن زيد بن جدعان عن علي بن الحسين عليه السلام قال: كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتوعده ويحلف ليبعثن إليه مائة ألف في البر ومائة ألف في البحر أو يؤدي إليه الجزية، فكتب عبد الملك إلى الحجاج

(١) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام؛ وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، (معجم البلدان ١/ ٢٩٢).

وكان بالحجاز توعد محمد بن الحنفية بالقتل وأخبرني بجوابه، وكان عبد الملك قد خاف خوفاً عظيماً، فلما وصل كتابه إلى الحجاج كتب إلى محمد يتواعده فكتب محمد إلى الحجاج، أما بعد: فإنَّ للّهَ تعالى في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى خلقه وأنا أرجو أن ينظر إليَّ نظرة يمنعني منك.

فكتب الحجاج بذلكَ إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى ملكِ الروم بذلك فكتبَ إليه ملك الروم: ما لكَ ولهذا الكلام ما خرج منكَ ولا من أهل بيتكَ وإنما خرج من بيت النبوة.

وفي رواية أنَّ الحجاجَ لما قدم والياً على الحجازِ كتب محمد إلى عبد الملك يقول الحجاج من قد علمت فلا تجعل له عليَّ سلطاناً بيد ولا لسان، فكتب عبد الملك إلى الحجاج ينهاه عنه فالتقاه في الطواف فعض على شفته ثم قال: لولا أمير المؤمنين لفعلت وفعلت فقال له محمد: ويحكَ يا حجاج إن الله تعالى في كل يوم وذكره.

وقال الثوري بالإسناد المتقدم قال محمد يوماً لبعض ولده: إذا شئت أن تكون أديباً فخذ من كل شيء أحسنه، وإن شئت أن تكون عالماً فاقتصر على فن من الفنون، وبه قال الثوري: عن علي بن الحسين قال: قال الأشتر النخعي لمحمد ابن الحنفية يوماً من أيام صفين: قم بين الصفين وامدح أمير المؤمنين، وذاكر بعض مناقبه، فبرز محمد بين الصفين، وأومئ إلى عسكر معاوية، وقال: يا أهل الشام اخسؤوا يا ذرية النفاق وحشو النار وحطب جهنم عن البدر الزاهر والقمر الباهر والنجم الثاقب والسنان النافذ، والشهاب المنير والحسام المبير، والصراط المستقيم، والبحر الخضم العليم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبتِ وكان أمر الله مفعولاً أوما ترون أي عقبة تقتحمون، وأي هضبة تتسنمون، وأنى تؤفكون بل ينظرون إليك، وهم لا يبصرون أصنو رسول الله تستهدفون ويعسوب دين الله تلمزون، فأي سبيل رشاد بعد ذلك تسلكون وأي خرق بعد ذلك ترقعون هيهاتَ هيهاتَ برزَ والله في السبق، وفاز بالخصل واستولى على الغاية، وأحرز الفصل الخطاب فانحسرت عنه الأبصار وانقطعت دونه الرقاب وفرع الذروة العليا، وبلغ الغاية القصوى، فعجز من رام سعيه وعناه الطلب وفاته المأمول والأرب، ووقفَ عند شجاعته الشجاع الهمام، وبطل سعي البطل الضرغام وأنى لهم التناوش من مكان بعيد فخفضاً خفضاً ومهلاً مهلاً، أفلصديق رسول الله تنكثون أم لأخيه تسبون، وهو شقيق نسبه إذا نسبوا ونديد هارون إذا مثلوا وذو قوى كبرها إذا امتحنوا، والمصلي إلى القبلتين إذ انحرفوا والمشهور له بالإيمان إذا كفروا، والمدعو بخيبر إذا نكلوا، والمندوب لنبذ عهد المشركين إذا نكثوا والمخلوف على الفراش ليلة الهجرة إذا جبنوا، والثابت يوم أحد إذ هربوا والمستودع للأسرار ساعة الوداع إذ حجبوا:

هذي المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعادا بعد أبوالا

وكيف يكون بعيداً من كل سناً وسمو وثناء وعلو وقد نجله ورسول الله أبوه، وأنجبت بينهما جدود ورضعا بلبان ودرجا في سنن، وتفيأ بشجرة، وتفرعا من أكرم أصل، فرسول الله للرسالة وأمير المؤمنين للخلافة رتق الله به فتق الإسلام حتى انجابت طخية الريب، وقمع نخوة النفاق حتى أرفأن جيشانه وطمس رسم الجاهلية وخلع ربقة الصعار والذلة، وكفت الملة العوجاء ورنق شربها وحلاها عن وردها واطئاً كواهلها آخذاً بأكظامها يقرع هاماتها ويرخصها عن مال الله حتى كلمها الخشاش وعضها الثقاف، ونالها فرض الكتاب، فجرجرت جرجرة العود الموقع فرادها وقرأ فلفظته أفواهها وأزلقته بأبصارها، ونبت عن ذكره أسماعها، فكان لها كالسم المقر والزعاف المزعف لا يأخذه في الله لومة لائم، ولا يزيله عن الحق تهيب متهدد ولا يحيله عن الصدق ترهب متوعد فلم يزل كذلك حتى اقشعت غيابة الشرك، وخنع طيخ الإفك وزالت قحم الأشراك فيه حتى تنسمتم روح النصفة وقطعتم قسم السوء بعد أن كنتم لوكة الآكل، ومذقة الشارب، وقبسة العجلان بسياسة مأمون الحرفة مكتهل الحنكة طب بأدوائكم قمنا بدوائكم، مثقفاً لأودكم كالئاً لحوزتكم حامياً لقاصيكم ودانيكم، يقتات بالجبنة ويرد الخميس ويلبس الهدم، ثم إذا سبرت الرجال وطاح الوشيط واستسلم المشيح وغمغمت الأصوات وقلصتْ الشفاهُ، وقامت الحرب على ساق، وخطر فينقها وهدرت شقاشقها، وجمعت قطريها وسالت بإبراقِ الفي أمير المؤمنين هنالك مثبتاً لقطبها مديراً لرحاها قادحاً بزندها، مورياً لهبها مذكياً جمرها، دلافاً إلى البهم، ضراباً للقلل، غصاباً للمهج، تراكاً للسلب، خواضاً لغمراتِ الموتِ، مثكل أمهات موتم أطفال مشتت آلاف قطاع أقران طافياً عن الجولة، راكداً في الغمرة يهتف بأولاها، فتنكف أخراها فتارة يطويها كطي الصحيفة، وآونةً يفرقها تفرق الوفرة فبأي آلاء أمير المؤمنين تمترون وعلى أي أمر مثل حديثه تأثرون، وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون؛ فلم يبق في الفريقين إلا من اعترف بفضل محمد.

تفسير غريبه

الحصب ما رمى به في النار، والطمس ذهاب الأثر؛ والصنوان تخرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد فكل واحدة منهن صنو؛ والجمع صنوان ويستهدفون يجعلونه هدفاً، والخصل أنْ يقعَ السهمُ بلزقِ القرطاس في المناضلةِ والتناوشِ التناول وقوله (هذي المكارم لا قعبان) قلت ولو كنت حاضراً هذا الكلام لقلت: هذه الفصاحة لا سحبان، ونحلته أعطيته، وأنجبت من النجابة ورتق لأم، والطخية شدة الظلمة، وارفان نفر ثم سكنَ، وجيشانه غليانه والكف ضم بعض الشيء إلى بعض، ورنق بالنون أي كدر شربها؛ وأقطام مجرى النفس؛ والثقاف ما يسوي به الرماح، والموقع الموقر

الظهر، والمقر الصبر، وسم ذعاف قاتل سريعاً وهو بالذال المعجمة؛ وأرعفه قتله. والغياية ما أظلك، وأخنع أي أخضع، والطيخ التكبر، والانهماك في الباطل، والقحم التقحم، والجبنة عامة الشجر ويقال للبن الحامض جبنة؛ وتهدم الثوب بلى وطاح سقط، والوشيط الخسيس والدخيل؛ والمشيح المجد، وفينقها فحلها والجمع فنق وأفناق، وقد ذكرنا الشقشقية فيما تقدم؛ وقطراها جانباها؛ والوفرة الشعر إلى شحمة الأذن.

ذكر وفاته

اختلفوا في أي مكان توفي على ثلاثة أقوال: أحدهما بأيلة، والثاني: بالمدينةِ وصلى عليه أبان بن عثمان بإذن ابنه أبي هاشم، ودفن بالبقيع؛ والثالث: بالطائف وذلك في سنة إحدى وثمانين في أيام عبد الملك بن مروان وعمره خمس وستون سنة.

ذكر أولاده

أبو هاشم واسمه عبد اللّه وهو أكبر ولده وكان من العلماء الأشراف، قدم على سليمان بن عبد الملك فأكرمه، ثم سار إلى فلسطين، فبعث إليه سليمان من قعد له على الطريق بلبن مسموم، فلما شرب منه أحس بالموت، فعدل إلى الحميمة واجتمع بمحمد بن علي بن عبد اللّه بن عباس وأعلمه أن الأمر في ولده وسلم إليه كتب الدعاة وأوقفه على ما يفعل، ثم مات عنده بالحميمة من أرضِ الشراة بناحية البلقاء وكان لأبي هاشم من الولد هاشم وبه كان يكنى ومحمد الأصغر لا بقية له وأمهما بنت جلد كنانية ومحمد الأكبر؛ ولبابة وأمهما فاطمة بنت محمد بن عبد اللّه بن عباس وعلي وأمه أم عثمان بنت أبي جدير قضاعية، وطالب؛ وعون؛ وعبيد اللّه لأمهات أولاد شتى، وريطة وهي أم يحيى بن زيد بن علي المقتول بخراسان وأم سلمة لأم ولد.

وذكر ابن سعد في (الطبقات) وقال: كان أبو هاشم ثقة وكانت الشيعة يتوالونه، وكان بالشام مع بني هاشم وعندهم توفي رحمه الله.

وكان لمحمد ابن الحنفية من الولد، جعفر الأكبر، وعلي؛ وحمزة وجعفر الأصغر، والحسن لأمهات أولادٍ شتى، وكان الحسن، هذا من ظرفاء بني هاشم، وهو أول من تكلم في الأرجاء وكان يقدم على أخيه أبي هاشم.

وقال ابن إسحاق: أمه جمال بنت قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف وتوفي في خلافة عمر بن عبد العزيز وليس له عقب، وإبراهيم وأمه مسرعة بنت عباد بن شيبان بن جابر عوفية؛ والقاسم، وأم أبيها؛ وعبد الرحمان وأمهم أم

عبد الرحمان وأمها برة بنت عبد الرحمان بن الحارث بن نوفل، وجعفر الأصغر وعون، وعبد اللّه الأصغر وأمهم أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب وعبد اللّه؛ ورقية، ومحمد وأمهم أم ولد، وقال الزبير بن بكار: وكان عبد اللّه أكبر ولد محمد وكنيته أبو هاشم وهو الذي سقاه سليمان بن عبد الملك اللبن مسموماً فأوصى إلى ابن عمه محمد بن علي بن عبد اللّه بن عباس وماتَ عنده بالحميمة أرض الشراة بناحية البلقاء.

أسند محمد ابن الحنفية الحديث عن جماعة من الصحابة، ومعظم حديثه عن أبيه علي عليه السلام.

قال أبو نعيم: حدثنا عبد اللّه بن محمد بن عثمان الواسطي، حدثنا أحمد بن يحيى بن زهير، حدثنا أبو كريب، حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب قال: أنكر على مارية أم إبراهيم في قبطي[١] ابن عم لها كان يزورها ويختلف إليها فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «خذ هذا السيف وانطلق فإنْ وجدته عندها فاقتله» قال فقلت: يا رسول الله أكونُ في أمرك إذا أرسلتني كالسبيكة المحماة لا يثنيني شيء حتى أمضي لما أمرتني به والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فقال: «نعم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب» قال: فأقبلتُ متوشحاً بالسيفِ فوجدته عندها فاخترطتُ السيفَ وأقبلتُ نحوه فعرف أني أريده فأتى نخلةً فصعد فيها ثم رمى بنفسهِ على قفاه وسفر برجليه فإذا هو أجب ممسوح ليسَ له قليل ولا كثير فأغمدتُ السيفَ وأتيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته فقال: «الحمد لله الذي يصرفُ عنا أهل البيت الحزن»[٢].

---

(١) القبطي: واحد القِبط: سكان مصر القدماء (يونانية الأصل)، واليوم: النصارى من المصريين.

(٢) أخرجه ابن كثير في (البداية والنهاية ٥/ ٣٠٤)، والألباني في (السلسلة الصحيحة ١٩٠٤)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٤/ ٣٢٩)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٣/ ١٧٨).

الباب الحادي عشر

في ذكر خديجة وفاطمة عليهما السلام

أما خديجة فهي بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، ويقال: بالهمزة إلى أن ينتهي نسبها إلى عدنان وأمها فاطمة بنت زايدة من الأصم من ولد فهر بن مالك، وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف وأم هالة العرقة، وهي قلابة بنت سعيد من بني لؤي بن غالب.

قال الواقدي: وكانت خديجة وهي بكر قد ذكرت لورقة بن نوفل وكانَ ابن عمها فلم يقض بينهما نكاح، فتزوجها أبو هالة واسمه هند بن البناس التميمي، فولدت له هنداً وهالة اسم رجلين، ثم تزوجها عتيق بن عابد المخزومي، فولدت له جارية اسمها هند وكانت خديجة تدعى أم هند.

وحكى ابن سعد عن الواقدي قال: كانت أسن من رسول الله صلى الله عليه وآله بخمسة عشر سنة.

قال الواقدي: وكانتْ ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعثُ إلى الشام فيكون عيرها[1] كعير عامة قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع المال مضاربة فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله خمساً وعشرين سنة، وليس له بمكة اسم إلا الأمين أرسلتْ إليه تسأله الخروج إلى الشام مع عيرها مع مولاها ميسرة، فسافر رسول الله صلى الله عليه وآله بعيرها إلى الشام فرأى غلامها ميسرة منه في الطريق العجائب ورأى الغمامة تظله، فلما قدم مكة رأت الغمامة على رأسه وحكى لها ميسرة ما شاهد، فتزوجته بعد قدومه من الشام بيومين زوجه إياها أبوها وقيل: أخوها عمر بن خويلد وقيل: إنما زوجها عمها عمرو وهي بنت أربعين سنة، وهو الأصح لأنها ولدت قبل الفيل بخمسة عشر سنة والأصح أن الذي زوجها عمرو.

قال الواقدي: مات أبو خديجة قبل الفجار الأول.

ذكر خطبة النكاح وعقد العقد

قال علماء السير: حضر أبو طالب العقد ووجوه بني هاشم والأشراف وعمومة

(١) العِيرُ: القوم معهم حملهم من الميرة، يقال للرجال وللجمال معاً، ولكل واحدٍ منهما دون الآخر.

رسول الله، فخطب أبو طالب فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد اللّه لا يوزن به رجل الأرجح به وإن كان في المال قل فالمال ظل زائل وأمر حائل ومحمد من قد عرفتم فضله ونسبه وقرابته وصدقه وأمانته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي ومبلغه كذا وكذا وهو والله له بعد خطب جسيم وخطر جليل.

وقيل: إنه أصدقها عشرين بكرة وعشر أواقي من الذهب وعبداً وأمة.

ذكر نبذة من فضائلها

قال هشام بن محمد: كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله يودها ويحترمها ويشاورها في أموره كلها، وكانتْ وزير صدقٍ وهي أول امرأة آمنت به ولمْ يتزوجْ في حياتها أحداً وجميع أولاده منها إلا إبراهيم بن مارية لما نذكر.

قال أحمد في المسند: حدثنا عبد اللّه بن نمير، حدثنا هشام عن أبيه عن عبد اللّه بن جعفر عن علي عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد»[1] متفق عليه والمراد بالأول نساء بني إسرائيل وبالثاني نساء هذه الأمة.

وفي الصحيحين أيضاً من حديثِ أبي هريرة قالَ: أتى جبرئيلُ عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد هذه خديجة قد أتتك فأقرأها السلام من ربها وبشرها ببيتٍ في الجنةِ مِنْ قصبٍ لا صخبَ فيهِ ولا نصب؛ القصب: الدر المجوف والصخب الأصوات المختلفة، والنصب: التعب ومعناه أنه لا بد لكل بيت من تعب وإصلاح إلا قصور الجنة فإنه لا تعب في بنائها.

وقيلَ: لما تعبتْ في تربية الأولادِ حصلتْ لها الراحة بالمناسبة.

وفي الصحيحين أيضاً: أنَّ عائشة (رض) قالت: ما عزت عليَّ أحد مِنْ نساءِ رسولِ الله ما عزّت عليَّ خديجة وما رأيتها قَط ولكنْ كانَ رسولُ الله يكثرُ ذكرها وربما

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٤/ ٢٠٠، ٥/ ٤٧)، ومسلم في الصحيح (فضائل الصحابة ٦٩)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٨٤، ١١٦، ١٣٢، ١٤٣)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٦/ ٣٦٧)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٩٧، ٣/ ١٨٤، ٥٦٩)، والسيوطي في (الدر المنثور ٢/ ٢٣)، وابن حجر في (المطالب العالية ٣٩٨٢)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٦١٧٥)، وابن حجر في (فتح الباري ٧/ ١٣٣)، والبغوي في (شرح السنة ١٤/ ١٥٦)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٤٤٠٥)، والبغوي في (شرح السنة ١/ ٣٤٦)، وابن كثير في (التفسير ٢/ ٣٢)، والطبري في (التفسير ٣/ ١٨٠)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٢/ ٥٩، ٣/ ١٢٩).

ذبحَ الشاةُ فيقطعُ أعضائها ويبعثُ بها إلى صدايق خديجة.

فأقول كأنّه لَمْ يكنْ في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقولُ: «إنّها كانتْ، وكانتْ وكان لي مِنها الأولاد الصدايق الحلايل»[١].

وفي رواية عن عائشة قالت: فأدركتني الغيرة يوماً فقلتُ: وهل كانتْ إلا عجوزاً قد أخلفَ اللّهُ لكَ خيراً منها، قالت: فغضبَ حتى اهتز مقدم شعرِهِ وقال: «والله ما أخلفَ لي خيراً منها لقد آمنتْ بي إذ كفَرَ الناسُ وصدقتني إذ كذبني الناسُ وأسقتني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله أولادها إذ حرمني أولادَ النساءِ»؛ قالتْ: فقلتُ في نفسي والله لا أذكرها بسوء أبداً.

وفي رواية عَنْ عائشة قالتْ: أغضبتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يوماً، وقلتُ خديجة بالتصغيرِ فزجرني وقال: «إني رزقتُ حبها واستأذنتُ عليه يوماً هالة أختُ خديجة»[٢] فارتاع لذلك وقال: «اللهم هالة بنت خويلد»[٣]، قالتْ: فغرتُ وقلتُ: وما تذكر مِنْ عجوزٍ حمراء الشدقين هلكتْ في الدهرِ فزجرني وقال بمعنى ما تقدم؛ ومعنى حمراء الشدقين أنَّ المرأةَ إذا كبرتْ احمر شدقاها، وقيل: إنَّه أرادتْ بالأحمر الأبيض ومتى كبرت المرأة ابيض شدقاها وهو الأصح.

وكل هذه الروايات في الصحيحين.

وقال الزهري: بلغنا أنَّ خديجةَ أنفقتْ على رسول الله صلى الله عليه وآله أربعينَ ألفاً وأربعين ألفاً.

ذكر وفاتها (رض)

قال الواقدي: توفيتْ خديجةُ بعد أَنْ مضَى مِنْ النبوةِ عشر سنين وهي بنتُ خمس وستينَ سنة قبل وفاة أبي طالب بثلاثةِ أيامٍ وقيل بعد وفاته بشهر.

قال حكيم بن حزام: دفناها بالحجون، ونزلَ رسول الله صلى الله عليه وآله في قبرِها ولم يكنْ يومئذٍ سنة الجنازة الصلاة عليها.

وقال هشام: توفيتْ ورسول الله صلى الله عليه وآله ابن سبع وأربعين سنة وثمانية أشهر.

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٥/ ٤٨)، والبغوي في (شرح السنة ١٤/ ١٥٨)، وابن كثير في (البداية والنهاية ٣/ ١٢٨)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٦١٧٧)، وابن حجر في (فتح الباري ٧/ ١٣٣).

(٢) أخرجه ابن حجر في (فتح الباري ٧/ ١٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في (الصحيح ٥/ ٤٨)، ومسلم في الصحيح (فضائل الصحابة ٧٨)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٧/ ٣٠٧)، وابن حجر العسقلاني في (تغليق التعليق ١١١١)، وابن حجر في (فتح الباري ٧/ ١٣٤).

وقالَ مجاهد: كانتْ وفاتها قبل أن تفرض الصلوات الخمس وهذا صحيح لأنَّ الصلوات فرضت سنة اثني عشر من النبوة ليلة المعراج.

وقال هشام: كانت وفاتها لعشر خلون من رمضان قبل الهجرة بثلاثِ سنينَ.

ذكر أولادها من رسول الله صلى الله عليه وآله

وقال ابن إسحاق: كان له من الذكور: القاسم وبه كان يكنى، ماتَ بمكة قبل المبعث وله سنتان، وعبد اللّه ويسمى الطيب؛ مات أيضاً قبل النبوة وقيل بعدها بسنة والطاهر ولد في الإسلام ولهذا سميَ الطاهر وتوفي بعد المبعث وقيل: الطيب والطاهر لقبان والأول أصح.

وقال أحمد في المسند: حدثنا عثمان بن شيبة عن محمد بن فضل عن محمد بن عثمان عن أبي زادان عَنْ علي عليه السلام قال: قالت خديجة: يا رسول الله أين ولدي منك فقال: «في الجنة»؟

وقال ابن سعد: كانَ بين كل ولدين سنة وقيل: سنتان؛ وأما البنات فزينب ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة عليهنَ السلامَ.

فأما زينب فتزوجها أبو العاص بن الربيع، واسمه مقسم بن عبد العزى بن عبد شمس وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجة ولدت منه ولداً سماه علياً فتوفيَ وهو صغير.

وقال هشام: تزوج أبو العاص زينب وهو مشرك وأُسرَ يومَ بدرٍ فمنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله على أن يجهز إليه زينب فجهزها إليه فلما خرجتْ من مكة لحقها هبار بن الأسود فطعن بعيرها فصرعها فأسقطت وردها وبقيتْ عند هند بنت زمعة، وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله زيد بن حارثة فتلطفَ له حتى ورد بها المدينة، ففرحَ بها رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال الواقدي: وذلك بعد غزاة خيبر وليسَ بصحيح، وإنما هو عقيبَ غزاة بدر، ثم قدم زوجها أبو العاص على رسول الله صلى الله عليه وآله فاستجارَ بزينب فأجارته فأمضى رسول الله صلى الله عليه وآله ذاكَ وردَ زينبَ عليه، رسول الله صلى الله عليه وآله بالنكاح الأولِ وقيل: إنما ردها بنكاح جديد، وقيل: إنما أسلمَ قبلَ انقضاءِ عدتها وقيل: كانَ هذا ثم نسخ يعني النكاح الأول، وكان لأبي العاص من زينب ابنة يقالُ لها: أمامة تزوجها المغيرة بن نوفل وفارقها فتزوجها علي عليه السلام بعد موتِ فاطمة، وقيل: إنما تزوجها بوصية فاطمة وهذه أمامة هي التي كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله يحملها على كتفهِ وهي طفلة حتى في الصلاة فإذا سجدَ وضعَها على الأرضِ، وإذا قامَ علا فحملها، وتوفيتْ زينبُ سنة ثمان من الهجرةِ.

وأما رقية فكانَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله زوجها عتبة بن أبي لهب وزوَّج أم كلثوم عتبة بن أبي لهب فلما نصبَ أبو لهب العداوة لرسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله أمرَ ابنيه عتبة وعقبة بطلاقهما فطلقاهما قبل الدخول فتزوجهما عثمان تزوَّج في الجاهلية رقية زوّجه رسول الله صلى الله عليه وآله إياها أولاً، فولدتْ له عبد اللّه وهاجرتْ معه إلى الحبشة ثم عادت معه إلى المدينةِ وتوفيتْ سنة اثنتين من الهجرة والنبي صلى الله عليه وآله ببدرٍ وكانَ لها من عثمان بن عفان عبد اللّه نقره ديك في عينه فمات سنة أربع من الهجرة وله ست سنين فزوجه رسول الله صلى الله عليه وآله أم كلثوم فتوفيتْ عنده سنة سبع من الهجرة وكان تزويجها من عثمان سنة ثلاث من الهجرة.

فصل

وأما فاطمة عليها السلام قال علماء السير: ولدتها خديجة وقريش تبني البيت الحرام قبل النبوةِ بخمس سنين، وهي أصغر بناتِ رسول الله وتزوجها علي عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة في رمضان وبنى بها في ذي الحجة أو رجب وقيل: في صفر والأول أشهر.

ذكر تزويجها وفضلها

قال هشام: وأُهديتْ إليه في بردين وفي يديها دملوجان من فضة، ومعها خميلة ومرفقة من أدم حشوها ليف وقربة ومنخل وجراب(١).

وقال أحمد في (الفضائل): حدثنا إبراهيم بن عبد الصمد البصري، حدثنا إبراهيم بن يسار، حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن أبيه قال: أخبرني من سَمِعَ علي بن أبي طالب يقول على منبر الكوفة: لما أردت أنْ أخطبَ فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ذكرتُ أنه لا شيء لي ثم ذكرتُ عائدته وصلته فخطبها فقال: وهل عندكَ شيء؟ قلتُ: لا. قال: «فأين درعك الحطمية؟» فقلتُ: عندي، وكان رسول

---

(١) الدُملُج والدُملوجُ: سِوار تُحلَّى به العضُد (ج) دمالج (للأول)، ودماليج (للثاني).
الخميلة: القطيفة (ج) خميل.
المِرفقةُ: المُتّكأ والمخدَّة. الأديم: الجلد.
القِرْبَةُ: وعاء من جلد يُحرّز من جانب واحد، ويُتخذ لحفظ اللبن أو الماء ونحوهما (ج) قِرَبٌ وقِرْبات وقِرِبات.
المُنخل: أداة النَّخل يُنخل بها (ج) مناخل.
الجرابُ: وعاء يُحفظ فيه الزاد ونحوه (ج) جُرُبٌ، وأجربة. و ـ: قِرابُ السيف.

الله ﷺ قد وهبها لي فأتيته بها فانكحني إياها على الدرع؛ فلما أنْ دخلت عليَّ قال: «لا تحدثن حدثاً حتى آتيكما» فاستأذن رسول الله ﷺ علينا وعلينا كساء أو قطيفة قال فتخشخشنا فقال: «مكانكما على حالكما» فدخلَ علينا فجلسَ عند رؤوسنا ودعا بماءٍ فدعى فيه بالبركة ورشه علينا، قال: علي فقلت: يا رسول الله أيما أحبُ إليكَ أنا أم هي؟ فقال: «هي أحبُ إليَّ مِنكَ وأنتَ أعزُّ عليَّ منها»[(١)].

قال الشعبي: وكان قيمة درعهِ خمسة دراهم وغيره يقول خمسمائة درهم.

وقال أحمد في (الفضائل): حدثنا أبو عمر محمد بن محمود الأصبهاني، حدثنا علي بن خشرم المروزي، أنبأنا الفضل بن موسى الشيباني عن الحسين بن واقد عن عبد اللّه بن بريدة، قال: خطب أبو بكر رضي الله عنه فاطمة عليها السلام فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «إنَّها صغيرة وإني أنتظر بها القضاء»[(٢)] فلقيه عمر، فأخبره فقالَ: ردك ثم خطبها عمر فرده ثم خطبها علي عليه السلام فزوجه إياها وقال: «إنَّ الله أمرني أَنْ أزوجَ علياً فاطمة»[(٣)] فباعَ علي عليه السلام بعيراً وبعض متاعه وتزوجها.

وذكره ابن سعد في (الطبقات) وقالَ: فيه كان رسول الله ﷺ قد وعدَ علياً بها قبل أنْ يخطبها أبو بكر وعمر.

وذكر ابن سعد أيضاً عن محمد بن علي قال: تزوجَ عليٌّ فاطمة على إهاب[(٤)] شاة وذلك في رجب بعد الهجرة بخمسة أشهر وبنى بها بعد مرجعه من بدر وفاطمة يومئذ بنت ثمان عشرة سنة.

وقال ابن سعد: حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن عامر قال: قال علي عليه السلام لقد تزوجتُ فاطمة ما لي ولها فراش غير جلد كبش ننامُ عليه بالليلِ، ونعلفُ عليه الناضح[(٥)] بالنهارِ، وما لي ولها خادم غيرها.

وقال أحمد في (الفضائل): حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن أبي زيد المدني قال: لما أُهديتْ فاطمة إلى علي عليه السلام لم تجدْ عنده إلا

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ٣٦٣٧٩)، والحميدي في (المسند ٣٨).

(٢) أخرجه النسائي في (السنن ٦/ ٦٢)، والحاكم في (المستدرك ٢/ ١٦٨)، والهيثمي في (موارد الظمآن ٢٢٢٤)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٦٠٩٥).

(٣) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ٩/ ٢٠٤)، والسيوطي في (جمع الجوامع ٤٧١٠)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٢٨٩١، ٣٢٩٢٩، ٣٧٧٥٣)، والطبراني في (المعجم الكبير ١٠/ ١٩٤)، وابن الجوزي في (الموضوعات ١/ ٤١٥، ٤١٨)، والذهبي في (ميزان الاعتدال ٥٢٨٠)، وابن حجر في (لسان الميزان ٤/ ١٢٦)، والسيوطي في (اللآلئ المصنوعة ١/ ٢٠٥)، والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٣٩٠)، وابن عراق في (تنزيه الشريعة ١/ ٤١٠).

(٤) الإهابُ: الجلد المغلّفُ لجسم الحيوان، أو ما لم يُدبغ منه (ج) أُهُبٌ.

(٥) الناضح: الدابة يُستقى عليها، وهي ناضحة (ج) نواضح.

رملاً مبسوطاً، ووسادةً وكوزاً وجرةً، فأرسل إليه رسول الله ﷺ: «لا تقرب زوجتك حتى آتيك» فجاءَ رسول الله ﷺ فدعى بماءٍ فقالَ فيه: «ما شاء الله أَنْ يقولَ، ثم نضحَ به صدر علي عليه السلام ووجهه، ثم دعى بفاطمة، فقامت إليه في مرطها وهي تصعد عرقاً من الحياء فنضح عليها من الماءِ وقالَ لها: «أما إني لم أنكحكِ إلا أحبَّ أهلي إليَّ وأعزَّهم عليَّ أو عندي» ثم خرج وقال: «دونكَ أهلكَ» وما زالَ يدعو لنا حتى دخل الحجرة فرأى سواداً من وراءِ البابِ فقالَ: مَنْ هذا؟ فقالتْ: أسماءُ، قال: بنتُ عميس؟ قالت: نعم قال: أمع بنتِ رسول الله جئت كرامة لرسول الله؟ قالت: نعم، فدعى لها»[١] وفي رواية أنه جهزَ رسول الله ﷺ فاطمة في خميلة وهي القطيفة.

وذكر ابن سعد في (الطبقات) أنَّ رسول الله ﷺ لما دخلَ عليٌّ عليه السلام على فاطمةَ جاءَ فطرقَ البابَ وقال: أين أخي؟ فجاءتْ أم أيمن فقالتْ: يا رسول الله كيفَ يكونُ أخاكَ وقد زوجته ابنتكَ قال: «هو ذاكَ» ثم دخلَ عليهما فدعى لهما ووقاهما قالَ: وإنما فعلَ رسول الله ﷺ ذلك لأنَّ اليهودَ كانوا يأخذون الرجلَ عن أهله.

وفي رواية جهزها رسول الله ﷺ ومعها قربة من أدم ووسادة من أدم حشوها ليف وجلد كبش يناماِن عليه بالليلِ ويعلفان الناضحَ عليه في النهارِ ورحا وجرةً.

وذكر ابن سعد قال: لما خطبَ عليٌّ عليه السلام فاطمة دنى رسول الله ﷺ من خدرها وقال: «إنَّ علياً يذكرُ فاطمة»[٢]. فسكتتْ، فزوجها منه قلتُ: فصارَ ذلك أصلاً في كل بكر إنها تستأمر سواء كان لها أب أو غيره عند أبي حنيفة ولا تجز أصلاً وعند الشافعي وأحمد تخير لما عرف في موضعه.

وفي رواية: لما خطبها خرج إلى الأنصار فقالوا له: ما قالَ لكَ؟ فقال: قال لي: مرحباً وأهلاً فقالوا له: أبشر فقد أعطاكَ الرحبَ والأهلَ.

وقال أحمد في (الفضائل)، حدثنا حميد بن عبد الرحمان الرواسي، حدثنا أبي عن عبد الكريم بن سليط، عن أبي بريدة عن أبيه قالَ: لما أرادَ النبي ﷺ أن يجهز فاطمة إلى علي عليه السلام قال لأصحابه: «لا بد للعرس من وليمة»[٣] فقال سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله عندي كبش، وقال آخر عندي فرق من ذرة.

وأخبرنا جدي أبو الفرج رحمه الله قالَ: أنبأنا أبو منصور القزاز، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا محمد بن أحمد بن الشاكر المؤذن، أنبأنا عبد اللّه بن محمد بن جعفر بن حسان، أنبأنا عبد الرحمان بن سالم الرازي، حدثنا محمود بن غيلان،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في (المصنف ٩٧٨١)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٩/ ٢١٠).
(٢) أخرجه أبو حنيفة في (جامع المسانيد ٢/ ٨٣)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٨/ ١٢).
(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٥/ ٣٥٩)، والطحاوي في (مشكل الآثار ٤/ ١٤٥)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٧٧٤٤)، والشيخ الألباني في (آداب الزفاف ٨٨).

حدثنا أحمد بن صالح المصري عن إبراهيم الحجاج عن عبد الرزاق، عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: لما زوجَ رسول الله ﷺ فاطمة من علي عليه السلام قالت: يا رسول الله زوجتني من رجلٍ فقير ليسَ له مال؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «أما ترضين أنَّ اللَّهَ تعالى اختارَ من أهلِ الأرض رجلين أحدهما أبوك والآخر زوجك»[1].

وفي رواية: زوجتني من عائل لا شيءَ له، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما ترضينَ أنْ يكونَ اللَّهُ اطلع على أهلِ الأرضِ فاختارَ منهم رجلين، أحدهما أبوك والآخر بعلك».

وقد تكلموا في هذا الحديث، وقالوا: رواه عبد الرزاق؛ وقالوا: كان منسوباً إلى التشيع، وقد ذكرنا أن عبد الرزاق من كبار العلماء وأنه شيخ أحمد بن حنبل وقد أخرج عنه في الصحيحين، فلا يلتفت إلى مَنْ تكلمَ فيه لغرضٍ فاسدٍ.

قلتُ: وقد ذكر جدي أبو الفرج في كتاب (المنتخب)[2] في فضائل فاطمة وقال: أمر الله تعالى الجنان ليلة عرسها فحملت حللاً وحلياً فنثرته على الملائكة ثم قال جدي عقيب هذا: يا عجباً يكونُ الحلل والحلى لمن يكون فراشها جلد كبشٍ هلا حلت لها منها حلة، ثم قال: كلا مركب الملك أجل من أن يحلى، ثم ذكرَ حديث نثر الحلل والحلي في الموضوعات فرواه عن القزاز عن الخطيب بإسناده إلى ابن مسعود رفعه، ثم قال المتهم بوضع هذا الحديث خلد بن عمر الحمصي.

قلتُ: فما الذي دعاه إلى ذكرِ حديثٍ على وجه المدح؛ ثم يضعفه في مكان آخر على أنْ يقوله والمتهم به خلد بن عمر ولا يسقط الحديث لأنه لم يُقطعْ به.

وقال أحمد في المسند: حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، حدثنا زكريا بن أبي زائد عن فراس عن الشعبي، عن مسروق عن عائشة (رض) قالتْ: أقبلتْ فاطمة كأنَّ مشيتها مشيةَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله فقال: «مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه ثم أسر إليها حديثاً فبكت فقلت: استخصكَ رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت تبكين ثم إنه أسر إليها فضحكت»؛ قالت: فقلتُ لها: ما رأيتُ كاليومِ أقربُ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٤/ ١٩٥)، وابن حجر في (لسان الميزان ١/ ٩٦)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٦٣٥٥)، والذهبي في (ميزان الاعتدال ٦٥)، وابن الجوزي في (العلل المتناهية ١/ ٢٢٠، ٢٢١).

(٢) «المنتخب في النوب»: مجلد لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ وهو كتاب جامع في الموعظة ذكر فيه كتباً من مؤلفاته وقال: هذا الكتاب هو الذي وضعته للكلام على الآيات على الترتيب كل آية تليق أن تقرأ نوبة فإن أهملت ذكر بعض الآيات اللائقة فلنيابة أختها عنها وقد أكملتها مائة نوبة، (كشف الظنون ٢/ ١٨٥٠).

فرحاً من حزنٍ ما أسر إليك فقالت: ما كنتُ لأفشي سر رسول الله حتى إذا قبض، سألتها فقالت: إنه أسر إليَّ وقالَ: «كانَ جبرئيلُ يعارضني بالقرآن في كل عام مرة وإنَّه عارضني به العام مرتين ولا أراه إلا قد حضرَ أجلي وإنك أول أهلي لحوقاً بي ولنعم السلف أنا لكَ»، فبكيتُ لذلك فقال: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة»[١]. فذلك الذي أضحكني، متفق عليه ولم يخرجْ البخاري ومسلم لفاطمة في الصحيحين سواه.

قالوا: وقد روتْ عن رسول الله صلى الله عليه وآله ثمانية عشر حديثاً، وقيل: ثمانين حديثاً وإنها يسيرة بالنسبة إليها.

وقد أخرجَ مسلمُ عن المسورِ بن مخرمة أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قالَ: «فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها فمن أغضبها فقد أغضبني»[٢].

وأخرجه الترمذي أيضاً فقال: حدثنا قتيبة عن الليثِ عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك على المنبر وأخرجه البخاري أيضاً عن أبي الوليد عن ابن عتيبة عن عمر بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة.

وقال أبو أحمد بن محمد بن الغطريف الجرجاني، وقد تقدم إسنادنا إليه في آخر فضائل علي عليه السلام في الباب الثاني من الكتاب، حدثنا عمرو بن محمد الكاغذي، حدثنا ابن أبي الصقر، حدثنا عبد اللّه بن محمد بن سالم، حدثنا الحسين بن زيد عن عمرو بن علي عن جعفر بن محمد عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: «إن اللّهَ يغضبُ لغضبك ويرضَى لرضاكِ»[٣].

وأخبرنا غير واحد عن إسماعيل بن أحمد السمرقندي، أنبأنا عمرو بن عبد اللّه

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٦/ ٢٨٢)، والطحاوي في (مشكل الآثار ١/ ٤٨)، والنسائي في (تهذيب خصائص عليّ ٦٣)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٢/ ٢/ ٤٠، ٨/ ١٧).

(٢) أخرجه البخاري في (الصحيح ٥/ ٢٦، ٣٦)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٧/ ٦٤، ١٠/ ٢٠١)، والحاكم في (المستدرك ٣/ ١٥٨)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٤٢٢٢، ٣٤٢٢٣)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٤٤، ٧/ ٢٨١)، وابن حجر في (فتح الباري ٧/ ٧٨، ١٠٥)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٦١٣٠)، والبغوي في (شرح السنة ١٤/ ١٥٨)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٣/ ٣٤)، وابن كثير في (التفسير ٥/ ٤٨٩)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ١٣٠).

(٣) أخرجه الحاكم في (المستدرك ٣/ ١٥٣)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٩/ ٢٠٣)، والطبراني في (المعجم الكبير ١/ ٦٦)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٧٧٢٥)، والذهبي في (ميزان الاعتدال ٢٠٠٢، ٢٥٦٠).

البقال، أنبأنا أبو الحسين بن بشران، حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدثنا حنبل بن إسحاق، حدثنا هارون بن معروف عن عبد اللّه بن المبارك، حدثنا الحسن بن عمرو بن القفيمي عن منذر الثوري، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كانَ يومُ القيامةِ نادى منادٍ من بطنانِ العرشِ يا أهلَ الموقفِ غضوا أبصاركم ونكسوا رؤوسكم لتجوز فاطمة بنت محمد على الصراط»[1].

فإن قيل: فقد ذكره جدك في الأخبار الواهية؟ والجواب: إنما ذكره هناك عن علي وأبي سعيد وأبي هريرة وأبي أيوب وعائشة وضعف طرقهم، وقال في طريق علي عباس بن الوليد بن بكار وعبد الحميد بن يحيى، وأما حديث أبي سعيد ففيه العباس بن بكار، وفي حديث إلى هريرة الغرومي، وفي حديث أبي أيوب سعد بن طريف وفي حديث عائشة شاد بن فياض وكلهم ضعفاء؛ أما حديثنا فإسناده صحيح ورجاله ثقاة وطريق ابن عمر لم يذكر في الواهية على أنَّ جدي رحمه الله قد قال في (المنتخب): وبعثَ رسولُ اللّهِ ﷺ بين يديها وصايف غضوا أبصاركم.

وقال أبو نعيم في (الحلية): حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا عبد اللّه ابنُ أحمد بن حنبل، حدثنا عباس بن الوليد، حدثنا عبد الواحد بن زياد، عن سعيد الحريري عن أبي الورد عن ابن أعيد قال: قال لي علي عليه السلام: ألا أخبرك عني وعن فاطمة؟ كانت ابنة رسول الله ﷺ وأكرم أهله عليه وكانت زوجتي فجرت بالرحى حتى أثرت في يدها واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها، وقامت بالبيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدتْ تحت القدرِ حتى أصابها مِنْ ذلكَ ضرٌّ، ولقد كانتْ تعجنُ وأن قصها ليضرب الجفنة[2] أو يكاد يضربها.

وقد أخرج أحمد في الفضائل بمعناه فقال: حدثنا عفان عن حماد بن سلمة عن عطا بن السايب عن أبيه عن علي عليه السلام قال: لم يكن لنا خادم فقلتُ لفاطمة والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباكِ بسبي فاذهبي فاستخدميه خادماً، فقالت: والله وأنا قد طحنتُ حتى مجلتْ يدايَ ثم أتتْ النبي ﷺ فاستحيتْ أنْ تطلبَ منه شيئاً، فرجعتْ فأخذها علي عليه السلام وجاءَ إلى رسول الله ﷺ، فذكروا له ما لقيا، فقال: «ألا تحبانِ أنْ أعطيكما ما هو أفضل مما سألتما». قلنا: بلى، قال: «تسبحان اللّهَ ثلاثاً وثلاثين وتحمدان ثلاثاً وثلاثين، وتكبران أربعاً وثلاثين دبر كل صلاة وإذا أويتما إلى فراشكما تسبحان»[3].

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في (العلل المتناهية ١/ ٢٦٢)، وابن كثير في (البداية والنهاية ١٠/ ٢٩١).
(٢) القَصُّ: عظم الصدر وتتصل به أطراف الأضلاع من الجانبين.
الجفنةُ: القصعةُ العظيمةُ (ج) جفانٌ وجفناتٌ وجفنٌ.
(٣) أخرجه مسلم في الصحيح (المساجد ١٤٢).

وذكره وفي رواية: «تسبحان دبر كل صلاةٍ عشراً وتحمدانِ عشراً وتكبرانِ عشراً».

قلتُ: وهذا حديث طويلِ وقد أخرجه مسلم في الصحيح بمعناه مفرقاً، فأخرجَ مسلم عن أبي هريرة بعضه فقالَ: أتتْ فاطمة تسألُ النبي ﷺ خادماً فقال لها، قولي: «اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع ورب العرش العظيم ربنا وسعت كل شيء»[١] وذكره وأخرجه البخاري أيضاً.

وفي المسند فقالَ علي: فوالله ما تركتهن منذ علمني رسول الله ﷺ إياهن فقالَ ابن الكوا: ولا ليلة صفين فقال: قاتلكم الله يا أهل العراق، ولا ليلة صفين والقص الصدر ومجلت تقطعت.

وأخرجه أحمد أيضاً في المسند بهذا الإسناد وقالَ فيه: فجاءتْ فاطمةُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالَ لها: ما جاء بك يا بنية» فقالت: جئتُ لأسلمَ عليكَ واستحيتُ أنْ تسأله ورجعتْ فقالَ لها: «ما فعلتِ؟ قالت: استحييتُ أنْ أسأله فأتيا جميعاً فقال علي: يا رسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالتْ فاطمة: لقد طحنتُ حتى مجلتْ يدايَ فاخدمنا خادماً فقال: «والله لا أعطيكما وأدعْ أهل الصفةِ يطوي بطونهم مِنَ الجوعِ، ولكنْ أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم»، ثم قال: «تحمدان عشراً»[٢] وذكره وسنوت استقيت بالسانية.

وقال ابن سعد في (الطبقات): حدثنا علي بن محمد عن حباب بن موسى العبيدي، عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال عليه السلام بتنا ليلة بغيرِ عشاءٍ وأصبحنا كذلكَ فخرجتُ ألتمسُ ما أشتري به لحماً فالتمستُ فاشتريتُ لحماً، ثم أتيتُ به فاطمة فطبخته ودعونا رسولَ الله ﷺ فجاء فقال: «اغرفي لنسائي»، فغرفت للتسع، ثم قال اغرفي لأبيكِ ولبعلكِ، فغرفتُ، ثم رفعتُ القدرَ وإنها لتفيض، فأكلنا منها ما شاء الله تعالى.

ذكر إيثارهم بالطعام

قال علماء التأويل: فيهم نزل قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] الآية.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٣٨١، ٤٠٤، ٣٥٦)، وابن السني في (عمل اليوم والليلة ٧٠٩، ٧٤٠)، والحاكم في (المستدرك ٣/ ١٥٧)، والسيوطي في (الدر المنثور ٦/ ١٧١)، وابن حجر في (المطالب العالية ٣٣٥٧)، والهيثمي في (موارد الظمآن ٥٢٥، ١٢١٢)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ١٢١، ١٨٧)، وابن كثير في (التفسير ٨/ ٣١)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٣/ ١٩٣)، وابن حجر في (فتح الباري ١١/ ١٢٣)، والطبراني في (المعجم الكبير ١٠/ ١٨)، والبيهقي في (الأسماء والصفات ٣٤، ٢٢٦).

(٢) أخرجه ابن حجر في (فتح الباري ١١/ ١٢٠، ١٢١).

أنبأنا أبو المجد محمد بن أبي المكارم القزويني بدمشق، سنة اثنتين وعشرين وستمائة قال: أنبأنا أبو منصور محمد بن أسعد بن محمد العطاري، أنبأنا الحسين بن مسعود البغوي، أنبأنا أحمد بن إبراهيم الخوارزمي، أنبأنا أبو إسحاق أحمد بن محمد ابن إبراهيم الثعلبي، أنبأنا عبد الله بن حامد، أنبأنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني، حدثنا محمد بن أحمد بن سهيل الباهلي، حدثنا عبد الرحمان بن محمد بن هلال، حدثني القاسم بن يحيى عن أبي علي العزي عن محمد بن السايب عن أبي صالح عن ابن عباس؛ ورواه أيضاً مجاهد عن ابن عباس قال: في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧] الآية قال: مرضَ الحسن والحسين عليهما السلام فعادهما رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر (رض)، وعادهما عامة العربِ فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرتَ على ولديك نذراً فكل نذر لا يكون له وفاء فليسَ بشيء فقال علي عليه السلام: عليَّ لله أنْ برأ ولدايَ مما بهما صمتُ للّهِ ثلاثةَ أيام شكراً وقالتْ فاطمة، كذلك، وقالت الجارية يقال لها: فضة كذلك، فألبسَ الغلامَانَ العافيةَ وليسَ عند آل محمدٍ قليل ولا كثير فانطلق علي عليه السلام إلى شمعون بن حانا اليهودي، فاستقرضَ منه ثلاثة أصوع من شعير، فجاءَ به إلى فاطمة فقامتْ إلى صاعٍ فطحنته وخبزته خمسة أقراص لكل واحدٍ منهم قرص، وصلى علي عليه السلام المَغرب مع النبي ﷺ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين أيديهم فجاء سائلٌ أو مسكين فوقفَ على البابِ وقالَ: السلامُ عليكم يا أهلَ بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فسمعه علي عليه السلام فقال:

فاطمُ ذاتَ المجدِ واليقينِ ... يا بنتَ خيرِ الناسِ أجمعين
أما ترين البائسَ المسكين ... قد قام بالبابِ له حنين
يشكو إلى اللّهِ ويستكين ... يشكو إلينا جائع حزين
كل امرئ بكسبهِ رهين ... وفاعل الخيراتِ يستبين
موعده جنة عليين ... حرمها الله على الضنين
وللبخِيلِ موقفُ مهين ... تهوي به النَّارُ إلى سجينِ

شرابهُ الحميم والغسلين(١)

فقالت فاطمة عليها السَّلام:

أطعمهُ ولا أبالي الساعة ... أرجو إذا أشبعت ذا مجاعة
أنْ ألحق الأخيار والجماعة ... وأسكن الخلد ولي شفاعة

(١) السِّجِّينُ: وادٍ في جهنَّم.
الحميم: الماء الحار أو القيظ. الغِسْلينُ: ما يسيل من جلود أهل النار، كالقيح وغيره.

قال: فأعطوهُ الطعام، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء القَراح(١)، ولما كان اليوم الثاني طحنت فاطمة من الشعير، وصنعت منه خمسة أقراص وصلى علي عليه السلام المغرب، وجاء إلى المنزل، فجاء يتيم فوقف على الباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت مُحمد يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدي أطعموني مما رزقكم الله أطعمكُم الله من موائد الجنة؟ فقال علي عليه السلام:

فاطمُ بنت السيد الكريم ... بنت نبي ليس بالذميم
قد جاءنا اللهُ بذا اليتيم ... قد حرم الخلد على اللئيم
يحملُ في الحشر إلى الجحيم ... شرابهُ الصديد والحميم(٢)
ومنْ يجودُ اليوم في النعيم ... شرابهُ الرّحيق والتسنيم(٣)

فقالت فاطمة عليها السلام:

إني أطعمهُ ولا أبالي ... وأوثرُ اللّهَ على عيالي
أمسوا جياعاً وهم أشبالي

فرفعوا الطعام وناولوه إياه. ثم أصبحوا وأمسوا في اليوم الثاني كذلك كما كانوا في الأول، فلما كان في اليوم الثالث طحنت فاطمة باقي الشعير ووضعتهُ فجاء علي عليه السلام بعد المغرب، فجاء أسير، فوقف على الباب وقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد أسير محتاج تأسرونا ولا تطعمونا أطعمونا من فضل ما رزقكُم الله فسمعهُ علي عليه السلام فقال:

فاطمُ يا بنتَ النّبي أحمد ... بنت نبي سيد مسودِ
مني على أسيرنا المقيد ... من يطعم اليوم يجده في الغدِ
عند العلى الماجد المُمجد ... منْ يزرعِ الخيرات سوف يحصدِ

فقالت فاطمة عليها السّلام:

لم يبقَ عندي اليوم غير صاعِ ... قد مجلت كفي مع الذراعِ
ابناي واللّهِ منَ الجياعِ ... أبوهما للخيرِ ذو اصطناعِ

ثم رفعوا الطعام وأعطوهُ للأسير، فلما كان اليوم الرابع دخل علي عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله يحملُ ابنيه كالفرخين، فلما رآهُما رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «وأين ابنتي؟» قال: في محرابها، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله،

(١) القَراحُ: الخالص من كل شيء. يقال: ماءٌ قَراحٌ.
(٢) الصّديدُ: الدم المختلط بالقيح في الجرح.
(٣) التّسنيمُ: ماءٌ في الجنة.

فدخل عليها، ولقد لصق بطنها بظهرها، وغارت عيناها من شدة الجوع فقال النبي صلى الله عليه وآله: «وا غوثاه بالله آل محمد يموتون جوعاً»، فهبط جبرائيل وهو يقرأ ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧] الآية فإن قيل: فقد أخرج هذا الحديث جدك في الموضوعات.

وقال: أخبرنا به ابن ناصر عن مُحمد بن أبي نصر الحميدي عن الحسن بن عبد الرَّحمان عن أبي القاسم السقطي، عن عثمان بن أحمد الدّقاق، عن عبد اللّه بن ثابت عن أبي الهذيل عن عبد اللّه السَّمرقندي، عن عبد اللّه بن كثير، عن الأصبغ بن نُباتة، قال: مرض الحسن والحسين، وذكره ثم، قال: «جدك قد نزه الله ذنيك الفصيحين عن هذا الشعر الركيك». ونزههما عن منع الطفلين عن أكل الطعام، وفي إسناده الأصبغ بن نباتة: متروك الحديث، والجواب أما قوله: قد نزَّهَ اللّهُ ذنيك الفصيحين عن هذا الشعر الركيك، فهذا على عادة العرب في الرجز والجنب كقول القائل: (والله لولا الله ما اهتدينا) ونحو ذلك وقد تمثل به النبي صلى الله عليه وآله وأما قوله عن الأصبغ بن نباتة فنحن ما رويناه عن الأصبغ ولا له ذكر في إسناد حديثنا، وإنما أخذوا على الأصبغ زيادة زادوها في الحديث، وهي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في آخره: «اللهم أنزل على آل محمد كما أنزلت على مريم بنت عمران»[1] فإذا (جفنة) تفور مملوءة ثريداً مكللة بالجواهر، وذكر ألفاظاً من هذا الجنس.

والعجب من قول جدي وإنكاره وقد قال في كتاب (المنتخب): يا علماء الشرع أعلمتم لم آثرا وتركا الطفلين عليهما أثر الجوع آثراهما خفي عنهما سر إبداء بمن تعول ما ذاك إلا لأنهما علما قوة صبر الطفلين وأنهما غصنان من شجرة أظل عند ربي وبعض من جملة فاطمة بضعة مني وفرخ البط سابح.

فصل

وقد اشتملت سورة (هل أتى) من فضائل أهل البيت على معاني، منها قوله: ﴿يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] لم ذكر الكافور وهو لا يشرب؟ فالجواب من وجوه أحدها: أنه أراد بياض الكافور في حسنه وطيب ريحه وبرده كقوله: حتى إذا جعله ناراً أي كنار. والثاني: إنَّ الكافور اسم لعين في الجنة، والثالث: إنه لما غلبت عليهم حرارة الخوف في الدنيا مزج لهم الكافور في الجنة، ومنها أنَّ الهاء في قوله: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨] تعود على الله تعالى

(١) أخرجه ابن عراق في (تنزيه الشريعة ١/ ٣٦٣)، والسيوطي في (اللآلئ المصنوعة ١/ ١٩٢).

وقيل: على حب الثواب؛ وقيل: على حب الطعام لفاقتهم إليه ومنها قوله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣] المراد بالزمهرير القمر قال الشاعر:

وليلةٍ ظلامها قد اعتكرْ   قطعتُها والزمهرير ما ظهرْ

ومنها قوله: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩] فإنْ قيل: فالمنظوم أحسن فالجواب أنَّ المراد به الانتشار في الخدمة لما تعبوا في الدنيا أقام الحق لهم خداماً في الآخرة. ومنها أنَّ الله تعالى ذكر في هذه السورة جميع ما يتعلق بنعيم الجنة ولذاتها كالأشجار والأنهار والولدان والطعام والقصور وجميع ما يتعلق بهذا الباب إلا الحور حتى عجب العلماء من شرح هذه الأجور واستطرفوا عدم ذكرهن في هذا النعيم المذكور فقيل لهم: ما ذاك إلا غيرة على زهراء الأنس من ذكر الضراير أو لأن الحور مملوكات والمملوكات لا يذكرن مع الحرائر.

وسمعتُ جدي ينشد في مجالس وعظه ببغداد في سنة ست وتسعين وخمسمائة بيتين ذكرهما في كتاب (تبصرة المُبتدي) وهما:

أهوى علياً وإيماني محبتهُ   كم مشركٍ دمهُ من سيفهِ وَكَفا

إنْ كنتَ ويحكِ لم تسمع فضائلهُ   فاسمعْ مناقبهُ من (هل أتى) وكفى

ذكر ندبها لرسول الله ﷺ وفصاحتها

روى السدي عن أشياخه قال: لما توفي رسول الله ﷺ قامت تندبهُ وتقول:

أبـي وا أبـتـاه   أجـابَ ربـاً دعـاه

جـنـة الـفـردوس مـأواه   مـن ربـهِ مـا أدنـاه

إلى جبرئيلِ نعاه

ولما قال ﷺ عند الموت: وا كرباه قالت: وا كرب أبتاه، وقال لها: «لا كرب على أبيك بعد اليوم»(١).

ولما دفن قالت يا أنس: كيف طابتْ قلوبُكم أن تحثوا التراب على رسول الله.

وقال الشعبي: لما منعت ميراثها لاثت خمارها على رأسها أي عصبت يقال: لاثَ العمامةَ على رأسِهِ يلوثها لوثاً ـ أي عصبها ـ وقيل: اللوث الاسترخاء؛ فعلى هذا يكون معنى لاثت ـ أي أرخت ـ وحمدت الله تعالى وأثنت عليه، ووصفت رسول

---

(١) أخرجه ابن ماجة في (السنن ١٦٢٩)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٢٦٣)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٧/ ٢١٢)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٨٨١٨، ١٨٨٢٠)، والشجري في (الأمالي ٢/ ٢٩٤)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٤/٤٤٨)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٦/ ٢٦٢)، والترمذي في (الشمائل ٢١١)، وأبو نعيم في (تاريخ أصبهان ٢/ ٢٢١).

الله ﷺ بأوصاف فكان مما قالت: كان كلما فغرت فاغرة من المشركين فاها أو نجم قرن من الشياطين وطئ صماخه بأخمصه، وأخمد لهيبه بسيفه وكسر قرنه بعزمته، حتى إذا اختار الله له دار أنبيائه، ومقر أصفيائه وأحبائه اطلعت الدنيا رأسها إليكم فوجدتكم لها مستجيبين، ولغرورها ملاحظين هذا والعهد قريب والمدى غير بعيد، والجرح لم يندمل فأنى تأفكون وكتاب الله بين أظهركم؛ يا ابن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبي، ودونكها مرحولة مذمومة، فنعم الحاكم الحق؛ والموعد القيامة ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧] ثم أومأت إلى قبر رسول الله ﷺ وقالت:

قَدْ كانَ بعدَكَ أنباءٌ وهنبثةٌ ... لو كُنْتَ شاهدها لم تكبرِ النوبُ

إنَّا فقدناكَ فَقْدُ الأرضِ وابلها ... واغتيلَ أهلكَ لمّا اغتالك التربُ

وقَدْ رزينا بما لم يرزهْ أحدٌ ... من البريةِ لا عجمٌ ولا عربُ

ثم إنها اعتزلت القوم ولم تزلْ تندبُ رسول الله ﷺ وتبكيه حتى لحقتْ به.

ذكر مرضها ووفاتها

قال علماء السير: لم تزلْ مريضةً مُنذُ توفي رسول الله ﷺ؛ وروي أنها لما أحستْ بالموتِ كتبتْ وصيةً وأشهدتْ عليها الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود وأوصت إلى علي عليه السلام ثم إلى أكبر ولده من بعده؛ وكان فيما أوصت به حوايط سبعة: الحسنى والصافية والدلال والعواف والبرمة والميتم ومال أم إبراهيم.

والأصح؛ أنها لم تخلف شيئاً بل خرجت من الدنيا كما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله.

واختلفوا في غسلها، فقال أحمد في (الفضائل: حدثنا محمد بن يونس، حدثنا مصعب بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن علي بن أبي رافع عن أبيه عن أم سلمة قالت: اشتكت فاطمة فمرضتها فأصبحت يوماً كمثل ما كانت فخرج علي عليه السلام فقالت: يا أمتاه اسكبي لي غسلاً ففعلت فقامت واغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل، ثم قالت: هاتي ثيابي الجدد فناولتها إياها فلبستها، ثم قالت: قدمي الفراش إلى وسط البيت فقدمته فاضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت نحرها وقالت: إني مقبوضة، وقد اغتسلت فلا يكشفني أحد وقبضت فجاء علي عليه السلام فأخبرته فبكى وقال: والله لا يكشفها أحد ثم حملها بغسلها ذلك وصلى عليها ودفنها وقال: لا تخبري الحسن والحسين قلت: لا.

فإن قيل الحديث ضعيف في إسناده ابن إسحاق، كذبه مالك وفيه أيضاً علي بن عاصم متروك، ثم الغسل إنما يكون لحدث الموت فكيف يصح قبله والجواب قد أخرجه أحمد في (الفضائل) وأما ابن إسحاق فقد قال أحمد يقبل قوله في (المغازي

والسير) وأثنى عليه جماعة من العلماء، وكان إماماً كبيراً وإنما طعن مالك لأنه صنف الموطأ[١] قال: أروني إياه فأنا بيطاره، فبلغ ذلك مالكاً فشق عليه وقال: ذاك دجّال من الدجاجلة، وقد أخذوا على مالك في هذا فإنه لا يقال: من الدجاجلة؛ بل من الدجالين.

وأما قولهم: الغسل لحدوث الموت؛ قلنا: يحتمل أن تكون مخصوصة بذلك.

وقد ذكر هذا الحديث ابن سعد في (الطبقات) عن يزيد عن إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق.

وروي أن الملائكة غسلتها، وروي أن أسماء بنت عميس غسلتها والأصح أن علياً عليه السلام غسلها وكانت أسماء تصب عليه.

فإن قيل: فعند أبي حنيفة لا يجوز للرجل أن يغسل زوجته؟ فالجواب أن علياً عليه السلام كان مخصوصاً بذلك، ولما أنكر عليه ابن مسعود وقال له: أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هي زوجتك في الدنيا والآخرة»[٢] فلم ينقطع السبب بينهما وصلى عليها علي عليه السلام وقيل العباس، ودفنها ليلاً بالبقيع ولما دفنها علي عليه السلام أنشد:

لكل اجتماعٍ من خليلينِ فرقةٌ ... وكلّ الذي دونَ الفراقِ قليلُ
وإنَّ افتقادي فاطماً بعد أحمدِ ... دليلٌ على أن لا يدوم خليلُ

وقال أيضاً:

ألا أيُها الموتُ الذي ليسَ تاركي ... أرحني فقدح أفنيتَ كلّ خليلِ
أراكَ بصيراً بالذين أُحبهم ... كأنك تنحو نحوهُم بدليلِ

ثم جاء إلى قبر رسول الله ﷺ وقال: السّلامُ عليك يا رسول الله وعلى ابنتكَ النازلة في جوارك السريعة اللحاق بك قلّ تصبري عنها وضعف تجلدي على فراقها، ألا إنَّ في التّأسي لي بعظيم فُرقتك وقادح مُصيبتك مقنع فإنا لله وإنا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة وأُخذَت الرهينة، أما حزني عليكما فسرمدٌ وأما ليلي فمسهد؛ إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم وينقلني من دار التكدير والتأثيم، وستخبرك ابنتك بما لقينا بعدك، فأحفها بالسؤال واستعلم منها الأمور والأحوال، هذا

(١) «الموطأ» في الحديث للإمام مالك بن أنس الحميري الأصبحي المدني إمام دار الهجرة المتوفى سنة ١٧٩. وهو كتاب قديم مبارك قصد فيه جمع الصحيح لكن إنما جمع الصحيح عنده لا على اصطلاح أهل الحديث لأنه يرى المراسيل والبلاغات صحيحة كذا في النكت الوفية، (كشف الظنون ٢/١٩٠٧).

(٢) أخرجه ابن حجر في (فتح الباري ٩/ ١٨٢).

ولم يطلْ العهد، ولم يمتد الزمان فعليكما مني السلام سلامٌ مودعٌ لا قال ولا سئم، فإن أنصرفْ فلا عن ملالة وإن أقمْ فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين وأعدَّ للمجرمين.

وقال أحمد في (الفضائل): حدثنا محمد بن يونُس، حدثنا حماد بن عيسى الجهني، حدثنا جَعْفر بن مُحمد عن أبيه، عن جابر بن عبد اللّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا الريحانتين عن قليل يذهب ركناك» فلما توفي رسول الله ﷺ قال علي: هذا أحد الركنين؛ فلما توفيت فاطمة قال: وهذا الركنُ الآخر.

وقد ذكرنا أنها دُفنت بالبقيع؛ وقيل: إنها دفنت في زاوية دار عَقِيْل وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع، قال عبد اللّه بن جعفر: ما أدركتُ أحداً يشكُّ أنَّ قبرها في ذلك الموضع، واختلفوا كم كان بين وفاتها ووفاة رسول الله ﷺ على أقوالٍ أحدها: ستة أشهر إلاّ عشرة أيام لأنها توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشر ورسول الله ﷺ توفي في ربيع الأول في الثاني عشر منه، في هذه السنة، والثاني في ثلاثة أشهر قاله عمر بن دِيْنار والثالث شهران وعشرة أيام قاله أبو الزُّبير، والرابع أربعون يوماً والأول أصح.

واختلفوا في مبلغ سنها على أقوال أحدها: ثمان وعشرون سنة وستة أشهر، والثاني: تسع وعشرون سنة والثالث: ثلاثون سنة.

قلتُ: ورأيتُ في كتاب مواليد أهل البيت عليهم السلام وعليه خط محمد بن الخَشَّاب، وقد رواه عن أبي منصور محمد بن عبد الملك بن حيزون عن الحسن بن عَرَفة عن الحسن بن دوما عن أحمد بن نصر بن عبد اللّه الذراع النَّهرواني، عن حرب بن محمد المؤدب عن الحسن بن محمد العمي البَصْري عن محمد بن سِنَان عن محمد بن مسكان عن أبي نصر، عن جعفر بن محمد الصادق قال: ولدتْ فاطمة بعد النبوة بخمس سنين أقامت مع أبيها ثمان سنين بمكة وأقامت بالمدينة عشر سنين، وأقامت مع علي عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله سبعين يوماً؛ وفي رواية أربعين يوماً، وتوفيت وهي بنت ثمان عشرة سنة.

قلت: هذه الرواية ليست بشيء لإجماع المؤرخين أنها ولدت قبل النبوة بخمس سنين وأقامت بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر أو ستة أشهر على ما ذكرناه، ويحتمل أنَّ الغلط من الناسخ أراد أنْ يكتب قبل النبوة، فكتب بعد النبوة، أو أراد أنْ يكتبَ ثمان وعشرين فكتب ثمان عشرة.

ذكر أولادها عليها السلام

كان لها من الولد: الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم؛ ولدت حسناً أولاً ثم حسيناً ثم زينب ثم أم كلثوم، فتزوج زينب عبد اللّه بن جعفر فولدت له عوناً

وعبد اللّه وماتت عنده، وأما أم كلثوم فخطبها عمر بن الخطاب في خلافته فامتنع علي عليه السلام من تزويجها منه؛ وقال: هي صغيرة وأني أرصدها لابن أخي جعفر فشق ذلك على عمر؛ فقال العباس زوجها منه فقد بلغني عنه كلام فزوجه إياها فقال عمر (رض): ما أردت إلا الجمع بين السبب والنسب عن رسول الله.

وذكر جدي في كتاب (المنتظم) أنّ علياً بعثها إلى عمر لينظرها وأنْ عمر كشف ساقها ولمسها بيده.

قلت: وهذا قبيح والله لو كانت أَمَة لما فعل بها هذا، ثم بإجماع المسلمين لا يجوز لمس الأجنبية فكيف ينسب عمر إلى هذا، والذي روى لنا أن علياً لما قال لعمر: إنها صغيرة قال: ابعث بها إليَّ فبعثها وبعث معها بثوبٍ وقال لها: قولي له أبي يقول لك أيصلح لك هذا الثوب؟ فلما جاءت إلى عمر صوب النظر إليها وقال: قولي له: نعم فلمّا عادت إلى علي قالت له: يا أبت لقد أرسلتني إلى شيخ سوء لقد صوب النظر فيَّ حتى كُدتُ أضربُ بالثوبِ أنفَهُ.

ثُمَّ ولدتْ أم كلثوم من عمرٍ زيداً فلمَّا قتل عمر تزوجها عون بن جعفر فلم تلد له وتوفي عنها فتزوجها بَعدَهُ أخوه محمد بن جعفر، ثم تزوجها بعده أخوه عبد اللّه بن جعفر فماتت عنده، وقد زاد ابن إسحاق في أولاد فاطمة من علي عليه السلام محسناً مات صغيراً، وزاد الليث بن سعد رقية ماتت صغيرة أيضاً.

الباب الثاني عشر

في ذكر الأئمة عليهم السلام

قال أحمد في (الفضائل): حدثنا أسود بن عامر، حدثنا إسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن علي بن ربيعة، قال: لقيتُ زيد بن أرقم فقلتُ له: هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «تركت فيكم الثقلين واحد منهما أكبر من الآخر»؟[1] قال: نعم سمعته يقول: «تركت فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي» ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ألا فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإن قيل: فقد قال جدك في كتاب (الواهية) أنبأنا عبد الوهاب الأنماطي عن محمد بن المظفر، عن محمد العتيقي عن يوسف بن الدخيل، عن جعفر العقيلي عن أحمد الحلواني عن عبد اللّه بن داهر، حدثنا عبد اللّه بن عبد القدوس، عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله بمعناه ثم قال: جدك ضعيف وابن عبد القدوس رافضي وابن داهر ليس بشيء.

قلت: الحديثُ الذي رويناه أخرجَهُ أحمد في (الفضائل): وليس في إسناده أحد ممن ضعفه جدي، وقد أخرجَهُ أبو داود في سننه والترمذي أيضاً وعامة المحدثين.

وذكره ابن رزين في (الجمع) بين الصحاح والعجب كيف خفي عن جدي ما روى مسلم في (صحيحه) من حديث زيد بن أرقم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله خطيباً بماء يقال: له (خم)، أو يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ، وذكر ثم قال: «أما بعد أيُها الناسُ فإنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب الله فيه النور والهدى فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به فحثّ على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»[2] قالها مرتين.

---

(١) أخرجه البخاري في (التاريخ الصغير ١/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (فضائل الصحابة ٣٦)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٤/ ٣٦٧)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٢/ ١٤٨)، ٧/ ٣٠)، وابن الجوزي في (زاد المسير ٦/ ٣٨٢)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٦١٣١)، والسيوطي في (جمع الجوامع ٤٣٤١)، وابن حجر في (فتح الباري ٧/ ٨٥).

فقال حصين بن سبرة لزيد بن أرقم ومن أهل بيته: يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ فقال: نعم نساؤه من أهل بيته ولكِنْ أهل بيتهِ من حرّم عليه الصدقة بعده.

وفي رواية: فقال زيد: لا وأيم الله إن المرأة قد تكون مع الرجل العصر أو الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، ولكِنْ أهلُ بيتهِ عصبتهُ الذين يحرم عليهم الصدقة فقال حصين: مَنْ هم؟ قال: آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس والثقلان الخطران العظيمان.

وقال أحمد في المسند: حدثنا عبد الرزاق بالإسناد المتقدم إلى علي عليه السلام بمعناه.

وقال أحمد في (الفضائل): حدثنا محمد بن يونس، حدثنا عبد اللّه بن عائشة، أنبأنا إسماعيل بن عمر عن عمر بن موسى عن زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام عن أبيهِ عن جدِه قال: شكوتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حسدَ الناس إيايّ فقال: «أما ترضى أن تكون رابعَ أربعةُ أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأمهما وذريتنا من خلفنا وشيعتنا من ورائنا»[(١)].

وفي رواية: «النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهلُ بيتي ذهب أهلُ الأرض»[(٢)].

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتاب (مرج البحرين): بإسناده إلى أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح عليه السلام من ركب فيها نجى ومن تخلف عنها غرق»[(٣)].

فصل

في ذكر علي بن الحسين

ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام

وهو أبو الأئمة وكنيتُه أبو الحسن ويُلقبُ بزين العابدين وسمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وآله سيد العابدين، لما نذكره في سير ولد محمد عليه السلام، والسجاد؛ وذي الثفنات والزكي والأمين، والثفنات (ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا

(١) أخرجه القرطبي في (التفسير ١٦/ ٢٢).

(٢) أخرجه الحاكم في (المستدرك ٢/ ٤٤٨)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ١٧)، وابن حجر في (المطالب العالية ٤٠٠٢، ٤٥٦٤)، والشجري في (الأمالي ١/ ١٥٥)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٣/ ٦٨)، وابن عراق في (تنزيه الشريعة ٢/ ٤٥٣)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ١٩٥).

(٣) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ١٢/ ٣٤).

استناخ وغلظ كالركبتين ونحوهما الواحدة ثفنة فكان طول السجود قد أثر في ثفناته) وأمهُ أم ولد اسمها غزالة، وقِيلَ: السلافة، وقِيلَ: أم سلمة، وقيل: شاه زنان خلف عليها بعد الحسين زُبيدة؛ وقِيلَ: زيد ذكر ناقصته مع عبد الملك بن مروان ومولد علي سنة ثمان وثلاثين من الهجرة؛ وقيل: سنة سبع وثلاثينَ وقيل: سنة ثلاث وثلاثين ذكره ابن عساكر، وعلي من الطبقةِ الثانيةِ مِنَ التابعين وحضر يوم الطفوف مع أبيه؛ وإنما لم يقتل لأنه كان مريضاً وكان عمره يومئذ ثلاثاً وعشرين سنة.

وقال ابن عباس: كان علي عليه السلام يخاف انقطاع النسل؛ فقال يوم صفين وقد رأى الحسن والحسين يتسارعان إلى القتال، وقيل: إنما رأى الحسين لا غير فقال: املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فإني أنفسُ به عن الموتِ لئلا ينقطع نسلُ رسول الله صلى الله عليه وآله.

وذكر ابن سعد في (الطبقات) وقال: كان علي بن الحسين ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً عابداً خايفاً. قال: كان ابن عباس إذا رآه قال: مرحباً بالحبيب ابن الحبيب.

قال ابن سعد: كان يخضب بالحناء والكتم؛ وقيل؛ بالسواد.

وذكر ابن حمدون في كتاب (التذكرة)[1] عن الزهري قال: حملَ عبدُ الملك بن مروان علي بن الحسين مقيداً من المدينة فأثقلَهُ حديداً، ووكّل به حفظة قال: فاستأذنتهم في وداعهِ فأذنوا فدخلتُ عليه والقيودُ في رجليه، والغل في يديه وهو في قبة، فبكيت وقلتُ: وددتُ أني مكانكَ، وأنت سالمٌ فقال: يا زهري أتظن أن ما ترى عليّ وفي عنقي يكرثني، أمّا لو شئت لما كان، وأنه ليذكرني عذاب الله ثم أخرج رجليه من القيد، ويديه مِن الغلّ، ثم قال: لأجزت معهم على ذا ميلين من المدينة قال: فما مضت إلاّ أربع ليال، وإذا قد قَدِمَ الموكلون الذين كانوا معه إلى المدينةِ يطلبونَهُ، فما وجدوه فسألتُ بعضهم فقالوا: إنّا نراه متبوعاً إنه لنازلٌ ونحن حولَهُ نرصده إذ طلعَ الفجرُ فَلَمْ نجدْهُ ووجدناه حديده.

قالَ الزهري: فقدمتُ بعدَ ذلكَ على عبدِ الملك فسألني عنهُ فأخبرتُه فقال: قد جاءني يومَ فقدَهُ الأعوانُ فدخلَ علي فقال: ما أنا وأنتَ فقلتُ أقم عندي قال: لا أُحبُ، ثم خرج فوالله لقد امتلأ قلبي منه خيفة.

وقال ابن أبي الدنيا بالإسناد المتقدم: حدثني محمد بن الحسين عن عبد الله بن محمد عن عبد الرحمان بن حفص القرشي قال: علي بن الحسين إذا توضأ اصفر لونه

(١) «تذكرة ابن حمدون» هو كافي الكفاة أبو المعالي محمد بن الحسن البغدادي الكاتب المتوفى سنة ٥٦٢. مجموعة لطيفة عظيمة من أحسن المجاميع جمع فيها التاريخ والأدب والأشعار والنوادر ولم يجمع من المتأخرين، (كشف الظنون ١/ ٣٨٣).

فيقال: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فقال: أتدرون بين يدي من أريد أن أقف.

وذَكعرَ ابن سعد في (الطبقات) قال: كان علي إذا مشى لا يخطر بيديه وإذا قامَ إلى الصلاة أخذتْه رعدة فيُقالُ له: ما لكَ؟ فيقول: ما تدرون لمن أريد أن أناجي.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن أبي معشر، حدثني أبو الفرج الأصبهاني قال: وقع حريقٌ في دار علي بن الحسين وهو ساجد فقالوا: النار النار يا ابن رسول الله، فما رفع رأسهُ حتى طفيت، فقيل له: ما الذي ألهاك عنها فقال: النارُ الأخرى.

وبه قال القرشي: جاء رجلٌ إلى علي بن الحسين فقال له: إن فلاناً يقعُ فيك فقال: قُمْ بنا إليه، فقام معه، وهو يظنُّ أنه ينتصر لنفسهِ، فلمّا وصلَ إليه قالَ له: يا فلان إنْ كان ما قلت فيَّ حقاً، فغفر الله لي، وإنْ كانَ باطلاً فغفرَ اللَّهُ لكَ.

وبه قال القرشي: حدثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني، عن أبي يعقوب المدني قال كان بين علي بن الحسين، وبين حسن بن حسن بعض الأمر، فجاء حسن بن حسن إلى علي بن الحسين، وهو جالسٌ في المسجدِ مَعَ أصحابهِ، فما ترك شيئاً إلا قاله له، وعلي ساكتُ وانصرف حسن، فجاء علي في الليل إلى بابه يعتذرُ إليه، فخرجَ إليه حسن فالتزمه وجعلا يبكيان حتى رحمهما من كان حاضراً، ثم قالَ حسن والله لأعدتُ في أمر تكرهه أبداً فقال علي: وأَنْتَ في حل مما قلت لي.

وذكر أبو نُعيم في (الحِلْية) فقال: أنبأنا أبو الحسين محمد بن عبد اللّه، حدثنا أبو بكر الأنباري، حدثنا أحمد بن الصّلت، حدثنا قاسم بن إبراهيم العلوي عن أبيه عن جَعْفر بن محمد عن أبيه علي بن الحسين أنه كان يقول: فقدُ الأحبة غربة.

قال مُحمد: وسمعتهُ يقول: اللهم إني أعوذُ بك أَنْ تحسن في لوامع العيون علانيتي ويقبح سريرتي، اللهم كما أسأت وأحسنت إليّ فإذا عدت فعد علي.

قال: وقال إنَّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وإنَّ قوماً عبدوهُ رغبة فتلك عبادة التجار، وإنَّ قوماً عبدوه شكراً، فتلك عبادة الأحرار.

قال محمد: وكان يسقي الماء لطهوره ولا يمكن أحداً أَنْ يعينهُ على طهوره فإذا أقام بالليل بدأ بالسواك[1] ثم توضى ويقضي ما فاته من ورده بالنهار في الليل وكان ورده في الليل والنهار ألف ركعة.

وأخبرنا عمر بن معمر الكاتب، أنبأنا عبد الرحمان بن مُحمد، حدثنا محمد بن علي الخياط، حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف العلاف، حدثنا عمر بن الحُصين القاضي، حدثنا محمد بن علي بن حمزة عن أبيه، عن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان يقول: عجبتُ للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس

(١) السِّواكُ: عود الأراك الذي تُنظّف به الأسنان بالدلك (ج) سُوُكٌ.

نطفة، وهو غداً جيفة، وعجبتُ لمن شك في الله وهو يرى عجائب مخلوقاته؛ وعجبتُ لمن يشك في النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجبتُ لمن عمل لدار الفناء، وترك دار البقاء.

قال: وكان إذا أتاهُ سائل يقول: مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة.

وقال أبو نُعيم في (الحلية): حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد اللّه بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبو معمر، حدثنا جرير عن شَيْبة بن نَعَامة قال: كان علي بن الحُسين ينحل، فلما مات وجدوهُ يعولُ مائة من أهل بيت بالمدينة، وفي رواية لا يدرون من يأتيهم بالرزق لأنهُ كان يبعثُ به إليهم في الليل، فلما مات علي فقدوهُ وفي رواية كان يحملُ جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول: صدقة السر تُطفئ غضب الرّب، وفي رواية كان أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا مُحمد بن الحُسين عن الحميدي، عن سُفيان الثوري قال: أراد علي بن الحسين الخروج إلى الحج، أو العمرة، فاتخذت له أخته سكينة بنت الحسين سفرة أنفقت عليها ألف درهم، وأرسلت بها إليه فلما كان بظهر الحرة أمر بها، ففرقت في الفقراء والمساكين.

وقال ابن سعد في (الطبقات): بعث المختار بن أبي عبيدة إلى علي بن الحسين بمائة ألف درهم فكره أنْ يقبلها وخاف، أنْ يردها فتركها في بيت، فلما قتل المختار كتب علي إلى عبد الملك يُخبره بها، فكتب إليه خذها طيبة هنيئة وكان علي يلعن المختار ويقول: كذب على الله وعلينا لأن المختار كان يزعمُ أنه يوحى إليه.

وقال ابن سعد: أنبأنا عبد العزيز بن الخطاب، أنبأنا موسى بن أبي حبيب الطائفي عن علي بن الحسين أنه قال: التاركُ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ لكتاب الله وراء ظهره إلا أنْ يتقي تقاة، فقيل له: وما يتقي تقاة؟ قال: يخاف جباراً عنيداً أنْ يفرط عليه أو أنْ يطغى.

وقال ابن سعد: كان علي يقول: أيها الناس أحبونا حُبّ الإسلام، فوالله ما برح بنا حبكُم حتى صار علينا عاراً. وفي رواية: حتى بغضتمونا إلى الناس.

وقال ابن سعد: دخل علي الكنيف فرأى ذباباً صغاراً يقع على الثياب وأراد أن يتخذ ثوباً للخلاء على حدة، ثم قال: كيف أصنع شيئاً لم يصنعهُ رسول الله صلى الله عليه وآله والناس بعده؟ فتركه قال: وقاسم الله ماله مرتين، وقال أيضاً: قال رجل كيف أصبحت؟ فقالَ أصبحنا في قومنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءنا ويلعنون سيدنا وشيخنا على المنابر ويمنعونا حقنا.

وقال ابن سعد أيضاً: كان هشام بن إسماعيل المخزومي والي المدينة وكان

يؤذي علي بن الحسين، ويشتم علياً على المنبر وينال منه، فلما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة عزلهُ وأمر به أنْ يوقفَ للناس.

قال هشام: والله ما أخاف إلا من علي بن الحُسين أنهُ رجل صالح يسمع قوله فأوصى علي بن الحسين أصحابه ومواليه وخاصته أنْ لا يتعرضوا لهشام، ثم مر علي في حاجته فما عرض له، فناداه هشام وهو واقف للناس الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وقال أحمد في المسند: حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا عبد اللّه يعني ابن سعيد ابن هند عن إسماعيل بن أبي الحكيم مولى آل الزبير عن سعيد بن مرجانة أنهُ قال: سمعتُ أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «منْ أعتقَ رقبة مؤمنة أعتقَ اللّهُ بكل أرب منها أرباً منهُ من النار حتى أنه يعتق اليد باليد والرجل بالرجل والفرج بالفرج».

فقال علي بن الحسين لسعيد بن مرجانة: أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ قال: نعم. فقال علي: ادع لي مطرفاً لغلام له لم يكن له مثله، فقال: أنت حر لوجه الله. أخرجاه في الصحيحين.

وكان عبد اللّه بن جعفر قد أعطى علياً في هذا الغلام عشرة آلاف درهم أو ألف دينار، ولفظ الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله وذكره.

قال ابن مرجانة: فانطلقت به إلى علي بن الحسين يعني بالحديث فعمد إلى عبد له قد أعطاه عبد اللّه بن جعفر فيه وذكره.

قلت: ولهذا الحديث استحب العلماء أنْ يعتقَ الذكرَ الذكر، والأنثى الأنثى.

وذكر أو نُعيم في (الحلية): وقال: كان علي يذهب إلى زيد بن أسلم فيجلس إليه، فقيل له: أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلى هذا العبد، فتجلس إليه، فقال: العلمُ يتبع حيث كان.

وقال أبو نعيم: حدثنا أحمد بن محمد بن سِنان عن مُحمد بن إسحاق الثَّقفي عن محمد بن زكريا، أنبأنا ابن عائشة عن أبيه قال: حج هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة فاجتهد أنْ يستلم الحجر فلم يمكنهُ من الزحام فجاءَ علي بن الحسين فوقفَ الناسُ له وتنحوا عن الحجر حتى استلمه، ولم يبقَ عند الحجر سواه، فقال هشام: مَنْ هذا؟ فقالوا: لا نعرفهُ! فقال الفرزدق الشاعر: لكني أعرفه ثم اندفع فقال:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتهُ ... والبيتُ يعرفهُ والحِلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلهُم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ
يكادُ يمسكهُ عرفان راحتهِ ... ركن الحطيم إذا ما جاءَ يستلمُ[1]

---

(١) الحَطيمُ: مكان في المسجد الحرام (جدار حِجْرِ الكعبة).

إذا رأتهُ قريش قال قائلها: إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ
إن عُدّ أهلُ التُّقى كانوا ذوي عددِ أو قيل: منْ خيرُ أهل الأرضِ؟ قيل: همُ
هذا ابنُ فاطمة إنْ كنتَ جاهلَه بجده أنبياء الله قد ختموا
وليسَ قولك هذا منْ بضائرهِ العربُ تعرفُ ما أنكرتَ والعجمُ
يغضي حياءً ويغضي من مهابتهِ فما يكلم إلا وهو يبتسمُ
ينمى إلى ذروةِ العزِّ التي قصرت عنْ نيلها عرب الإسلامِ والأممُ
من جدهِ دانَ فضلُ الأنبياء له وفضل أمته دانتْ له الأممُ
ينشقُ نور الهُدى عن صبحِ غرتهِ كالشَّمس ينجابُ عن إشراقها الظلمُ
مشتقةٌ من رسولِ الله نبعته طابتْ عناصرهُ والخيم والشيمُ
اللَّهُ شَرَّفهُ قدماً وفَضَّلهُ جرى بذاك له في لوحهِ القلمُ
كلتا يديه غياث عمَّ نفعهما يستوكفانِ ولا يعروهما العدمُ
سهلُ الخليقة لا يخشى بوادرهُ يزينهُ اثنتان الخلقُ والكظمُ
حمالُ أثقالِ أقوام إذا فدحوا رحب الفضاءِ أريب حينَ يعتزمُ
عمّ البرية بالإحسانِ فانقشعتْ عنها العماية والإملاقُ والظلمُ
من معشر حُبهم دينٌ وبغضهُم كفرٌ وقربُهم ملجاً ومُعتصمُ
لا يستطيعُ جواد بعد غايتهم ولا يُدانيهم قوم وإنْ كرموا
هم الغيوثُ إذا ما أزمة أزمت والأسدُ أسد الشر أو الرأي محتدمُ
لا ينقصُ العسر بسطاً من أكفهم سيان ذلك إنْ أثروا وإنْ عدموا
يستدفع السوء والبلوى بحبهم ويسترق به الإحسان والنعمُ
مقدمٌ بعد ذكرِ الله ذكرُهم في كل برّ ومختوم بهِ الكلمُ
يأبى لهم أنْ يحل الذم ساحتهُم خيم كريم وأيد بالنّدى هضمُ
منْ يعرف الله يعرفُ أوليّة ذا الدين من بيتِ هذا نالهُ الأممُ

هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فغضب هشام، وأمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة، فبعث إليه علي بألف دينار فردها، وقال: إنما قلتُ ما قلت: غضباً لله ورسوله فما آخذ عليه أجراً فقال علي: نحن أهلُ بيت لا يعودُ إلينا ما خرج منا، فقبلها الفرزدق وهجى هشاماً فقال:

أيحبُسني بين المدينةِ والتي إليها قلوبُ النّاس يهوى منيبها

يقلبُ رأساً لم يكنْ رأس سيد وعيناً له حولاء بادٍ عيوبُها

قلت: لم يذكر أبو نُعيم في (الحلية) إلا بعض هذه الأبيات الميمية والباقي أخذتُه من ديوان الفرزدق.

وقال أبو نُعيم: حدثنا محمد بن عبد اللّه الكاتب، حدثنا الحسن بن علي بن نصر الطوسي، حدثنا محمد بن عبد الكريم، حدثنا الهيثم بن عَدِيّ، عن صالح بن حسان قال: قال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيتُ أحداً أورع من فلان، قال: فهل رأيتَ علي بن الحسين؟ قال: لا، قال؛ ما رأيت أحداً أورع منه!

وحكى أبو نُعيم أيضاً عن الزهري قال: ما رأيتُ هاشمياً أفضل من علي بن الحسين، وكذا قال أبو حازم وقال: ما رأيتُ أفقهَ منه.

وحكى الزهري، عن عائشة (رض) قالت: رأيتُ علي بن الحسين ساجداً في الحجر، وهو يقول: عبدكَ بفنائكَ مسكينك بفنائك سائلك بفنائك، فما دعوت بها في كرب إلا وفَرَّج عني.

وقال الزهري: كانت الريح إذا هبت سقطَ علي مغشياً عليه من الخوف.

وقال أيضاً خرج يوماً من المسجد فتبعهُ رجل فسبهُ، فلحقته العبيد والموالي فهموا بالرجل، فقال: دعوهُ، ثم قال له: ما ستر اللّهُ عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه، وأعطاه ألف درهم فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو الحسين الشيباني، حدثنا رجل من ولد عَمار بن ياسر قال: كان عند علي بن الحسين قوم فاستعجل خادماً له، فأخرج شواء من التنور وأقبل الخادم عجلاً وبيده السفود[1] وبين يدي علي ولد صغير له، فسقط السفود على الصغير، فنش ومات فبهت الخادم فنظر إليه علي وقال: أنت لم تتعمد هذا؛ أنت حر لوجه الله تعالى، ثم أمر بموارات الولد.

وقال أبو نُعيم: حدثنا ابن كيسان، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا علي بن عبد اللّه، حدثنا عبد اللّه بن هارون عن أبيه عن حاتم بن أبي صغيرة عن عمر بن دِيْنار قال: دخل علي بن الحسين على مُحمد بن أُسامة بن زيد في مرضه يعوده فجعل محمد يبكي ويقلق، فقال له علي: ما شأنك؟ فقال: علي دين، قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار فقال: هو عليّ.

وقال ابن أبي الدنيا، حدثنا مُحمد بن عبد اللّه الزُّبيري عن أبي حمزة الثمالي قال: حدثني أبو جعفر مُحمد بن علي بن الحسين قال: قال لي أبي: يا بني لا

(١) السَّفُّودُ: حديدة دقيقة يُشكُّ فيها اللحم ليُشوى (ج) سفافيد.

تصحبن خمسة ولا توافقهم في طريق لا تصحبن فاسقاً فإنهُ يبعك بأكلة فما دونها، ولا بخيلاً فإنهُ يقطع بك عن ماله أحوج ما كنت إليه، ولا كذاباً فإنهُ بمنزلة السراب يُبعدُ منك القريب ويُقرّبُ منك البعيد؛ ولا أحمق فإنه يريد أنْ ينفعك فيضرك ولا قاطع رحم فإني وجدتُه ملعوناً في مواضع من كتاب الله، وبه قال الثمالي: حدثني إبراهيم بن محمد قال: سمعتُ علي بن الحسين يقول ليلة في مناجاته: (إلهنا وسيدنا ومولانا لو بكينا حتى تسقط أشفارنا وانتحبنا حتى تنقطع أصواتنا وقمنا حتى تيبس أقدامنا، وركعنا حتى تنخلع أوصالنا، وسجدنا حتى تتفقأ أحداقنا وأكلنا تراب الأرض طول أعمارنا، وذكرناك حتى تكل ألسنتنا ما استوخينا بذلك محو سيئة من سيئاتنا.

ذكر وفاته

اختلفوا في وفاته على أقوال أحدها: أنه توفي سنة أربع وتسعين، والثاني: سنة اثنين وتسعين، والثالث: سنة خمس وتسعين والأول أصح، لأنها تُسمى سنة الفُقهاء لكثرة من مات بها من العلماء، وكان سَيّد الفُقهاء مات في أولها، وتتابع الناس بعده.

سعيد بن المُسيب؛ وعروة بن الزُّبير، وسعيد بن جُبير، وعامة فقهاء المدينة أسند علي الحديث، عن أبيه وعمه الحسن، وابن عباس وجابر بن عبد اللّه، وأنس ابن مالك وأبي سعيد الخُدري، وأم سَلَمة، وصَفِيّة، وعائشة في آخرين، وعاش سبعاً وخمسين سنة، وقيل ثمان وخمسين وهو الأصح ودفن (بالبقيع).

ذكر أولاده

قال ابن سعد في (الطبقات): ولد له أولاد: الحسن درج؛ والحُسين الأكبر درج؛ ومُحمد الباقر، وهو أبو جعفر الفقيه، والنسل له وسنذكره، وعبد اللّه أمهم أم عبد اللّه بنت الحسن بن علي عليه السلام؛ وعمر، وزيد المقتول بالكوفة، وسنذكره وعلي؛ وخديجة أمهم أم ولد؛ وحسين الأصغر، وأم علي، وتُسمى علية وأمهم أم ولد، وكلثم وسُليمان، ومليكة لأم ولد أيضاً، والقاسم، وأم الحسين وأم البنين وفاطمة لأمهات أولاد شتى، وقيل وعبيد اللّه.

ذكر مقتل زيد

واختلفوا في سببِ خروجه، فذكرَ السدي عن أشياخه قال: قدم زيد بن علي، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وداود بن علي بن عبد اللّه بن عباس على خالد بن عبد اللّه بن القسري وهو والٍ على العراقِ فأكرمهم وأجازهم ورجعوا إلى المدينة فلما وليَ يوسف بن عمر العراق وعزل خالد القسري كتب هشام بن عبد الملك يخبره بقدومهم على خالد وأنه أحسن جوايزهم وابتاع من زيد بن علي

أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار، ثم ردَّ الأرض إليه فكتبَ هشام إلى واليه بالمدينة أنْ يسرحهم إليه، ففعل، فلما دخلوا عليه سألهم عن القصة فقالوا: أما الجواز فنعم وأما الأرض فلا، فأحلفهم فحلفوا له فصدقهم وردهم مكرمين.

وذكر هشام بن محمد بن يوسف بن عمر لما عذب خالداً أقر بذلك ثم أنكر فقيل له: لم فعلت هذا؟ قال: رجوت الفرج فيما بين ذلك.

وقال وَهبُ بن منبه وبعض أرباب السير: جرتْ بين زيد بن علي وبين عبد اللّه بن حسن بن حسن خشونة تسابا فيها وذكر أمهات الأولاد فقدم زيد على هشام بهذا السبب، فقال له هشام: بلغني أنّكَ تذكر الخلافة ولست هناك قال: ولِمَ قال لأنك ابن أمة فقال قد كان إسماعيل عليه السلام ابن أمة فضربه هشام ثمانين سوطاً وذكر ابن سعد عن الواقدي: أنَّ زيداً بن علي قدمَ على هشام فرفع إليه دين كثيراً وحوايج فلم يقض منها شيئاً، وأسمعه هشام كلاماً غليظاً قال: فخرج من عند هشام فأخذ بيده شاربه وفتله وقال: ما أحبَّ أحدٌ الحياة إلا ذُلَّ ثم مضى إلى الكوفةِ وبها يوسف بن عمر عامل لهشام.

قال الواقدي: وكان دينه خمسمائة ألف درهم، فلما قتل قال هشام: ليتنا قضيناها، وكان أهون مما صار إليه.

قال الواقدي: وبلغ هشام بن عبد الملك مقام زيد بالكوفة، فكتب إلى يوسف بن عمر أشخصَ زيداً إلى المدينة، فإني أخافُ أنْ يخرجه أهل الكوفةِ لأنّه حلو الكلام مع ما يدل به من قرابة رسول الله فبعث يوسف بن عمر إلى زيد يأمره بالخروج إلى المدينة وهو يتعلل عليه والشيعة تتردد إليه، فأقام زيد بالكوفة خمسة أشهر ويوسف بن عمر مقيم بالحيرة، فبعث إليه يقول: لا بدَّ من إشخاصكَ فخرجَ يريدُ المدينةَ وتبعته الشيعة يقولون: أين تذهب ومعك منا مائة ألف يضربون دونك ولم يزالوا به حتى رجع إلى الكوفةِ فبايعه جماعة منهم؛ سلمة بن كهيل ومنصور بن خزيمة في آخرين فقال له داود بن علي بن عبد اللّه بن عباس: يا بن عم لا يغرنك هؤلاء من نفسك ففي أهل بيتك لك أتم العبر وفي خذلانهم إياهم كفاية ولم يزل به حتى شخص إلى القادسية، فتبعه جماعة يقولون له: ارجع فأنت المهدي وداود يقول: لا تفعل فهؤلاء قتلوا أباك وإخوتك وفعلوا ما فعلوا فبايعه منهم خمسة عشر ألفاً على كتاب الله وسنة رسوله، وجهاد الظالمين ونصر المظلومين وإعطاء المحرومين ونصرة أهل البيت على عدوهم، فأقام مختفياً على هذا سبعة عشر شهراً والناس ينتابونه من القرى والأمصار، ثم أذن الناس بالخروج فتقاعد عنه جماعة ممن بايعه، وقالوا: إنَّ الإمام جعفر بن محمد بن علي فواعدَ مَنْ وافقه على الخروج في أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة، فخرجَ فوافى إليه مائتا رجل وعشرين رجلاً فقال: سبحان

الله أين القوم؟ فقالوا: في المسجد محصورون.

وجاء عمر بن يوسف في جموع أهل الشام فاقتتلوا فهزم زيد ومن معه فجاءه سهم في جبهته فوقع فأدخلوه بيتاً ونزعوا السهم من وجهه فمات وجاؤوا به إلى نهر فأسكروا الماء، وحفروا له ودفنوه وأجروا الماء عليه وتفرق الناس وتوارى ولده يحيى بن زيد، فلما سكنَ الطلب خرج في نفر من الزيدية إلى خراسان(١) وجاؤوا بأحد ممن حضر دفن زيد إلى يوسف بن عمر فدله على قبره فنبشه وقطع رأسه وبعثَ به إلى هشام فنصبه على بابِ دمشق ثم أعاده إلى المدينةِ فنصبه بها وصلب يوسف بن عمر بدنه بالكوفةِ حتى مات هشام بن عبد الملك، وقام الوليد فأمر به فأحرق؛ وقيل: إنَّ هشاماً أحرقه، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية نبش عبد الصمد بن علي، وقيل: عبد اللّه بن علي قبر هشام بن عبد الملك فوجده صحيحاً فضربه ثمانين سوطاً وحرقه بالنار كما حرق زيد، وقيل: إن يوسف بن عمر هو الذي أحرق زيداً ونسفه في الفرات والأول أصح؛ وكان سنه يوم قتل اثنتان وأربعون سنة.

وقال ابن سعد: زيد في الطبقة الثالثة من التابعين من أهل المدينة، وسمع الحديث من أبيه وجماعة، وأمه أم ولد.

وقال الواقدي: لقد شقَّ على هشام قتلُ زيد وما كانَ أحدٌ من الخلفاءِ أكره إليه الدماء من هشام بن عبد الملك.

وقد ذكرنا: أن مقتله سنة اثنتين وعشرين ومائة؛ والواقدي يقول: سنة إحدى وعشرين ومائة يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر؛ وقيل: خرج سنة إحدى وعشرين، وقيل: سنة اثنتين وعشرين ومائة.

ذكر خروج ولده يحيى بن زيد

قال هشام بن محمد: لما قتلَ زيد بن علي هربَ ولده يحيى بن زيد إلى هشام بدمشق فأقام بها حتى توفي هشام بن عبد الملك، وولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك فكتبَ يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار وكانَ والياً على خراسان بحديث يحيى بن زيد وأنَّه عند الجريش عمرو بن داود بن صالح، فابعث إليه فخذه منه فبعث نصر بن سيار فأخذه من الجريش بعد أنْ أنكرَ الجريشُ قصته فجلد نصر الجريش ستمائة سوط ثم إنَّ نصر بن سيار كتبَ إلى الوليدِ بخبره، فكتبَ إليه أنْ يطلقه وأصحابه ويؤمنه فدعاه نصر فأخبره الخبر وحذره الفتنة وأطلقه فخرج إلى سرخس ثم

(١) خُراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وتشتمل على أمهات من البلاد، (معجم البلدان ٢/ ٣٥٠).

الجوزجان واجتمع إليه جماعة مقدار سبعين رجلاً وقيل سبعمائة فخرج فبعث إليه نصر بن سيار عمر بن زرارة في عشرة آلاف فالتقوا فهزمهم يحيى بن زيد وقتل عمر بن زرارة ثم خرجَ سورة بن محمد الكندي في جمع إلى يحيى، فالتقوا فرماه مولى لعيسى بن سليمان الغزي بسهم في وجهه فوقع فجزوا رأسه وصلبوا جسده وكتبوا إلى الوليد بخبره فكتبَ إليهم؛ احرقوا عجل العراق وانسفوه في اليم نسفاً، فأنزلوا جسده وأحرقوه ثم ذروه في الماء والريح.

وقيل: إن نصر بن سيَّار بعثَ إلى يحيى بن سالم بن أخرز المازني، فحاربه فقتل يحيى في المعركة.

وقال الواقدي: أم يحيى ريطة بنت أبي هاشم بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ وكان لزيد بن علي، عيسى وحسين واسم حسين المكفوف، وكان لزيد أيضاً محمد وأمهم أم ولد، قتل يحيى بن زيد في سنة خمس وعشرين ومائة.

فصل

في ذكر محمد الباقر عليه السلام

هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأمه أم عبد اللّه بنت الحسن بن حسن بن علي عليه السلام، وإنما سمي الباقر من كثرة سجوده، بقر السجود جبهته؛ أي فتحها ووسعها، وقيل: لغزارة علمه.

قال الجوهري في (الصحاح)(١): التبقر التوسع في العلم. قال: وكان يقال لمحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الباقر لتبقره في العلم، ويسمى الشاكر والهادي.

وقال ابن سعد: محمد من الطبقة الثالثة من التابعين من المدينة، كان عالماً عابداً ثقة.

---

(١) صحاح اللغة (الصحاح في اللغة) للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي المتوفى سنة ٣٩٣. كان من فاراب أخذ عن خاله إبراهيم الفارابي وعن السيرافي والفارسي، ودخل بلاد ربيعة ومضر فأقام بها مدة في طلب علم اللغة ثم عاد إلى خراسان وأقام بنيسابور مدة فبرز في اللغة وتعلم الكتابة، وحسن الخط، ومات متردياً من سطح داره، وقيل: إنه تغير عقله وعمل له دفتين وشدهما كالجناحين وقال: أريد أن أطير ووقع من علو فهلك. قال السيوطي في مزهر اللغة: أول من التزم الصحيح مقتصراً عليه الإمام الجوهري ولهذا سمى كتابه الصحاح، وقال في خطبته: وقد أودعت في هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرف الله تعالى مراتبها، وجعل علم الدين والدنيا منوطاً بمعرفتها على ترتيب لم أسبق إليه، وتهذيب لم أغلب عليه بعد تحصيلها بالعراق رواية وإتقانها دراية، ومشافهتي بها العرب في ديارهم بالبادية، (كشف الظنون ١/ ١٠٧١).

روى عنه الأئمة: أبو حنيفة، وغيره.

قال أبو يوسف: قلتُ لأبي حنيفة: لقيتُ محمد بن علي الباقر فقال: نعم وسألته يوماً فقلتُ له: أأراد الله المعاصي؟ فقالَ: أفيعصى قهراً، قال أبو حنيفة: فما رأيت جواباً أفحم منه.

وقال عطاء: ما رأيتُ العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر لقد رأيت الحكم عنده كأنه مغلوب ويعني بالحكم الحكم بن عيينة وكان عالماً نبيلاً جليلاً في زمانه.

وذكر المدايني: عن جابر بن عبد اللّه أنه أتى أبا جعفر محمد بن علي إلى الكُتّابِ وهو صغير فقال له: رسول الله يسلم عليك فقيلَ لجابر: وكيف هذا؟ فقالَ: كنتُ جالساً عند رسول الله والحسين في حجره وهو يداعبه، فقال: «يا جابر يولد مولود اسمه علي إذا كانَ يومُ القيامةِ نادى منادٍ ليقم سيد العابدين فيقوم ولده ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر، فأقرئه مني السلام.

وروي: أن أبا جعفر دخلَ على جابر بعدما أضر فسلم عليه فقال: من أنت؟ فقال: محمد بن علي بن الحسين، فقالَ: ادنُ مني فدنا منه، فقبل يديه ورجليه، ثم قالَ له: رسول الله يسلم عليك وذكره.

توفي جابر بن عبد اللّه سنة ثمان وسبعين بالمدينة، وهو آخر من مات من أهل العقبة، فقد كانَ محمد الباقر في زمانه كبيراً لما نذكر في وفاته.

ذكر نبذة من كلامه

قال أبو نُعيم في (الحلية): حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا محمد بن علي بن سليمان، حدثنا محمد بن عباد، حدثنا عبد السلام بن حرب عن زياد بن خيثمة عن محمد بن علي أنه قالَ: الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن ولا تصيب الذاكر.

وقال أبو نُعيم: حدثنا عثمان بن العثماني، حدثنا أبو علي الروذباري قال: سمعت أبا العباس الشرقي يقول: سمعتُ بشر بن الحارث الحافي يقول: سمعت ابن داود يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: سمعت منصور يقول: سمعت محمد بن علي يقول الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل أوطناه.

وقال أبو نُعيم: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا أبو الربيع الرشديني، حدثنا عبد اللّه بن وهب عن إبراهيم بن نشيط عن عمر مولى غفرة عن محمد بن علي أنه قال: ما دخلَ قلبُ امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخل قل أو كثر.

وقال أبو نُعيم: حدثني أبي، حدثنا الحسن بن أحمد بن محمد بن أبان، حدثنا عبد اللّه بن محمد، حدثنا سلمة بن شبيب عن عبد اللّه بن عمر عن أبي الربيع، عن شريك عن جابر الجعفي قال: قال لي محمدُ بن علي: يا جابر إني لمخزون وإني لمشتغل القلب، قلتُ: وما سببُ ذلك فقالَ: يا جابر إنَّه من دخل قلبه صافي دين الله شغله عما سواه، يا جابر ما الدنيا وما عسى أنْ يكونَ هل هو إلا ثوب لبسته أو لقمة أكلتها أو مركب ركبته أو امرأة أصبتها، يا جابر إنَّ المؤمنينَ لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، ولم يصممهم عن ذكر الله ما سمعوا بأذانهم من الفتنة، ولم يعمهم من نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة، ففازوا بثواب الأبرار إنَّ أهلَ التقوى أيسرُ أهل الدنيا مؤنة، وأكثرهم لك معونة إنْ نسيتَ ذكروك وإن ذكرتَ أعانوكَ قوالين بحق الله قوامين بأمر الله، فأنزل الدنيا منزلة منزل نزلت به وارتحلتْ عنه أو كمالٍ أصبته في منامكَ فاستيقظت وليس معك منه شيء، واحفظ الله تعالى فيما استرعاك من دينه وحكمته.

وقال أبو نُعيم: حدثنا الحسن بن عبد اللّه بن سعيد، حدثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودي، حدثنا محمد بن زكريا، حدثنا قيس بن حفص، حدثنا حسن بن حسن قال: كانَ محمد بن علي يقول سلاح اللئام قبح الكلام.

وقال أبو نُعيم: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن أبي بكر بن عباس عن سعد الإسكاف عن محمد بن علي أنه قال: والله لموت عالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عابداً.

وأخبرنا غير واحد عن عبد الوهاب الحافظ، أخبرنا عبد المبارك بن عبد الجبار، أنبأنا علي بن أحمد الملطي عن أحمد بن محمد بن يوسف عن ابن صفوان عن أبي بكر القرشي، حدثني إبراهيم بن راشد، حدثنا بشر بن حجر الشامي، حدثنا مروان بن معاوية عن خالد بن أبي الهيثم، عن محمد بن علي أنه قال: ما اغرورقت عين بمائها إلا حرمَ اللّهُ وجه صاحبها على النارِ فإن سالت عن الخدين لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة يوم القيامة وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمعة فإنَّ اللّهَ يكفُر بها بحور الخطايا ولو أنَّ باكياً بكى في أمة لحرم الله تلك الأمة على النارِ.

وقد روي هذا المعنى مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال أبو نعيم: حدثنا أحمد بن محمد بن القاسم، حدثنا محمد بن دريد، حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال: قال محمد بن علي لابنه: يا بني إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح لكل شر إنكَ إن كسلت لم تؤد حقاً، وإن ضجرت لم تصبرْ على حقٍّ.

قال في (الحلية) وسُئل محمد عن حلية السيف فقال: يجوز قد حلت الصحابة سيوفهم.

وقال القرشي بالإسناد المذكور آنفاً: حدثني محمد بن الحسين، حدثني عبد الله ابن إسحاق عن العلاء بن ميمون عن أفلح مولى محمد بن علي قال: خرجتُ مع مولاي حاجاً فلما دخلَ المسجد نظر إلى البيتِ فبكى حتى علا صوته. فقلتُ: بأبي وأمي إنَّ الناسَ ينظرون إليكَ فلو رفعت بصوتك قليلاً فبكى وقال: ويحك لم لا أبكي لعل الله أن ينظر إليّ برحمةٍ منه فأفوز بها عنده، ثم طافَ بالبيت وركعَ عند المقام ورفعَ رأسه من سجودِه فإذا موضعه مبتل من دموعِهِ قال: وكانَ إذا ضحك يقول: اللهم لا تمقتني.

وقال أبو نُعيم: حدثنا أبي أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن محمد القرشي، حدثنا أحمد بن يحيى قال: قال محمد بن علي كان لي أخ في عيني عظيم والذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه.

وقال القرشي: فَقَدَ محمد بن علي بغلةً له فقال: اللهم لئن رددتها عليَّ لأحمدنَّكَ بمحامدِ ترضاها.

قال ولده جعفر: فوجدها. فقالَ: الحمد لله لم يزد عليها فقلتُ له: في ذلك فقال: وهل أبقيتُ شيئاً جعلت الحمد كله لله تعالى.

وذكر أبو نُعيم عن أبي حمزة قال: قال محمد بن علي ما من عبادة عند الله تعالى أفضلُ من عفةِ بطنٍ أو فرجٍ وما من شيء أحبُّ إلى اللهِ تعالى من أن يسألَ وما يدفع القضاء إلا الدعاء وإن أسرعَ الخير ثواباً البر والعدل، وأسرع الشر عقوبة البغي وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه أن يأمرهم بما لا يستطيع التحول عنه وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه.

وقال أبو حمزة: قال لنا عبد الله بن الوليد قالَ لنا محمد بن علي: يدخلُ أحدكم يده كمّ صاحبِهِ فيأخذُ منه ما يريد قلنا: لا فقال: اذهبوا فلستم إخواناً كما تزعمون.

قال: وكانَ يحضرُ إخوانهِ فيطعمهم أطيب الطعام ويكسوهم أحسن الكسوةِ ويهبُ لهم الدراهم الكثيرة ويجيزُ بالخمسمائة إلى الألف ولاَ يملُ مِنْ مجالسةِ الأخوانِ وكانَ يقولُ بئسَ الأخِ أخٌ يرعاكَ غنياً ويقطعكَ فقيراً.

وقال القرشي: حدثنا محمد بن الحسين عن سعيد بن سليمان، عن إسحاق بن كثير، عن عبيد الله بن الوليد قال: قال محمد بن علي: من عبد المعنى دون الاسم فإنه يخبر عن غايب، ومن عبد الاسم دون المعنى فإنه يعبد المسمى، ومن عبد الاسم والمعنى فإنه يعبد إلهين، ومن عبد المعنى بتقريب الاسم إلى حقيقة المعرفة فهو موحد.

ذكر وفاته

اختلفوا فيها على ثلاثة أقوالٍ، أحدها: أنه توفي سنة سبع عشرة ومائة ذكره

الواقدي والثاني: سنة أربع عشرة ومائة قاله الفضل بن دكين، والثالث: سنة ثمان عشرة ومائة، واختلفوا في سنه أيضاً على ثلاثة أقوال، أحدها: ثمان وخمسون، والثاني: سبع وخمسون؛ والثالث: ثلاث وسبعون والأول أشهر، لما روينا في سن أمير المؤمنين علي عليه السلام فإنَّ محمداً هذا روى أن علياً قتل وهو ابن ثمان وخمسين قال: ومات لها الحسن وقتل لها الحسين، ومات لها علي بن الحسين.

قال جعفر بن محمد هذا: وسمعت أبي يقول لعمته فاطمة بنت الحسين أم عبد اللّه بن حسن: قد أتت على ثمان وخمسين فتوفي لها وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يتعبد فيه ودفن بالبقيع عند أبيه.

أسند محمد الحديث عن جماعة من الصحابة: جابر بن عبد اللّه وأبي سعيد وابن عباس وأنس وأبي هريرة والحسن والحسين؛ وروى عن خلق من التابعين منهم سعيد بن المسيب والأئمة.

من العجائب ثلاثة أنفس كانوا في زمن واحد وهم علماء أشراف بنو أعمام كل واحد منهم اسمه علي وله ابن اسمه محمد فعلي بن الحسين زين العابدين ولده محمد هذا المذكور وعلي بن عبد اللّه بن عباس ولده محمد أبو الخلفاء؛ وعلي بن عبد اللّه بن جعفر ولده محمد.

ذكر أولاد محمد الباقر

كان له جعفر وعبد اللّه أمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وإبراهيم وأمه أم حكيم بنت أسد بن المغيرة بن الأخنس بن شريق وعلي، وزينب وأمهما أم ولد وأم سلمة لأم ولد أيضاً والنسل لجعفر.

فصل

في ذكر ولده جعفر

وهو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وكنيته: أبو عبد اللّه، وقيل: أبو إسماعيل، ويلقب: بالصادق؛ والصابر والفاضل؛ والطاهر. وأشهر ألقابه الصادق، وقد ذكرنا أن أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.

قال علماء السير: كان قد اشتغل بالعبادة عن طلب الرياسة.

وذكر أبو نُعيم في (الحلية) فقال: حدثنا علي بن محمد بن محمود، حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، حدثني جعفر بن محمد بن هشام، حدثنا محمد بن حفص بن راشد عن أبيه عن عمرو بن المقدام قال: كنتُ إذا نظرتُ إلى جعفر بن

محمد علمتُ أنه من سلالة النبيين.

وذكر أبو نُعيم أيضاً عن سفيان الثوري قال: قال جعفر بن محمد: يا سفيان إذا أنعم الله عليكَ بنعمةٍ فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد لله والشكر لله عليها فإن الله تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفارِ فإنَّ الله يقول: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ [هود: ٥٢] الآية ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٢] يا سفيان إذا أحزنكَ أمر من سلطان أو غيره فأكثر من قول: لا حولَ ولا قوة إلا باللهِ العلي العظيم فإنها مفتاحُ الفرجِ وكنزٌ من كنوزِ الجنةِ.

وقد روى هذا المعنى مرفوعاً، أنبأنا أبو اليمن اللغوي، أنبأنا الفرار، أنبأنا الخطيب، أنبأنا أبو بكر الرماني، أنبأنا أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي عن محمد بن أبي القاسم السمناني عن الخليلي بن محمد الثقفي، عن عيسى بن جعفر القاضي عن أبي حازم المدني قال: كنتُ عند جعفر بن محمد فجاء سفيان الثوري فقال له جعفر: أنتَ رجل يطلبك السلطان وأنا أتق السلطان فقالَ سفيان: حدثني حتى أقوم فقال: حدثني أبي عن جدي عن أبيه علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أنعم الله عليه بنعمة فليحمد الله ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ومن حزنه أمر فليقل لا حول وقوة إلا بالله العلي العظيم».

وفي (الحلية) بإسناده إلى الهياج بن بسطام قال: كانَ جعفرُ يطعمُ حتى لا يبقى لعياله شيء.

قال: وسئل عن العلة في تحريم الربا فقال: لئلا يتمانع الناس المعروف.

وقال في (الحلية) أيضاً: أوصى جعفر بعض ولده فقال: يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي، فإنكَ إن حفظتها عشت سعيداً ومت شهيداً أو حميداً، يا بني إنه من قنع بما قسم له استغنى، ومن مد عينيه إلى مالِ غيرهِ ماتَ فقيراً، ومن لم يرضَ بما قسمَ اللّهُ له اتهمَ الله في قضائه ومن استصغر زلة نفسهِ استعظم زلةَ غيره، ومن استصغر زلة غيرهِ استعظم زلةَ نفسه، ومن كشفَ حجاب عورة غيره انكشفتْ عورات بيته، ومن سلَّ سيفَ البغي قتلَ به، ومن احتفر لأخيه المؤمن قليباً أوقعه الله فيه قريباً، ومن داخلَ السفهاءَ حقر ومن خالط العلماء وقر، ومَنْ دخلَ مداخلَ السوءِ اتهم؛ يا بني قلْ الحقّ وإن كانَ مراً لكَ وعليكَ، وإياكَ والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوبِ الرجالِ، وإذا طلبتَ الجودَ فعليكَ بمعادنه.

وذكر أبو نُعيم في (الحلية) أيضاً قال: وقعَ الذبابُ على وجهِ أبي جعفر المنصور وكانَ جعفر حاضراً عنده، فلم يزل يقع عليه حتى ضجر، فقال له المنصور: يا أبا عبد اللّه لم خلق الله الذبابَ؟ فقال جعفر: ليذل به الجبابرة فوجم لها أبو جعفر.

وقال سفيان الثوري بالإسناد المتقدم قال جعفر: من لم يغضبْ من الجفوةِ لم يشكر النعمة.

قال: وكانَ يترددُ إليه رجلٌ من السوادِ فانقطعَ عنه فسألَ عنه فقالَ بعضُ القوم: إنَّه نبطي يريدُ أَنْ يضعَ منه، فقالَ جعفر: أصل الرجل عقله وحسبه دينه وكرمه تقواه والناس في آدم مستوون.

وبه قال الثوري، سمعت جعفر يقول: عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها، فإنْ تكنْ في شيء فيوشك أنْ تكونَ في الخمولِ فإن لم يوجدْ الخمولُ ففي التخلي وليسَ كالخمولِ وإن لم يوجدْ في التخلي ففي الصمتِ، والسعيد من وجد في نفسهِ خلوة يشتغل بها.

وأخبرنا غير واحد عن عبد الوهاب بن المبارك، أنبأنا أبو الحسين بن عبد الجبار، أنبأنا علي بن عمر القزويني، أنبأنا أحمد بن إبراهيم بن ماذان، أنبأنا القاسم بن داود الكاتب، أنبأنا أبو بكر القرشي، حدثنا عيسى بن أبي حرب والمغيرة ابن محمد قالا: حدثنا عبد الأعلى بن حماد بن الحسين بن فضل بن الربيع قال: حدثني عبد اللّٰه بن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: حجَّ أبو جعفر أربع وأربعين ومائة فقدمَ المدينةَ فقال لي: ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتيني به متعنتاً قتلني الله إن لم أقتله، قال فتغافل عنه الربيع لينساه، فأعاد عليه القول ثانياً فتغافل عنه، فأعاد عليه ثالثاً وأغلظ له في الكلام فأرسل إلى جعفر، فجاءَ قال الربيع: فقلت له: يا أبا عبد اللّٰه اذكر الله فقد أرسل إليكَ لأمرٍ عظيم وما أظنكَ بناج فقال جعفر: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم دخل على أبي جعفر فسلم فلم يرد السلام وقال: أي عدو الله اتخذكَ أهلُ العراقِ إماماً يجيئون إليك بزكاة أموالهم، وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوايل، قتلني الله إن لم أقتلك؟

فقال: يا أمير المؤمنين: إنَّ سليمان عليه السلام أعطى فشكرَ، وإن أيوبَ ابتلى فصبرَ وإنَّ يوسفَ ظُلِمَ فغفرَ، وأنتَ من ذلكِ السنخ[1] فأطرق أبو جعفر ملياً ثم رفعَ رأسه وقال: إليَّ إليَّ وعندي يا أبا عبد اللّٰه البري الساحة السليم الناحية القليل الغايلة[2]، جزاك الله من ذي رحم خيراً أو أفضل ما جازى به ذوي الأرحام عن أرحامها، ثم تناول يده فأجلسه معه على السدة[3] وغلفه بالغالية[4] حتى ظلت لحيته تقطر، ثم أجلسه معه على فراشه وأدناه إليه، ثم قال في حفظ الله وكلاءته[5]: يا ربيع

(١) السِّنْخ: من كل شيء: أصلُه (ج) أسناخ وسنوخ.

(٢) الغائلة: الحقد الباطن أو الشرُّ يقال: فلانٌ قليل الغائلة، أي: الشر (ج) غوائل.

(٣) السُّدَّة: باب الدار. و ـ: السرير والرتبة والمنصب.

(٤) الغالية: أخلاطٌ من الطِّيب كالمسك والعنبر (ج) غوالٍ.

(٥) كلأ الله فلاناً: حفظه، وحماه. فالله كالئ. وهو مكلوء.

الحق أبا عبد اللّه جائزته وكسوته انصرف أبا عبد اللّه في حفظ الله وكنفه فانصرف، قال الربيع: فلحقته وقلتُ له: رأيتُ عجباً قبل مجيئكَ وبعده أعجب منه، فأخبرني بما قلتَ حين دخلتَ إليه، فقالَ: دعوتُ الله بدعواتِ علمني إياها أبي عن جدي عن أبيه؛ قلت: وما هي؟ قال: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام وكنفني بكنفك الذي لا يرام أو يضام، واغفر لي بقدرتك عليَّ ولا أهلك وأنتَ رجائي، اللهم إنكَ أكبرُ وأجلُ ممن أخافَ وأحذرَ، اللهم بكَ أدفع في نحره وأستعيذ بك من شره.

وأخبرنا عبد الوهاب بن علي الصوفي: أنبأنا سعد اللّه ومحمد بن عبد الباقي قالا: أنبأنا أحمد بن علي الطرنيثي، أنبأنا هبة اللّه بن حسن الطبري، أنبأنا علي بن محمد بن عيسى بن موسى، أنبأنا علي بن محمد بن أحمد المصري، حدثنا محمد بن عمرو بن خالد، أنبأنا عياض بن أبي طيبة، حدثنا ابن وهب قال: سمعت الليث بن سعد يقول: حججتُ سنة ثلاث عشرة ومائة فلما صليتُ العصرَ في المسجد رقيتُ أبا قبيس فإذا رجل جالس يدعو فيقول: يا رب يا رب يا رب حتى انقطع نفسه، ثم قالَ: رب رب رب حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا حي يا حي يا حي حتى انقطع نفسه ثم قال: يا رحيم حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا أرحم الراحمين حتى انقطع نفسه ثم قال: إلهي إني أشتهي العنب فأطعمنيه اللهم إنَّ بردي قد أخلق فألبسني.

قال الليث: فوالله ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنباً وليس على الأرض يومئذ عنب، وإذا ببردين موضوعين لم أرَ مثلهما في الدنيا، فأراد أن يأكلَ فقلتُ: أنا شريكك فقال: ولم قلتَ لأنك دعوتَ وكنتَ أو من فقال: تقدم فكلْ فتقدمتُ فأكلتُ عنباً لم آكل مثله قط - ما كان له عجم - فأكلنا حتى شبعنا ولم تتغير السلة، فقال: لا تذخر ولا تخبأ منه شيئاً ثم أخذ أحد البردين ودفع إليَّ الآخر فقلتُ أنا في غنى عنه فأتزر بأحدهما وارتدي بالآخر، ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه ونزل وهما في يده، فلقيه رجل بالمسعى فقال: اكسني يا بن رسولِ اللّهِ كساكَ اللّهُ فإنني عريان، فدفعهما إليه فقلتُ للذي أعطاه البردين: مَنْ هذا؟ فقالَ: جعفر بن محمد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب قال الليث: فطلبته بعد ذلك لأسمع منه شيئاً فلم أقدر عليه.

ومن مكارم أخلاقه: ما ذكره الزمخشري في كتاب (ربيع الأبرار) عن الشقراني مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: خرج العطا أيام المنصور وما لي شفيع فوقفتُ على الباب متحيراً، وإذا بجعفر بن محمد قد أقبلَ فذكرتُ له حاجتي فدخلَ وخرجَ وإذا بعطائي في كمه، فناولني إياه وقال: إن الحسنَ من كل أحد حسن وإنه منك أحسن لمكانك منا، وإن القبيح من كل أحدٍ قبيح وإنه منك أقبح لمكانك منا، وإنما قال له جعفر ذلك لأنَّ الشقراني كانَ يشربُ الشرابَ.

فمن مكارم أخلاق جعفر: أنّه رحبَ به وقضى حاجته مع علمه بحاله ووعظه على وجه التعريض وهذا من أخلاق الأنبياء.

وقال الثوري بالإسناد المتقدم، قلت لجعفر: يا بن رسول الله اعتزلتَ الناسَ فقال: يا سفيان فسدَ الزمان وتغيرَ الإخوان فرأيتُ الانفراد أسكن للفؤاد ثم قال:

ذهبَ الوفاءُ ذهاب أمس الذاهب فالناس بين مخاتل وموارِبِ
يفشونَ بينهم المودة والصفا وقلوبهم محشوة بعقاربِ

وقال الواقدي: جعفر من الطبقة الخامسة من التابعين من أهل المدينة.

ذكر وفاته

قال الواقدي: توفي في خلافة أبي جعفر المنصور بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وعلى قبورهم رخامة مكتوب عليها (بسم الرحمان الرحيم الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم) هذا قبر فاطمة بنت رسول الله سيدة نساء العالمين، وقبر علي بن الحسين؛ ومحمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام.

واختلفوا في مبلغ سنه على أقوال، أحدها؛ خمس وستون، والثاني: خمس وخمسون.

وقال الواقدي: إحدى وسبعون، أسند جعفر الحديث عن أبيه محمد ولقي جماعة من التابعين منهم عطاء بن أبي رياح وعكرمة في آخرين، وروى عنه الأئمة سُفيان الثوري، ومالك؛ وشعبة، وأبو أيوب السجستاني؛ وغيرهم، وقيل إنّه ماتَ مسموماً.

ذكر أولاده

موسى الكاظم وله النسل، ومحمد ويعرف بالديباج لحسنه؛ وإسحاق وهو أخ الديباج لأمه وأبيه، وعلي ظهر بمكة في أيام المأمون سنة ثلاث ومائتين وظفر به المأمون وعفى عنه، وحمله إلى خراسان، فأقام عنده حتى مات سنة ثلاث ومائتين وقيل: سنة أربع ومائتين، وحمل المأمون سريره على عاتقه مسافة كثيرة إلى قبره فتعب فقيل له: يا أمير المؤمنين لو صليتَ عليه ورجعتَ فإنكَ قد تعبت فقال: هذه رحم قطعت منذ مائتي سنة ووصلناها اليوم ثم صلى عليه ودفنه.

وقال الواقدي: كان قد بايعه أهل الحجاز وتهامة واستفحل أمره فحج المعتصم في هذه السنة فأخذه وبعث به إلى المأمون، فأحسن إليه وكان متعبداً يصوم يوماً ويفطر يوماً وما خرج قط في ثوب فعاد وهو عليه.

قال هشام: فلما خرجوا بجنازته كان المأمون راكباً فلما رآه ترجل عن دابته ودخل بين العمودين فحمله.

ومن أولاد جعفر إسماعيل، وهو الذي ينسب إليه الإسماعيلية وكان أعرج ومحمد هذا أعبد أهل زمانه وهو جدهم الأعلى الذي إليه ينتهي نسبهم وعلي، وعبد اللّه، وإسحاق وأم فروة.

وقد رتب محمد بن سعد في (الطبقات) أولاد جعفر من غير هذا الترتيب فقال: كان له من الولد إسماعيل الأعرج، وعبد اللّه وأم فروة وأمهم فاطمة بنت الحسين الأثرم بن حسن بن علي بن أبي طالب، وموسى حبسه هارون ببغداد عند السندي مولى هارون، فمات في حبسه، وإسحاق، وعلي، ومحمد، وفاطمة تزوجها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد اللّه بن عباس، وأمها أم ولد ويحيى، والعباس وفاطمة الصغرى لأمهات أولاد شتى، والنسل لموسى الكاظم.

قال الواقدي: وكان لجعفر بن محمد مولى يقال له: معتب يبعثه إلى مالك بن أنس يسأله عن مسائل فلما حج المنصور بلغه خبر معتب فضربه ألف سوط حتى مات.

قال: ولما خرج محمد بن عبد اللّه بن حسن بن حسن بالمدينة هربَ جعفر بن محمد إلى ما له بالفرع، فأقام معتزلاً للقوم حتى قتل محمد وعاد إلى المدينة فتوفي بها في التاريخ الذي ذكرناه.

فصل

في ذكر ولده موسى

ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ ويلقب (بالكاظم) والمأمون، والطيب والسيد، وكنيته أبو الحسن ويُدعى بالعبد الصالح لعبادته واجتهاده وقيامه بالليل؛ وأمه أم ولد أندلسية؛ وقيل: بربرية اسمها حميدة.

وكان موسى جواداً حليماً وإنما سمي الكاظم لأنه كان إذا بلغه عن أحد شيء بعث إليه بمال، ومولده بالمدينة سنة ثمان وعشرين ومائة؛ وقيل: سنة تسع وعشرين ومائة، وهو من الطبقة السابعة من أهل المدينة من التابعين.

أخبرنا أبو محمد البزاز، أنبأنا أبو الفضل بن ناصر، أنبأنا محمد بن عبد الملك والمبارك بن عبد الجبار الصيرفي قالا: أنبأنا عبد اللّه بن أحمد بن عثمان، أنبأنا محمد بن عبد الرحمان الشيباني أنَّ علي بن محمد بن الزبير البجلي حدثهم قال: حدثنا هشام بن حاتم الأصم عن أبيه قال: حدثني شقيق البلخي قال: خرجتُ حاجاً في سنة تسع وأربعين ومائة فنزلتُ القادسية وإذا بشاب حسن الوجه شديد السمرة عليه ثوب صوف مشتمل بشملة في رجليه نعلان وقد جلس منفرداً عن الناس، فقلت في

نفسي: هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس والله لأمضين إليه ولأوبخنه فدنوت منه فلما رآني مقبلاً قال: يا شقيق ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢] الآية فقلتُ في نفسي: هذا عبد صالح قد نطق على ما في خاطري لألحقنه ولأسألنه أن يحالني فغاب عن عيني فلما نزلنا واقصة إذا به يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تتحادر فقلتُ: أمضي إليه وأعتذر فأوجز في صلاته وقال: يا شقيق ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] فقلتُ هذا من الأبدال قد تكلم على سري مرتين فلما نزلنا زبالاً إذا به قائم على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقي الماء، فسقطت الركوة في البئر فرفع طرفه إلى السماء وقال:

أنت ربي إذا ظمئت إلى الماء   وقوتي إذا أردت الطعام

يا سيدي ما لي سواها

قال: فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فأخذ الركوة وملأها وتوضأ وصلى أربع ركعات ثم مالَ إلى كثيب رمل هناك، فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويشربُ فقلتُ: أطعمني من فضل ما رزقك الله وما أنعم الله عليك؛ فقال: يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنك بربك، ثم ناولني الركوة فشربتُ منها فإذا سويق وسكر، ما شربت والله ألذ منه ولا أطيب ريحاً فشبعتُ ورويتُ وأقمتُ أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً، ثم لم أره حتى دخلت مكة فرأيته ليلة إلى جانب قبة الشراب نصف الليل يصلي بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهبَ الليلُ فلما طلعَ الفجرُ جلس في مصلاه يسبح ثم قامَ إلى صلاةِ الفجرِ وطافَ بالبيتِ أسبوعاً، وخرج فتبعته وإذا له غاشية وأموال وغلمان وهو على خلاف ما رأيته في الطريق ودار به الناس يسلمون عليه ويتبركون به فقلت لبعضهم من هذا؟ فقال: موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقلتُ: قد عجبت أنْ تكونَ هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد.

قال أهل السير: كانَ مقامُ موسى بالمدينة، لأنه ولد بها فأقدمه محمد المهدي بغداد فحبسه بها، ثم ردَّهُ إلى المدينةِ لمنام رآه.

ذكره الخطيب في تاريخ بغداد عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى المهدي علياً عليه السلام في المنام فقال له: يا محمد ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢] الآية قال الربيع: فأرسل إلى المهدي ليلاً فراعني ذلك، فجئته فإذا هو يقرأ الآية وكانَ مِنْ أحسنِ الناسِ صوتاً فقال: عليَّ بموسى بن جعفر قال: فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جنبه، وقالَ: يا أبا الحسن رأيتُ الساعةَ أميرَ المؤمنين وهو يقرأ عليَّ هذه الآية أفتؤمنني أن لا تخرج عليَّ ولا على أحدٍ من ولدي بعدي فقال: والله لا فعلتُ ذلك

أبداً ولا هو من شيمتي فقال صدقت؛ ثم قالَ يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله.

قال الربيع: فأحكمت أمره ليلاً فما أصبحَ إلا وهو على الطريقِ مخافة العوايق.

وقال المدايني: أقام موسى بالمدينة حتى توفي المهدي والهادي وحج هارون الرشيد فاجتمع بموسى بن جعفر عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال هارون للنبي صلى الله عليه وآله: السلام عليك يا بن العم افتخاراً على من حوله فدنا موسى من القبر وقال: السلام عليك يا أبت فتغير وجه هارون ثم قال: والله يا أبا الحسن هذا هو الفخر والشرف حقاً ثم حمله معه إلى بغداد فحبسه بها سنة سبع وسبعين ومائة فأقام في حبسه إلى سنة ثمان وثمانين ومائة في رجب فتوفي بها.

وذكر الزمخشري في (ربيع الأبرار) أن هارونَ كانَ يقولُ لموسى: خُذْ (فدكاً)[١] وهو يمتنع فلما ألح عليه قال: ما أخذها إلا بحدودها. قال: وما حدودها؟ قال: الحد الأول عدن فتغير وجه الرشيد، قال: والحد الثاني؟ قال: سمرقند[٢] فاربد[٣] وجهه: قال: والحد الثالث؟ قال: إفريقية فاسود وجهه، قال: والحد الرابع؟ قال سيف البحر مما يلي الخزر وأرمينة، فقال هارون: فلم يبق لنا شيء فتحول في مجلسي فقال موسى: قد أعلمتك أني إن حددتها لم تردها فعند ذلك عزم على قتله واستكفى أمره.

وذكر الخطيب في تاريخه قال: بعث موسى من الحبس رسالة إلى هارون يقول له: لن ينقضي عني يوم من البلاء حتى ينقضي عنك يوم من الرخاء حتى نقضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون.

واختلفوا في سنه على أقوال، أحدها: خمس وخمسون سنة، والثاني: أربع وخمسون؛ والثالث: سبع وخمسون، والرابع: ثمان وخمسون والخامس ستون. ودفن بمقابر قريش وقبره ظاهر يزار؛ وقيل: مات سنة ثلاث وثمانين ومائة.

ذكر أولاده

قال علماء السير: وله عشرون ذكراً وعشرون أنثى: علي الإمام، وزيد وهذا زيد كان قد خرج على المأمون فظفر به فبعث به إلى أخيه علي بن موسى الرضا فوبخه وجرى بينهما كلام، ذكره القاضي المعافى في (الجليس والأنيس) فيه أن علياً قال له: سوءة لك يا زيد ما أنت قائل لرسول الله صلى الله عليه وآله: إذا سفكت الدماء

(١) فَدَكُ: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة، (معجم البلدان ٤/ ٢٣٨).

(٢) سَمَرْقَنْدُ: بلد معروف مشهور. قيل: إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قصبة الصُغد مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه، (معجم البلدان ٣/ ٢٤٦).

(٣) اربدَّ وجهه: تغيّر لونه من الغضب.

وأخفت السبل، وأخذت المال من غير حله غرك حمقاء أهل الكوفة، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتهما على النار»[1]. وهذا لمن خرج من بطنها مثل الحسن والحسين فقط لا لي ولك والله ما نالوا بذلك إلا بطاعة الله، فإن أردت أنْ تنالَ بمعصيةِ اللّهِ ما نالوه بطاعته، إنك إذن لا كرم على الله منهم. وإبراهيم، وعقيل، وهارون، والحسن، وعبد اللّه، وعبيد اللّه، وإسماعيل؛ وعمر، وأحمد؛ وجعفر، ويحيى؛ وإسحاق؛ والعباس؛ وحمزة وعبد الرحمان؛ والقاسم، وجعفر الأصغر وقيل: محمد، وخديجة وأم فروة وأسماء؛ وعلية، وفاطمة الكبرى، والصغرى، والوسطى؛ وفاطمة أخرى فالفواطم أربع وأم كلثوم، وآمنة، وزينب، وأم عبد اللّه وزينب الصغرى وأم القاسم، وحكيمة، وأسماء الصغرى، ومحموده؛ وأمامة وميمونة لأمهات شتى.

فصل

في ذكر ولده علي

هو أبو الحسن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، ويلقب بالولي والوفي، وأمه أم ولد تسمى الخيزران.

قال الواقدي: سمع علي الحديث من أبيه وعمومته وغيرهم وكان ثقة يفتي بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن نيف وعشرين سنة وهو من الطبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة.

وذكر عبد اللّه بن أحمد المقدسي في كتاب (أنساب القرشيين) نسخة يرويها علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى، عن أبيه جعفر، عن أبيه محمد، عن أبيه علي عن أبيه الحسين، عن أبيه علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله إسناد لو قرئ على مجنون برىء.

قال الواقدي: ولما كان سنة مائتين بعث إليه المأمون، فأشخصه من المدينة إلى خراسان ليوليه العهد بعده، والذي أشخصه فرناس الخادم وابن أبي الضحاك فلما

---

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك ٣/ ١٥٢)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٩/ ٢٠٢)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٤٢٢٠، ٣٤٢٣٩)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٣٢٣)، وأبو نُعيم في (تاريخ أصبهان ١/ ٣٤٢)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٣/ ٥٤)، وأبو نُعيم في (حلية الأولياء ٤/١٨٨)، وابن الجوزي في (الموضوعات ١/ ٤٢٢)، والذهبي في (ميزان الاعتدال ٦١٨٣، ٦٤٠٥)، وابن القيسراني في (تذكرة الموضوعات ٢٧٧)، وابن حجر في (لسان الميزان ٤/ ٩١٠)، وابن حبان في (المجروحين، ٢/ ٨٨)، والسيوطي في (اللآلئ المصنوعة ١/ ٢٠٨)، والعقيلي في (الضعفاء ٣/ ١٨٤).

وصل إلى نيسابور خرج إليه علمائها، مثل يحيى بن يحيى وإسحاق بن راهويه ومحمد بن رافع وأحمد بن حرب وغيرهم، لطلب الحديث والرواية والتبرك به، فأقام بنيسابور مدة والمأمون بمرو؛ ثم استدعاه وولاه العهد بعد وفاته وسماه الرضا من آل محمد وضرب اسمه على الدراهم والدنانير، وكتبَ إلى الآفاقِ ببيعته وطرح السواد، ولبس الخضرة، وزوجه المأمون ابنته أم حبيب وتزوج المأمون أيضاً ابنته أم الفضل من محمد بن علي الرضا وتزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل في وقت واحد، ذكره الصولي وغيره يقول في عقود مختلفة.

نسخة العهد الذي كتبه المأمون له بيده وإنشاءه

وهو عهد طويل ذكره عامة المؤرخين في تواريخهم اختصرته (بسم الله الرحمان الرحيم: هذا كتاب كتبه عبد اللّه بن هارون أمير المؤمنين لأبي الحسن علي بن موسى الرضا من آل محمد ولي عهده من بعده، أما بعد: فإنَّ اللّهَ تعالى اصطفى الإسلام ديناً، واختار له من عباده رسلاً دالين عليه يبشر أولهم بآخرهم ويصدق تاليهم ماضيهم، حتى انتهت النبوة إلى محمد صلى الله عليه وآله على فترة من الرسل ودروس من العلم وانقطاع من الوحي، والحجة واقتراب من الساعة فختم الله به النبيين وجعله شاهداً على الأمم للمرسلين وأنزل عليه كتابه العزيز المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بالحلال والحرام والنوازل والأحكام وعد فيه وأوعد، وخوف وهدد، وزجر وحذر، وبالغ وأنذرَ، لتكون له الحجة البالغة على خلقه الصحيح منهم والسقيم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم، فبلغ عن الله رسالاته ودعى إلى سبيل نجاته بما أمره به من الحكمةِ والموعظةِ الحسنة، والمجادلةِ بالتي هي أحسن، ثم بالجهادِ والغلظةِ حتى إذا قبضه الله إليه واختار له ما عنده ولديه جعل قوام الدين بالخلافة كما ختم به الرسالة، فنظام أمور عباده بالخلافة وإتمامها وإعزازها والقيام بأمر الله فيها بالطاعة التي بها تقام فرايض الله وحدوده، وشرائع الإسلام وسننه، ويجاهد بها عدوه وجعلَ لها خلفاء على رعيته، فيما استحفظهم من أمر دينه وعبادته وعلى المسلمين الطاعة لهم والمعاونة على إقامة حق الله في عباده، وإظهار العدل في بلاده وأمن السبل، وحقن الدماء، وإصلاح ذاتِ البينِ وفي خلاف ذلك اضطراب أمر المسلمين، وقهر دينهم، واستعلاء عدوهم، وتفريق الكلمة وخسران الدنيا والآخرة، فحق على من استخلفه الله في أرضه، وائتمنه على خلقه أن يجهد الله نفسه ويؤثر ما فيه رضاه عنه ويعمل بالعدل والإحسان فيما حكمه الله فيه وقلده إياه قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص: ٢٦] الآية.

وقد بلغنا عن عمر بن الخطاب (رض) أنه قال: لو ضاعت سخلة بشاطئ الفرات

لخفت أنْ أوخذ بها، في أخبارِ وآثارِ كثيرة ولم أزلْ منذ أفضتْ إليَّ الخلافة أنظر فيمن أقلده أمرها واجتهد فيمن أوليه عهدها فلم أجدْ من يصلح لها إلا أبا الحسن علي بن موسى الرضا، لما رأيت من فضله البارع، وعلمه النافع، وورعه الباطن، والظاهر وتخليه عن الدنيا وأهلها وميله إلى الآخرة، وإيثاره لها وقد تحقق عندي، وتيقنتُ فيه ما الأخبار عليه متواطئة والألسن عليه متفقة، فعقدتُ له العهد واثقاً بخيرة الله في ذلك نظراً للمسلمين وإيثاراً لإقامة شعائر الدين، وطلباً للنجاة يوم يقوم الناس لربِّ العالمين، وكتبَ عبد اللّه بخطه لتسع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين وقد بايع أهل بيتي، وخاصتي وولدي وأهلي وجندي وعبيدي اللهم صل على سيدنا محمد وآله والسلام.

وفي رواية: لم يزلْ أميرُ المؤمنين منذ أفضت الخلافة إليه ينظر فيمن يقلده أمرها وذكر هذا المعنى.

وكتبَ عليّ خلفه (بسم الله الرحمان الرحيم: والحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين أقول: وأنا علي بن موسى بن جعفر أن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشادِ عرفَ من حقنا ما جهله غيره ووصل أرحاماً قطعت وأمن نفوساً فزعت بل أحياها بعدما تلفت مبتغياً رضى رب العالمين لا يريد جزاء من غيره وسيجزي الله الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين، وأنه جعل إلى عهده والأمر بعده أطال الله بقاه، وما أمكنني مخالفته ولله على أن لا أسفك دماً حراماً وأبيح فرجاً ولا مالاً، وأن أتخير الكفاة جهدي وطاقتي ولا أغير على نفسي حالة من أحوال الآخرة فيما كنت عليه من قبل، ولا أنال من الدنيا إلا ما تدعو الضرورة إليه وقد جعلت الله عليَّ كفيلاً فإن أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للتغيير مستحقاً، وللنكال متعرضاً وأعوذ بالله من سخط الله وإليه أرغب في التوفيق لطاعته والمباعدة بيني وبين معصيته والسلام.

ثم قرأ العهد في جميع الآفاق وعند الكعبة، وبين قبر رسول الله ومنبره وشهد فيه خواص المأمون وأعيان العلماء فمن ذلك شهادة الفضل بن سهل كتب بخطه شهدت على أمير المؤمنين عبد اللّه المأمون وعلى أبي الحسن علي بن موسى بن جعفر بما أوجبا به الحجة عليهما للمسلمين، وأبطلا به شبهة الجاهلين؛ وكتب فضل بن سهل في التاريخ المذكور، وشهد عبد اللّه بن طاهر بمثلِ ذلك، وشهدَ بمثله يحيى بن أكثم القاضي؛ وحماد بن أبي حنيفة، وأبو بكر الصولي؛ والوزير المغربي؛ وبشر بن المعتمر في خلق كثير.

وحكى الصولي: أنَّ المأمونَ لما بايعَ علي بن موسى أجلسه إلى جانبه فقام العباسي الخطيب فتكلم فأحسن وأنشد:

لا بد للناسِ من شمسٍ ومن قمرٍ فأنتَ شمسٌ وهذا ذلك القمر

قال علماء السير: فلما فعل المأمون ذلك شغبت بنو العباس ببغداد عليه وخلعوه من الخلافة وولوا إبراهيم بن المهدي والمأمون بمرو وتفرقت قلوب شيعة بني العباس عنه، فقال له علي بن موسى الرضا: يا أمير المؤمنين النصح لك واجب والغش لا يحل المؤمن إن العامة تكره ما فعلت معي، والخاصة تكره الفضل بن سهل، فالرأي أن تنحينا عنك حتى يستقيم لك الخاصة والعامة فيستقيم أمرك.

وذكر أبو بكر الصولي في كتاب (الأوراق) أن هارون كان يجري على موسى بن جعفر وهو في حبسه كل سنة ثلاثمائة ألف درهم، وأنزله عشرين ألفاً فقال المأمون لعلي بن موسى: لأزيدنكَ على مرتبة أبيك وجدك فأجرى له ذلك ووصله بألف ألف درهم، ولما فصل المأمون عن مرو طالباً بغداد ووصل إلى سرخس[1] وثب قوم على الفضل بن سهل في الحمام فقتلوه، ومرض علي بن موسى فلما وصل المأمون إلى طوس[2] توفي علي بن موسى بطوس في سنة ثلاث ومائتين وقيل: إنَّه دخلَ الحمامَ ثم خرجَ فقدم إليه طبق فيه عنب مسموم قد أدخلت فيه الأبر المسمومة من غير أن يظهر أثرها، فأكله فماتَ وله خمس وخمسون سنة، وقيل: تسع وأربعون ودفن إلى جانب هارون الرشيد.

وزعم قوم أن المأمون سمه وليس بصحيح فإنه لما مات علي توجعَ له المأمون وأظهرَ الحزنَ عليه وبقي أياماً لا يأكل طعاماً ولا يشرب شراباً وهجر اللذات ثم أتى بغداد فدخلها في صفر سنة أربع ومائتين، ولباسه ولباس أصحابه جميعاً الخضرة وكذا أعلامهم، وكان قد بعثَ المأمون الحسن بن سهل إلى بغداد فهزمهم واختفى إبراهيم بن المهدي ونزل المأمون بقصر الرصافة.

قال الصولي: فاجتمع بنو العباس إلى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله ابن عباس وكانت في القعدد والسؤدد[3] مثل المنصور فسألوها أن تدخل على المأمون وتسأله الرجوع إلى لبسِ السوادِ وترك الخضرةِ والإضراب مثل ما كانَ عليه، لأنه عزم بعد موت علي بن موسى أن يعهد إلى محمد بن علي بن موسى الرضا، وإنما منعه من ذلك شغب بني العباس عليه، لأنه كانَ قد أصر على ذلك حتى دخلتْ عليه زينب

---

(١) سرخس: مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق، (معجم البلدان ٣/٢٠٨).

(٢) طُوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ تشتمل على بلدتين يقال لإحداهما الطابران وللأخرى نوقان، (معجم البلدان ٤/٤٨).

(٣) القُعْدُدُ: الجبان والخامل يقعد عن المكارم.

السودد: السيادة. و ـ: المجد والشرف والقدْر الرفيع.

فلما دخلت عليه قام لها ورحَّبَ بها وأكرمها، فقالتْ له: يا أمير المؤمنين إنكَ على بر أهلك من ولد أبي طالب والأمر في يدكَ أقدر منك على برهم والأمر في يد غيرك أو في أيديهم، فدع لباس الخضرة وعد إلى لباس أهلك ولا تطعمن أحداً فيما كان منك فعجبَ المأمون بكلامها وقالَ لها: والله يا عمة ما كلمني أحد بكلام أوقع من كلامك في قلبي ولا أقصد لما أردت وأنا أحاكمهم إلى عقلك، فقالت: وما ذاك؟ فقال: ألست تعلمين أن أبا بكر (رض) ولي الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يول أحداً من بني هاشم شيئاً؟ قالت: بلى قال: ثم ولي عمر فكان كذلك، ثم ولي عثمان فأقبل على أهله من بني عبد الشمس فولاهم الأمصار ولم يولِ أحداً من بني هاشم ثم ولي علي عليه السلام فأقبل على بني هاشم فولى عبد اللّه بن عباس البصرة، وعبيد اللّه بن عباس اليمن، وولى معبداً مكة، وولى قثم بن العباس البحرين وما ترك أحداً ممن ينتمي إلى العباس إلا ولاه، فكانت له هذه في أعناقنا فكافأته في ولده بما فعلت فقالتْ: لله درك يا بني ولكن المصلحة لبني عمك من ولد أبي طالب ما قلت لك فقال: ما يكون إلا ما تحبون.

ثم فكر في أمره وولاية محمد بن علي العهد فرأى أن القواعد تنخرم عليه وربما خرج الأمر من يد بني العباس وبني علي لسبب الاختلاف، وأن في الأرض بقايا من بني أمية فربما وجدوا الفرصة في تفريق الكلمة وإثارة الفتنة فجلس لبني العباس، وجمعهم ودعى بحلةً سوداء فلبسها وترك الخضرة، ولبسَ الناسُ كذلك فلم تلبسْ الخضرة ببغداد سوى ثمانية أيام.

قال الصولي وغيره: كان المأمون يحب علياً عليه السلام كتب إلى الآفاق بأن علي بن أبي طالب أفضل الخلق بعد رسول الله، وأن لا يذكر معاوية بخير ومن ذكره بخير يبح دمه وماله. قال الصولي ومن أشعار المأمون في علي عليه السلام:

الأمُ على حبِّ الوصي أبي الحسن ... وذلك عندي من عجائبِ ذي الزمنِ
خليفةٌ خير الناسِ والأول الذي ... أعان رسول الله في السرِّ والعلنِ
ولولاهُ ما عدّتْ لهاشم أمرة ... وكانت على الأيامِ تقصي وتمتهن
فولى بني العباس ما اختص غيرهم ... ومن منه أولى بالتكرمِ والمننِ
فأوضحَ عبد اللّه بالبصرة الهدى ... وفاضَ عبيد اللّه جوداً على اليمنِ
وقسَّمَ أعمالَ الخلافةِ بينهم ... فلا زالَ مربوطاً بذا الشكرِ مرتهنِ

وقال أيضاً، وقيل إنها للسيد الحميري:

احلف بالله وآلائه ... والمرء عما قال مسؤول:
إن علي بن أبي طالب ... على التقى والبر مجبول

وإنــــه كـــان الإمـــام الـــذي … لــه عــلــى الأمــةِ تــفــضــيــل
يــقــول بــالــحــقّ ويــخــتــاره … ولا تــعــانــيــه الأبــاطــيــل
كــان إذ الــحــربُ مــراهــا الــقــنــا … وقــصــرت عــنــهــا الــبــهــالــيــل[1]
يــمــشــي إلــى الــقــرن وفــي كــفــه … أبــيــض مــاضــي الــحــد مــصــقــول
مــشــي الــعــفــرنــا بــيــن أشــبــالــه … أقــبــل لا تــغــتــالــه الــغــول

ومن أشعار المأمون:

لا تــقــبــل الــتــوبــة مــن تــائــبٍ … إلا بــحــبّ ابــن أبــي طــالــبِ
أخــو رســول الله حــلــف الــهــدى … والأخُ فــوق الــخــلّ والــصــاحــبِ
إن جــمــعــا فــي الــفــضــل يــومــاً فــقــد … فــاق أخــوهُ رغــبــة الــراغــبِ
فــقــدم الــهــادي فــي فــضــلــه … تــســلــم مــن الــلائــمِ والــعــائــبِ
إن مــالَ ذو الــنــصــب إلــى جــانــبٍ … مــلــتُ مــع الــشــيــعــي فــي جــانــبِ
أكــونُ فــي آل نــبــي الــهــدى … خــيــر نــبــي مــن بــنــي غــالــبِ
حــبــهــم فــرض نــؤدي بــه … كــمــثــل حــج لازم واجــبِ

وذكر الصولي في كتاب الأوراق أيضاً قال: كان مكتوباً على سارية من سواري جامع البصرة:

رحــم الله عــلــيــاً … إنــه كــان تــقــيــا

وكان يجلس إلى تلك السارية أبو عمر الخطابي واسمه حفص وكان أعور فأمر به فمحى، فكتب إلى المأمون بذلك، فشق عليه وأمر بأشخاصه إليه فلما دخل عليه قال: لِمَ محوتَ اسم أمير المؤمنين على السارية؟ فقال: وما كان عليها؟ فقال:

رحــم الله عــلــيــاً … إنــه كــان تــقــيــا

فقال: بلغني أنه كان نبياً؛ فقال: كذبتَ، بل كانت القافُ أصحُ من عينك الصحيحة ولولا أنْ أزيدكَ عند العامة نفاقاً لأدبتك ثم أمر بإخراجه.

قد ذكرنا وفاة علي بن موسى الرضا وكان من الفضلاء الأتقياء الأجواد وفيه يقول أبو نواس:

قــيــل لــي: أنــت أوحــد الــنــاسِ فــي … كــلّ كــلام مــن الــمــقــالِ بــديــهِ
لــكَ فــي جــوهــرِ الــكــلامِ فــنــونٌ … يــنــثــرُ الــدرُّ فــي يــدي مــجــتــنــيــهِ

(١) البهاليلُ: مفردها البُهلول: السيّد الجامع لصفات الخير.

فعلى ما تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيهِ
قلتُ: لا أهتدي لمدح إمامٍ كان جبريل خادماً لأبيهِ

ذكر أولاده

محمد الإمام أبو جعفر الثاني وجعفر وأبو محمد الحسن وإبراهيم وابنة واحدة.

فصل

في ذكر ولده محمد الجواد

هو محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكنيته: أبو عبد الله، وقيل: أبو جعفر، ولد سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة وتوفي سنة مائتين وعشرين وهو ابن خمس وعشرين سنة وكانَ على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود، ولما مات أبوه قدم على المأمون فأكرمه وأعطاه ما كان يعطي أباه، وكان قد زوجه المأمون بابنتهِ أم الفضل كما ذكرنا.

واختلفوا هل زوجه بها قبل وفاة أبيه أو بعده فيه قولان، والإمامية تروي خبراً طويلاً فيه أن المأمون لما زوجه كان عمر محمد الجواد سبع سنين وأشهر وأنه هو الذي خطب خطبة النكاح، وأن العباسيين شغبوا على المأمون ورشوا القاضي يحيى بن أكثم حتى وضع مسائل ليخطئ بها محمد الجواد، ويمتحنه وإن الجواد خرج عن الجميع، وهو حديث طويل ذكره المفيد في كتاب (الإرشاد) والله أعلم.

وكان يلقب بالمرتضى والقانع، وكانت وفاته ببغداد خامس ذي الحجة ودفن إلى جانب جده موسى بن جعفر بمقابر قريش وقبره ظاهر يزار وأمه سكينة وكان له أولاد المشهور منهم علي (الإمام).

فصل

في ذكر الهادي

هو علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكنيته أبو الحسن العسكري، وإنما نسب إلى العسكري لأن جعفر المتوكل أشخصه من المدينة إلى بغداد إلى سر من رأى[١]، فأقام

(١) سر من رأى: أو (سامراء) مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة وقد خربت، (معجم البلدان ٣/ ١٧٣).

بها عشرين سنة وتسعة أشهر ويلقب بالمتوكل والنقي وأمه سمانة مغربية.

قال علماء السير: وإنما أشخصه المتوكل من مدينة رسول الله إلى بغداد لأنَّ المتوكل كان يبغض علياً وذريته فبلغه مقام علي بالمدينة، وميل الناس إليه فخاف منه فدعى يحيى بن هرثمة وقال: اذهب إلى المدينة وانظر في حاله وأشخصه إلينا.

قال يحيى: فذهبت إلى المدينة فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي، وقامت الدنيا على ساق لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للمسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا قال يحيى: فجعلت أسكنهم وأحلف لهم أني لم أؤمر فيه بمكروه وأنه لا بأس عليه، ثم فتشت منزله فلم أجد فيه إلا مصاحف وأدعية وكتب العلم فعظم في عيني، وتوليت خدمته بنفسي وأحسنت عشرته فلما قدمت به بغداد بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري، وكان والياً على بغداد فقال لي: يا يحيى إنَّ هذا الرجل قد ولده رسول الله والمتوكل من تعلم، فإن حرضته عليه قتله، وكان رسول الله خصمك يوم القيامة.

فقلت له: والله ما وقعتُ منه إلا على كل أمر جميل، ثم صرتُ به إلى سرّ مَنْ رَأى فبدأتُ بوصيف التركي فأخبرته بوصوله، فقال: والله لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك، قال: فعجبتُ كيف وافق قوله قول إسحاق، فلما دخلتُ على المتوكل سألني عنه، فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقه وورعه وزهادته وإني فتشت داره فلم أجدْ فيها غير المصاحفِ وكُتبَ العلم وأنَّ أهلَ المدينةِ خافوا عليه، فأكرمه المتوكل وأحسنَ جائزته وأجزل بره وأنزله معه سَرّ مَنْ رأى.

قال يحيى بن هرثمة: فاتفق مرض المتوكل بعد ذلك بمدة، فنذر إنْ عوفيَ ليتصدقنَ بدراهم كثيرة، فعوفي فسألَ الفقهاءَ عن ذلك فلم يجد عندهم فرجاً، فبعث إلى علي فسأله فقال: يتصدق بثلاثة وثمانين ديناراً، فقال المتوكل: من أين لكَ هذا؟ فقال: من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ [التوبة: ٢٥] والمواطن الكثيرة هي هذه الجملة، وذلك لأنَّ النبي صلى الله عليه وآله غزى سبعاً وعشرين غزاة وبعث خمساً وستين سرية، وآخر غزواته يوم حنين، فعجب المتوكل والفقهاء من هذا الجواب، وبعث إليه بمالٍ كثير فقال علي: هذا الواجب فتصدق أنت بما أحببت.

وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب (مروج الذهب) قال: نمى إلى المتوكل بعلي بن محمد أن في منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قم، وأنه عازم على الوثوب بالدولة، فبعثَ إليه جماعة من الأتراكِ فهاجموا داره ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً، ووجدوه في بيت مغلق عليه؛ وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى وهو متوجه إلى الله تعالى يتلو آياً من القرآن، فحمل على حاله تلك إلى

المتوكل وقالوا للمتوكل: لم نجد في بيته شيئاً ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة، وكان المتوكل جالساً في مجلس الشراب، فأدخل عليه والكأس في يد المتوكل فلما رآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس التي كانت في يده، فقال: والله ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني، فأعفاه فقال له: أنشدني شعراً فقال علي: أنا قليل الرواية للشعر فقال: لا بد فأنشد علي عليه السلام:

باتوا على قُلل الأجبالِ تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القللُ
واستنزلوا بعد عزّ من معاقِلهم وأسكنوا حفراً يا بئسَ ما نزلوا
ناداهُم صارخ من بعد دفنهم أين الأساور والتيجان والحللُ
أينَ الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الأستار والكللُ
فأفصح القبر عنهم فيه سائله تلك الوجوهُ عليها الدّود يقتتلُ
قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا فأصبحوا بعد طولِ الأكلِ قد أكلوا

فبكى المتوكل حتى بلت لحيته دموع عينه، وبكى الحاضرون ورفع إلى علي أربعة آلاف دينار، ثم رده إلى منزله مكرماً.

وقال يحيى بن هبيرة: تذاكر الفقهاء بحضرة المتوكل من حلق رأس آدم فلم يعرفوا من حلقه فقال المتوكل: أرسلوا إلى علي بن محمد بن علي الرضا، فأحضروه فحضر فسألوه فقال: حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن جده عن أبيه قال: إنَّ اللّهَ أمرَ جبرئيل أنْ ينزلَ بياقوتةٍ مِنْ يواقيتِ الجنةِ فنزلَ بها فمسحَ بها رأسَ آدم فتناثر الشعر منه فحيث بلغ نورها صار حرماً، وقد روى هذا المعنى مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

ذكر وفاته

توفي علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين بسر من رأى ومولده في رجب سنة أربع عشر ومائتين وكان سنة يوم مات أربعين سنة، وكانت وفاته في أيام المعتز بالله، ودفن بسر من رأى وقيل: إنه مات مسموماً.

ذكر أولاده منهم الحسن الإمام

فصل في ذكر العسكري

هو الحسين بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه أم ولد اسمها سوسن، وكنيته: أبو محمد، ويقال له: العسكري أيضاً، ولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين (بسر

من رأى) وتوفي بها سنة ستين ومائتين في خلافة المعتمد على الله، وكان سنه تسعاً وعشرين سنة، وكان عالماً ثقة روى الحديث عن أبيه عن جده، ومن جملة مسانيده حديث في الخمر عزيز.

ذكره جدي أبو الفرج في كتابه المسمى (بتحريم الخمر) ونقلته من خطه وسمعته يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبا عبد اللّه الحسين بن علي يقول: أشهد بالله لقد سمعت عبد اللّه بن عطا الهروي يقول: أشهد بالله لقد سمعت عبد الرحمان بن أبي عبيد البيهقي يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبا عبد اللّه الحسين بن محمد الدينوري يقول: أشهد بالله لقد سمعت محمد بن علي بن الحسين العلوي يقول: أشهد بالله لقد سمعت أحمد بن عبد اللّه السبيعي يقول: أشهد بالله لقد سمعت الحسن بن علي العسكري يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي علي بن محمد يقول: أشهدُ بالله لقد سمعتُ أبي محمد بن علي بن موسى الرضا يقول: أشهدُ بالله لقد سمعتُ أبي علي بن موسى، يقول أشهد بالله لقد سمعت أبي موسى يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي محمد بن علي يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي علي بن الحسين يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي الحسين بن علي يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: أشهد بالله لقد سمعت محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أشهد بالله لقد سمعت جبرئيل يقول: أشهد بالله لقد سمعت ميكائيل يقول: أشهد بالله لقد سمعت إسرافيل يقول: أشهد بالله على اللوح المحفوظ أنه قال: سمعتُ الله يقول: «شارب الخمر كعابد الوثن»[(١)].

ولما روى جدي هذا الحديث في كتاب تحريم الخمر قال: قال أبو نعيم الفضل بن دكين: هذا حديث صحيح ثابت روته العترة الطيبة الطاهرة، ورواه جماعة عن رسول الله صلى الله عليه وآله منهم ابن عباس وأبو هريرة، وأنس، وعبد اللّه بن أبي أوفى الأسلمي في آخرين، وقد ذكرنا وفاة الحسن بن علي وأنها كانت سنة ستين ومائتين.

ذكر أولاده منهم محمد الإمام

فصل في ذكر الحجة المهدي

هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكنيته أبو عبد اللّه وأبو القاسم وهو الخلف الحجة صاحب الزمان، القائم والمنتظر، والتالي، وهو آخر

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ١٥٢)، وابن حجر في (المطالب العالية ١٧٧٧).

الأئمة، أنبأنا عبد العزيز بن محمود بن البزاز عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج في آخر الزمان رجل مِن ولدي اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي يملأُ الأرضَ عدلاً كما ملئت جوراً»(١) فذلك هو المهدي، وهذا حديث مشهور.

وقد أخرج أبو داود والزهري عن علي بمعناه، وفيه «لو لم يبق من الدهر إلا يوم واحد لبعث الله من أهل بيتي من يملأ الأرض عدلاً». وذكره في روايات كثيرة ويقال له: ذو الاسمين محمد وأبو القاسم قالوا: أمه أم ولد يقال لها: صيقل.

وقال السدي: يجتمع المهدي وعيسى ابن مريم فيجيء وقت الصلاة فيقول المهدي لعيسى: تقدم فيقول عيسى أنت أولى بالصلاة فيصلي عيسى وراءه مأموماً.

قلت: فلو صلى المهدي خلف عيسى لم يجز لوجهين أحدهما لأنه يخرج عن الإمامة بصلاته مأموماً فيصير تبعاً، والثاني لأنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا نبي بعدي»(٢) وقد نسخ جميع الشرائع فلو صلى عيسى بالمهدي لتدنس وجه لا نبي بعدي بغبار الشبهة.

وعامة الإمامية على أن الخلف الحجة موجود وأنه حي يرزق ويحتجون على حياته بأدلة منها أن جماعة طالت أعمارهم كالخضر وألياس فإنه لا يدري كم لهما من السنين، وأنهما يجتمعان كل سنة فيأخذ هذا من شعر هذا وهذا من شعر هذا.

وفي التوراة أن ذا القرنين عاش ثلاثة آلاف سنة والمسلمون يقولون: ألفاً وخمسمائة.

وقال محمد بن إسحاق: عاش عوج بن عناق ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة ولد في حجر آدم وعناق أمه وقتله موسى بن عمران وأبوه سيحان وعاش الضحاك وهو بيورسب ألف سنة وكذلك طهمورث.

وأما من الأنبياء فخلق كثير بلغوا الألف وزادوا عليها كآدم، ونوح وشيث ونحوهم، وعاش قينان تسعمائة سنة وعاش مهلائيل ثمان مائة، وعاش نفيل بن عبد اللّه سبعمائة سنة، وعاشَ سطيح الكاهن واسمه ربيعة بن عمرو ستمائة سنة، وعاش عامر بن الضرب خمسمائة، وكانَ حاكم العرب، وكذا تيم اللّه بن ثعلبة وكذا سام بن نوح، وعاش الحارث بن مضاض الجرهمي أربعمائة سنة، وهو القائل (كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا) وكذا أرفخشد وعاش قس بن ساعدة ثلاثمائة وثمانين سنة، وعاش كعب بن جمجمة الدوسي ثلاثمائة وتسعين سنة، وعاش سلمان الفارسي مائتين وخمسين سنة، وقيل: ثلاثمائة في خلق يطول ذكرهم.

---

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك ٤/ ٤٣٦)، والسيوطي في (الدر المنثور ٦/ ٥٥).

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (الإمارة ٤٤)، وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ١٨٢، ١٨٣، ٢١٢، ٢٩٧، ٣/ ٣٢، ٥/ ٢٧٨، ٣٩٦)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ١/ ١٦٩).

فصل

وقد جمع الأئمة عليهم السلام أبو الفضل يحيى بن سلامة الخصكفي قصيدته المشهورة التي أنشدنيها جماعة من مشايخنا ببغداد، وكان الخصكفي قد ورد بغداد واجتمع بأبي زكريا التبريزي الخطيب، وقرأ عليه شيئاً من كلامه، وأنشده هذه القصيدة وكتب عليها الخطيب، وقرأ علي ما يدخل الإذن بلا إذن ومولد الخصكفي ببلاد ميافارقين ببلدة صغيرة يقال لها: طبري، ونشأ بحصن كيفا، ثم انتقل إلى ميافارقين وكان عالماً فصيحاً في النظم والنثر وتوفي سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة (والقصيدة):

أقوتْ مغانيهم فأقوى الجلد ... ربعان كل بعد سكن فدفدُ
أسأل عن قلبي وعن أحبابه ... ومنهم كلّ مقر يجحدُ
وهل نجيب أعظماً باليه ... وأرسماً خالية من ينشدُ
صاحَ الغرابُ فكما تحملوا ... أمسى بها كأنّه مقيدُ
فقاسموا يوم الوداع كبدي ... فليس لي منذ تولوا كبدُ
على الجفونِ رحلوا وفي الحشى ... تقلبوا وماء عيني وردوا
وأدمعي مسفوحة وكبدي ... مقروحة وغلتي ما تبردُ
وعبرتي وافية ومقلتي ... دامية ونومها مشردُ
أيقنت لما أن حدا الحادي لهم ... ولم أمتْ أنَّ فؤادي جلمدُ
كنت على القربِ كئيباً مغرماً ... ميتاً فما ظنك بي إذ أبعدُ
هم الحياة أعرقوا أم أشاموا ... أم اتهموا أم أيمنوا أم أنجدوا
ليهنهم طيب الكرى فإنه ... من حظهم وحظ عيني السهدُ
هم تولوا بالفؤاد والكرى ... فأين صبري بعدهم والجلدُ
لولا الضنا جحدت وجدي بهم ... لكن نحولي بالغرامِ يشهدُ
تلهفاً يا جورَ حكامِ الهوى ... وما لمنْ يظلم فيهم مسعدُ
ليسَ على المتلفِ غرم عندهم ... ولا على القاتلِ ظلماً قودُ
وسائل عن حبِّ أهلِ البيتِ هل ... أقر إعلاناً به أم أجحدُ
هيهات ممزوج بلحمي ودمي ... حبهم وهو الهدى والرشدُ
حيدرة والحسنان بعده ... ثم علي وابنه محمدُ
جعفر الصادق وابن جعفر ... موسى ويتلوه علي السيدُ

أعلي الرضى ثم ابنه محمد ... ثم علي وابنه المسددُ
الحسن التالي ويتلو تلوه ... محمد بن الحسن المفتقدُ
فإنهم أئمتي وسادتي ... وإن لحاني معشر وفندوا
أئمة أكرم بهم أئمة ... أسماؤهم مسطورة تطردُ
هم حجج الله على عباده ... وهم إليه منهج ومقصدُ
كلّ النهار صوم لربهِم ... وفي الدياجي ركع وسجدُ
قومٌ أتى في هل أتى مديحهم ... هل شك في ذلك إلا ملحدُ
قومٌ لهم في كل أرضٍ مشهد ... لا بل لهم في كل قلبٍ مشهدُ
قوم مني والمشعران لهم ... والمروتان لهم والمسجدُ(١)
قومٌ لهم مكة والأبطح والخيف ... وجمع والبقيع الغرقدُ
قومٌ لهم فضل ومجدٌ باذخٌ ... يعرفهُ المشركُ والموحدُ
ما صدق الناس ولا تصدقوا ... ما نسكوا وأفطروا وعيدوا
ولا غزوا وأوجبوا حجاً ولا ... صلوا ولا صاموا ولا تعبدوا
لولا رسول الله وهو جدهم ... يا حبذا الوالد ثم الولدُ
ومصرع الطف فلا أذكره ... وفي الحشى منه لهيب يقدُ
يرى الفرات ابن الرسول ظامياً ... يلقى الردى وابن الدعي يردُ
حسبكَ يا هذا وحسب من بغى ... عليهم يوم المعاد الصمدُ
يا أهلَ بيتِ المصطفى يا عدتي ... ومن على حبِّهم أعتمدُ
أنتم إلى اللّهِ غداً وسيلتي ... فكيفَ أشقى وبكم أعتضدُ
وليكم في الخلد حي خالد ... والضد في نارِ لظى مخلدُ

وقال آخر:

بأربعة أسماء كل محمد ... وأربعة أسماء كلهم علي
وبالحسنينِ السيدينِ وجعفر ... وموسى أجرني إنني لهم ولي

قلتُ: ومن شرط الإمام أن يكون معصوماً لئلا يقع في الخطأ أو يحتاج إلى مثقف فيتسلسل إلى ما لا نهاية له، وأنه محال ولأنهم حجج الله على عباده ومن شرط

(١) المشعر الحرام: جبل في آخر المزدلفة.
المروة: إحدى شعائر الحج يسعى بينها الحاج وبين الصَّفا.

الحجة العصمة في كل وصمة انتهى ذكر الأئمة عليهم السلام فنذكر ما انتهى إلينا من أخبار ذريتهم ومحاسن شيمهم وصفاتهم.

(حكاية) أنبأنا عبد الملك مظفر بن غالب الحري بإسناده قال: كانَ عبد اللّه بن المبارك يحج سنة ويغزو سنة فعل ذلك خمسين سنة قال: لما كانت السنة التي حج فيها أخذتُ في كمي خمسمائة دينار، وخرجتُ إلى موقف الجمالِ بالكوفةِ لأشتري جملاً فرأيتُ امرأة على بعض المزابل تنتف ريش بطة ميتة، فتقدمتُ إليها وقلتُ: لِمَ تفعلين هذا؟ فقالت: يا عبد اللّه لا تسأل عما لا يعنيك، قال: فوقع في خاطري من كلامها شيء فألححتُ عليها فقالت: يا عبد اللّه قد ألجأتني إلى كشف سري إليك وأنا امرأة علوية ولي أربع بنات يتامى مات أبوهن من قريب وهذا اليوم أربع ما أكلنا شيئاً وقد حلت لنا الميتة فأخذتُ هذه البطة أصلحها وأحملها إلى بناتي فنأكلها، فقلتُ في نفسي: ويحكَ يا بن المبارك أين أنتَ عن هذه؟ فقلتُ: افتحي حجرك ففتحته، فصببت الدنانير في طرف إزارها وهي مطرقة لا تلتفتُ إلي قال: ومضيتُ إلى المنزل ونزع الله من قلبي شهوة الحج في ذلك العام، ثم تجهزت إلى بلادي وأقمتُ حتى حج الناس وعادوا، فخرجتُ أتلقى جيراني وأصحابي فجعلتُ كل من أقول له: قبلَ اللّهُ حجكَ وشكر سعيَك يقول: وأنت كذلك أما قد اجتمعنا بك في مكان كذا وكذا وأكثر الناس عليّ في القول، فبتُّ مفكراً في ذلك فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وهو يقول لي: «يا عبد اللّه لا تعجب فإنك أغثت ملهوفة من ولدي فسألتُ اللّهَ أن يخلق ملكاً على صورتك يحج عنك كل عام إلى يوم القيامة فإن شئتَ أنْ تحج وإن شئتَ لم تحج.

وقد رويت لنا هذه الحكاية من طريق آخر، هو أنَّ ولداً صغيراً لابن المبارك دخلَ بيتَ بعض الأشرافِ، فوجدهم يأكلون لحماً فلم يطعموه، فجاء إلى ابن المبارك وهو يبكي، فسأله فقال: دخلتُ بيتَ فلان وهم يأكلون طبيخاً فلم يطعموني وكانوا جيرانه، فأرسل إليهم عبد اللّه يعتتبهم فأرسلت إليه العجوز تقول قد أحوجتنا إلى كشف أحوالنا، قد مات صاحب الدار، وخلف أيتاماً ولنا خمسة أيام ما أكلنا طعاماً وأنني خرجت إلى مزبلة فوجدتُ عليها بطة ميتة، فأخذتها وأصلحتها ودخلَ ابنك ونحن نأكل فما جاز لي أن أطعمه، وهو يجد الحلال ويقدر عليه فبكى ابن المبارك، وبعث إليهم بخمسمائة دينار ولم يحج في ذلك العام ورأى المنام.

(حكاية أخرى) حدثني أبو محمد عبد الوهاب المقري قال: حدثني جار لي كان لي صاحب من أولاد الحسين عليه السلام، وكان رقيق الحال فكنتُ أبره قال فحج في بعض السنين وعاد وقد حسنت حاله، فسألته عن ذلك فقال: حججتُ في هذه السنة وأنا فقير أمشي قال: فبقيتُ ثلاثة أيام لم أجد طعاماً، فبينما أنا أمشي وإذ قد علق في

قدمي سير وإذا هميان[١] فأخذته وفتحته، وإذا فيه ألف دينارٍ فقالت: لنفسي تصرف فيه واشتر طعاماً وأكثر قال: فقلتُ: لا والله حتى يظهر أمره فإذا بمنادٍ ينادي عليه، فقلتُ لصاحبه ما تعطي من لقيه؟ قال: ما أعطيه شيئاً قلتُ: مائة دينارٍ قال: لا، قلت: فدينار قال: فلا دينار، فرميته إليه فنظرَ إليَّ وقالَ: من أين أنت؟ قلتُ: من بغداد قال: وما تصنع؟ قلت: لا شيء وأنا رجل شريف وما لي حرفة فقال: من أولاد من أنت؟ قلت: من أولاد الحسين قال: ومن يعرفك؟ قلت: الحاج فجاء جماعة فعرفوني فرمى إليَّ الهميان، فقال: خذه فقلتُ له: فأنت ما هان عليك تعطيني منه ديناراً أتعطيني الجميع، فقال: اعلم أنه عندي وديعة جاءت معي من خراسان وأوصاني صاحبه أن لا أعطيه إلا لشريف مستحق من أولاد الحسين وأنت ذاك فأخذته وحسنت حالي.

(حكاية أخرى) أخبرنا جدي أبو الفرج قال: أنبأنا أبو بكر بن حبيب العامري، أنبأنا علي بن أبي صادق، أنبأنا ابن باكويه، أنبأنا أبو الحسن الحنظلي، أنبأنا عثمان بن علي الحيري، أخبرني أبو الحسن الدربندي قال: رأيتُ إبراهيم بن سعد العلوي وعليه كساءٌ فبسطه على البحر ووقف وصلى عليه.

قال جدي في كتاب (صفوة الصفوة)[٢]: إبراهيم بن سعد أبو إسحاق العلوي من أهل بغداد انتقل إلى الشام واستوطنه.

وذكر أبو نُعيم في (الحلية) وحكاه جدي أيضاً في (الصفوة) عن أبي الحارث الأولاسي، قال: خرجت من حصن أولاس أريد البحر، فقال لي بعض إخواني: لا تخرج فقد هيأت لك عجة حتى تأكل، ثم جاء بها فأكلتُ ثم جئتُ إلى الساحل، فإذا إبراهيم بن سعد العلوي قائماً يصلي على الماء، فقلت في نفسي: ما أشك أنه يريد أن يقول لي، امش معي على الماء ولئن قال لي لأمشين معه قال: فما استحكم الخاطر حتى سلم ثم قال لي: هيه يا أبا الحارث أمشي على الخاطر فقلتُ: بسم الله فمشى هو على الماء فذهبت أمشي فغاصت رجلي فالتفتَ إليَّ فقال: يا أبا الحارث العجة أخذت برجلك.

وعن أبي الحارث قال: رأيته وهو يصلي على الماء فأوجز وسلمَ وحركَ شفتيه، وإذا بحيتان كثيرة مصفوفة حوله فقلت في نفسي فأين الصيادون فتفرقت الحيتان، فقال لي إبراهيم: ما أنت بمطلوب في هذا الأمر ولكن عليك بهذه الرمال فتوارى فيها ما أمكنك وتقلل في الدنيا حتى يأتيك أمر الله تعالى.

---

(١) الهِمْيانُ: كيس تُجعل فيه النفقة يُشدُّ في الوسَط (ج) همايين.

(٢) «صفوة الصفوة» مختصر حلية الأولياء لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ وهو نظم كله في الحكم، (كشف الظنون ٢/ ١٠٨٠).

(حكاية أخرى) قرأتُ على عبد اللّه بن أحمد المقدسي سنة أربع وستمائة وقال قرأت في (الملتقط) والملتقط كتاب جدي أبو الفرج، قال كان ببلخ رجل من العلويين نازلاً بها، وكان له زوجة وبنات فتوفي الرجل قالت المَرأة: فخرجتُ بالبناتِ إلى سمرقند خوفاً من شماتة الأعداء، واتفق وصولي في شدةِ البردِ فأدخلتُ بالبناتِ إلى سمرقند خوفاً من شماتة الأعداء، واتفق وصولي في شدةِ البردِ فأدخلتُ البناتَ مسجداً ومضيتُ لأحتال لهم في القوتِ فرأيتُ الناسَ مجتمعينَ على شيخ فسألتُ عنه، فقالوا: هذا شيخ البلد فتقدمتُ إليه وشرحت حالي له، فقال: أقيمي عندي البينة إنكِ علوية، ولم يلتفت عليَّ فيئستُ منه، وعدتُ إلى المسجدِ فرأيتُ في طريقي شيخاً جالساً على دكة وحوله جماعة فقلت: من هذا؟ فقالوا: ضامن البلد وهو مجوسي فقلت عسى أنْ يكونَ عنده فرج، فتقدمتُ إليه، وحدثته حديثي وما جرى لي مع شيخ البلد، وأنَّ بناتي في المسجد ما لهم شيء يقوتون به، فصاح بخادم له فخرج فقال: قل لسيدتك تلبس ثيابها فدخلَ وخرجتْ امرأته معها جواري فقال: اذهبي مع هذه المرأة إلى المسجد الفلاني واحملي بناتها إلى الدارِ، فجاءتْ معي وحملتْ البنات وقد أفرد لنا داراً في داره، وأدخلنا الحمام وكسانا ثياباً فاخرة ومال علينا بألوان الأطعمة، وبتنا بأطيب ليلة، فلما كانَ نصفُ الليلِ رأى شيخ البلد المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت واللواء على رأس محمد صلى الله عليه وآله وإذا قصر من الزمرد الأخضر فقال: لمن هذا القصر؟ فقيل: لرجل مسلم موحد فتقدم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسلم عليه فأعرض عنه، فقال: يا رسول الله تعرض عني وأنا رجل مسلم، فقال له: «أقم البينة عندي إنك مسلم» فتحير الرجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «نسيت ما قلت للعلوية وهذا القصر للشيخ الذي هي في داره»، فانتبه الرجل وهو يلطم ويبكي وبث غلمانه في البلد، وخرج بنفسه يدور على العلوية، فأخبر أنها في دار المجوسي فجاء إليه فقال: أين العلوية؟ فقال: عندي فقال: أريدها (قال) ما إلى هذا سبيل قال: هذه ألف دينار وسلمهن إليَّ فقال: لا والله ولا بمائة ألفِ دينار، فلما ألح عليه قال له: المنام الذي رأيته أنا أيضاً رأيته والقصر الذي رأيته لي خلق وأنت تدل عليَّ بإسلامك والله ما نمت ولا أحد في داري إلا وقد أسلمنا كلنا على يد العلوية وعادتْ بركاتها علينا، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي: القصر لك ولأهلك بما فعلت مع العلوية وأنتم من أهل الجنة خلقكم الله مؤمنين في القدم.

(حكاية أخرى) قرأت على عبد اللّه بن أحمد المقدسي بهذا التاريخ قال وجدتُ في كتابِ الجوهري، عن ابن أبي الدنيا أنَّ رجلاً رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه، وهو يقول: «أمضِ إلى فلانٍ المجوسي، وقل له قد أجيبت الدعوة» فامتنع الرجل من أداء الرسالة لئلا يظن المجوسي أنه يتعرض له، وكان الرجل في الدنيا في سعة فرأى الرجل رسول الله صلى الله عليه وآله ثانياً وثالثاً فأصبح فأتي المجوسي،

وقال له في خلوة من الناس: أنا رسول رسول الله إليكَ، وهو يقول لك قد أجيبت الدعوة فقال له: أتعرفني؟ قال: نعم، قال: فإني أنكر دين الإسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وآله، فقال: أنا أعرف هذا وهو الذي أرسلني إليكَ مرة ومرة ومرة، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ودعى أهله وأصحابه فقال لهم: كنتُ على ضلالٍ ورجعتُ إلى الحقِّ فأسلموا فمن أسلم فما في يده فهو له، ومن أبى فلينزع مالي عنده، قال فأسلم القوم وأهله، وكانت له ابنة مزوجة من ابن ابنه ثم قال لي: أتدري ما الدعوة؟ قلتُ: لا، وأنا أريد أنْ أسألكَ الساعةَ فقال: لما زوجت ابنتي صنعتُ طعاماً ودعوت الناس إليه فأجابوا، وكان إلى جانبنا قوم أشراف فقراء لا مالَ لهم، فأمرتُ غلماني أن يبسطوا لي حصيراً في وسط الدار، قال فسمعتُ صبية تقولُ لأمها: يا أماه قد آذانا المجوسي برائحة طعامه قال: فأرسلتُ إليهن بطعام كثير وكسوة ودراهم للجميع فلما نظروا إلى ذلك قالتْ الصبية للباقيات: والله ما نأكل حتى ندعو له فرفعن أيديهن وقلن: حشرك الله مع جدنا رسول الله وأمن بعضهم فتلك الدعوة التي أجيبت.

(حكاية أخرى) أخبرنا جدي أبو الفرج بإسناده إلى ابن الخصيب قال: كنتُ كاتباً للسيدة أم المتوكل فبينا أنا في الديوان فإذا بخادم صغير قد خرج من عندها ومعه كيس فيه ألف دينار، فقال: السيدة تقولُ لكَ فرق هذا في أهل الاستحقاق فهو من أطيب مالي واكتب لي أسامي الذين تفرقه فيهم، حتى إذا جاءني من هذا الوجه شيء صرفته إليهم قال: فمضيتُ وجمعتُ أصحابي وسألتهم عن المستحقين فسموا إليَّ أشخاصاً ففرقت فيهم ثلاثمائة دينار وبقي الباقي بين يدي إلى نصف الليل وإذا بطارق يطرق عليَّ باب داري، فقلت: من؟ فقال: فلان العلوي، وكان جاري فقلت: هذا جاري من مدة ولم يقصدني فأذنتُ له، فدخل فرحبتُ به وقلتُ: ما الذي عناك في هذه الساعة؟ فقال: طرقني الساعة طارق من ولد رسول الله ولم يكن عندي ما أطعمه فأعطيته ديناراً، فأخذه وشكرني وانصرف فلما وصل إلى الباب خرجتْ زوجتي وهي تبكي وتقولُ: أما تستحي يقصدك هذا الرجل وتعطيه ديناراً وقد عرفت استحقاقه أعطيه الكل قال، فوقع كلامها في قلبي، وقمت خلفه فناولته الكيس فأخذه وانصرفَ، فلما عدتُ إلى الدارِ ندمتُ وقلتُ: الساعة يصلُ الخبرَ إلى المتوكل وهو يمقتُ العلويين فيقتلني، فقالت زوجتي: لا تخف واتكل على الله وعلى جدهم فبينا نحن كذلك وإذا بالباب يطرق والمشاعل والشموع بأيدي الخدم، وهم يقولون: أجب السيدة قال: فقمتُ مرعوباً وكلما مشيتُ قليلاً والرسل تتواتر فأدخلوني من دار إلى دارٍ حتى أوقفوني عند ستر السيدة، وقال لي الخادم: السيدة وراء هذا الستر قال: فسمعتُ بكاءها وهي تنتحب وتقول: يا أحمد جزاك الله خيراً وجزى زوجتك خيراً كنت الساعة نائمةً فجاءني رسول الله وقال لي: جزاك الله خيراً وجزى زوجة الخصيب خيراً، فما

معنى هذا؟ فحدثتها الحديث وهي تبكي فأعطتني دنانير وكسوة وقالت: هذا للعلوي، وهذا لزوجتك وهذا لك قال: وكان ذلك يساوي مائة ألف درهم، فأخذتُ المالَ وجعلتُ طريقي على بيت العلوي فطرقت الباب فصاحَ من داخل المنزلِ هاتَ ما معكَ يا أحمد وخرجَ وهو يبكي فسألته عن بكائه فقال: لما دخلت منزلي قالت لي زوجتي: ما هذا الذي معك؟ فعرفتها فقالت: قم بنا نصلي وندعو للسيدة ولأحمد وزوجته، فصلينا ودعونا ثم نمت فرأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، وهو يقول: «شكرتهم على ما فعلوا معك والساعة يأتونك بشيء فاقبله منهم».

(حكاية أخرى) ذكرها المسعودي في تاريخه عن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وكان على شرطة بغداد، أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه وهو يقول له: «أطلق القاتل فانتبه» مرعوباً وسأل أصحابه فقالوا: عندنا رجل اتهم بقتلٍ فأحضروه وقال له: أصدقني الحديث فقال: أخبرك ونحن جماعة نجتمع على الشرابِ كل ليلة فلما كان بالأمسِ جاءتْ عجوز كانتْ تختلف إلينا تجلب لنا النساء، فدخلت الدار ومعها جارية بارعة الجمال فلما توسطت الدار ورأت ما نحن عليه صاحت صيحة وأغمي عليها، فأدخلتها بيتاً فلما أفاقت سألتها عن حالها، فقالت: يا فتيان الله في فإن هذه العجوزة غرتني فأخبرتني أن عندها خفاً ليس في الدنيا مثله، فشوقتني إلى النظر إلى ما فيه، فخرجت معها ثقة بقولها لأنظر فيه فهجمت بي عليكم وأنا شريفة وجدي رسول الله وأمي فاطمة بنت رسول الله، فاحفظوهم فيَّ قال: فخرجتُ إلى أصحابي وعرفتهم حالها وقلت لهم: لاتعترضوا لها فكأني أغريتهم بها فقاموا إليها وقالوا: لما قضيت حاجتك منها صرفتنا عنها قال: فقمتُ دونها وقلتُ والله ما يصل أحد منكم إليها وأنا حي، فتفاقم الأمر بيننا إلى أنْ نالتني جراح وعمدت إلى أشدهم حرصاً على هتكها فقتلته، ثم حاميت عنها وتخلصت الجارية آمنة وأخرجتها سالمة فسمعتها تقول مخاطبة لي سترك الله كما سترتني، وكان لك كما كنت لي وسمع الجيران الضجة، فدخلوا إلينا والسكين في يدي والرجل يتشحط في دمه، فرفعت إليك على هذه الحالة، فقال إسحاق: قد غفرتُ لكَ ما كان منك ووهبتك لله ولرسوله قال الرجل: فوحقِّ من وهبتني له لا عدت إلى معصيته أبداً.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

(حكاية أخرى) حدثني جدي أبو الفرج عن عبيد اللّه قال: حدثني أبي قال: سمعت أبا عامر الواعظ يقول: فبينما أنا جالس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إذ جاءني غلام أسود ومعه رقعة فناولني إياها، فأخذتها وفتحتها، فإذا فيها مكتوب: بسم الله الرحمان الرحيم متعك الله بمسامرة الفكرة ونعمك بمؤانسة العبرة وأفردك بحب الخلوة، يا أبا عامر أنا رجل من إخوانك بلغني قدومك المدينة فسررتُ

بذلك وأحببتُ زيارتك وبي من الشوق إلى مجالستك، والاستماع لمحادثتك ما لو كان فوقي لأظلني ولو كان تحتي لأقلني، فسألتك بالذي حباك بالبلاغة لما ألحقتني جناح التوصل بزيارتك، وفي رواية فأحببت زيارتك فوجدت الله قد عذرني بإعذار والسلام.

قال أبو عامر: فقمتُ مع الرسول حتى أتى بي إلى قبا[١] فأدخلني منزلاً رحباً خرباً، وقال: قف حتى أستأذن لكَ، فوقفتُ، فدخلَ وقد خرج فقال لي: لج فدخلتُ فإذا بيت مفرد في الخربة بابه من جريد[٢] النخل، وإذا بكهل قاعد مستقبل القبلة تخاله من الوله مكروباً ومن الخشية محزوناً قد ظهرت في وجهه أحزانه وذهبت من البكاء عيناه ومرضت أجفانه، فسلمت عليه فرد عليّ السلام ثم تحرك فإذا هو أعمى زمن مسقام فقال لي: يا أبا عامر غسل الله من درن الذنوب قلبك، وأنبع بالحكمة لبك لم يزل قلبي إليك تواقاً وإلى استماع الموعظة مشتاقاً، بعثك نوراً أعيا الأطباء داؤه وأعجز الواعظين شفاؤه، وقد بلغني نفع مراهمك للجراح فلا تال رحمك الله في إيقاع الدرياق[٣]، وإن كان مر المذاق فإني ممن يصبر على ألم الدواء لما أرجو من الشفاء، قال أبو عامر: فنظرتُ إلى منظر بهرني وسمعتُ كلاماً أفظعني ففكرتُ طويلاً، ثم تأتى من كلامي ما تأتى وسهل من صعوبته ما سهل فقلت: يا شيخ: ارم ببصر قلبك في ملكوت السماءِ، واجل سمع معرفتك في سكان الأرجاء ترى بحقيقة إيمانك جنة المأوى، وتشاهد ما أعد الله فيها للأولياء، ثم أشرف على لظا وما أعد الله فيها للأشقياء، فشتان ما بين الدارين أليس الفريقان في الموت سواء قال أبو عامر: فأنَّ أنة وصاح صيحة وزفر زفرة والتوى وقال: وقع والله دواؤك على دائي وأرجو أن يكونَ عندك شفائي زدني يرحمك الله، فقلت له: يا أخي إنَّ الله عالم بسريرتكَ مطلع على خفيتك، شاهدك في خلوتك بعينه، عند استتارك من خلقه ومبارزته، فصاح صيحة أعظم من الأولى ثم قال: من لفقري وفاقتي من لذنبي وخطيئتي أنت لي يا مولاي وإليك ملجائي ومثواي ثم خر ميتاً.

قال أبو عامر: فأسقط في يدي وقلت: ماذا جنيت على نفسي فخرجت جارية عليها مدرعة من صوف وخمار من شعر قد ذهبَ السجود بأنفها وجبهتها واصفر لطول القيام لونها، وتورمتْ قدماها، فقالت: أحسنت والله يا هادي قلوب العارفين ومثير أشجان المحزونين لأنسى لك هذا المقام رب العالمين يا أبا عامر هذا أبي ابتلي بالسقم منذ عشرين سنة صلى حتى أقعد، وصام حتى انحنى، وبكى حتى عمي وكان يتمناك على الله ويقول: حضرت مجلس أبي عامر مرة فأحيا موات فكري وطرد وسن نومي

---

(١) قبا: قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة، (معجم البلدان ٤/ ٣٠٢).

(٢) الجريدة من النَّخل: كالقضيب من الشجرة، وهي السَّعفةُ نُزع عنها خوصُها (ج) جرائد.

(٣) الدِّرياق: مضاد السموم. و ـ: الخمر.

وإن سمعته ثانياً قتلني، فجزاك الله من واعظ خيراً ومتعك من حكمتك بما أعطاك، فلقد أرحته مما كان فيه ثم أكبت عليه تقبل عينيه وتبكي وتقول: يا أبتاه يا من أعماه البكاء على ذنبه أبي، يا أبتاه يا من قتله ذكر وعيد ربه أبي يا أبتاه يا من قتله وذكر ربه، أبي يا أبتاه حليف الحرقة والبكاء وحليف الاستغفار والدعاء، يا قتيل المذكرين والخطباء يا صريع الوعاظ والحكماء قال أبو عامر: فقلتُ لها: أيتها الباكية لحالك والبادية الثكلى إنَّ أباكِ نحبه قد قضى وورد دار الجزاء وعاين كلما عمل وعليه يحصى في كتاب عند رب لا ينسى، فمحسن فله الزلفا أو مسيء فوارد دار من حزن وأسى، فصاحت الجارية كصيحة أبيها وجعلت تعرق عرقاً، وخرجت مبادرة إلى مسجد المصطفى، وفزعت إلى الصلاة صلى الله عليه وآله وعرفته الخادم، فقال: هذا بصير عليه طعام اقتطعه.

ويروى أن اليهودي بطريق العام فلما صدقت... سأل عن رجل الإخلاص في التوكل. وأيضاً عن بلوغ المراد منه عن مولانا الصادق عليه السلام وفاء شقيق وقال ما معناه: إنه صادق عليه، نذكر أن قال: من عرضت له حاجة إلى مخلوق فليبدأ فيها بالله عز وجل، قال: فدخلت المسجد فصليت ركعتين فلما قعدت للتشهد أفرغ عليه النوم. قال: فرأيتُ في منامي أنّه قال لي: يا شقيق تدل العباد على الله ثم تنساه، فاستيقظتُ وقمتُ في المسجد حتى صليتُ العشاءُ الآخرة وحضر لي كاره فرجل قد... جاءه من بعض أصدقائه ما كفاه وأغناه.

ومنه دعاؤه وكرامه لإبراهيم بن أدهم وهو: يا رب قد علمت ما كان مني وذلك لجهلي وخطيئتي فإنْ عاقبتني عليه فأنا أهل لذلك، وقد عرفتُ حاجتي فاقضها برحمتك فقضى حاجته في الحال.

ومنه دعاء سمعه مربوط من هاتف فقاله، فخلص من كتافه[1] وهو: يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا تصفه الواصفون ولا تأخذه سنة ولا نوم اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، يا غياث المستغيثين يا أرحم الراحمين ثم كرر هذا الدعاء فخلصه الله برحمته.

وقال بعض رواة الحديث: إنه وقع في مثل ذلكَ فدعا به فخلص من الكتاف.

ومنه دعاء دعي به رجل كان في المركب، فسقط في البحر، فنجاه الله تعالى وأعاده إلى المركب وهو: يا حي لا إله إلا أنت ثلاث مرات فسمع أهل المركب منادياً ينادي لبيك نعم الرب ناديت. ثم اختطف من البحر حتى وضع في المركب ومنه دعاء في قضاء الدين، عن المفضل بن فضالة، كان قد ركبه دين وكان يدعو ويلح فيقول:

---

(١) الكِتافُ: حبل ونحوه تُشدُّ به اليدان إلى خلف الكتفين (ج) أكتفةٌ، وكُتُفٌ.

يا ذا الجلال والإكرام بحرمة وجهك الكريم اقض عني ديني فرأى في المنام من يقول له: كم تلح بحرمة وجه الله الكريم اذهب إلى موضع كذا وكذا فخذ منه مقدار دينك ولا تزد، ففعل وقضى بذلك دينه.

ومنه دعاء استجيب لصاحبه كما سأل: اللهم إني أسألك صحة في تقوى وطول عمر وحسن عمل ورزقاً واسعاً لا تعذبني عليه.

ومنه دعاء الطائر وأظنه في هذا الكتاب لكن يمكن أن يكون على حدة وهو أنت يا الله قادر على تعثيره في سره وجهره وصيانتي عن الاستجارة في هتك ستره، وإظهار سره، وكشف أمره، يا أقدر القادرين وأقوى الناصرين.

فصل

ورأيت في كتاب (العبر) تأليف عبد اللّه بن محمد بن علي حاجب النعمان قال: ولقد حدثني أقضى القضاة الماوردي بحكاية عجيبة وصدقها ابن الهدهد وابن الصقر فراش سلار الملقب بجلاّل الدولة ابن بويه ملك البصرة قبل بغداد وكان المعروف بكبوش قد وزر له واستولى على أمره، فقبض على رجل من بناة البصرة وصادره واستأصله وخلاه كالميت، وكان يدعو عليه فلما كان في بعض الأيام ركب بكبوش في مركب عظيم، فصادف الرجل، فسبه، فقال له الرجل: الله بيني وبينك، والله لأرمينك بسهام الليل فأمر بالإيقاع به فضرب حتى ترك ميتاً وقال له: سهام الليل هذه سهام النهار قد أصابتك، فلما كان بعد ثلاثة أيام من ذلك قبضَ جلال الدولة على بكبوش وأجلس في حجره على حصير ووكل به من يسيء إليه، فدخل الفراشون لكنس الحجرة وشيل الحصير الذي تحته فوجدت رقعة فأخذها الفراشون وسلموها إلى ابن الهدهد فراش سلار، فقال: من طرحها؟ فقالوا: ما دخل أحد ولا خرج فقرأت فإذا فيها:

سهام الليل لا تخطى ولكن ... لها أمد وللعهد انقضاء

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... تأمل فيك ما صنع الدعاء

فأخبر جلال الدولة بحاله وشرح له القصة جميعها، فأمر الفراشين بضرب فكه حتى تقع أسنانه ففعل به ذلك وعذب بكل نوع حتى هلك.

فصل

يتضمن دعاء على عدو إذا كان للإنسانِ عدو داخل تحت تهديد
الآيات ومستحق للنقمات، فليقل: اللهم إنك قلت في الكتاب الكريم في وصف
المستحقين للعذاب الأليم ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ
فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم
مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ اللهم وإن فلاناً قد سعى
فيّ بالفساد، وقد منعنا من إقامة الحد عليه المانع له من
ظلم نفسه وظلم العباد، ومن تطهيره قبل يوم المعاد
اللهم وأنت أحق بإقامةِ الحدِّ عليه فعجل له
ما يستحقه بالفساد الذي أصر عليه
اللهم وقلت: ومن بغى عليه
لينصرنه الله، وقلت: ولا يحيق
المكر السيئ إلا بأهله

فهرس محتويات

كتاب

تذكرة خواصّ الأمّة

بذكر خصائص الأئمة

فهرس المحتويات

Note:
Electronic Copy made for use by
our children & Ulma
living abroad.
Thanks to MR. NASIR UDDIN ARIF
TALIBE TUA
S. NAZAR ABBAS
1-3-2010